رشيد الخيّون

لُصُوص الأَمْوال والنصوص

فِي التُّرَاثِ العَربي الإِسلامِي

مدارك

لُصُوص الأَموال والأَفكار
في
التُّرَاثِ العَربي الإِسلامِي

الكتاب: لُصُوص الأَموال والأَفكار فِي التُّرَاثِ العَربي الإِسلامِي

المؤلف: رشيد الخيُّون

التصنيف: تاريخ

الناشر: دار مدارك للنشر

الطبعة الأولى: مارس (آذار) 2021

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978 - 614 - 429 - 745 - 2

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لـ مدارك. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من مدارك.

Madarek Publishing House

مدارك

دار مدارك للنشر

8470 طريق عثمان بن عفان، حي التعاون، الرياض، المملكة العربية السعودية

8470 Othman Bin Affan St, Al Taawun Dist, Riyadh, Saudi Arabia

Zip Code: 3844 - 12478 Riyadh, Saudi Arabia Tel: +966 114541148

mdrek.com | read@mdrek.com | DarMadarek

رشيد الخيُّون

لُصُوص الأَموال والأَفكار

في

التُّرَاثِ العَربي الإِسلامِي

الإهداء إلى

لُصُوص العِراقِ

المتقدمين منهم والمتأخرين

المحتوى

المقدمة:

يُعذر لِص المال ولا يُعذر لص الكتابة. مَن كتب في السَّرقة ظل يحوم حولها بلا وقائع ـ الصَّعاليك والشُّطار والفتيان غير اللُّصُوصِ اجتماع اللُّصُوصِ لحماية بعضهم بعضاً.

ـ لا عهد ولا أمان للصِّ حكاية علي بابا والأربعين حرامي عادت مِن جديد.

ـ افتح يا سمسم أصل الريمود كنترول لماذا أهديت الكتاب إلى لُصُوص العراق؟!، عكس المثل: مَن يسرق العين مِن الكحل!

تمهيد في المصادر:

الجاحظ أول مَن صنف في اللُّصُوص «حيل اللُّصُوص» ما بثه الجاحظ عن اللُّصُوص في كتبه: الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء البغدادي يتهم الجاحظ أنّه يُعلم النَّاس على السَّرقة السُّكري أرخ لأخبار اللُّصُوص وأشعارهم كتب مفقودة عن اللُّصُوص معجم البلدان الأكثر اقتباساً مِن السُّكري التنوخي في (نشواره والفرج بعد الشَّدة- أهم المصادر عن حكايات اللُّصُوص- الراغب الأصفهاني والجاحظ يذكرأن مرشد اللُّصُوص وخبيرهم- السَّيوطي مِن ألمه كتب: البارق في قطع يد السَّارق، والفارق بين المُصنف والسَّارق المهلهل بن يموت ظلم أبا نواس الحاتمي والعميد كتبا حسداً على المتنبي الجرجاني والثَّعالبي دافعا عن المتنبي. كتاب شعراء اللُّصُوص للملوحي بسيط؛ لكنه البادئ في هذا المجال بين المعاصرين- سبب تجاهلنا لكتاب الطريفي شعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي.- كتاب طبانة عن السَّرق وليس عن السَّارقين في الأدب، ونجده تنظير لا طائل منه كتاب داود سلوم في السَّرقة أدق ما كُتب عن السَّرقة الأدبية، وبوقائع مسته كباحث نُهب جهده.

الباب الأول: لصُوص المَال

الفصل الأول: فئات اللُّصوص:

السَّارق- الخارب- الأحمص- القضّاف- طرار- حِمل- عمروط- شِصّ- لغيف- أدلغاف-

الكباجة- قراضبة- لهاذبة- زواقيل- قرافصة القفش الداعرون مِن اللُّصُوصُ- هرابعة- فُتان- مهصهصة- ذُؤبان- طمالسة هطالسة- جراجمة أملاط وأسباد- حُراب- الحرامي الحايف واختلافه عن الحرامي أو اللِّصّ- عين- مؤتي- شاغل.

الفصل الثَّاني: أمكنة اللُّصُوص:

قصر اللُصُوصِّ- عُمير اللُّصُوصِ- خَربة اللُّصُوصِ-

بُرج اللُّصُوصِّ- كافة غار في جبل- مراكش- سجن نافع

المخيس- لُصوص الزَّي- لُصوص السِّند- لصوص اليمن لا يتعرضون لتجار القات.

الفصل الثَّالث: اللُّصوص في الأزمات:

سنة الرَّمادة- حرب الأمين والمأمون- الزَّبزب المرعب- أبو طبر الأفظع رعباً- لصُوص ٣٠٥هـ لصوص ٣٢٨هـ لُصُوصُّ ٣٣٢هـ استغلال موسم الحجّ لُصُوص ٤٤٨هـ -لُصُوص ٤٧٨هـ لُصُوص ٥٣٨هـ الحجّ إلى القُدس مختار اللُّصُوصِّ- الشَّراكة مع السُّلطة- الحروب الصّليبيَّة.

الفصل الرَّابع: اللُّصُوص وأهل الفقه والفكر:

الفقهاء القتلى بأيدي اللُّصوص قصصهم مع اللُّصُوصّ- الفارابي الفيلسوف قتلته اللُّصُوص الاسعانة بالفقهاء على اللُّصُوص- مَن كان لِصَّاً.

الفصل الخَامس: شخوص اللُّصُوص:

مسافر اللِّصّ- براص اللِّصّ طُهمان الكلابي ابن الرَّيب شظاظ- حردبة مرشد اللُّصُوص- اللُّصُوصُّ الخناقون أبو النَّشناش حماد الرَّاوية- النَّطاح- العَّدْاف- أبو معن الزِّنجي- أفلح الزِّنجي- أبو الهيثم الطَّرار- ابن مردان- أبو الباز العُقاب

رئيس اللّصوص ابن حَمدي- رئيس اللّصُوص النَّقاش- أبو النَّدى- ابنُ حَراصة- شيبان بن شَهاب- جحدر الكَرخي اللِصُّ ابن سباب الكردي- عباس بن الخَياطة- أسود الزُّبد- البُرجُمي العيار- بركات الفوعي- الزَّمركل- ابن الدّوديّة- التَّوابون- تجنيد اللُّصُوصِ: عبد الله بن الحُر- عُمران بن شاهين.

الفصل السَّادس: أَشعار اللُّصُوص:

ابنُ الرَّيب الهفوان العقيلي- مُرَة بن محكان- الأحيمر السَّعدي- طُهمان- عَطارد بن قُران العطاف العُقيلي الهيزدان يونس الحرامي- الجرنفس اللِّص- الخُطيم العُقيلي- أبو المطراب العنبري- أبو زيد الأعرابي عيلش الضَّبي- التَّيحان العُكلي عُمان الخياط- ابن النَّشناش.

الفصل السَّابع: اللُّصُوص في أخبارهم:

مقالة أبي حامد الغزالي- الكدية والمكدون وفئاتهم- إبليس يخاف اللُّصوص -سرقة مكتبة مِن قافلة- سرقة خزينة الخلافة- المعتضد ولص رواتب الجنود- أمير أمراء تقتله اللُّصُوصّ- دفائن بحكم التُّركة- سرقة في مسجد- الصَّيارفة هدف اللُّصُوصِّ- مِن حيل اللُّصُوص- لُصُوص مِن داخل الحُكم- رئيسة لُصوص- ما بين الحُراس والكلاب مِن عواطف.

الفصل الثَّامن: عقوبة اللِّصِّ:

حدّ السَّرقة واختلاف الفقهاء قطع الكف أم قطع الأصابع- المعري والرّبع دينار ومَن ردَّ عليه- لا قطع في شريعة حامورابي ولا شريعة التَّوراة قطع اليد في الجاهليَّة شيخ أزهري يدعو إلى القطع كمال الحيدري ليس مع القطع- جمع الأكف والأرجل المقطوعة كشاهد على التَّنفيذ- الإفراط بالعقوبة إلى القتل يحول اللصوص إلى قتله قتل اللصُوص وخلع الأضلاع- القتل بالتوسيط (أي قسم الإنسان قسمين) نكبة الخطاط والوزير ابن مُقّلة بقطع يده الخوارج: قطع اليد مِن المرفق- أساليب كشف اللُّصُوص: بعلم النجوم والقيافة أو العيافة وبالقدح- قرصنة السُّفن- السِّحر للحماية مِن اللُّصُوص. النذور للأضرحة عند النَّجاة مِن اللُّصُوص.

الباب الثَّاني: لُصُوص الفِكروالمنظوم والمنثور

الفصل الأول: ما قيل في لَصُوصية الكتابة:

ألفاظ الهمذاني واختراع تيسلر ساعدا لصوص الكتابة- تحذير المسعودي- توضيح ابن خلدون وتحذيره، لكنه لم يلتزم بتحذيره.

الفصل الثَّاني: لُصوصية المنظوم:

استعارة وتضمين أم سرقة؟ محنة أبي نواس والمتنبي مع الخصوم- طرفة بن العبد لم يلتزم بقوله- اعتراف كعب بن زهير- مصريون يكرهون أبي نواس ابن يموت قديماً والعقاد حديثاً العميدي أكثرعلى المتنبي- العميدي سارق من صاحب الوساطة- الجرجاني يدافع عن المتنبي- الصاحب بن عباد اتهم المتنبي وسرق شعره المتنبي لا يعرف الحاتمي- الثعالبي يذبُ عن المتنبي.

الفصل الثَّالث: لُصوصيَّة الأقدمين في المنثور:

صاحبا المقامات الهمذاني والحريري- صاحبا فرق الشيعة النُّوبختي البغدادي والأشعري القمي- أبو حامد الغزالي والفيض الكاشاني- إخوان الصَّفا وابن خلدون- السِّيوطي وسارقوه -المعري ودانتي.

الفصل الرَّابع: لُصوصيَّة المتأخرين في المنثور:

مرجيلوث وطه وشاكر- اليعقوبي والخاقاني- الرُّصافي ودشتي- داود سلوم ومحمد نبيل طريفي- الرَّاهب والشّيخ- الحسني والتُّونجي- رودولف ودراوور ورومي.. والجزائري- الحُزيمي وعفيفي.

الفصل الخامس: الفقه ولُصُوصيَّة الكتابة:

إباحة الغش- استفتاء في السّرقة الفكرية والأدبيَّة

المصادر والمراجع:

الفهارس:

فهرس: الأشخاص

فهرس: الأماكن

فهرس الأشعار

المقدمة

إنَّه كتاب في تُراث اللُّصُوص: أعلامهم، حيلهم، أخبارهم وأشعارهم، وعن سُراق المال والأدب والفكر، أُدرجت تحت عنوان «لصوص الأموال والأفكار». فخطورة النَّوعين واحدة، إنْ لم يكن النَّوع الأخير أكثر خطراً؛ لأنَّ لِصَّ المال قد يكون له عذره لطعام أو لباس، لكن لا عذرَ لسارق كتابٍ أو مقالٍ أو فكرٍ أو قصيدةٍ، فما بالك بسارق كتبٍ شيد له مجداً معرفياً عبر اللُّصوصيَّة.

لا تبدو مصادر البحث في اللُّصُوص قليلة، لكنها متفرقة، فأخبارهم، وكلّ ما يتعلق بهم مبثوثة بين صحفات الكتب القديمة، مع أن هناك كتباً اختصت باللُّصوص فقط، وهذا ما يراه القارئ اللَّبيب، في تمهيد المصادر المفصل، بعد المقدمة مباشرة، لكنَّ تلك الكتب مفقودة، وهي بالأصل كانت نزيرةً، ما عدا ما اختص بالسَّرقة الأدبية، فوصلنا ما وصلنا منها، لكنّها جميعاً تقريباً قصدت سرقات المنظوم وليس المنثور، ومعلوم أنَّ سرقة المنظوم، أو الشِّعر، تُبرر في معظمها بالتّضمين والاستعارة، استعارة اللفظ أو المعنى، وما أكثر الأخير!، أيّ المعنى، بين الشّعراء وفي العصور كافة.

أما المراجع الحديثة، في مجال اللُّصُوص، وهي قليلة أيضاً، لكنها ركزت على اللُّصُوص الشُّعراء دون سُراق المنثور مِن الأدب والفكر، وجَمعت بين اللُّصُوص والصَّعاليك والشُّطار والعيارين، والفتيان، وهم وإنْ يشتركوا في التَّمرد وتجاوز الحُرمات، غير أنَّ الاختلاف واضح بين هذه الفئات؛ لذا نرى مِن الصُّعوبة بمكان تضمين الكتاب الفئات المذكورة، فهؤلاء لهم تعريفاتهم الخاصة وممارساتهم الدَّالة عليهم، فهم لا يتخذون اللُّصُوصية حرفةً، صحيح أنهم يحسبون مِن الجماعات الشِّريرة، في الكثير مِن الأحيان، ويتجاوزون الأعراف الاجتماعية، ويعتدون على أموال الغير بالنَّهب والسَّلب وقطع الطَّريق؛ لذا أصبحوا منبوذين مِن قِبل المجتمع، لكنهم ليسوا لُصُوصاً بالمعنى الدَّقيق للمفردة، فمِن ناحية السَّلب والنَّهب، كان يمارس بين القبائل بشكل علني وآنذاك كانوا يتفاخرون به! إنَّ سوء الأخلاق والتَّمرد على المجتمع ليسا بالضَّرورة ينحصران في اللُّصُوص دون غيرهم.

يأتي في تعريف الصُّعلوك: هو مَن لا مال له(1)، أيّ فقير الحال، وصَعلكهُ: أفقره، وتصعلك: افتقر، وبالتَّالي معنى الصُّعلوك الفقير(2). اشتهر الصَّعاليك بالتَّمرد بسبب الفقر، وقد اشتهر بينهم الشَّاعر عروة بن الورد، حتى لُقب بـ«عروة الصَّعاليك»، و «أبي الصَّعاليك»(3). قيل كان يجمع مَن تبرأ منهم ذووهم، بسبب القحط أو المجاعة، وهم المرضى وكبار السّن والضُّعفاء،

فيعمل على إسكانهم في حظائر يعدها لهم، ومَن يقوى منهم يخرج به في الغارات على أصحاب الأموال، ويقسم الغنيمة بينه وبين أصحابه(4). حصل أن قوماً أصابهم القحط فلجؤوا إليه، ونادوه بأبي الصَّعاليك «أغثنا فرق لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشاً»(5).

فهل يمكن تسمية ابن الوَرْد لِصّاً؟! لا نعتقد ذلك، ولديه أروع خصال الإنسانيَّة، التي يتجرد منها اللِّصُّ تماماً. نجد مَن يفخر بالصَّعَلكة، ولا نجد مَن يفخر باللُّصوصيّة، مثل قول لقيط بن زرارة(6):

إنْ يقتلوا منا كريماً فإننا

أبانا به مأوى الصَّعاليك أشيما

كذلك الحال بالنِّسبة للشُطَّار، مع اختلاف المعنى عن الصَّعاليك، فالشَّاطر «الذي أعيى أهله خُبثاً»(7)، ويأتي ذِكر الشُّطَّار في غير ما يُذكر به اللُّصُوص، والخبث ليس بالضَّرورة أنْ يكون لُصُوصيةً، كي يُضمَّن الشّطار في كتاب يختص باللُصُوص، أو يعدون ضمن فئة أو طبقة مِن اللُّصُوص، فالشَّاطر يمكن أن يكون لُصاً أو لا يكون، وليس كلّ شاطر لُصاً. نأتي بمثال نقتبسه مِن صاحب «أحسن التَّقاسيم»، كي نحدد مِنه هوية الشَّاطر، يقول عن الأهواز في وقته (القرن الرَّابع الهجري/العاشر الميلادي): «ليس لجامعها حُرمة، وذلك أنه أبداً مملوء بخلق مِن الشُّطار والسَّوقة، والجهال يتعدون إليه ويجتمعون فيه، لا يخلو قوم جَلوس والنَّاس في الفريضة، وهو بين الشَّحاذين والفاسقين»(8).

كذلك ورد عن أحد الشُّطار، وقد شاع أنه كان يتعشق امرأة نبيلة، ليست مِن طبقته، والحقيقة أنه عشق جاريتها وليست هي، فقيل عنه: «كان جندياً في عداد الشُّطار»(9). أو ما قيل عمَّا حصل في الحرب بين الأخوين الأمين والمأمون ابني هارون الرَّشيد، سنة (١٩٦هـ/٨١١م): «وفُتن النَّاس، وساءت أحوالهم، ووثب الشُّطار على أهل الصَّلاح»(10). نُقل أن للجاحظ كتاباً عنوانه «أخلاق الشُّطار»(11)، لكنه مِن المفقودات.

وهذا عمرو بن الوراق العنزي(ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م) يمتدح العيارين والشُّطار، في تلك الحرب، وإن عدوا مِن اللُّصُوص(12):

عُرْيان ليس بذي قَمصِ

يغدو علىٍ طلبِ القميصِ

لَيْثاً مُغيراً لم يَزلْ

رأساً يُعدّ مِن اللُّصوص

أما الفتوة، أو الفتيان، فهؤلاء لهم سماتهم الخاصة، وتنظيمات ترأسها الخلفاء أنفسهم، وللفتوة شروطها(13)، وأحياناً يجتمع الشُّطار والفتيان، وهذه الفتوة غير الملتزمة بشروطها الأخلاقية، في هذا يقول الجاحظ(ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):»وإن الشُّطار ليخلو أحدهم بالغلام الغرير، فيقول له: «لا يكون الغلام فتىً أبداً حتَّى يصادق فتىً، وإلا فهو تكش»، والتَّكش عندهم الذي لم يؤدَّبه فتىً، ولم يخرَّجه -، فما الماء البارد بأسرع في طِباع العطشان مِن كلمته، إذا كان للغلام أدنى هوىً في الفتوة»(14).

يربط أبو حيان التَّوحيدي(ت٤١٤هـ/١٠٢٣م) بين المروءة والفتوة، فلا «فتوة لمَن لا مروءةَ له، فأما إذا اجتمعا فقد أخذ الحبل بطرفيه، وملك الأمر بحنويه»(15).معنى مفردة «الفتى» الشَّاب، والسَّخي الكريم، والفُتوة لذاتها تعني «الكرم»، والفَتَيُّ: قدحُ الشُّطَّار مِن الأعراب، أو قدح الفتيان، والفَتِيان تعني اللَّيل والنَّهار(16)، فلا جامع يجمع اللُّص مع الفئات الثَّلاث التي ذكرناها، إلا أن يتم الجمع بينها وبين اللُّصوصية بالممارسة، ولعلّ بين مَن ذكرناهم مِن اللُّصوص يمكن أن يكونوا صعاليكَ أو شُطَّاراً أو فتياناً، لكن ليس لنّا اعتبار تلك الفئات ضمن اللُّصوص.

كذلك ركزت الدِّراسات الحديثة على الجانب النَّفسي والأخلاقي للُّصوص، أي جاءت كتباً مثقلة بالتَّنظير، وخفيفة بالأخبار والسّير. فكان للصُوصِ عوالمهم الخاصة، يعيشون مطاردين برذيلة اللُّصُوصيّة، تطاردهم شرطة الحاكم وأفراد القبيلة، فالعقوبة على اللِّص أو اللِّصة قطع اليد، في الإسلام وما قبله، وإذا تكرر فعله تُقطع الرِّجل وإذا تكرر فالقتل، حيث يشمله حُكم الحرابة والإفساد في الأرض وهو القتل. ملئت كتب النَّوادر بفكاهات أبطالها اللُّصُوص، وهي بين حوادث صحيحة ومختلقة، ومع ذلك تستطيع منها أن تصور كيف تكون شخصية اللِّص في التراث العربي الإسلامي!

يبدو أنَّ اللَّصَ فنانٌ في إيجاد الحيلة، حيلة السَّرقة، وحيلة التخلص من الموقف في اللحظة الحرجة، كدخول أهل الدَّار عليه تحت جنح الظَّلام متلبساً بسرقتهم، فيبقى ساهراً في زاوية مِن زوايا الدَّار، مفكراً كيف الخروج مِن المأزق قبل إطلالة الفجر، وقبل هذا بأيام يكون شغله الشَّاغل تحديد هدفه، مِن خلال جمع الأخبار، ومعرفة خروج ودخول صاحب الدُّكان أو محل الصَّرافة أو المنزل. لهذا يظهر على شخصية اللِّص القلق، وعدم الثِّقة

والتَّرقب، وقديماً كان يقضي نهاره في القفار، أو في الأماكن المهجورة بأطراف المدن والأحياء.

يجتمع اللُّصوص ويكونون ظهيراً لحماية بعضهم بعضاً، وقد يشكلون ما يشبه النَّقابة، لهم كبير يُدبر أمورهم، ويبقى مطاعاً، آمراً ناهياً على مجموعته، حتى وإن كان داخل السِّجن. كم من قائد متمرد على الحُكم شَكَّلَ مِن اللُّصوص جيشه!، واستطاع بهم الحصول على الأموال والجاه أيضاً، وسارت الرُّكبان بخبره، يعود إليه المنكوبون بسرقة أموالهم مِن التُّجار، لإرجاع ولو شيء منها. كذلك في ظروف عصيبة تأخذ السُّلطات بتقريب رؤساء اللُّصوص، ويوفرون لهم الحماية، مقابل دفع نسبةٍ مما يسرقون، ومَن يتوب مِن اللُّصوص، توبةً نصوح، يُسجل في ديوان الحكومة، ويجري له راتباً كخبير في حوادث السَّرقات، وهذه الفئة عُرفت بالتَّوابين.

يعرف النَّاس، أن الإنسان عندما يتحول إلى لَصٍ، لا يكون له عهد ولا أمانة، لكنْه قد يفاجئهم بسمو أخلاقه، عندما يمتنع عن سرقة الضُّعفاء، أو أبناء حيهِ وقبيلته، ومع عسر الأحوال التي يعيشونها، ظهر بينهم شعراء كبار، لا يعرف شعرهم الغزل أو المديح، بقدر ما تشيع فيه مفردات السُّجون والقفار والمطاردة والأصحاب مِن اللُّصوص.

تعرفنا على عدد غير قليل مِن الفقهاء والقضاة الذين قتلوا بيد اللُّصُوص، وكانت بيوت هؤلاء أماكن لحفظ أمانات المسافرين من الحجِّاج، لهذا تكبس اللُّصُوص دورهم بحثاً عن تلك الأموال. لهم حيل قد لا تأتي على بال العباقرة مِن البشر، والمثل الآتي، وإن قيل في «الكحالين» أطباء العيون إذ قيل: «يَسْرقُ الكُحل مِن العين»، فهذا يسرق العين مِن الكحل، وهو لِصٌ مِن كبار اللُّصُوص (17).

ينشط اللُّصُوص عادة في الأزمات، حيث الفوضى وانشغال النَّاس والسُّلطات، خلال سنوات المجاعات، والحروب والانقلابات السِّياسيَّة، وتلك فرص اللُّصُوص الذَّهبية. هذا، وللُّصوص عناوين وكل عنوان له اختصاصه، هذا ما فصلناه في فصل خاص بالفئات، ولهم أماكن عُرفت بهم، وظلت تسمَّى هكذا، مثل قصر اللُّصُوص، وخربة اللُّصوص، وسوق اللُّصوص. كانت هناك علاقة بين اللُّص والكلب والحارس، فالحُراس داخل البساتين المنفردة ليس لهم غير الكلاب للتسلية، بينما اللِّصّ من جانبه يحتال للكلاب ليمنعها من النّباح.

ركزنا في الفصل الخاص بشخوص اللُّصُوص على سيرهم وطبائعهم، ومنهم مَن تاب مِن اللُّصوصية توبة نصوحة، وأصبح وجيهاً في مجال مِن مجالات

الحياة، وقد أتى ابن قَدامة، على العديد منهم في كتابه «التوابين». مِن اللُّصوص مَن تربطه علاقة بوزير، أو أمير أمراء، أو صاحب الشُّرطة، وهذا يبدو أخطرهم؛ لأنه لا يخشى مِن العقوبة، مثلما كان الحال مع لصِّ بغداد المعروف بابن حمدي، واللّصّ ابن بكران. دفع التواطؤ بين اللُّصُوص والموظفين أو الشّرطة بعض الأمر إلى إحضار الأيدي والأرجل التي قُطعت عقوبة على اللُّصُوصية، فيعيدها؛ لتكون على قدر الأحكام التي صدرت بهم؛ كي يضمن عدم التّلاعب بتنفيذ العقوبة مقابل الرَّشوة.

ما يلفت النَّظر أن أغلب اللُّصوص، -إن لم يكن كافتهم -، أنهم لا يعرفون بغير أسماء تشبه الرُّموز والاستعارات والكُنى، يصعب أن تعثر على اسم أبٍ أو جدٍ لأحدهم، بل في الغالب تُطلق عليهم أسماء الأماكن التي يرتادونها، أو كُنى تُعبر عن اللُّصوصية، أو باسم الأُم والأب، مِن دون الاسم الأول، وهذا يُذكر بأسماء المماليك أو العبيد، ليس لهم قسمة في الأنساب، تأتي أسماء اللُّصُوص مثل: ابن مردان، وابن حمدي، وابن الخياطة، وابن بكران، وابن البَزَّاز، وابن سباب الكُردي، وأسود الزُّبد، أفلح الزَّنجي، وابن باز العُقاب، وأبو الهيثم الطَّرار، وبكر النَّطاح وغيرها.

لم يكن لصوص المال وحدهم مادةً للكتاب، إنما جعلناه مناصفة تماماً، بينهم وبين لُصُوص الكتابة والفكر، وهو ما يُعرف حديثاً بالسَّرقة الأدبية، فهؤلاء مثلما تقدم كانوا ومازالوا هم الأخطر؛ لأنهم يسرقون غير مضطرين، يسرقون العقل والفكر، ويدخلون في المجتمع كمؤلفين وباحثين وكتاب، وهم مجرد لُصُوص، ربَّما أسماء نتفاجأ بها، كيف شيدت مجداً معرفياً على أساس الإغارة على نصوص أو أفكار الآخرين؟!.

يتضمن الكتاب بابين: الباب الأول مِن تسعة فصول تناولت الفئات، والأماكن، ومن قتله اللُّصوصُ من الفقهاء والمفكرين،وأعلام اللُّصوص، وبينهم مَن أسس جيشاً جنوده من قاطعي الطَّريق واللُّصُوص، وركزنا على انتعاش اللُّصُوصيَّة في الأزمات، وأشعار اللُّصُوص، وختمنا الباب الأول بعقوبة اللِّصِّ.

أما الباب الثَّاني فتناول لصُوصَ الفِكر والمنظوم والمنثور، ويمكن التعبير عنها بالكتابة، وعند البحث في هذه الظَّاهرة تجد عالماً آخر، فيه من المحتالين، لممارسة السَّرقة التي لا عقوبة عليها، فلِصُّ الفكر يتلاعب في الألفاظ الأصل، ويأخذ المعاني، لكنَّ لخيبة عدد منهم فإنهم يسلخون اللّفظ والمعنى، فتظهر سرقاتهم واضحة، ويتضمن هذا الباب عدة فصول، أولها عن اللُّصوصيَّة الأدبية نفسها، ثم سرقة الأشعار، وتلك أقدمها وأغزرها في المصادر، ثم تأتي سرقات النَّثر، وقد وزعناها على عنوان يجمع بين السَّارق والمسروق، لكنَّ

بعض ما عرضناه في هذا الباب، فيه براءة السَّارق مِن سرقةٍ، قد شاعت حتى صارت حقيقّة.

أتينا في الكتاب على إشكالية في هذه القضية، ألا وهي السَّرقة الأدبية والفقه، فلم نجد عقوبة عليها عند الفقهاء، ماعدا إشارات عامة، ولكنها حديثة، وإذا كان هناك موقف منها، فهو بالقياس على سرقة المال، لكنَّها من دون عقوبة. لفتنا النَظر إلى قضية هامة، وهو ما أباحه بعض رجال الدِّين من الغش في الامتحانات، وهذا لا يقل خطراً عن السَّرقة الأدبيَّة نفسها، وعذرهم في هذا عدم وجود الدَّليل في حرمتها، والسَّبب؛ لأنهم لم يقدروا قيمة التَّعليم، الذي يُبنى على المنافسة الجادة بين الطلبة، وأن الغش سيؤول بهم إلى الكسل، وإلى اقتراف السرقة الأدبية.

كان دافع البحث في موضوع اللُّصُوص، ما جرى في السَّنوات الأخيرة على العِراق والعراقيين، حتى صارت سَرقة الآلاف، مِن الدولارات لا تعني شيئاً، بل وأخذت تُهَوّن سرقة الملايين أيضاً، فالأرقام غدت تُحسب بالمليارات ، كأن العِراقَ كنزٌ مفتوح، وهو بالفعل كنز، عُثرَ عليه في مغارة مِن المغارات، فأخذت القوافل تُحمَّل منه بلا رقيب وحسيب، وبسبب هذا الكنز يُبرر القتل والتَّدخل الخارجي اللئيم باسم الدِّين، ويُبرر الجهل، فالجاهلون سكوتهم مضمونٌ. إنّه فسادٌ يختلف عمَّا ألفته بقية الدُّول والشُّعوب، فمن العادة أنَّ الفاسد يخشى الفضيحة والعقوبة، ولكن ما حصل ببلاد الرَّافدين، منذ ٢٠٠٣ وحتى يومنا هذا، فساد مِن نوع آخر، فسادُ مسلح، أصبح القاضي فيه متهماً والفاسد قاضياً.

سمعنا في وسائل الإعلام، بعد سقوط النِّظام العِراقي السَّابق (٩/٤/٢٠٠٣)، أن مِن الأمريكان مَن تذكر حكاية علي بابا والأربعين حرامي . فعلى ضوء هذه الحكاية، وُضع نصب «كهرمانة والأربعين حرامي»، نحتها الفنان غني حكمت (ت ٢٠١١)، وهو نصب مشهور وسط بغداد، أُقيم في (١٩٧١)، يخرج الماء مِن أربعين خابيةً أو قِربةً، وكهرمانة تقف في الوسط تملؤها بالماء، وفي الحكاية تملؤها زيتاً.

أتذكر انقطع الماء عن تلك النَّافورة، وكان ينقطع ببغداد في فصل الصَّيف بين فترة وأخرى، في السبعينيات، فظهرت إحدى الصُّحف ببغداد وقتها بكاريكاتور يسترعي الالتفات، وهو ظهور رؤوس اللُصوص مِن أفواه القِرب الأربعين. لا أدري، هل الرَّسام وقتها قصد اللُصوصية أم الماء فقط، ففي ذلك الوقت لم تكن لُصوصية الدَّولة ظاهرة، لكنَّ على أيّ حال كانت فكرة الكاريكاتور عميقة، تعادل فكرة النَّحت نفسها، مِن حيث القيمة الفنية.

هذا النَّحت، نُحلت قصته مما أضيف لـ«ألف ألف ليلة وليلة»، فالنسخ القديمة، وما طبع مِن نسخ جديدة عليها، وجدناها خاليةً منه، وهي حكاية الكنز الذي عثر عليه علي بابا صدفةً. كان علي بابا حطاباً يجمع أخشاب الأشجار ويبيعها، وفي يوم مِن الأيام شاهد علي بابا مجموعة مِن الأشخاص أمام كهفٍ مغلق بصخرةٍ عملاقة، قالوا أمامها: «افتح يا سمسم»! ففتحت، ووضعوا ما معهم مِن كنوز داخل الكهف، وخرجوا بالعبارة نفسها، وهي بمثابة «ريمود كنترل» يفتح البوابات الكهربائية ويغلقها، ولما ابتعد اللُّصوص، وكان عددهم أربعين لُصاً، اقترب علي بابا مِن بوابة الكهف وقال: «افتح ياسمسم» فأزيحت له الصَّخرة، ونقل ما نقله من الكنوز التي تركها اللُّصُوص هناك، ثم خرج بالطَّريقة نفسها.

أخذ أخوه واسمه قاسم بابا، علماً بثروة أخيه المفاجئة، فتحايل عليه، فأعلمه بالأمر، وذهب بكلمة السّر وقال: «افتح ياسمسم»، وبعد أن جمع ما جمع من الكهف وأراد الخروج نسى كلمة السّر، حتى حان موعد عودة اللُّصوص، فوجوده وقتلوه، وتركوه داخل الكهف. جاء علي بابا في اليوم الآخر ووجد أخاه مقتولاً داخل الكهف، فحمله ودفنه. بعدها أخذ اللُّصُوص يبحثون عن الأسرة التي مات لها شخص قريباً، فعرفوا دار علي بابا، ووضعوا علامة عليها؛ كي يعودوا لقتله، وقد أنقذت زوجته مرجانة الموقف، التي أصبحت كهرمانة، وأخيراً جاء رئيس اللُصوص بهيئة تاجر زيت، ومعه أربعين خابية أو قِربة، وطلب من علي بابا أن ينام عنده ليلةً واحدة، مع بضاعته، إلا أن القِرب كانت كحصان طروادة، كل واحدة يختفي فيها لِصٌّ، لتنفيذ قتل علي بابا، إلا أن مرجانة شعرت بالحيلة، فأغلقت القِرب عليهم، بعد أن ملأتها بالزَّيت الحار، فانتهى أمر الأربعين لصا ، وأصبح عليَّ بابا ثرياً بعبارة «افتح يا سمسم»([18]).

بعد ما حصل بالعراق (٢٠٠٣)، صارت حكاية (علي بابا والأربعين حرامي) حقيقةً، فالعِراق هو ذلك الكهف، وما لص مِن اللُّصوص إلا اعتبره كنزاً مشاعاً، والتَّدين المبالغ به هو عبارة «افتح يا سمسم»، وبالفعل ما كان على بال أو خاطر أحد ممَن أُثروا واغتنوا مِن هذا الكهف أن تفتح لهم الأبواب بهذه السُّهولة، وقد عبر المتظاهرون عن كلمة السّر بهتاف «باسم الدِّين باكونا الحَراميَّة»، أي بعبارة «افتح يا سمسم»، لتكون لهم القصور والأطيان والأموال الهائلة. فمِن دون أن يسألني أحد، أنا أضع السُّؤال وجوابه، وهو لماذا تأليف كتاب في أحوال اللُّصوص وأنواع اللُصوصيّة؟! ما الدَّافع القوي الذي جعلني أرجئ كتاباً لأنجز كتاب «اللُّصوص؟! الجواب، لا أعتقد أن زمناً مرَّ على بلادي العِراق، حصل بها بالفعل، مثلما أرخ ابن الجوزي في كتاب

المنتظم، ومثلما سيأتي ذلك في محله مِن الكتاب، عن سنة من سنوات الأزمات «كان اللُّصُوص يمشون بثياب التُّجار في النَّهار»!

عرفنا أن اللُصُوصَ، من العادة، يختبئون في الكهوف، ويتفرقون في القفار، ثم يغيرون تحت جنح الظَّلام، لكنَّهم عندما يتبخترون في رابعة النَّهار بثيات التّجار المسروقين، فالأمر ينبئ بكارثة إنسانيَّة.

عندما تُسرق المليارات، وتُدمر الثَّروة، واللُصُوص محميون، يأمرون وينهون، هنا تجف الأقلام وتُعقد اللُّسن عن الكلام! هذا عُذري في تأليف الكتاب، وفكرتُ أن أهديه إلى اللُّصُوص أنفسهم؛ لأنهم شكلوا الحاضر والمستقبل القريب، لجيل تائهٍ، داخل بلدٍ صار حِطاماً، فاللُصُوص لم يتركوا شيئاً لم يعتبروه «مجهول المالك»، مِن حقِّهم التَّصرف به، ودليلهم (الفقهي)، وهم مِن أحزاب دينية، لهم مراجعهم الخاصة، (أن أيَّ دولةٍ قبل ظهور الإمام تُعد غاصبة)، لكنّهم في فقههم الحزبي يقولون بنائب الإمام الولي الفقيه، فالدَّولة التي لا يرأسها الإمام ولا نائبه تُعد أموالها مجهولة المالك، بمعنى أنها لا تُطبق الحاكميَّة الإلهيَّة!

في الختام لا بد مِن تقديم الشُّكر لمَن سهل لي الحصول على مصدر وأعانني بمعلومة، وهم الأفاضل: الكاتب والسَّفير السُّعودي: تركي بن عبد الله الدِّخيل، الباحث العراقي: رفعت عبد الرَّزاق، الباحث السُّعودي: سُعود بن صالح السَّرحان، الأكاديمي والباحث العراقي: سعيد عدنان، الباحث السُّوداني: عمر بشير التُّرابي، الصحافي والكاتب العراقي صاحب مؤسسة المدى: فخري كريم، المهندس العراقي: فؤاد الخيُّون، الخطيب العراقي: مضر الحلو، المشرفون على مكتبة مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث لما جهزوني به مِن مصورات لمجلات وكتب، لولاها لتأخر العمل.

رشيد الخيُّون

تشرين الثَّاني(نوفمبر) ٢٠٢٠

عام الجَائحة الكونيَّة

تمهيد

في المَصادر

على الرّغم مِن كثرة أخبار وأحوال اللُّصوص في كتب التُّراث الإسلامي؛ لكنَّ الغالب منها ظل أخباراً وقصصاً متفرقة، كثيراً ما تتضمنها كُتب الفكاهات والنَّوادر، وكأن هناك حرجاً مِن التّصنيف في هذا الموضوع، فمِن المؤكد ستكون المادة خاصة بقضية لا أخلاقيَّة، يتعرض المصنف فيها إلى نقد، مثلما نُقد الجاحظ (٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) على تصنيف كتاب «حيَل اللُّصوص»، وستأتي الإشارة لذلك. مع أنَّ القدماء صنفوا في مواضيع لا تقل عن اللصُّوصية دونيّة، حسب الأعراف الاجتماعية، على سبيل المثال لا الحصر كتاب «اللواطين»(19)، وفي رواية «الضَّراطين»(20)، وهو مِن الكُتب المفقودة، لمصنفه أبي الحسن علي بن محمد المدائني(ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، ويُعد مِن أغزر المصنفين(21).

نقصد بنزرة المؤلفات الخاصة بموضوع اللُّصوص قياساً بغزارة التُّراث العربي الإسلامي؛ وفي شتى جوانب الحياة والأدب. مع أن مجال اللُّصوصيّة يلفت النَّظر، أكثر مِن المجالات الأُخر، بما يكتنفه مِن مشاعر الخوف والتَّرقب من خطر دائم، ويدخل في الحياة الأدبية بقوة، إلى جانب هذا فإنه عالم واسع، ولا يخلو منه عصر مِن العصور، ومع نزرة التصنيف فيه، والمصنفات عدت من المفقودات، فهل يعود هذا إلى دونية اللّص، والعيب الذي يُلاحق المُصنف؟! ولولا اقتباسات الأولين ما وصلنا حرف منها؛ لأنها فقدت مِنذ قرون عديدة، حسب الزَّمان الذي عاش فيه المقتبسون، مِن أصحاب الكتب العامة والمعاجم.

أبرز كتاب اختص بشأن اللُّصُوص، ووصلت نصوص منها متفرقة، كتاب «حيل اللّصوص» لمصنفه الجاحظ، كان الجاحظ يكتب مِن داخل الحياة الاجتماعية، في الغالب مِن كتبه، ومسألة اللُّصوصيّة في العمق منها، مما يدل على جرأته في تناول الموضوعات غير المرغوب فيها، وقد عابه عليها آخرون. ذكر الجاحظ كتابه هذا ضمن قائمة مؤلفاته في كتاب «الحيوان»، و «البيان والتَّبيين» و «البخلاء» وفي رسائله. قال الجاحظ لمَن صنف له كتابه «الحيوان»: «وعبتني بكتاب حيّل اللُّصوص»(22).

نجد الجاحظ يمدح كتابه عن اللّصوصَ، لما فيه مِن نفع الكشف عن الحيل، فيتحصن القارئ بمن فيه مِن اللُّصوصَ، هكذا نفهم مِن النَّص الآتي: «ذكرت حفظك اللّه -، أنك قرأت كتابي في تصنيف حيل لُصوصِ النَّهار، وفي تفضيل حيّلِ سُراق اللّيل، وأنك سددت به كلَّ خللٍ، وحصنت به كلَّ عورةٍ، وتقدمّت بما أفادك مِن لطائف الخُدع، وينبهّك عليه مِن غرائب الحيل، في ما عسى ألاّ يبلغه كيدٌ، ولا يجوزه مكرٌ، وذكرت أنه قدرَ نفعه عظيم، وأنّ التقدمَ في دربه واجب»(23)». بأكثر وضوحاً يقول الجاحظ عن فائدة كتابه «حيل اللّصوص»: «وإني مِن الذّمِ عرضك، بعد أن حصنتُ مِن اللُّصوصّ مالك، فقد بلغت لك ما لم يبلغه أبٌ ولا أمٌّ رؤوم»(24).

فِمن المعلوم، أن أكثر المصنفين كانوا يصنفون بطلب مِن أهل السُّلطة والجاه والثّروة ممِن يعتنون بالأدب والثَّقافة، أو ممَن يتباهون بجمع الكُتب، ولا بد أن طالب الكتاب يرجو منه فائدة، مثل التي عبر عنها الجاحظ. ذكره محمد بن إسحاق النَّديم (ت ٣٨٨هـ) بـ»كتاب اللُّصوصّ»(25). يذكر الجاحظ عن كتابه هذا قائلاً: «ما خُبِّر به عن بابويه صاحب الحَمام، ولو سمعت بقصصه في كتاب اللُّصوصّ، علمت أنه بعيد عن الكذب والتَّزْيد، وقد رأيته وجالسته، ولم أسمع هذا الحديث منه، ولكنْ حدثني به شيخٌ مِن مشايخ البَصْرة»(26). يقصد حديث «إلهام الحَمام»، وكان يتحدث عن طائر الحَمام.

ثلب عبد القاهر البغدادي(ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م) ولام الجاحظ على كتابه «حيل اللُّصوصَ»، عندما قال: «وأما كتبه المزخرفة فأصناف منها حيل اللُّصوص، وقد عَلم بها الفسقة وجوه السَّرقة»(27). غير أن الجاحظ توخى الفائدة في كتابه مثلما تقدم، وهذا هو الصَّحيح، فلماذا لم يُعد كتابه دليلاً يحمي مِن السَّرقة، وليس يُعلم السَّرقة، فاللِّصُّ ينشأ ويتقن حرفة اللّصوصَية بين اللُّصُوص، وليس من كتاب يقرأه، لكنَّ النِّزاع بين المذاهب دفع البغدادي إلى أن يقول في الجاحظ ما قال، والسَّبب، على ما يبدو، ليس «حيل اللُّصوص» فالعشرات مِن كُتب الأدب العامة تضمنت تلك الحيل والقصص، لكنه اختلاف العقائد، فمِن المعروف أن أبا عثمان الجاحظ مِن أعلام المعتزلة(28)، والبغدادي كان أُصولياً محسوباً على أهل الحديث خصوم المعتزلة(29).

كان كتاب الجاحظ «حيَل اللُّصوصِّ» مصدراً في ما كُتب عن هذه الفئة الاجتماعية، وظل يتداول لفترة طويلة، والشَّاهد على ذلك، أن أبا الفتح ناصر الدِّين المطّرزي (ت٦١٠هـ/ ١٢١٣م)، وهو المخضرم بين القرنين السَّادس والسَّابع الهجريين، قد اطلع على الكتاب(30)، مع احتمال أنه اطلع عليه مِن كُتب آخرين. غير أنَّ كتاب الحيَل صار مِن المفقودات في القرون الأخيرة، وأن صاحب معجم «لسان العرب» محمد بن مكرم المعروف بابن منظور(ت ٧١١هـ/

١٣١١م)، وهو مِن أعلام القرنين السَّابع والثَّامن الهجريين، قد قرأ كتاب الجاحظ في اللُّصُوص، قال: «وقد قرأتُ كتاب اللُّصُوص للجاحظ، فلم أسمع بأن ثلاثة لصوص اجتمعوا بالاتفاق الظَّريف على بيت واحد»(31).

يأتي، من الكتب المفقودة، كتاب «لصوص العرب»(32) لأبي عُبيدة معمر بن المثنى البصري (ت٢٠٨هـ/٨٢٢م)، ولم نلحظ مَن نقل عنه نصاً، وهذا يعني أنه لم يكن متداولاً، مثل كتاب الجاحظ «حيل اللُّصوصِ».

يحضر بعدهما كتاب «أشعار اللُّصوصِ» لأبي سعيد الحَسن بن الحُسين السُّكري (٢٧٥هـ/٨٨٨م)، الذي عدَ مصدراً لمَن ضمنوا كتبهم بأخبار وأشعار اللُّصوص، بمعنى أنه ظل متداولاً لفترات طويلة، ولكثرة الاستشهاد به، يمكن جمعه وباسمه، وأغلب ما ظهر مِن دواوين اللُّصوص هو نقل عن الذين نقلوا عنه. يأتي الكتاب عند أبي فرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) تحت عنوان «أخبار اللُّصوصِ»، وهذا ما رواه الأصفهاني عن عمر بن شبَّة (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م) (33)، قائلاً: «وجمعها أجمع»(34)، ويعني الأخبار وتأتي ضمنها الأشعار، وجاء عند النَّديم بعنوان «أشعار اللُّصوصِ»(35).

يروي ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، أن محمد بن أَحمد بن عبدالله بن زياد بن القطان (ت٣٤٩هـ/٩٦٠م)(36)؛ وهو مِن أعلام القرن الرَّابع الهجري، قد لقي السُّكري، وسمع عليه أشعار اللُّصُوص «مِن صِنْعه»(37). علق الميمني الراجكوتي(38) على كتاب أخبار اللّصوص فقال: «هو الذي طبع منه المستشرق رايت الإنجليزي(39) بليدن، في مجموعة (جرزة الحاطب)، ديوان طهمان الكلابي اللّص مِن غير أن يشعر بذلك، انظر رسوم أمكنة في معجم البلدان تجزم ما قلناه»(40). والسؤال كيف لا يدري المستشرق رايط (هكذا ورد اسمه على جرزة الحاطِب وتُحفة الطَّالب)، وقد نشر الدِّيوان باسم السُّكري نفسه، مع مجموعة مِن الكتب العام ١٨٥٩؟! وأمر مفهوم أن يكون ديوان الكلابي اللّص جزءاً مِن كتاب «أشعار اللُّصوص» للسُكري.

احتوى كتاب «جرزة الحاطب»(41) الذي نشره المستشرق المذكور، ويبدو أنه مجموعة من المخطوطات جمعت في مجلد واحد، على الكتب الآتية: «صفة السَّرج واللِّجام»، و «صِفة السَّحاب والغيث وأخبار الرُّواة وما حمدوا» لأبي بكر محمد بن الحسن بن دُريد الأزدي (٣٢٠هـ/٩٣٢م)، وكتب «تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها» لأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (ت٢٩٩هـ/٩١٢م)، و «ديوان شعر طهمان بن عمرو الكلابي» لأبي سعيد الحسن بن الحُسين السُّكري (ت٢٧٥هـ/٨٨٨)، وكتاب «مقطعات مراثي لبعض العرب» رواية وليم ريط الإنجليزي (ت١٨٨٩)، عن عليٍّ بن ثروان الكندي، عن أبي القاسم بن علي

الوزير المغربي مِن أهل بغداد (ت٤١٨هـ/١٠٢٧م) عن أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت٢٩١هـ/٩٠٤م) عن أبي عبد الله محمد بن زياد بالمعروف بابن الأعرابي (ت٢٣١هـ/٨٤٥م)(42).

كذلك يأتي في مجال أخبار اللُّصوص قديماً، ومِن المفقودات، كتاب «الحُراب واللُّصوص» لأبي هلال لقيط بن بكير المحاربي (ت١٩٠هـ/٨٠٥م)(43)، وكتاب «السَّرقة وقطاع الطَّريق» لمحمد بن الحسن الشَّيباني صاحب أبي حنيفة (ت١٨٩هـ/٨٠٤م)(44)، ويبدو مِن مؤلفه أنه كتاب فقهي على المذهب الحنفي. وكتاب «السَّل والسَّرقة» لأبي محمد الأسود الغندجاني (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)(45)، والأخير ليس لنّا بيانه هل يعني بسرقة المال أم سرق الأدب؟!

نجد الطرافة في عنوان مقامة بخصوص اللُّصوصَ: «تعلق الشّص في حلق اللِّصّ»(46)، وهي مِن تأليف الشَّريف سعد الدِّين سعدالله(47)، جعلها جلال الدِّين السّيوطي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) في متن كتابه «البارق في قطع السَّارق»، وتضمن أشعاراً تخص اللُّصوص، منها(48):

لِصٌ يُطيق بحسُن الرَّأي يدخل في

مساكن الجنِ أو في سدِّ يأجوجِ

يـرى البيوتَ أحـاديثاً مضعفةً

فيها القويُ فيستثني بتخـريج

بينا تـرى المرءَ ذا مالٍ ومقـدرةٍ

تراه قد صـار فيها في المحاويج

نجد كتب الأدب العامة مصادرَ مهمة في موضوع اللُّصوصّ، ويأتي في مقدمتها كتابا «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»، و «الفرج بعد الشِّدّة» للقاضي أبي عليّ التَّنوخي (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، وردت فيه أخبارهم، وحيلهم، ورؤساؤهم، وأماكنهم، في روايات تكفي أن يُفرد منها كتاب مختص باللُّصوص، وقد اقتبس الكثيرون مادة هذين الكتابين، مثل ابن الجوزي (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) في كتابه «الأذكياء» على وجه الخصوص.

ضَمَّنَ أبو القاسم حسين محمد الرَّاغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ/١٠٣٣م)، كتابه «محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبلغاء»، مادة مهمة عن أحوال

اللّصوص، مِن أسماء اللّصُوصّية، والعقوبات، والأشعار، وقد توسع في أحد ضروبها وهم «الطَّرارون»، أيّ السَّرقة بطر أو شق الأكياس أو الجيوب، مِن دون علم أصحابها بآلة حادة، وهناك لُصُوص متفنون بهذا الضرب مِن السَّرقة، وتُسمى بين العراقيين بـ»ضرب الجيب»، والذي يقوم به يُعرف بـ «النَّشال»!

كذلك ليس قليلاً ما يتضمنه كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي، مِن مادة بشأن اللُّصُوص، وقد اعتمد في أكثر مِن نص على كتاب «أخبار اللُّصوص» لأبي سعيد السُّكري، لكن المادة موزعة على صفحات الكتاب، وحسب الأمكنة، فلم تأتِ نصوصاً منفردة، إنما حسب ما تقتضيه أخبار البلد أو المدينة أو القرية التي يتحدث عنها، وتُعتبرر مصدراً مهماً في هذا المجال.

قبل الكتب المذكورة أتت أخبار اللُّصُوص في كتب الجاحظ مثل «الحيوان» و «البيان والتّبيين» و «البخلاء»، مثلما تقدم، وكذلك في رسائله، التي جمعها وحققها عبد السَّلام هارون(ت١٩٨٨)، فقد أتى الجاحظ على ما يتعلق بالحياة اللُّصوصيّة، مثل «الكدية» أو «المتَّسول»، وعدد درجاتهم وما يُطلق على كلٍّ منها، وما فيها مِن حيل للحصول على المال، بما لا يقل عن اللُّصُوصِّية، رواية عن خالد بن يزيد مولى آل المهلب بن صفرة والمعروف بخالويه المكدي(49)، ومثال ذلك المكدي الذي يُعرف بـ «الإسطبل» «هو المتعامي، إن شاء أراك أنه منخسف العينين، وإن شاء أراك أنَّ بهما ماءٌ، وإن شاء أراك أنه لا يُبصر، للخسف ولريح السَّبل»(50).

كان أبو فرعون السَّاسي شديد الفقر والفاقة، و «لا يصبر على الكدية»(51)، وهو القائل في كديته في الطُّرقات(52):

ليسَ إغلاقي لبابي أنَّ لي

فيه ما أَخشى عليه السَّرقا

إِنما أُغلقــه كي لا يرى

سوءَ حالي مَن يجوب الطُّرقا

منزلٌ أوطنــه الفقرُ فلو

دخَل السَّارقُ فيــه سُرقا

لا تراني كاذباً في وصفه

لـو تراه قلتَ لي: قد صَدقا

ارتبطت أخبار اللُّصُوص، وأحوالهم وأشعارهم في كتب التَّاريخ بالأحوال والحوادث السِّياسية والاجتماعية، كموجات الغلاء والاضطرابات والخلافات والنّزاع على السُّلطة، ففي ظِل هذه الظّروف ينشط اللُّصوص ك»تاريخ الأُمم والملوك» لمحمد بن جرير الطَّبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، و «مروج الذهب ومعادن الجوهر» لعلي بن الحسن المسعودي(٣٤٦هـ/٩٥٦م)، و «تجارب الأُمم وتعاقب الهمم» لأحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، وغيرها مِن أُمهات التَّاريخ، ومنها جاءت الفائدة الأكبر في أحوال شخصيات ألتف حولهما اللُّصُوص، كمقاتلين في معسكراتهم، مثل عبيد اللّه بن الحر، وعمران بن شاهين، مثلما سيأتي الحديث بالتفصيل عن تجربتهما.

كذلك وردت في كتب التَّاريخ العام أخبار العلاقة بين رؤساء اللُّصُوصّ المحترفين وكبار مسؤولي الدَّولة، أي التَّقاسم باللُّصوصية، أي تكون السّرقة تحت حماية وزير أو موظف كبير من موظفي الدَّولة. هذا، ناهيك عن كتب الطّبقات وتراجم الرِّجال، فلم تكن خالية مِن أخبار وأحوال اللُّصُوص، وعلى الرّغم مِن ندرة الأخبار في هذا الجانب، إلا أنها كانت مهمة، وذلك بما يرتبط بالشّخصية المترجم لها.

أهم كتابين بين مصادر لصوصية النَّثر،- فبقية المصادر قصدت اللصوصيّة في الشّعر فقط-: «البارق في قطع السَّارق»، و «الفارق بين المُصنف والسَّارق» لجلال الدين السِّيوطي، المخضرم بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين، كتبهما بمشاعر الغضب وألم الخيبة ممَن سرق بعض كتبه، وجعل اسمه عليها، فالسَّارق ممِن نهل مِن درسه، واستفاد مِن علمه وأتمنه على كتبه، ولعلَّ السِّيوطي، في هذين الكتابين، يُعتبر أول المصنفين الذين أفردوا كتاباً لسرقة النثر، وإضافة إلى ما ضمن السّيوطي كتابه «البارق في قطع السَّارق» من مقامة «تعلق الشّص في حلق اللّص»، ضمنه مقامة «ظلامة الخالدي»، وهي تصوير لمنام في واعظِ سرق أشعار أبي تمام»(53).

تناول مصنفو معظم كتب السّرقات، إن لم يكن جميعها، سرقات الشّعر، مع أن سرقة الأخير تحتمل التَّوارد والتَّتبع والتَّضمين؛ لأنَّ الشّعر يُحفظ في الصُّدور، ويختلط في مخيلة الشَّاعر، وأغلب السَّرقات التي وردت كانت لبيت أو بيتين، وهي محيرة بين سرقة الألفاظ وسرقة المعاني، وقد وجدت لها تبريرات كثيرة.

مِن الكتب التي صنفت في سرقات الشَّعر، وما عُد مِن المفقودات: «السّرقات» لعبدالله بن المعتز (قُتل٢٩٦هـ/٩٠٨م)، «سرقات الشعراء» لابن طيفور الكاتب (ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م)، وغيرهما الكثير مِن المفقودات. مِن الكتب التي وصلت إلينا، وكانت خالصة لسرقة الشّعر أيضاً، وطبعت: كتاب «سرقات أبي نواس» للمهلهل بن يموت بن المُزَرع (ت نحو ٣٣٤هـ/٩٤٥م)، قريب الحاجظ، فالأخير خال أبيه(54)، طُبع الكتاب العام ١٩٥٧ بمصر، لكن ليس هناك ما يُثبت أن هذا الكتاب كتاب المهلهل، أو موجود مثل هذا العنوان، بعد البحث بما توافر لدينا مِن مصادر تراجم الرِّجال وفهارس الكُتب، لهذا لم يذكر محققّه شيئاً عن نسبة الكتاب لمُصنفه المهلهل، على الرَّغم مِن وجود ترجمات عديدة له، نُشر الكتاب بعد التَّحقيق مِن مخطوط يعود نسخه إلى تاريخ ٧١٦هـ/١٢١٦م، أي القرن الثَّامن الهجري الرابع عشر الميلادي، فهل يكون مؤرخو الأدب ومَن اهتم بأسماء الكتب لم يطلعوا على هذا الكتاب، بينما سيرة أبي نواس وشعره سارت بهما الرُّكبان! إنه مجرد تنبيه لمَن يبحث في شعر أبي نواس وفي السَّرقات لا أكثر.

كتاب «الإبانة عن سرقات المتنبي لفلظاً ومعنىً» لأحمد بن محمد العميدي (ت٤٣٣هـ/١٠٤١م)، كرس مُصنف الكتاب جهده على شعر المتنبي، وهو في الوقت الذي اعتبر أشعار المتنبي مسروقة قد عدّ كتابه على ما رتبه صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه»، مثلما سيأتي الحديث عن ذلك. كانت فائدة الكتاب تعكس الانفعال ضد شاعر مثل المتنبي (قُتل ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، ونفهم منه أن سرقة الشعر يصعب اثباتها، كسرقة النَّثر، ألحق هذا الكتاب، ولا نعلم هل مِن قِبل المؤلف نفسه أم النُساخ، برسالة الوزير الأديب الصَّاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ/٩٩٥م)، المعنونة «الكشف عن مساوئ المتنبي»، وبرسالة عُرفت بالحاتمية لمحمد بن الحسن الحاتمي(ت٣٨٨هـ/٩٩٨م)، وكانت حسب إدعاء مؤلفها نصاً لمناظرة له مع المتنبي ببغداد. نقو: هل المؤلف قد أضاف الملحقات أم النُساخ؟ لأنها جاءت كملحق في المخطوط الذي حُقّق، ونسخه الأُخر، ولم يشر المحقق إلى عدم وجود الملحقات في الأصل(55).

مِن غير الكتب الخالصة لسرقات الشِّعر يأتي كتاب «يتيمة الدَّهر في محاسن أهل لعصر» لأبي منصور الثَّعالبي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، جاء فيه ردٌ على رسالة وزير البويهيين الصَّاحب بن عباد (٣٨٥هـ/٩٩٥م) في سرقات المتنبي أو مساوئ المتنبي، فقد جاء الثَّعالبي على سرقات ابن عباد مِن المتنبي، والثَّعالبي وإن كان متحمساً للمتنبي إلا أنه أتي بنواقصه، ومنه نفهم أن سرقة الشّعر إذا لم تكن إغارة واضحة على قصيدة أو بيت فلا يُحسب سرقة.

يتعرض كتاب «المنصف للسارق والمسروق منه» للحسن بن عليٍّ المعروف بابن وكيع التَّنيسي (ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، نشرته جامعة قاريونس ببنغازي ١٩٩٤، لسرقة الشّعر، وللمتنبي على وجه الخصوص. جاء في تبرير تصنيفه للكتاب قائلاً: «يظن بنا النَّاظر في كتابنا خوراً في قصد أو تقصيراً في نقد، وذلك يلزمنا إلحاق ما فيه عيب غير السَّرقة بالمسروق، خوفاً من أن يقول قائل قد تجاوز عن أشياء من الغثاثات واللّحون والمحالات كانت أولى من الذّكر للسرقات، هذا إن لم يعبر عنا بالغفلة عنها إلا لتجاوز لها، وينبغي إذا عملنا على تسليم ما له من السَّرقات إليه وردّ المقصّر منها عليه، إن أثبت لك وجوه السَّرقات محمودها ومذمومها وصحيحها وسقيمها؛ وأعرّفك ما يوجب للسارق الفضيلة وما يلحقه الرَّذيلة؛ ليكون ما نورده له وعليه مقياساً على أُسسٍ قد أحكمناه، ونهج قد أوضحناه، وما غرضنا في ذلك الطَّعن على فاضلٍ، ولا التَّعصب لقائلٍ، وإنما غرضنا إفادتك ما استدعيناه، وكفايتك الفحص عما استكفيناه، لتظهر على خصمك وتزداد قوة في علمك»(56).

أما في العصر الحديث، فجاءت كُتبٍ عن اللُّصُوصية الأدبية، أو ما يمكن تسميته بلصُوصية الحروف، متحدثةً عن «السَّرقة «، كمجالٍ مِن مجالات الأدب والفكر، وربَّما كان الأسبق في هذا المضمار الأديب والأكاديمي المصري بدوي طبانة(ت ٢٠٠٠)، في كتابه «السّرقات الأدبيَّة دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية»، وقد صدرت طبعته الأولى ١٩٥٦، لهذا يغلب على ظَننا أنه أول كتاب عربي معاصر أُفرد للسرقة الأدبية، غير أن أكثر الكتاب تناول السَّرقات الشّعرية، ولم يأتِ على سرقة معاصرة بالملموس، وجاء نقولات من النَّادر أن أشار المؤلف إلى مصادرها، في ما يتعلق بتقسيم أنواع الاقتباس وما يُعد بسرقة، فلم يتعرض لأي قضية، إلا أنه أشار مبكراً إلى خطورة السَّرقة الأدبية بما لم يهتم بشأنها الفقة.

كتب أُخر، جعلناها مصادر في كتابنا، بشأن لصوصية الكتابة، وهو ما يخص مجال تحقيق الكتب، فهو أكثر مجالات الأدب إخفاءً لموضع السَّرقات. في هذا الخصوص جاء كتاب الأديب والأكاديمي العراقي داود سلوم (ت٢٠١٠)، «السّرقات الفنية للآثار الأدبية سرقات الدكتور محمد نبيل طريفي أنموذجاً»، والكتاب في نبرته يشبه كتابي جلال الدِّين السّيوطي، المار ذِكرهما، فيه مِن الغضب والنّقمة على سارقه، وهو حقٌ له، فالبحث جهدٍ يصرف فيه الباحث سنوات مِن عمره، وما ينفقه فيه مِن أعصاب، أشد تعباً مِن الجهد الذي يصرف في تجارة، ويأتي مَن لم يعرف قيمة البحث فينتهك حرمته.

لم يكتف طريفي، حسب المؤلف سلوم، بالإغارة على تحقيقات سلوم لديوان الكميت وقصائده المسمات «الهاشميات»، إنما أخذ ينتقد المحقق الأصلي،

وهو ما يفهم منه شكل مِن أشكال التستر على الإغارة أو السَّرقة. نشر طريفي كتاباً بجزءين تحت عنوان «الشّعراء اللُّصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي»، ووجدنا التطابق بين تحقيقه وتحقيق سابق لبعض دواوين شعراء اللُّصُوص، التي ضمها كتاب طريفي، وستأتي الإشارة؛ لذلك في محلها مِن الكتاب، لهذا لم نجعله مرجعاً من مراجع كتابنا هذا إلا بما يوضح ما بينه وبين سلوم داود.

يأتي كتاب الشَّاعر السُّوري عبد المعين الملوحي (ت ٢٠٠٦) «الشُّعراء اللُّصوص وأخبارهم»، بادرة جديدة في مجال أدب اللُّصُوص، فهم مع دونية النَّظرة إليهم، لكنَّ بينهم شعراء كبار، واللُّصُوص هنا لا يعني بهم سُراق الشّعر، إنما الذين امتهنوا اللصوصية، وعبروا عن قسوة حياتهم وما يلاقونه مِن مخاطر اللُّصوصيَّة والتعرض للمطاردة والقتل والسِّجن في قصائدهم، وكان كتاب تجميع، والرَّجل قد كتب على الغلاف «جمع وتحقيق»، أما مَن غار على جهود الآخرين في تحقيقه، مثلما حصل مع الأكاديمي داود سلوم، كتب على غلاف كتابه «صنعه» فلان!

لم نجد بين المصادر، في العصر القديم والجديد، مَن أصدر فتوى صريحة مِن أهل الفقه في عقوبة السّارق، وحتى السِّيوطي وهو فقيه معروف لم يدعُ إلى ذلك، والسَّبب، أن الفقه تسيره النُّصُوص، ولا وجود لنص صريح في هذا الأمر. أما الكتاب الذي كنا نأمل أن نجد فيه موقفا دينيا صريحا في السرقة الفكرية على العموم، «حقوق الاختراع والتأليف في الفقه واللغة» لمؤلفه الشَّهراني، فقد جاء ما فيه قياس على سرقة المال، فلا وجود لفتوى فقيه ولا نص قرآني ولا نبوي بما يخص سرقة الفكر والكتابة، ومِن الصُّعوبة بمكان أن يؤثر الحديث الذي أورده، ليكون سارياً على سرقة المال وسرقة الكتابة: «كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(57).

إن عدم وجود نص ديني يعني أن الحقوق الفكريّة أمر جديد؛ ليس بالضّرورة أن يكون الدِّين يتضمن مسائل المعاملات بين النَّاس كافة، والسَّرقة جزء من المعاملات وليس العبادات، لذا جعل البعض حقوق المؤلف مِن الفقه، إلا ليكون الدِّين صالحاً لكلِّ زمان ومكان، وهذه نعتبرها ولادة قسرية؛ لأن قانون الخاصة بالحقوق الفكريَّة، على الخصوص، كان قانوناً مدنياً، ليس فيه حكم شريعة إسلامية. أتينا بكتاب الشَّهراني، المار الذِّكر، كأحد المراجع لغرض التأكيد بأن السَّرقة غير مقبولة دينياً، لكنْ ليست لها ما يُحرمها، إنما تدخل ضمن «غير المستحبات»، والدَّليل أن الفقهاء ارتكبوها أنفسهم؛ لأنهم لا يرون هناك ما يمنعهم عنها.

الباب الأول

لصُوص المَالِ

«كان اللُّصُوص يمشون بثياب التُّجار في النَّهار»

(ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ٦ ص ٢٤١)

الفَصل الأول

فئات اللُّصُوص

تجد لكلّ فئة اجتماعيَّة، في التُّراث العربي والإسلامي، تاريخاً وثقافةً، ولعلَّ تُراث اللُّصُوصيَّة، مِن أوسع هذه الفئات أو الجماعات وأقدمها، فهي مِن الجماعات، أو لنقل الحِرف التي ليس لها أول، فإذا حدد المختصون زمناً تقريباً لظهور الرَّعي والزِّراعة والتِّجارة والصِّناعة، وغير ذلك مِن الحرف البشرية، لكنّ مِن العسير إيجاد بداية، أو زمن ما لحِرف معينة، ومنها حرفة اللُّصُوصيَّة، أو (الحراميَّة)، مثلما شاع الاسم وغلب، فكم فعل مُحرم في الدِّين والفقه، لكنَّ لم نجد مرتكباً حراماً سمَّي له، أو أُشير إليه، بالحَرامي مثل اللِّصّ، ولو كان الحَرام الذي ارتكبه أخطر مِن سَرق المال أو الجهد الفكري، مع أن الأخير لم يكن فعلاً محرماً بنصٍ، لكن لنا تسمية مرتكبه بالحَرامي مِن باب الإشارة إليه باللِّصّ، وإن هذه التَّسمية نحتها غير موجود في القواميس أو المعاجم العربية القديمة(58).

بيد أن لَقب الحرامي(59) عُرفت به قبائل عديدة، نسبة إلى الجد الأعلى، مثل حرام الأنصاري جد جابر بن عبد الله بن حرام، وهو من المعروفين الذين أخذوا لقب الحرامي، وكاتب المقامات القاسم بن عليٍّ الحريري الحرامي(60). ويُذكر أكثر مِن جد لقبيلة عُرفت ببني حرام أو الحرامي، مثل المنسوبين إلى حرام بن جُذام، وهم بطن زيد بن كهلان مِن القحطانيَّة(61). كذلك يرد لقب حَرَميّ، وهو الرَّجل المنسوب إلى البيت الحَرام (الكعبة(62)). إلى جانب أن تسمية اللُّصُوص بالحراميَّة قد وردت في التَّاريخ الإسلامي، منها: السَّنَّة (٤٨٢هـ/١٠٨٩م): «قطعت الحَراميَّة الطَّريق على قفل كبير بولاية حَلب»(63).

لا تصح تسمية اللِّصّ إلا أن تصبح اللُّصُوصيّة فعلاً دؤوباً، فهناك فارق بين اللُّصُوصيَّة كانصراف لها، يُكرس اللِّصّ كلَّ حياته فيها، وتصبح سلوكاً دائماً له، وبين السَّارق لحاجة ماسة، يعملها وفق «الضَّرورات تُبيح المحظورات»(64)، وعلى هذا أوقف الخليفة عمر بن الخطاب (اغتيل ٢٣هـ/ ٦٤٣م) حدّ السِّرقة في عام ١٨ هجرية، والذي عُرف بعام الرَّمادة، حيث القحط والعواصف الرَّملية، وما يسفر عن ذلك مِن جوع. قرر ذلك عندما أُحضر أمامه بعض السُّراق: «لن يهلك النَّاس على أنصاف بطونهم فكيف نأمر بالقطع؟»(65). غير أن مبدأ تبرير المحظورات بالضَّرورات لا يعمل في السَّرقة الفكريَّة، أو الأدبية، أو الكتابيّة، وهي ألفاظ لمعنى واحد.

نقول ذلك، مِن باب التَّمييز بين المسميين مِن ترابط، لكننا هنا نتحدث عن عمق المصطلح، وهو متى يدعى الإنسان لِصّاً؟، ومتى يكون سارقا؟، نعم كلُّ لُصٍّ سارق، لكنّ ليس كلّ سارق لصاً. لم نجد شيئاً عن ذلك في «الفروق اللغويَّة»، التي أبدع في رصدها الأديب والكاتب أبو هلال الحَسن بن عبدالله بن سَهل العسكري (ت٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، على الرَّغم مِن أنه ضمن كتابه الفروق بين المتشابهات، التي لا يتوقع هناك فارقاً بينها، على سبيل المثال لا الحصر: الفرق بين «الكتاب» و «المُصحف»، وبين «غاية الشَّيء» و «المدى»، وبين «الكتاب» و «الدَّفتر»(66) إلى آخره.

غير أن أبا منصور الثَّعالبي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨م)، يُعين الفرق بين السَّارق واللُّصّ، وهو أن قاطع الطَّريق أو معترض القوافل، يُسمى لِصّاً، أما الذي يسرق «المتاع مِن الأحراز(المكان الحصين)»، يُسمى سارقاً(67). نفهم مِما تقدم أن هناك فرقاً بين اللُّصّ والسَّارق، ومِن غير ما ذهب إليه أبو منصور الثَّعالبي نفسه، مثلما يرى ابن رُشد القُرطبي الجد (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) مفرقاً بينهما، وذلك «بقطع يد أحدهما في فور، وتلصصه أو سرقته في غير فور، ذلك لسبب آخر صحيحة، أن القطع في الحَرابة والسَّرقة، لا يتعين في اليد التي تُقطع دون التي قُطعت»(68). نفهم مِن ذلك أنَّ اللُّصُوصيَّة تُعادل الحرابة، أيّ تحول السَّرقة إلى مهنة، ويدخل في ذلك فعل قطع الطَّريق مثلما تقدم.

كتب أبو منصور الثَّعالبي في ما سماه بـ«أحوال السَّارق»(69)، وما يميز بعضها عن بعض، لكنها تعطي المعنى الواحد، وهي كالآتي:

السَّارق: السَّرق مِن الأماكن المحصنة.

الخارب: سارق الإبل(70).

الأحمص: سارق الغنم.

قضَّاف: سارق النُّقود.

الطَّرار: الذي يسرق عن طريق شق الجيوب(71).

جِملٌ: عارف بأحوال اللُّصوصية وأساليبها مِن ناحية المشورة، أي مستشار للُّصُوص.

عُمرْوط: أخبث اللُّصوص(72).

شِص: دليل اللّصوص يراقب لهم عند السَّرقة، أنْ يكون عيناً لهم.

لّغيف: يأكل ويشرب مع اللُصوص ويحفظ متاعهم، ولا يشاركهم السَّرقة.

الأدلغْاف: يأتي إلى السَّرقة في ختل واستتار، قال الشَّاعر(73):

إلى متاعي مشيةُ السَّكراني

أدلغفَّت وهي لا تراني

الكباجَة: والأصل: كبج إذا سَرق، وأتى مِن شعر أبي دُلَف الخزرجي اليَنْبُوعي مسعر بن مهلهل (ت: بحدود ٣٩٠هـ/١٠٠٠م)(74):

ومِنا الكابليونومَن يلعبُ بالجرِّ

ومَن يمشي على الحبلِومَن يعب بالبكرِ

ومنّا الزَّنج والزُّطِ والكبابجةُ السُّمرِ

لُّصوت: ومفردها لصت، وهذه التَّسمية تنفرد بها قبيلة طي(75). قال رجلٌ مِن طي(76):

فتركنَ نهداً عُيَّد أبناؤها

وبني كنانةَ كاللُّصُّوت المرَّدِ

قراضبة: والقرضوب «الذي لا يدع شيئاً إلا أكله»(77)، والقرضاب(78)، والقرضوب يأتي بمعنى الفقير أيضاً، وفيه قال سَلاَمَة بن جَنْدل (نحو ٢٣ ق هـ/٦٠٠م)(79):

قومٌ إذا صَّرحت كحلَ بيوتهم

مأوى الضّياف ومأوى كلِّ قُرضوبِ

لهاذِمة: ومفردها لهْذم(80)، معناها: «الأسنة القاطعة»، وجاء معنى اللهذم: مِن أسماء فروج النِّساء»(81).

اللُّصوز: إبدال الصَّاد زاءً(82).

الزَّواقيل: زواقيل الشّام(83)، ويُقال زواقيل العِمامة أن يخرج الشّعر مِن تحتها(84). شارك الزَّواقيل في القتال السَّنة (١٧٦هـ/٧٩٢م) عند هياج الفتنة بدمَشق بين المُضريَّة واليَمانيَّة، قاتلوا ضمن المّضريَّة ضد اليَّمانيَّة(85). معنى ذلك أنهم كانوا شبه منظمين، وتحت قيادة، ويستخدمون استخدامهم في المعارك.

القرافصة: لأنهم يُقرفصون النَّاس، أيّ يشدونهم بالوثائق عندما يسرقونهم أو ينهبونهم(86).

الهرابعة: ومفردها الهُربع الخفيف مِن اللُصُوصِّ(87).

الفُتّان: مِن أسماء اللُّصوص، والشَّياطين أيضاً(88).

المُهصْهصة: عين اللُّصُوصِّ في اللَّيل(89).

الذُّؤبان: لأن العرب يشبهون اللُّصوص بالذِّئاب(90).

الطُّماسلة: ومفردها طُمسل(91).

الهطالسة: ومفردها هطلّس(92).

الجراجمة: يحتربون على النَّاس، مِن جرجمه إذا صرعه، ومفردها: جرجمي(93). جاء ذِكر الجراجمة السنة (٦٩هـ/ ٦٨٨م) عندما انشق عمرو بن سعيد الأشدق عن عبد الملك بن مروان(ت٨٦هـ/ ٧٠٥م)، مستغلاً وجود الأخير خارج دمشق، يومها ثار أحد قادة الجيش الأموي مِن الضواحي، في جبل اللُّكام، فلحق به «كثير مِن الجراجمة والأنباط وأباق(94) عبيد المسلمين وغيرهم، وسار إلى لبنان بهم»، وتحايل عليه عبد الملك، بعد الفراغ مِن قتل الأشدق، وقتله، وقتل معه جماعة مِن الجراجمة، وتفرق الباقون في قراهم(95).

الخرّارة وبني الغبراء، والدُّلامزة وهم اللُّصوص الخبثاء، والدُّلامز يعني الشَّيطان(96).

أملاط وأسباد: وهم دهاة اللُّصوص، والّطاة، والقُطاع لأنهم يقطعون الأرض(97).

مسميات أخر كثيرة، فالصَّيُعرف أيضاً: الخمع، والأمرط، والبهيرذان، ولِصّ أمعط، واللِّصُّ الفاسق يسمى طملاً(98). وما يتعلق باللُّصُوص مِن مفردات، يُقال: للمسروق والمفلس «رجل مْبلط»(99). أبلطهم اللُّصوص إذ تركوهم بعد سرقتهم على الغُبَيراء «لم يتركوا لهم شيئاً»(100).

إذا قيل: استعرت اللُّصُوص، بالمعنى الذي تستعر به الحرب(101). عين اللُّصُوصِ مَن يأتيهم بالأخبار(102)، تمهيداً للسرقة، ومناسبة الوقت والمكان لفعلها، والفشّاش، ومَن يفش باباً في السُّوق لا يُقطع حسب الشَّرع، وفي «كتاب اللُّصوص للجاحظ الفشُّ: معالجة دوَّراة الباب، وتتبع السَّرقة»(103).

يُسمى اللُّصوص أيضاً بالحُراب، منحوت مِن الحَرابة، جاء في ما قاله الوفد الذي عاد مِن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت٦٤هـ/٦٨٣م) إلى المدينة، وحدّثت وقعة الحَرة بأهلها، قالوا: «قدمنا مِن عند رَجلٍ ليس له دِين، يشرب الخمر، ويضرب بالطّنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عند الحُراب، وهم اللُّصُوص، وإنا نشهدكم أنَّا خلعناه»(104). غير أن مفردة لُصُوص، عند آخرين، هم قاطعو الطُّرق، يدخل ضمنها السَّارق فهي «تعني بإطلاق المعنى كلَّ مَن استولى خِلسةً، أو بالقوة على ما ليس له، ويَشمل السَّارق»(105).

القفش: وهم اللُّصُوص الدَّاعرون(106).

القُمَّاط: اللُّصُوص، ومفردها القَماط، وجذرها قمط: أخذ(107).

يُعرف اللّص بـ «الحايف»، وجمعها «حواف»، وهو يختلف عن بقية اللُّصُوص أو الحراميَّة الذين ليس لديهم محرمات في ما يسرقون، أما الحايف أو الحائف فمِن العادة أنَّه لا يدخل البيوت، يأخذ ما هو خارج البيت مِن مال كالماشية. ذُكر في الشّعر الشَّعبي العراقي، مناطق الجنوب كثيراً، لأنَّه جزء مِن الحياة العامة(108).

ويُسمَّى أو يُكنى عن اللِّص: ابن الطَّريق، وابن اللَّيل(109).

يُسَمَّى اللُّصُوص بـ «الشُّطار»(110) و «الحرافيش»، في فترة مِن الفترات استحالوا لُصُوصاً(111). ومِن العجب أن تأخذ مفردة «الشَّاطر»، أو «الشَّطارة»، مِن معنى الانشقاق عن القوم خبثاً، مثلما مرَّ بنا، لتصبح، فيما بعد، مرادفة للذكاء والتَّدبير!

ما يتعلق بتسمية الإعداد للسرقة، تأتي مهمة «العين»، و «المؤتي»، و «الطّراز وأتت الطُّراد أيضاً»، و «الشَّاغل»، وقد شرح الرَّاغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م) مهام هؤلاء بالآتي:

العين: يراقب صيارفة المال، المحمول إلى السُّفن ليعرف أين تُحفظ، ويتشاغل بالوضوء، حتى موضع الخزائن.

المؤتي: يقوم بتدبير البيع والابتياع للصُوص، ويلعب دور أمير قرية أو زعيم محلة.

الشَّاغل: مهمته إشغال القوم المراد سرقتهم عن اللِّصِّ.

الطَّراد/ الطَّراز: لو مُسك يأتي اللُّصُّ ويضربه، ويدعي أنه صاحبه الذي ضيع ماله، ويحتال حتى يغفل المسروقين فيطلقه، ويتأسف منهم(112).

يُسَمَّى اللُّصُوص، نسبة للأرض المغبرة المقفرة، ببني الغبراء و «هم اللُّصُوص والصَّعاليك المُهتدون في مجاهل الأرض والعالمون بطرقها؛ وقيل بل هم الفقراء اللاصقون بالغَبراء مِن سوء الحال، على غير غِطاء ولا وطاء»(113). هذا، ولطَّرَفة بن العبد(القرن السَّادس الميلادي) بيتاً يقول فيه(114):

رأيتُ بني الغبراء لا يُنكرونَني

ولا أهلُ هُذاك الطَّراف الممدَّدِ

تأتي مسميات اللُّصُوص حسب نوع اللُّصُوصيَّة، وهي ليست الأشياء العينية والمَاليَّة فقط، فقد تكون لصُوصيّتهم في السّلوك والعلاقات، فقيل عن بعض الحُكماء: «احذروا أعداء العقول، ولُصُوص المودات، وهم السُّعاة والنَّمامون، إذا سرقَ اللُّصُوص المتاع، سرق هم المودات، وفي المثل السَّائر: «مَن طاع الواشي ضَيع الصَّديق»(115). بل هناك مَن اعتبر «لُصُوص المودات» أكثر شرَّاً مِن اللُّصُوص، وقطاعي الطُّرق والسَّبب: «لأن شهرة اللُّصُوص والقُطاع تدعو إلى الاحتراز منهم، وتشبه هؤلاء بأهل الخير، يحمل النَّاس على الاغترار بهم»(116).

تعددت وتنوعت الألفاظ الدَّالة على اللُّصُوص، مثلما تقدم، وهي تجمع بين القوة والحيلة والاعتداء والنَّهب والحرب والتَّجسس. نرى الظَّاهرة شاخصة في المجتمعا. عبر العصور، وقوتها كأنها موازية لقوة السُّلطة، وما وجدت السُّجون، ولا نشأ جهاز الشُّرطة، إلا لحماية النَّاس مِن اللُّصُوص، ميزت الألفاظ

بين اللَصّ الخبيث الفاشي بسرقاته، والخفيف الحركة الذي يسرق في الطّريق مِن دون شعور المسروق به، وكل هذه الأوصاف امتدت للعصر الحديث، مع اختفاء الكثير مِن الأسماء التي أتينا على ذكرها.

الفَصل الثَّاني
أمكنة اللُّصوص

اشتهرت أمكنة عديدة بنسبتها إلى اللّصُوصِ، وظلت أسماء ثابتة حتى بعد زوال سبب النِّسبة؛ على أنها في يومٍ ما كان اللُّصُوصُ يتخذونها أوكاراً لهم، يأوون إليها في النَّهار لينطلقوا منها في اللَّيل البهيم للسرقة، وعادة ما تكون مكاناً للانسحاب عند الضّيق والمطاردة، ومكاناً للراحة وخزن المسروقات، والأهم أنها أماكن أمينة مِن مطاردة السُّلطان، والمنكوبين بسرقة أموالهم، وليس بعيداً أيضاً أنها تحمي اللُّصُوصَّ مِن لصُوص آخرين، ذلك إذا علمنا أن اللُّصُوصَّية جماعات وعصابات، ربَّما غار بعضها على بعض.

فعندما يُقال أرض «ملّصة» أي ذات لُصُوص(117)، ومكان للُصُوص(118). اشتهر مِن أماكن اللُّصُوص ما عُرف بـ «قصر اللُّصُوص»(119)، جاء في خبر سَفر هارون الرَّشيد (ت١٩٢هـ/٨٠٨م) ونزوله فيه: «وفي سنة تسع وثمانين(ومائة) سار إلى الرَّي، فأقام بها شهراً، ثم انصرف نحو مدينة السَّلام، فضحى بقصر اللُّصوص، ثم دخل بغداد ولم ينزلها»(120). تكون قد مرت في رحلته هذه سنتان على قتل وزيره جعفر البرمكي (١٨٧هـ/٨٠٢م) صبراً وصلبه، فأمر عند مروره بمكان صلبه «بخشبة جعفر بن يحيى أن تُحرق»(121).

كان قصر اللُّصُوص يُعرف بقصر «كنكور»، وهو قصر شيرين(122)، يقع على دكة مِن الحَجر، يرتفع عن الأرض بعشرين ذراعاً(123). قال عبد الكريم السَّمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): «إلى قصر اللُّصُوص مدينة على سبعة فراسخ، يُقال لها بالفارسيَّة كنكور، نزلتُ غير مرة، وبتُ ليلتين»(124). ذكره البلداني محمد بن أحمد البشاري(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) إنه «قصر مِن حِجارة على أسطوانات وأعمال عجيبة»، وهو «منزل في الجبال»(125).

تردد اسم «قصر اللُصوص» في أخبار المعارك بين بغداد وخراسان، حيث الحرب بين الأخوين عبد اللّٰه المأمون (ت٢١٨هـ/٨٣٣م) ومحمد الأمين(ت١٩٨هـ/٨١٣م)(126). عندما أمر الأمين مَن أرسله لقتال أخيه المأمون، وهو بخراسان، النزول بـ «قصر اللُّصُوص»(127). يُذكر أن القاضي علي بن ظبيان(128) قد توفي بقصر اللُّصوص، معنى هذا أنه كان مكاناً مأهولاً، أو مرحلة توقف القوافل على طريق فارس- العراق. هناك مَن ذكر القصر ضمن رساتيق(قُرى) أصبهان(129). مَن نزل بقرية قصر اللُّصُوصّ «مِن أهل العِلم

يُنسب إلى القَصري»(130). وهذا اللقب يُنسب إلى عدة قصور: قصر ابن هبيرة، المنسوب إلى أبي المثنى عمر بن هبيرة أمير العراق للأمويين(131)، وقصر ساحل البحر بالشّام بين حيفا وقسارية، وقصر عبد الجبار بنيسابور، وقصر رافع بن الليث بن نصر بن سيار(132) بسمرقند، وقصر اللُّصوص المذكور(133).

لكنّ لماذا تسمية هذا القصربـ «قصر اللُّصُوص»، وما فيها مِن عجب، أن يُنسب قصر لهذه الفئة المنبوذة مِن قِبل المجتمع وأهل السُّلطة؟! ونرى مِنا لغرابة، أنْ يبقى اسم اللُّصُوص عنواناً لهذا القصر على مرّ الزَّمن! قيل سُمّي بقصر اللُّصوص خلال التَّقدم نحو فتح بلاد فارس، وكانت تلك السَّنة (٢٢هـ/٦٤٢م)، لما نزل المسلمون في «كنكور سُرقت دوابّ مِن دواب المسلمين، فسمّي قصر اللُّصُوص»(134). لكنَّ قصر مَن كان قبل أن يُقلب اسمه إلى «قصر اللُّصوص»؟! حُكي أنَّه كان قصر الملك الفارسي كسرى أبرويز، ولما قُتل بقيت مِن هذا القصر بقيّة(135). ينقل زكريا بن محمد القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، عن صاحب «عجائب الأخبار»، ويُفهم مِن حديثه أنه قد زار القصر ونظر في ما تبقى مِن أساطينه بعد هدم أكثرها: «إذا أردت أنْ ترى عجباً مِن العجائب، فانظر إسطوانات هذا القصر إلى رؤوسها وأسفلها، وتعجب مِن تسخير الحجر الصَّلد لهُولاء الصُّناع»(136).

هناك مَن تحدث عن «مطبخ كسرى»، الذي يقع على مسافة مِن القصر المذكور، بأربعة فراسخ، ويصف هذا المطبخ الشَّاعر مسعر بن مهلهل (٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م)، المعروف بأبي دُلف، في رسالة له تقصى فيها أحوال البلاد التي شاهدها، غير أن ناقل الرّواية ياقوت الحَموي(٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، لم يقتنع بطريق نقل الطَّعام من المطبخ إلى القصر عبر صف مِن الغلمان ليصل ساخناً حيث مائدة الملك، فنراه يُعلق قائلاً: «وهذا بكذب أشبه منه بالصّدق؛ لأنهم لو طاروا بالطَّعام على أجنحة النُّسور، في هذه المسافة لبرد وتأخر عن الوقت المطلوب»(137).

ذُكر مكان للُصُوص اسمه «حارة اللُّصُوص»(138)، كانت الحارة المذكورة معروفة بميدان الغلة بالقاهرة، أيام المماليك «ولما ضعف أمر الخلافة (الفاطمية)، وهُجرت الرُّسوم القديمة مِن التَّفرد في اللؤلؤة وغيرها، بنيت الطَّائفة الفرحيَّة الساكنون بالمقس؛ لأنه ضاق بهم المقس، قُبالة اللؤلؤة حارة سميت بحارة اللُّصوص، بسبب تعديهم مع غيرهم إلى أن غيروا تلك المعالم، وقد كان ذلك بستاناً سُلطانياً، يُسمى بالمقسي، أمر الظَّاهر بن الحاكم بنقل أنشابه وحفره، وجعله بركةً قُدام اللؤلؤة مختلطة بالخليج»(139).

نذكر أيضاً محلاً يُسمَّى بـ«عُمَيْر اللّصُوص»، قرية مِن قرى الحِيرة بالعِراق(140)، وقيل «قصر في مقابل الحِيرة»(141)، ذَكره أبو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م) في كتابه «رسالة الغُفران»، مستشهداً بقصيدة «الصَّادية» لعدّي بن زَيد العبادي(نحو ٥٨٧م)، ومنها البيتان، وهي طويلة(142):

ابلـغ خــليلي عنــد هندٍ فلا

زِلتَ قريباً مِن سواد الخُصوصْ

مــوازي القرُّة(143) أو دونهــا

غـير بَعيدٍ مِن عُمير اللُّصُوصْ

جاء ذِكر «خَرِبة اللُّصُوص»(144)، وهي مِن أعمال دمشق، أتى الاسم خلال المعارك بين مصر والشّام مِن جهة والمغول مِن جهة أخرى، وذلك عندما سيطر «قبجق» المملوكي(145) على دمشق السَّنة ٦٩٩هـ(146). كذلك جاء ذِكر «خَرِبة اللّصوص» السنة ٦٨٤هـ، عندما ولد النَّاصر محمد بن قلاون(147) بقلعة الجبل، قدمت البشارة على أبيه وهو «بمنزلة خَرِبة اللّصوص قبل قدومه إلى دمشق»(148). و «برج اللّصوص»، ذكر هو و «خربة اللصوص» خلال الحرب مع الفرنج، حيث كانت الوقائع بدمياط مِن أرض مصر، وذلك أيام الملك الصَّالح الأيوبي(149).

مِن غير تسميات عُرفت بلفظ «اللُصوص» تُذكر أماكن تأوى اللُصُوص إليها، مِن غير أن تسمى بهم، مثل جبل «سياه كوه»، وهو جبل طويل يمتد بين الرّي وأصبهان، يمتد حتى يتصل ببلاد الجبل، وهو جبلٌ وعرٌ، يأوي إليه اللُّصوص بين الرَّي وأصبهان(150). كذلك اتخذ اللُّصوص فلاةً تسمَّى «السَّيّ» تقع على جادة البصرة باتجاه مكة(151)، قال أبو ذؤيب(152) فيها(153):

في عَانةٍ بجُنوْب السِّيّ مشربها

غورٌ ومصدَرُها عن مائها نجدُ

كانت الأماكن التي يأوي إليها اللُصُوص وارتبطت بنشاطهم كثيرةً، وفي مقدمتها الأماكن المهجورة، مثلاً يُذكر بناء الشَّماسية ببغداد، وفيها دار مُعز الدَّولة البويهي(154)، فبعده صارت «صحراء موحشة، يتخطف فيها اللُّصُوص ثياب النَّاس، وهي أعلى مِن الرُّصافة ومحلة أبي حنيفة»(155)، شمال بغداد. يأتي غارٌ يُعرف بـ «كافت»، «كان يأوي إليه اللُّصُوص، ويكَفِتون(يجمعون) فيه

المَتاع»(156)، تبدوَ التَّسمية جاءت مِن استخدامه بكفت أو ضم أو جمع الطَّعام.

مَن يُصدق أن اسم مدينة مراكش الجميلة اليوم، وذات التَّاريخ الإسلامي العريق، وهي مِن حواضر المغرب، جاء اسمها بسبب اللُّصُوصية وقطع الطُّرق؟! لكن بعد أن أصبحت عاصمة للعديد مِن الدُّول، انتهى أصل الاسم وتحول إلى معنى آخر في أذهان النَّاس، فقبل تأسيسها (٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، كانت موضع «مخافة» يتخذه اللُّصُوص مكاناً لسلب القوافل، «إذا انتهت القوافل إليه قالوا: مراكش، ومعناها بالبربرية اسرع المشي»(157).

يذكر الرَّحالة وعالم النَّبات الهولندي ليونهارت راوولف(ت ١٥٩٦م)، في رحلته العِلميَّة إلى الشَّرق، التي بدأها العام ١٥٧٣م، ووصوله إلى دير الزَّور، قبل العبور إلى الجانب العِراقي، كانت هناك منطقة اسمها سُكريَّة، تخضع لحكم أمير العرب، سمع ذلك مِن الأتراك، وكانوا يحكمون المنطقة، في القرن السَّادس عشر الميلادي أنه «لا يسكنها أحد سوى كبار اللُّصُوص، وهم لا يخضعون لأي سيد آخر سوى سيدهم»(158).

يذكر أحد الرَّحالين المعاصرين، أنه ساح بأمريكا، وزار شيكاغو، فمرَّ بجزيرة اللُّصُوص، يُسجن فيها عادة رؤساء العصابات، وقاطعو الطَّريق المشهورون(159). ورحالة آخر شاهد «سوق اللُّصُوص»، كان اسمها هكذا، تباع فيها المسروقات، والشُّرطة تقوم بتنظيم الحركة فيها، ولا تتدخل إلاّ لحل المشاكل، وأكيد تحدث هذه المشاكل بين البائعين وأصحاب البضائع المعروضة الأصليين(160).

لا ندري، إذا ما كان الأقدمون يميزون اللُّصُوص، مِن ناحية حذاقتهم، على البلدان والمُدن؛ ويمكن أن تتكون نظرة خاصة على لُصُوص منطقة معينة، لموقف ما، فنراهم يميزون لُصُوص الرَّي عن غيرهم، فقيل «اللِّصُّ الحاذق يُنسب إلى الرَّي»(161). ميزَّ البعض أيضاً لُصُوص السِّند بالبطولة، ككناية عن سوء أوضاعها، يروى أن عثمان بن عفان(قُتل ٣٥هـ/٦٥٥م) سأل والي البصرة عن السِّند لغزوها، وكانت السّند والهند والمشرق كافة يُدار مِن البصرة، فأجابه: «ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولِصُّها بطل، إن قَلَّ الجيش بها ضاعوا، وإن كثر جاعوا، فترك عثمان غزوها»(162).

كذلك ذكروا لُصُوص كرمان، باسم «لصُوص القفص»(163)، جاء ضمن حديث «خالويه المكدي» وهو خالد بن يزيد مولى آل المهلب، الذي «بلغ في البخل والتكدية وفي كثرة المال المبالغ التي لم يبلغها أحد» (164).

أما لَصُوص اليمن فأمرهم آخر بما يتعلق بـ«القات»، قال نزيه مؤيد العظم (ت ١٩٧٧) في رحلته إلى صنعاء ومأرب والديار السبئية مِن اليمن، في زمن الإمام يحيى محمد حميد الدِّين بن أحمد المتوكل(قُتل ١٩٤٨)، وهو يتحدث عن شجرة القات: «ومِن ألطف ما سمعتُ عن القات أنَّ اللُّصُوص أيام الدَّولة العثمانيَّة كانوا يعترضون القوافل وينهبونها، ولكنَّهم كانوا دوماً يسمحون لتجار القات أنْ يمروا في طريقهم، دون أنْ يتعرضوا لهم بأذى»(165).

أخيراً، ظهرت أسماء لسجون أو حبوس اللُّصُوص، مثلما هو الحال بمصر، فقد نُسب السّجن إليهم، فقيل «حبس اللُّصُوص»، وحصل أن أُعتقل فيه ابن مَلكٍ، في عهد المماليك، وهو قآن بن الملك المعز آيبك(166)، عندما وجدوه يبكي على قبر والده، وكان منفياً، فلما عاد قُيد ورمُي في «حبس اللُّصُوص، ثم أُطلق سراحه وأجريت له نفقةٌ (167).

كان السِّجن الذي سُمّي بـ«سجن نافع» بالكوفة مِن أوائل السُّجون التي عرفها المسلمون، بناه علي بن أبي طالب، بعد أن أتخذ الكوفة عاصمةً لخلافته، وكان خاصاً باللُّصُوص، لكنّ السُجناء نقبوه، وكان مبنياً مِن القصب، ثم بُني سجن مكانه وسماه «مُخَيّساً»، وقد قال فيه (168):

ألا تراني كيُساً مكيساً

بَنيتُ بعد نافعٍ مُخيّسا

وقيل جاءت مع الشَّطر: «باباً حصيناً وأميناً كيسا»(169). هذا، ومعنى المخيَّس «موضع التَّخيس، وهو التَّذليل»(170). وورد عند الوزير والكاتب العباسي أبي إسحاق إبراهيم بن المُدَبَّر(ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)(171): «أما تراني كيساً مكيّسا/ بنيتُ بعد نافعٍ مخيّسا/ حصناً حصيناً وأميراً كيِسا».

كذلك يأتي ذِكر سجن «دوار» باليمامة مِن بلاد نجد، وقد قال بعضُ اللُّصُوص فيه، وواضح أنه كان أحد نُزلائه(172):

كانت منازُلنا التي كُنَّا بها

شتَّى فألف بيننا دوارُ

الفَصل الثَّالث

اللُّصوص في الأزمات

يشتد نشاط اللُّصُوص عادة خلال الأزمات السِّياسيَة والاجتماعية، في الحروب والكوارث الطَّبيعية ومواسم الأوبئة والمجاعات، وفي الأخيرة يتحوّل بشر كثيرون، اضطراراً، وقد يعتاد البعض هذا السُّلوك منهم حتى بعد انتفاء الحاجة، إلى سرقة الطَّعام مِن أجل الحياة، ولهذا أوقف الخليفة عُمَر بن الخَطاب(اغتيل ٢٣هـ/٦٤٣م) قطع يد السَّارق، وفق النَّص القرآنيّ: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] (173)، مثلما مرَّ بنا في الفصل الأول «فئات اللُّصُوص»، وتكون حال الاضطرار تحت مبدأ لُخص بالعبارة «الضَّرورات تُبحن المَحظورات»(174)، وقد أشارت الآية القرآنيّة إلى هذا المبدأ [فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ](175).كذلك الآية: [فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ](176)، ومعنى «المخمْصة: المَجَاعة»(177).

صحيح أن آيةً جاءت في المحرمات الأربع: الدَّم والميتة ولحم الخنزير وما أُهل لغير اللّه، لكنها أشارت إلى بلوغ شدة الجوع المميت، وورد عند المفسرين «الرّخصة لأجل المجاعة»(178)، والمجاعة المميتة وسد حاجتها واحد في التَّحريم والإباحة مع غيرها مِن المحرمات، سوى لضرورة إباحة أكل لحم الخنزير أم السَّرقة، فعام الرَّمادة كان أزمة ينشط فيها السَّرقة، لكنْ لا يعني ذلك اللُّصُوصَ الذين يستغلون الظَّرف.

اجتمعت في السَّنة الثامنة عشرة مِن الهجرة كارثتان على العرب والمسلمين: المجاعة بالمدينة، وطاعون عَمواس بالشَّام، حيث الجيش الإسلامي هناك «فتفانى النَّاس»(179)، «كانت تسفي إذا رَيَحْت تراباً كالرَّماد، فسمّي ذلك العام عام الرَّمادة»(180). فطلب عمر مِن الأمصار نجدة المدينة بالمؤونة، ولما كتب أمير مصر عمرو بن العاص(٤٣هـ/٦٦٤م) عن إنكسار الخراج فيها، كتب إليه الخليفة: «اعمل وعجل، أخرب اللّه مَصر في عمران المدينة وصلاحها»(181). حصل هذا بعد عام مِن دخول المسلمين إلى مصر.

كم كانت الأزمة شديدة، سنة «الرَّمادة» بالعاصمة، وطاعون «عمواس» الشَّهير، في السّنّة نفسها بالشَّام، أرخ محمد بن جرير الطَّبري(ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) يقول: «دخلت سنة ثمان عشرة، وفيها كان عام الرَّمادة وطاعون عمواس،

فتفانى فيها النَّاس(182). كان الطّاعون يفتك بكبار قادة الجيش الإسلامي الفاتح بالشّام، والمجاعة بالمدينة أهلكت النَّاس؛ وبسبب تلك المجاعة أوقف الخليفة عمر بن الخطاب حد السَّرقة، بما جاء عنه في «قطع الضَّرورة»: «لا تُقطع في عذق، ولا في عام السَّنة»(183)، عام السَّنة يعني عام المجاعة.

روي: أنَّ رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب في ناقةٍ نُحرت، فقال: عمر: هل لك في ناقتين عشراوين مرتعين سمينتين بناقتك؟ لأنا لا نقطع في عام السَّنة»(184). كذلك ورد: «لا قطع في عام المجاعة»(185)، وروي أنَّه قال: «لا قطع في عام السَّنة، وعام القحط يُسمّى السَّنة»(186). أما في الفقه الإمامي الشِّيعي، ونُسب إلى جعفر الصَّادق(ت ١٤٨هـ/٧٦٥م)، يُحصر عدم القطع في المأكول فقط: «لا قطع على مَن سَرق شيئاً مِن المأكول في عام مجاعة»(187).

بعد حين، روى هشام بن عروة(ت ١٤٦هـ/٧٦٣م)(188) أن كثرَ اللُّصُوصُ بالمدينة(يثرب)، فاتخذت عمته أسماء بنت أبي بكر الصّديق، المعروفة بذات النّطاقين(ت ٧٣هـ/٦٩٢ م)، خنجراً «كانت تجعله تحت رأسها»(189).

يضطرب الأَمن في الأزمات أو الجوائح، وتحل الفوضى، عندها تصبح السُّلطة غير قادرة على حماية أملاك النَّاس، بل يحدث، في العديد مِن الحالات، أن يتفق المسؤولون مع اللُصُوص، ويعملون على حمايتهم، مقابل حصة معلومة مِن السَّرقات. يتزايد عدد اللُصُوص في الحروب والغزوات والاجتياحات، وقد وصلت أخبار ما حصل في ظل الحروب الصّليبية(٤٨٩هـ١٠٩٦م)، ولم تنته إلا السنة(٦٩٠هـ١٢٩١م)، وقد رصد تلك الظاهرة المؤرخ أُسامة بن منقذ(ت٥٨٤هـ/١١٨٨م) في كتابه «الاعتبار» أتى بها ضمن حوادث المعارك، وقد صدر كتاب «اللُصُوص والقراصنة في عصر الحروب الصِّليبية زيارة إلى تاريخ السَّلب والنَّهب»، مع علمنا أن الحروب والغزوات كافة، تسفر عن حروب أُخر، وهي ما يمارسه اللُصُوص على هامشها ضد النَّاس، ناهيك عن الجيش الغازي نفسه، يمارس جنوده فعل اللُّصُوص الشرعيين، عندما تُستباح لهم المدن المجتاحة مِن قِبل قادتهم. فعندما تضع الحرب أوزارها يقوم المنتصرون بدور التَّلصلص العلني، فكلّ مال وأملاك العدو المهزوم وعرضه مستباحة كغنائم للجيش المنتصر، فيبدأ النَّهب العام، حيث لا يترك الجُند شيئاً، واجتياح المغول لبغداد(٦٥٦هـ،/١٢٥٨م) واجتياح العثمانيين للقسطنطينية(٨٥٧هـ/١٤٥٣م) مثالاً لا حصراً(190).

كذلك جاءت في الرّوايات عن الحرب بين المأمون والأمين نجلي هارون الرَّشيد(١٩٥-١٩٨هـ/٨١١-٨١٤م) حوادث مفجعة؛ لِما حدث لبغداد على أيدي

المتحاربين، وكيف هتكها اللّصُوص، وامتدت الفوضى حتى (٢٠٤هـ/ ٨١٩م) العام الذي عاد فيه عبد اللّه المأمون إلى بغداد، حيث تحولت عاصمة الخلافة إلى دارٍ نهب تحت ظلال السُّيوف، وفي وقت فراغ السُّلطة، فأصبح النَّهب علانيةً، عندها ظهر «المطوعة»(191)، جماعة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وذلك لكثرة الفساق.

تكفينا الصُّورة الواضحة التي يُقدمها أبو جعفر الطَّبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) صاحب التَّاريخ، وكان قريباً مِن زمان الحدث، السَّنة ٢٠١هـ/ ٨١٦م: «أذوا النَّاس أذىً شديداً، وأظهروا الفسق وقطع الطَّريق، وأخذ الغلمان والنِّساء علانيةً مِن الطُّرق، فكانوا يجتمعون فيأتون الرَّجل، فيأخذون ابنه، فيذهبون به فلا يقدر أن يمتنع، وكانوا يسألون الرَّجل أن يقرضهم أم يصِلهم فلا يقدر أن يمتنع عليهم، وكانوا يجتمعون ويأتون القُرى، فيكاثرون أهلها، ويأخذون ما قدروا عليه مِن متاع ومال وغير ذلك، لا سُلطان يمنعهم، ولا يقدر على ذلك منهم؛ لأن السُّلطان كان يعتزّ بهم، وكانوا بطانته، فلا يقدر أن يمنعهم مِن فسق يركبونه، وكانوا يجبون المارَّة في الطَّرق، وفي السُّفن وعلى الظَّهر ويخفرون البساتين، ويقطعون الطُّرق علانيةً، ولا أحد يغدو عليهم، وكان النَّاس منهم في بلاء عظيم. ثم كان آخر أمرهم أنهم خرجوا إلى قُطْرَبّل، فانتهبوها علانيّةً، وأخذوا المتاع والذَّهب والفضة والغنم والبقر والحمير وغير ذلك، وأدخلوها بغداد، وجعلوا يبيعونها علانيّةً، فجاء أهلها فاستعدوا بالسُّلطان عليهم، فلم يمكنه إعداؤهم عليهم، ولم يرد عليهم شيئاً مما أُخِذ منهم، وذلك آخر شعبان»(192). أما السُّلطان الذي قصده الطَّبري فهو والي بغداد عمّ المأمون والأمين المنصور بن محمد المهدي(ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م)(193).

يقوم اللُّصوص خلال الأزمة، أيّ أزمة، بقطع الطُّرق على القوافل وسلبها، ويتقدمون على شِكل عصابات، لا يخشون والياً ولا قاضياً، وفي عجز السُّلطة عن صد اللُّصُوص لضعفها، كتب عبد اللّه بن طاهر الخراساني(194) إلى الحسن بن عُمر التَّغلبي(195) قائلاً: «أما بعد، فقد بلغني ما كان مِن قطع الفَسقة الطَّريق ما بلغ، فلا الطَّريق تحمي، ولا اللُّصوص تُكفي، ولا الرَّعية تُرضي، وتطمع بعد هذا في الزِّيادة! إنك لمفسح الأمل، واسم اللّه لتكفيني مِن قِبلك أو لأوجهنَ إليك رجالاً»(196).

تفاقم أمر اللُّصوص لما حصل السَّنة (٣٠٤/٩١٦م) من اضطراب أحوال النَّاس بالعاصمة بغداد، بسبب ظهور حيوان مجهول، أرعب المجتمع، جاء في الرّواية: «وفي فصل الصَّيف مِن هذه السَّنة تفزع النَّاس مِن شيء مِن الحيوان، يُسمّى الزَّبزب، وكان مرعباً، ذكروا أنهم يرونه باللَّيل على سطوحهم، وإنه يأكل أطفالهم، وربَّما قطع يد الإنسان إذا كان نائماً، وثدي المرأة فيأكله.

فكانوا يتحارسون طول اللّيل، ويتزاعقون، ويضربون الطّسوت والهواوين والصّواني ليفزعوه فيهرب، وارتجت بغداد مِن الجانبين(الكرخ والرُّصافة) بذلك واصطنع النَّاس لأطفالهم مكاباً مِن سعف يكبونها عليهم باللّيل، ودام ذلك حتى أخذ السُّلطان حيواناً أبلق كأنه مِن كلاب الماء، وذكروا أنه الزَّبزب، وأنه صيدٌ، فصُلب عند رأس الجسر الأعلى بالجانب الشَّرقي، فبقي مصلوباً إلى أن مات، فلم يغنِ ذلك شيئاً، وتبين النَّاس أنه لا حقيقة لما توهموه فسكنوا، إلا أن اللُّصُوص وجدوا فرصة بتشاغل النَّاس بذلك الأمر، وكثرت النُّقوب وأخذ المال»(197). يُضيف ابن الأثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): وما صُلب هي دابة تُسمّى طبرة «فأصاب اللُّصُوص حاجتهم لاشتغال النَّاس عنهم»(198).

يغلب على الظَّن، أنَّ مثلَ هذه الشَّائعات تكون بين احتمالين: إما السُّلطة هي التي أشاعتها، وأرعبت النَّاس، لأزمة تريد صرف أنظار النَّاس عنها، وإما أن تقوم عصابات اللُّصُوص نفسها ببث هذه الإشاعة، والغرض مفهوم في الحالتين، وهو إشغال النَّاس. في الاحتمال الأول فقد حدث أن واجه البغداديون في أيلول(سبتمبر) ١٩٧٣ ظاهرة مشابهة تماماً، فقد صار وضع البغداديين وتصرفاتهم خلالها لا يختلف كثيراً عمّا حصل في السَّنة (٩١٦م)، أي بعد أكثر من ألف وخمسين عاماً، وهي الحادثة الشّهيرة، وعُرفت بين النَّاس بـ«أبي طبر»، كان صاحب الطَّبر(الفأس) يدخل البيوت ويقتل ولا يسرق، هكذا كانت الشَّائعة، وهنا يكون الرُّعب أشد على النَّاس.

سرى رعبٌ بأحياء بغداد وطرقاتها، حتى حركة الكاغد بفعل الرّيح خلال الليل أخذت تثير الفزع في نفس سامعها! استمر الحال على هذا المنوال أكثر مِن شهرين، وكان النَّاس يتحارسون على سطوح المنازل، ويحاولون البقاء ساهرين، وأخبار القاتل المرعب تتناقل. كانت البلاد حينها بصدد أخبار مؤامرة مدير الأمن العام ناظم كزار(قُتل ١٩٧٣)، وقد أخذ وزيريّ الدفاع والداخلية أسرى عنده، فالحدث كان بعد تسلم حزب البعث للسلطة بخمس سنوات، وقد قُتل وزير الدفاع حمادي شهاب حينها، وجُرح وزير الدَّاخلية سعدون غيدان، والوضع السِّياسي كان ملتهباً. غير أن قصة أبي طبر أنست النَّاس ما حصل تماماً، وكان الحديث عن تصفيات جرت لشخصيات حينها، ومنها أسر كاملة، واعتقالات كثيرة، والرَّأي العام غدا مشغولاً بجرائم أبي طبر المرعب.

كانت نهاية أبي طبر شبيه تماماً بنهاية حيوان «الزَّبزب»، أو «طبرة» على حد رواية صاحب الكامل في التَّاريخ، مثلما تقدم، فقد أذيع بيان عن إلقاء القبض على الكائن المرعب، وهو قيد التَّحقّيق، وإذا في يوم مِن الأيام، يظهر على الشَّاشة رجل ضئيل الجثة قصير القامة، وكان يرتدي طاقم بدلة مع رباط،

وزوجته تضع على رأسها عباءة، ويتكلمان وكأنهما في برنامج فني، وذلك في لقاء تلفزيوني معهما، وتحدثا بما حصل، على أنه «أبو طبر»، فأصبح النَّاس بين مصدقٍ ومكذبٍ، لكنَّ المتداول حينها كان الحدث مِن فعل السُّلطة، وبعد أيام أعلن عن إعدام الزَّوجين، وانتهت أسطورة الرُّعب(199).

أشتد سَّنة ٣٢٨هـ، وكانت وقت اضطرابات أيضاً أمر اللُّصُوص وكبسهم الدُّور ليلاً، بالعدة والعدد، وظُفر بجماعة منهم فقتلوا وصلبوا»(200).

استغل اللُّصُوص ببغداد أحوال المناخ الرَّديئة، ففي السَّنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م) جمادي الأولى هطلت أمطار غزيرة على بغداد، وحدث السَّيل، وتساقطت الثّلوج، في شباط/فبراير، فأخذ باعة الثّلج جمعه وحفظه لبيعه عند الحاجة، واستمر البرد الشَّديد في آذار/مارس، عندها تساقطت المنازل، ومات الكثير مِن النَّاس تحت الأنقاض، فنقصت قيمة العقار، وغلت الأسعار، حتى بلغ «الخُشكار»(201) ثلاثة أرطال بدرهم، والتَّمر رطلن بدرهم، وأُغلقت الحمامات والأسواق والمساجد، حتى صار يُطلب مَن يسكن الدُّور بأجرة يُعطاها ليحفظها بدون مقابل، وكثرت الكبسات في اللَّيل مِن قِبل اللُّصُوص بالسِّلاح والشّمع، وتحارس النَّاس في اللّيل بالبوقات(202).

استغل اللُّصُوص موسم الحجّ السنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م)، فحدث مع بعثة الحجّ المصرية في زمن العزيز بالله الفاطمي (ت٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م)، فطلب اللُصُوص، مِن أمير الموسم، بعد الوصول إلى مكّة، دفع خمسين ألف درهم مقابل الدّخول، وألا يعترض لهم، فطلب منهم جمع أصحابهم، ليعقد معهم العقد جميعاً «فاجتمعوا وكانوا نيفاً وثلاثين رجلاً، فقال: هل بقي منكم أحد؟ فحلفوا أنه لم يبق منهم أحد، فقطع أيديهم كلُّهم»(203).

السنة (٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) حصلت فتنة ببغداد، فاشتد أمر العيارين واللُّصوص، يأخذون العملات ظاهراً(204)، وفي السَّنةّ (٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) ظهر لصوص مِن الأكراد يسرقون دواب الأتراك، فجعل الأتراك خيولهم في بيوتهم، حتَّى الملك جلال الدَّولة البويهي نقل دوابّه في داره المملكة(205).

وقع سَّنة (٤٤٨هـ/١٠٥٦م) الوباء في النّاس «وفسد الهواء، وكثر الذُّباب، واشتد الجوع، حتى أكلوا الميتةَ «وورد كتاب مِن مصر أن ثلاثةً مِن اللُّصُوص نقبوا داراً، فوجدوا عند الصَّباح موتى، أحدهم على باب البيت والثَّاني على رأس الدَّرجة والثَّالث على الثّياب المكورة»(206).

وحصلت السَّنة(٤٧٨هـ/١٠٨٥م) عاصفة شديدة، ففي جمادي الآخرة منها «هبت ريح سوداء، وادلهمت السَّماء، وكان في خلال ذلك نارٌ وترابٌ كالجبال،

ويسير بين السَّماء والأرض، فانجلت، وقد هلك خلقٌ كثير مِن النَّاس والبهائم، ودخل اللُّصُوص الحمامات، فأخذوا ثياب النَّاس، ونهبوا الأسواق، وغرقت سُفن، وسقط رأس منارة باب الأزج»(207)(208).

عندما وصل مسعود السلجوقي إلى بغداد (٥٣٨هـ/١١٤٣م)، وجموع كبيرة مِن أصحابه، فآواهم في دور النَّاس، و «تضاعف فساد العيارين بدخوله، وكثرت الكبسات، والاستقفاء نهاراً، ونقل النَّاس رحالهم إلى دار الخلافة، وباب المراتب، وكان اللُّصُوص يمشون بثياب التُّجار في النَّهار، فلا يعرفهم الإنسان حتى يأخذوه، فأخذت خرق الصَّيارف، وضاقت المعايش»(209). نجد في عبارة «كان اللُّصُوص يمشون بثياب التُّجار في النَّهار» تعبير عميق عن تفاقم اللُّصُوصية، وانحسار دور الشُّرطة، حتى يمكن القول بأن اللُّصُوص في تلك السَّنة، وبذلك الحدث أصبحوا هم الدَّولة.

«كان للحجّ المسيحي بقصد التَّوبة، قيمته العملية مِن النَّاحية الاجتماعيّة، إذ كان يُرغم المجرمون وأصحاب الذُّنوب على الابتعاد عن المجتمع عدة شهور، أو عدة سنوات»(210). فخلال ذلك حُث هؤلاء اللُّصُوصُ والقراصنةُ على الانخراط في الحروب الصَّليبية، يقول البابا أوروبان الثَّاني(211)(ت١٠٩٩م) بهذا المعنى للصُوص المجندين بدافع ديني: «ولتكن غيرتكم في هذه الحملة تكفيراً عن السَّلب والسَّرقة والقتل التي بها آثرتم غضب الرَّبّ»(212).

في الأزمات يشتد أمر اللُّصُوص، حتى يكاد يكون وضعهم مشروعاً، مثلما كان الحال بالقاهرة(في القرن الثَّامن عشر ١٧٦١-١٧٦٢) «لكلِّ مهنة مُحلف يعرفه كلّ الذين يعملون بها، وحتى فتيات الهوى، واللُّصُوص لديهم مخاتيرهم في بلاد المشرق، لكنَّ لا يحقّ للُصُوص السَّرقة إلا عندما يشتكي أحد النَّاس مِن سَرقة شيء ما، ويتوجه إلى مختار اللُّصُوص فيمكنه غالباً مِن استعادة الشّيء المسروق منه، لقاء مبلغ ما»(213).

الشَّراكة مع السُّلطة

كثرت السنَّة (٣٣٣هـ/٩٤٤م) «الكبسات، ووثق اللُّصوص بالمصانعات والغرم، فكبسوا النَّاس ليلاً، ولم يهابوا نهاراً، فاجتمعوا فكان يوافي دار الرَّجل المقصود جيش اللُّصُوص باللَّيل بالسُّيوف والنُّشاب، ولو حوربوا لما وفاهم القليل»(214). يستخدم المؤرخون مفردة «الكبسة» على غزوة اللُّصُوص لمنازل النَّاس، وتعني السَّطو مِن قبل جماعة، أما التَّوثق بالمصانعات هو التَّرتيب مع السُّلطات مسبقاً، بشكل مِن الأشكال، وبها يكون اللِّصُّ في مأمن في اللَّيل والنَّهار.

قيل كثرت السَّنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) كبسات اللّصُوص، ولكنْ جوبهت بقوة مِن قِبل النَّاس حينها، «فكان إذا ظفر السُّلطان بلِصٍّ، قتله العامة قبل أن يصل إلى الوالي»(215). في السّنة نفسها، وخلال إمارة ابن شيرزاد(216) «ظهر اللُّصُوص وأخذوا الأموال، وجلا التّجار، واستعمل على واسط ينال كوشه، وعلى تكريت اللشكري، فأما ينال فهو كاتب معزّ الدَّولة بن بويه واستقدامه وصار معه، وأما الفتح اللشكري فإنه سار إلى ناصر الدَّولة، وصار معه، فأقره على تكريت»(217). إنه أمر طبيعي أن يغادر التّجار المدن إذا هيمن عليها اللُّصُوص، لأنهم هدف اللُّصُوص أكثر مِن غيرهم، وهذا ما يؤدي إلى خراب مدن وبلدان، فالسوق تروج وتزدهر في ظل بسط الأمن والاستقرار.

تفاقم السَّنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م) «أمر العيارين، وكثروا لأَمنهم مِن الطَّلب، بسبب ابن الوزير وابن قاروت، أخو زوجة السُّلطان، لأنه كان لهما نصيب في الذي يأخذه العيارون»(218). إلا أن نائب الشَّرطة، ويُعرف آنذاك بشحنكية بغداد، كان صارماً مقداماً، ووصف بالظَّالم أيضاً، فحضر عند السُّلطان، والمقصود هنا السُّلطان السّلجوقي، فقال الأخير له: «إن السِّياسة قاصرة والنَّاس قد هلكوا» فأجابه قائلاً: «يا سُلطان العالم، إذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك وأخو امرأتك، فأيّ قدرة لي على المفسدين؟! وشرح له الحال. فقال له: السّاعة تخرج وتكبس عليهما أين كانا، وتصلبهما، فإن فعلتَ وإلا صلبتك. فأخذ خاتمه وخرج، فكبس على ابن الوزير فلم يجده، فأخذ مَن كان عنده، وكبس على ابن قاروت فأخذه وصبله، فأجج النَّاس وهرب ابنُ الوزير، وشاع في النَّاس الأمر، ورئي ابنُ قاروت مصلوباً، فهربَ أكثر العيارين، وقُبض على مَن قام، وكفى النَّاس شرهم»(219).

وصل ملك الألمان إلى الشَّام السَّنة(٥٦٨هـ/١١٧٢م)، وقيل توفى هناك، قاصداً بيت المقدس، وكان معه رهائن أخذهم مِن أمير الشَّام، فطلب ممَن معه إخراج ما يحتاجون إليه من القوت، ولما ساروا تعرض لهم اللُّصُّوص، وسببوا هلاك الأمراء الذين أخذهم رهائن مِن قطب الدِّين(220)، حماية له ولقافلته ، وهم أكثر مِن عشرين أميراً، منهم مَن قُتل، ومنهم مَن فدى نفسه(221).

تحدث الاستعانة باللُصوص، وإطلاق سراحهم، مثلما حدث السنة (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م)، عندما قُتل حاكم مدينة قُرطبة مَن قِبل محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي(222)، وسيطر عليها «وحين أبصرت العامة رأس المذكور تداعت إلى ابن عبد الجبار كالسُّيول مِن السَّفلة والغوغاء، فقويت بهم نفسه، وجعل يحركهم على العامرية بوجه قيامه واحتسابه، وبادر بكسر سجن العامريَّة، وفيه اللُّصُوص والدُّعار، وأصحاب الجرائم، وتلاحق به عامة المرونيين يستدعون النَّاس، وأغلق هشام المؤيد(223)باب القصر وارتقى إلى السَّطح،

وأشرف على العامة بين مصحفين يحملهما خادمان، وأشار إلى مَن تحته مِن العامة ليُسكنهم بيده، فصاحوا به: لا حاجة لنَّا بك، وهذا أولى بالملك منك»(224).

أزمة أخرى دعت إلى استقالة صاحب شُرطة بغداد، السَّنة(٤٤٩هـ/١٠٥٧م) بُعيد انتهاء حركة الأمير التُّركي أبي الحارث أرسلان البّسَاسيري، التي أدت إلى أن تكون بغداد لفترة وجيزة خاضعة للفاطميين، إثر الانقلاب الذي قاده البَسَاسيري ضد الخليفة القائم بأمر الله(ت٤٦٧ هـ/١٠٧٥م)، الذي استمر خليفةً لأربعة وأربعين عاماً، وقد خرج مِن بغداد إلى مدينة عانة، أو ما كان يُسمَّى بحديثة عانة، على الفرات بغرب العراق، فحصل أن استقال، أو استعفى صاحب الشُّرطة ابن النَّسوي(ت٤٥٢هـ/١٠٦٠م)، وذلك بسبب «استيلاء الحَراميَّة واللُّصُوص عليها(بغداد)، بحيث أنه أُقيم جماعةٌ لحفظ قصر الخليفة، والطَّيار(الزَّورق) الذي للخليفة مِن الحَريق؛ لأنَّ اللُّصُوص كانوا إذا امتنع عليهم موضعٌ حَرَقوه»(225).

ما تقدم، كان مجرد نماذج، وإلا لم تخل سنةٌ مِن السنين مِن إيذاء اللُّصُوص للناس، كذلك لم تخل سنة مِن أزمة اجتماعية أو سياسية أو كارثة طبيعية، لكن لا نجد ضرورة للازدياد منها، فالأمثلة غطت مختلف الأزمات تقريباً ظهر استغلال السُّلطة، أو رجال منها، للصوص، مشاركة في الحرب أو دعم انقلاب أو سبيل للثراء. إنها ظاهرة قديمة جديدة، فمِن العادة أن أقوى العصابات تكون مدعومة مِن رجال السُّلطة لأغراض مختلفة.

أما في حال عدم المساندة، والسُّلطة تريد فرض أمن النَّاس بمكافحة اللُّصُوصية، وهي الظاهرة الأخطر، يجمعها تعبير أبي بَكر محمد بن العباس الخُوارزْمي(ت ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م)، وهو يصف السُّلطة بالقنفذ، واللِّص بالحيَّة، وما بين الكائنين مِن عداوة(226):

وكأنَّ أقلاماً غَرزن بظهـره

مسَ المــداد رؤوسهـــا ببلالِ

تتهارب الحيَّات حيت يرينه

هرب اللُّصوص رأت سواد الوالي(227)

يحصل في بعض الأحيان، وخلال الفتن والأزمات ، أن تستغل السلطة وجود اللُّصُوص في السُّجونٍ، فتأخذهم وتصلبهم أو تقتلهم لتهدئة فتنة أو علاج

أزمة، هم ليسوا طرفاً فيها، حصل هذا بالمدائن(إلى الجنوب من بغداد) السَّنة (٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، عندما اندلعت الفتنة وامتدت إلى بغداد، وهو أن يهود المدائن اعترضوا على أذان المسجد المجاور لكنيسهم، فقالوا للمسلمين «قد آذيتمونا بكثرة الأذان»، فرد عليهم المؤذن: «ما نُبالي بذلك»(228)، فتحول ذلك إلى فتنة بين اليهود والمسلمين، فخفف خطيب المسجد الخطبة والصَّلاة، لكنَّ المشكلة ظلت قائمة وانتقلت إلى بغداد، حينها تدخل الجند لتهدئة النَّاس، فهرع العامة لنصرة الإسلام، حسب شعارهم، وأخذوا يقلعون طابوق المسجد ويرمون الجند به، وقصدوا دكاكين اليهود ونهبوها، وخربوا كنيساً لليهود، وأحرقوا التَّوراة فاختفى اليهود، فأمر الخليفة قلع الكنيس الذي بالمدائن وتحويلها إلى مسجد، ولتخويف العامة نصبت السلطة أخشاب ليُصلب عليها المفسدون، لكن العامة قصدوها ليلاً وعلقوا جرذاناً نافقةً عليها، ولم تأخذ السّلطة أحداً مِن النَّاهبين والمفسدين، وإنما أخرجت اللُّصُوص مِن سجنهم وصلبتهم على تلك الأخشاب، بينما تركت الفاعلين(229). هذا، وسيأتي ذِكر لُصُوص تقاسمت السُّلطة معهم السَّرقات، مقابل منحهم الحريَّة في السَّطو.

الفَصل الرَّابع

اللُّصوص وأهل الفقه والفكر

نقرأ أخباراً وروايات عن مصارع الفقهاء بيد اللُّصوص، في عمليات سطو على دورهم، أو مداهمتهم بقطع الطّريق عليهم عند السَّفر، ولا نعلم هل اللُّصوص يقصدون منازل الفقهاء ويتتبعون أثرهم لسرقتهم، ظناً بوجود أموالٍ وفيرةٍ لديهم، أم أنهم يقصدونهم مثل الآخرين؟! فغارات اللُّصُوص أو كبساتهم توجه إلى منازل الميسورين ودكاكين التُّجار ومحلات الصَّيارفة عادةً، لكن ما نفهمه مِن أخبار سطو اللُّصوص على الفقهاء؛لأن النَّاس يودعون أموالهم لديهم، عند السَّفر أو خلال موسم الحجّ؛ لهذا يكون الفقيه ضحيةً.

نجد لكلِّ فقيهٍ، مِن الفقهاء المقتولين، قصته مع اللُّصوص، فمَن النَّادر أن اللُّصُوص يمارسون القتل، إلا عند تعرضهم إلى الخطر، وحال صاحب المال بينهم وبين الهروب، أو واجههم بسلاح، أو خشية مِن البلاغ عليهم لدى السُّلطان، أو ما توجبه عملية السَّرقة، لكنَّ نجد شيئاً مِن الغرابة في قتل الفقهاء مع سرقتهم، ومِن بين هؤلاء الفقهاء قُضاة.

القتلى بيد اللُّصُوص

قُتل الفقيه القاضي أبو العلاء محمد بن عيسى الضَّرير، ويُكنى أيضاً بأبي عبد الله وأبي موسى، تولى القضاء ببغداد، في أيام إبراهيم المتقي بالله العباسي(عُزل عن الخلافة ٣٣٣هـ/٩٤٤م) وتوفى ٣٣٧هـ/٩٦٨م). ثم عُزل الضَّرير وأُعيد للقضاء في أيام عبد الله المستكفي بالله العباسي(عُزل ٣٣٤هـ/٩٤٦م وتوفى في السِّجن ٣٣٨هـ/٩٤٩م). كان الضَّرير على المذهب الحنفي، وثقة عند النَّاس. وُجد مقتولاً في داره سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، بـ «كبسة اللُّصوص»(230). وفي رواية أخرى شبيهة، كان الفقيه محمد بن عيسى له علم غزير، وسمت حَسن ووقار، وكان ثقة مشهوراً بالفقر، لا يطعن عليه أحد في شيء من ولايته للقضاء، فكبسَ اللُّصُوص داره، وأخذوا جميع ما كان فيها، ولم يكن شيئاً مذكوراً، وكانوا يُقدرون أن له مالاً، وأثخنوه ضرباً، وهرب على السُطوح، ورمى بنفسه إلى بيت جاره، فسقط ومات، وذلك في ربيع الأول(٣٣٤هـ/٩٤٦م)(231).

يقول صاحب الأنساب عبد الكريم السَّمعاني(ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) عن عمّه، الذي تعلم على يده أبي محمد الحسن بن أبي المظفر السَّمعاني: «دخل عليه اللُّصوص لوديعةٍ كانت لإنسان عند زوجته، وخنقوه ليلة الإثنين، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، واللّه تعالى يرحمه، ووصل إليَّ نعيه وأنا بأصفهان»(232).

كذلك قتل اللُّصُوص الفقيه واللُّغوي سعد بن خليل بن سُليمان الرُّومي المرزباني، وكان على المذهب الحنفي، يعمل خازن الكتب بالشّيخونيّة، عَلاّمة في الفقة والعربية، مِن كُتبهِ «شرح القُصاري في التَّصريف وغيره، وجد مقتولاً في مدرسة رسلان بالمفتيةِ بمصر، قتله اللُصُوص طعناً بسكين في بطنهِ، بحدود (٨١٤هـ/١٤١١م) (233).

قُتل الفقيه محمد بن أبي بكر بن الحُسين، صاحب كتاب «زهر العرش في تحريم الحشيش»، كان مسافراً إلى الشَّام، قتله اللُّصُوص، وهو متوجه في اللّجون (من مناطق الأردن حالياً قُرب كرك)، السنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، وقُتل معه نجلاه أبو الرَّضي وأبو عبد اللّه الحُسين(234).

ومن الفقهاء الذين قضى نحبهم على يد اللُّصُوص، الفقيه شِهاب الدِّين أحمد بن إسكندر بن يوسف الحلبي(قُتل ٩٢٩هـ/١٥٢٢م)، قتله اللُصُوص بدرب الرُّوم(235). لم يكن الحلبي فقيهاً فقط، بل كان ملماً بعلوم أُخر، كالفلك والمنطق والفلسفة. كتب عنه نجم الدِّين الغزّي(ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م)، وكان جد أخيه لأمه، بمعنى على معرفة قريبة به، قائلاً: «كان له يد في عِلم الهيئة والمنطق والحِكمة، وغير ذلك، وكان مدرس السيبائية بتقرير مِن واقفها سيبائي نائب الشَّام، وناظراً على وقف سيدي إبراهيم بن أدهم رضي اللّه عنه»(236).

قُتل بيد اللُّصُوص الشَّيخ محمد الشَّيخ الدِّين البانياسي الدِّمشقيقُتل(٩٢١هـ/ ١٥١٥م)، وكان يعيش في زاوية ابي بكر بن داود، الواقعة على سفح جبل قاسيون بدمشق، ولما انتهى اجتماع المريدين فيها نزل عليه اللُّصُوص وقتلوه، ودفن عند الزَّاوية المذكورة(237).

كذلك قتل اللُّصوص السَّنة (١٠٠٠هـ/١٥٩١م)، أي في العهد الصّفوي ببلاد فارس، الفقيه الشّيعي الإمامي شِهاب الدِّين أحمد بن عليّ بن محمد الحصْفكي، كان قاضياً بمنطقة تبريز(238). وفي العصر الحديث قتل اللُصوص الفقيه الإمامي محمد بن صالح البروجردي (١٩١٩)، وكان عائداً مِن العِراق إلى طهران، مِن

مؤلفاته «نخبة الأدب بالأدعية والتعليقات»(239). كذلك هجم اللّصوص على قاضي طرابلس شمس الدّين بن نمير الحنفي، وأردوه قتيلاً(240).

قُتل على يد اللُّصوص مِن غير الفقهاء، مِن هم مِن أهل القلم والفكر، يُذكر أن الفيلسوف أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي، يتحدر مِن تركستان، منطقة فاراب وتقع حالياً ضمن أوزبكستان، وقيل كانت وفاته (٣٣٤هـ٩٤٦م)(241)، وهذا غير صحيح، فالمتفق عليه كانت وفاته في (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)(242)، وله مؤلفات كثيرة في الفلسفة، وكان قد تعلم العربية ودرس الفلسفة وتَقدم بها ببغداد(243).

روى الوزير ظهير الدين زيد بن علي البيهقي(ت٥٦٥هـ/١١٧٩م) قصة قتل اللُّصُوص له: «سمعتُ مِن أستاذي -رحمه اللّه-» يقول: «إن أبا نصر كان يرتحل مِن دمشق إلى عسقلان، فاستغفله جماعة مِن اللُّصُوص، الذين يُقال لهم الفتيان، فقال لهم أبو نصر «خذوا ما معي مِن الدَّواب والأسلحة والثّياب وخلو سبيلي»، فأبو ذلك، وهموا بقتله، فلما صار أبو نصر مضطراً ترجل وحارب، حتى قُتل مع مَن معه، ووقعت هذه المصيبة في أفئدة أمراء الشَّام(244) أسوأ وقع، فطلبوا اللُّصُوص، ودفنوا أبا نصر، وصلبوهم على جذوع عند قبره»(245).

هناك مَن روى خطأً أنَّ وزير البويهيين الصَّاحب بن عباد(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م) اللقاء بالفارابي، وبحث عنه كثيراً، حتى دخل مجلسه، وهو لا يعرفه، عندما مر بالرَّي، وكانت على رأسه قلنسوة بلقاء وثياب غير لائقة، فصار وسط سخرية المجلس، فلم ينتبه إليه أحد، وعزف في المجلس، وقام ولم يُقدم نفسه، بعدها جد الصَّاحب بطلبه ولم يجده(246). لكن الصحيح، أن هذه القصة حصلت مع الأمير سيف الدَّولة الحمداني، وليس مع الوزير الصَّاحب بن عباد، لأنَّ الأخير لم يدرك الفارابي.

أما زكريا القزويني(ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، فيروي الآتي، بما لا يختلف عن الرّواية الأولى، وربَّما كانت هي مصدراً له: «فوقع عليه اللُّصُوص، فسلم إليهم ماله وخيله، فأبوا إلا قتله، فنزل عن الدَّابة، وتستر بالمجن(التُّرس)، وكان حاذقاً في الرَّمي، فقاتل حتى قُتل في سنة أربعين وثلاثمائة»(247). يُذكر أنه في بداية حياته عمل ناطوراً في بستان، وكان يقرأ على سراج الحارس، وقد توهم الرَّاوي فجعله حارساً، وفالأصل أنَّه كان يقرأ على ضوء مصابيح الحُراس، وكان زاهداً، يكتفي بالقليل، وله شعر يقول فيه(248):

بزجاجتين قطعتُ عُمري

وعليهـما عولتُ أمــري

فزُجـاجةٌ ملئت بحـبرٍ

وزجاجةٌ ملئت بخمـري

فبذي أُدوّن حكـمتي

وبذي أزيلُ هُموم صدري

قصصهم مع اللُّصُوص

وردت قصص لفقهاء مع اللُّصُوص، نجوا مِن القتل، ومِن الفقهاء وأهل الحديث والمتنسكين مَن كان لِصّاً، قاطع طريق وأعلن توبته النَّصوحة، واتجه إلى الحديث والفقه، ولم يؤثر ماضيه في حاضره، إنما عُد مِن الفقهاء المشهورين وأهل الحديث. يُذكر مِن الفئة الأخيرة الفضيل بن عياض(ت١٨٧هـ/٨٠٢م)، كان «يقطع الطَّريق وحده»(249). قيل «كان في أول أمره شاطراً يقطع الطَّريق بين أبيوّرد وسرخس»(250)، وكان سبب توبته أنْ مرت به قافلة ليلاً، فسمع أحدهم يقول: «اعدلوا بنا إلى هذه القرية، فإن أمامنا رجلاً يقطع الطَّريق، يُقال له الفُضيل، فلما سمعهم أعلن توبته(251)، فكان مِن أمره ما كان، حتى حظى باحترام خليفة عصره، وصار ناصحاً له(252).

يعلن لُصٌ توبته بعد قطع طريق الفقيه عطاء الأزرق(253)، عندما خرج الأخير إلى المقبرة يُصلي ليلاً، فعرض له لِصٌ، فقال: «اللّهم اكفينيه، قال: فجفت يداه ورجلاه، قال: فجعل يبكي، واللّه لا أعود أبداً»، فأعلن توبته على يد الأزرق(254). إنَّ رواية تعطلت أو شُلت يداه ورجلاه، ليست بعيدة الحدوث، في حالة الفزع الشَّديد، والمشهد كان في مقبرة وليلاً، أو تكون مضافة مِن الرَّاوي، ولكن في كلِّ الأحوال فإنَّ عودة لُصوص إلى الحياة العادية، بعد توبتهم، أمر موجود في كلّ العصور، وبين الأديان كافة.

لُقب الفقيه نوح بن ميمون بن عبد الحميد بن أبي الرِّجال العجلي المرزوي البغدادي بالمضروب؛ بسبب اللُّصُوص، كان مِن سكنة بغدادَ، قيل له ذلك لضربة لَصٍّ في وجهه، تركت أثراً ظاهراً، روى عن فقهاء كبارٍ، وروى عنه كبارٌ أيضاً، مثل أحمد بن حنبل، وأبو يحيى صاعقة(255).

نقرأ للصوص قصة طريفة مع الزَّاهد والمحدث أبي يحيى مالك بن دينار البصري(نحو ١٣٠هـ/٧٤٧م)، دخلوا عليه في الدَّار فلم يجدوا شيئاً يُسرق منها، فلما أرادوا الخروج مِن الدَّار قال لهم ابن دينار: «ما عليكم لو صليتم ركعتين»(256)! وينقل عنه قوله: «مَن دخل بيتي، فأخذ منه شيئاً فهو له حلال، أما أنا فلا أحتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح»(257). كان يعيش مِن كتابةِ المصحفِ، ولا يشارط على أجرته، يكتب المصحف خلال أربعةِ شهور(258).

حصل أن تورط أبو تُراب النَّخشبي الصُّوفي(259)، مع عصابة لُصُوص، فجلدُ سبعين جلدة بهذا السَّبب. روي عنه أنه قال: «ما تمنت نفسي عليَّ قط إلا مرة واحدة، تمنت عليَّ خبزاً وبيضاً، وأنا في سفري، فعدلتُ عن الطَّريق إلى قرية، فوثب رجلٌ وتعلق بيَّ، وقال: كان هذا مع اللُّصُوص، فبطحوني وضربوني سبعين خشبة، فوقف علينا رجلٌ صوفيٌ، فصرخ وقال: ويحكم هذا أبو تُراب النَّخشبي! فخلوني واعتذروا ليَّ، وأدخلني منزله، وقدمَ ليَّ خبزاً وبيضاً. فقلتُ: كُلها بعد سبعين جلدة»(260).

عاش مالك بن دينار(ت ١٣١هـ/٧٤٨م) زاهداً ولم يتزوج، وعندما يُسأل عن سبب ذلك يقول: «مالي إلا نفس واحدة لو استطعت طلقتها، فكيف أضم إليها أخرى»(261)، ويبتعد عن مخالطة النَّاس، ولما سأله أحدهم عن الكلب الذي يربيه قال: «خير مِن جليس السُّوء»(262). هذا، ويُذكر عن مالك بن دينار، أنه وصل إلى هذا الزُّهد والنُسك والتَّعبد، بعد توبة ثبت عليها حتى آخر حياته، قال عن نفسه: «كنتُ شرطياً، وكنتُ منهمكاً على شرب الخمر»(263).

نجد للشاعر الظَّريف أبي الحَسن محمد بن عبد الله سُكَّرة الهاشمي(ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، موقفاً مع اللُصُوص، دخل الحَمَّام ولما خرج سُرق مداسه، فعاد حافياً إلى داره، فقال(264):

إليك أذمُ حمَّام ابـن مـوسى

وإنْ فـاق المنى طيباً وحَـرا

تكاثرت اللُّصُوص عليَّ حتَّى

ليحفى مَن يطوف به ويعرى

ولم أفقـد به ثــوباً ولكنْ

دخلتُ محمداً وخرجتُ بشراً(265)

كان ابن سُكرة يُدعى باسم أمه «ريطة»(266)، ومِن أصدقاء أبي حيان التَّوحيدي، ويُذكر الأخير اجتماعهم للتنزه في دير بواسط(267)، قيل عنه: «شاعر متسع الباع، في أنواع الإبداع، فائق في قول المُلح والظّرف، أحد الفحول الأفراد، جارَ في ميدان المجون والسُّخف»(268). أكثر ابن سُكرة من هجاء القضاة، ممَن يمدحهم ولا يهبون له العطايا(269)، سمع منه القاضي أبو علي المُحسِّن التَّنوخي(ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)وأثبته في نشواره(270).

يروي أبو الحسن أحمد بن علي البتي(ت٤٠٣هـ/١٠١٢م)، وكان ظريفاً يتماجن مع أصدقاء، مِن كبار القوم، بلا حرج، كان يكتب عند الخليفة القادر العباسي(ت ٤٢٢هـ/١٠٣١م)، وهو لازال بالبطيحة لاجئاً(الأهوار مِن جنوب العراق) قبل تسنمه منصب الخلافة: «إنه انحدر مع دجلة مِن بغداد في يوم مِن الأيام مع الشَّريف الرَّضي(ت٤٠٦/١٠١٥م) والشَّريف المرتضى(ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م)، وآخرون مِن وجهاء بغداد: «فخرج عليهم اللُّصُوص ورموهم بالحذافات(271)، وجعلوا يقولون: ادخلوا يا أزواج القحاب، فقال البتي: ما خرج هؤلاء علينا، إلا بعين(كانوا مراقبين). قالوا: ومِن أين علمت ذلك؟! قال: وإلا فمِن أين علموا أننا أزواج قحاب»(272)؟! تبوأ صاحب الرّواية بعد خلافة القادر بالله وظيفة «الخبر والبريد» في الدِّيوان القادري(273)، أي مدير المخابرات في مصطلحات عصرنا الحاضر.

وصل الأمر، لكثرة اللُصوص وحيلهم، ببعض القضاة أن يتوهموهم أشباحاً في منازلهم، مع أن منزل القاضي مِن المفروض هو الأقل خشيةً من اللُصُوص، فقد ذُكر أنَّ لِصّاً دخل بيت القاضي أبي خليفة بالبصرة، وشعر ولده بدخول اللُصّ، فأخبر والده، فخرج إلى صحن الدَّار وهو يُناشد اللِّصَّ: «أيها اللِّصَّ مالك وما لنا، إن أردت المال فعليك بفلان وفلان، وإنما عندنا قمطران، قمطر فيه أحاديث، وقمطر فيه أخبار، إن أردت الحديث حدثناك عن أبي الوليد الطَّيالسي، وأبي عمر الجوصي، وابن كثير، وإنْ أردت الأخبار أخبرناك عن الرَّياشي عن الأصمعي، ومحمد بن سَلام»(274). غير أنَّ ابنَ القاضي ظهر متوهماً، فلم يدخل الدار لِصٌّ، إنما الدَّاخل كان كلباً. فقال القاضي: «الحمدُ لله الذي مسخه كلباً، ورد عنا حرباً»(275).

أما الذين ذكرهم القاضي، وهو يناشد اللِّصّ، على المال الذي يملكه أحاديث وأخبار، فهم مِن المحدثين وأهل الأخبار: الطَّيالسي عبد اللّه الباهلي مِن حفاظ البصرة(ت٢٢٧هـ/٨٩١م)، والرّياشي العباس بن الفرج البصري، راوية ولغوي توفى خلال ثورة الزُّنج(٢٥٥-٢٧٠هـ/٨٦٨م/٨٨٣م)، أما ابنُ سلام فهو أبو عبد اللّه محمد بن سلام الجمحي، إمام في أدب أهل البصرة(ت٢٣٢هـ٨٤٦م) (276).

أعجب العجب أنَّ لَصُوصاً يعتقدون بالقسم والأمانة فيه، فحُكي أنَّ جماعةً منهم دخلوا على رجلٍ في بيته، وأخذوا ماله وهموا بقتله، فتوسل عندهم أن يتركوا حياته، فقالوا له: أقسم بالطَّلاق ثلاثاً ألا تخبر علينا أحد، فأقسم وتعهد لهم، وبعدها ذهب إلى الإمام أبي حنيفة النُّعمان(ت١٥٠هـ/ ٧٦٧هـ) يسأله حلاً مما هو فيه، وكيف له إعادة ما سُرِق منه، وقد أصبح يرى اللُّصُوص يبيعون متاعه أمام عينه. فطلب منه الإمام أنْ يحضر أكبار حيّه وجيرانه، ولما حضروا قال لهم: تقفون أمام المسجد، ويقف صاحبكم، فتسألونه: هذا سرقك، إذا لم يكن هو فيقول: لا، وإذا كان مِن اللُّصُوص يسكت، وبهذا الرأي أعيدت له المسروقات(277).

حصل موقف ظريف مع المتكلم المعتزلي البصري المعروف أبو الهُذيل العَلاف(ت٢٣٥هـ/٨٤٩م)؛ وربَّما اقتبسه ابن الجوزي(٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، مِن «كتاب اللُصوص» للجاحظ، فآنذاك كان الكتاب المذكور متداولاً. يُعد أبو الهُذيل كبير المعتزلة، في زمانه، ومؤسس لمقالاتهم الفلسفية، وكان مأخوذاً شغوفاً في المناظرات والجدل الكلامي، لا يغلبه أحد(278)، وحصل أن خرج لُصُوص على قومٍ كان أبو الهذيل بينهم، فظنهم يطلبون المناظرة معه، وذلك عندما سمع أصحابه «صاحوا وقالوا: ذهبت ثيابنا. قال: ولِمَ، كلوا الحجة إليَّ، فواللّه لا أخذها أبداً، وظنوا أنهم خوارج يأخذون بمناظرة، فقالوا: إنهم لُصُوص يأخذون الثِّياب بلا حِجة، فقال(أبو الهذيل): ذهبن الثِّياب واللّه»(279).

نأتي على بعض أخبار الصُّوفيين مع اللُّصُوص، يُنقل أن المتصوف أبا عبداللّه النَّزوغدا يخرج إلى طوس، وكان يُشار إليه بلقب «كبير الوقت»، فلما بلغ مدينة مرو قال لصاحبه: «اشتر الخبز، فاشتري ما يكفيهما، فقال: اشتر أكثر، فاشتري ما يكفي لعشرة أشخاص، فصادفهم في الطَّريق جماعة قيدتهم اللُّصُوصُ لم يأكلوا منذ زمن، فقُدمت إليهم السُّفرة(280).

أما الشَّيخ الصوفي أبو عبد الرَّحمن السَّلمي، فدخل اللُصوص إلى داره، وحملوا كلّ ما وجوده فيها، حتى أن السّلمي رأى جبته تُباع بالسُّوق، معروضة للمزايدة عليها، قال: «فأعرضتُ ولم ألتفت إليها»(281). استطاع الحلبي قاسم بن زلزل، وقيل: ابن زنزل، القادري، وكان مِن أصحاب الأحوال وتنقل مريداً بين أكثر مِن طريقة صوفية، حماية محلته المشارقة بحلب مِن كبسات اللُّصُوص، فكان يعترضهم بالطُّرقات ليلاً، ويقول لهم: «ضعوا ما سرقتم وفوزوا بأنفسكم، أنا فلان، فلا يسعهم إلا وضعه»(282).

جعل أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ/١١١١م) المحسوبين على التَّصوف، أخطر مِن اللُصُوص، قال: «غرضهم رغد العيش، وأكل أموال السَّلاطين، وهم مع ذلك

يظنون بأنفسهم الخير، وضرر هؤلاء على المسلمين أشد مِن ضرر اللُصوص؛ لأن هؤلاء يسرقون القلوب بالزَّي، فيقتدي بهم غيرهم، فيكونون سبب هلاكهم، فإن أطلع على فضائحهم، فيظنون أن أهل التَّصوف كذلك»(283).

نقرأ في ترجمة القاضي عبد الرَّحمن بن عبد الله العمري(عاش في زمن هارون الرَّشيد)، أن أهل مصر كانوا يكنونه «أبا النَّدى» استخفافاً به لسوء سمعته عندهم، وأبو النَّدى هذا أحد اللُّصوص المشهورون مولى البلويين(284). مِن غرائب هذا القاضي أنه كان يُغني بغناء أهل المدينة، ولم يسمع بمغنيةٍ إلا وركب إليها ليسمع منها، وقد هجاه معلى الطَّائي(285):

كـم تطُّول في قِـراتك

والجورُ يضحك مِن صلاتك

تقضي نهــارك بالهـوى

وتَبيتَ بـــين مُغنيـــاتك

أما الشَّاعر الأموي غيلان بن عَقبة الشَّهير بذي الرِّمة (ت١١٧هـ/٧٣٥م)، فنراه يلمز الفقهاء، أو إدعياء التَّدين والمتظاهرين به، بوصفهم لُصوصاً غير معلنين. قال في مجلس أُنس مع أصحابه(286):

أَما النَّبيذُ فلا يَذعرك شـاربه

واحفظ ثيــابك ممَن يشربَ الماءَ

قومٌ يوارون عمَّا في صدورهم

حتَّى إذا استمكنوا كانوا هم الداءَ

مشمرين إلى أنصـاف سُوقهمُ

همُ اللُّصُوص وقــد يدعون قُراءَا

الاستعانة بالفقهاء

يشتد عادة، مع ضعف السُّلطة، أمر اللّصوص ويتفاقم، وفي تلك الحالات، لم يكن في الواجهة غير الفقهاء، يُستعان بهم للحد مِن التَّلصلص، ففي السنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) كُلف الفقهاء لإدارة الأمن ببغداد، والشّرطة تنفذ ما يفتون به، جاء في الخبر: «وصُرف نزار عن الشَّرطة بمدينة السَّلام، وقُلد نجح الطُّولوني، واستخلف عليها وأقام في الأرباع فقهاء، يعمل أصحاب الشرطة في أمر الجُناة بما يفتون، فضَعُفت هيبة الشّرطة بذلك، واستلان اللُّصُوص والعيَّارون جانب نُجح، فكثرت الجراحات والفتن، وتفاقم الأمر في التَّلصص، وكان العيَّارون يقولون: اخرُج ولا تُبالي/مادامَ نُجْحٌ والي»(287). أمّا ابنُ الأثير فجعلها «فضِعُفت هيبة السَّلطنة بذلك»(288).

يبدو الفرق كبيراً، بين حصر أمر اللُّصُوص وانفلات الأمن بالسلطنة عنه بالشّرطة، فالقصد سلطة الخليفة نفسه، وكان حينها المقتدر بالله العباسي (قُتل ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، وما حصل كان بالعاصمة وليس بطرف مِن أطراف الخلافة. صار الأمر ضعفاً للاثنين، للسلطة كون الفقهاء حلوا محلها، وللفقهاء أن يتحملوا مسؤولية الأمن، ويديروا شأناً ليس من شؤونهم، فيصبح كلُّ اضطراب مرتبط بالدِّين مباشرة. جعل اضطراب الأمن وتفاقم السَّرقات الخليفة أن يجعل وزيرين لشؤون الدَّولة، الوزير ونائب، يقوم بصلاحيات الوزير، حتى عبر النَّاس عن هذا الوضع بما شاع آنذاك(289):

أعــجبُ مِن كـلِّ ما رأينا

أنَّ وزيرَين في بلادِ

هــذا سَــوادٌ بلا وزيــرِ

وذا وزيرٌ بلا سَوادِ

مِن المعلوم أنَّ السَّوادَ هو العَلمُ أو الرَّايةُ العباسية، وهي الزِّي الرَّسمي أيام العباسيين، بمعنى الوزير الظِّل هو الوزير، والأخر يحمل الشَّارة فقط. نقول ذلك عن علاقةِ السَّوادِ بالسُّلطة آنذاك، أن المعتزلي ثُمامة بن أشرس(ت٢١٥هـ/ ٨٣٠م)، قال للخليفة عبدالله المأمون، بعد أنْ أشار عليه في أمر خطير، وكان المأمون يخشى مِن اضطراب العامة: «والله لو وجهتَ إنساناً على عاتقه سواد، ومعه عصا لساق إليك بعصاه عشرين ألفاً»(290).

كانوا لصوصاً

يذكر التَّاريخ أنَّ مسؤولين كباراً، وقادة ثورات مشهورين، بدؤوا حياتهم باللُّصُوصية وقطع الطَّريق، ثم تحولوا إلى ما صاروا عليه، مِن التَّحكم بالسُّلطة الجديدة، مِن هؤلاء كان أبو مسلم الخراساني (قُتل١٣٦هـ/٧٥٦م) يعمل مع اللُّصُوص وقطاعي الطُّرق، بينما قاد الرَّايات السُّود مِن خراسان وأسقط الحكم الأموي، جاء في الرِّواية: «كان أبو مسلم مِن أهل أصفهان، ولد في منزل عيسى بن معقل العجلي(291)، ونشأ مع ولده، فقطع الطَّريق على قوم مِن التُّجار في ضياع عيسى بن معقل، وذلك في إمارة خالد بن عبدالله القسري(292)، على العِراق، فسأله خالد عن عيسى، فأخبره أنه يشتمل على اللُّصُوص، وأنه لهم معقل يأوون إليه، فوجه إليه خالد مَن أتى به، فتناوله بقضيب كان في يدهِ، وأمر بضربه، وحبسه في السِّجن بالكوفة، وأبو مسلم يومئذ غلام يخدمه»(293).

لكنْ، كيف تحول أبو مسلم مِن العلاقة باللُّصُوص، وأن يكون غلاماً لقاطع طريق ويشاركه، إلى قيادة الثَّورة، التي أسفرت عنها الخلافة العباسية، لتدوم خمسة قرون(١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٦-١٢٥٨م)؟! يُجيب على هذا السُّؤال، مؤلف «أخبار العباس وولده»: كان أبو مسلم يسمع الشِّيعة (بني العباس) في الحبس يتذاكرون الدَّعوة، فيصغي لقولهم، حتى وعى بعضه، فأعجبه وأخذ بقلبه، وكان يُكثر لزوم أبي موسى عيسى بن إبراهيم السَّراج مِن أهل الكوفة، وكان مِن علماء الشِّعية، ولذلك قيل إنَّ أبا مسلم كان سراجاً، وكان في السِّجن بالكوفة يرسلون أبا مسلم في حوائجهم، ويبلغ شيعة أهل الكوفة رسائلهم، حتى وثقوا به، واستأمنوا إليه، وعظم قدره عندهم، فوجهوه إلى إبراهيم الإمام(294)رسولاً، فلما قَدم إليه أعجبه ما رأى مِن فهمه وحسِن عقله...»(295).

الفَصل الخامس

شخوصُ اللُّصُوص

ترك أشخاص مِن اللُّصُوصّ أثرهم في مجتمعاتهم، كرؤساء وشعراء وأذكياء أصحاب حيَل، حتى تداول الناس أسماءهم، واشتهروا في عصورهم والعصور اللاحقة، بما سجله عنهم المؤرخون ونقله الإخباريون، ومنهم ورد باسمه الصَّريح وآخرون وردوا بالكُنى والألقاب فقط، مما يشير إلى أن اللُّصُوصيّة كانت مهنةً واحترافاً، لا يُجيدها إلا المتمرس والمتدرب، والمُتحمل لأعبائها ومخاطرها، مِن الحبس إلى التَّعرض للقتل، وقطع اليد، والإقصاء الاجتماعي.

لم يخلُّ زمن مِن الأزمنة مِن اللُّصُوص الرُّؤساء، ، وبعضهم استخدموا مِن قِبل المتنفذين في السُّلطة، بمقاسمتهم ما يسرقون، أو إيذاء الآخرين، مقابل حمايتهم. مَن نتحدث عنهم من شخصيات أو أعلام اللُّصُوص غير ما نعرفه عن عروة بن الورد(296)، وبقية مَن عرفوا بـ «الصَّعاليك»، وهذه التَّسمية ملتبسة، حيث رُبط هؤلاء باللُّصُوصيّة، والصَّعلوك ليس بالضَّرورة أن يكون لِصّا، وإن كان لِصّاً فيسرق لغيره، أي يقوم بتوزيع ما سرقه على مَن يحتاجه، وصارت الصَّعلكة مرتبطة بالجاهلية، ثم اختلطت بعد الإسلام مع اللُّصُوصيّة.

ورد في بحث لسمر الدَّيوب: «لصُوص الإسلام على علاقة وثيقة بصعاليك الجاهلية؛ مع فارق أن الصُّعلوك كان يوزع مغانمه على الفقراء، أما اللِّصُّ فقد احتفظ بما ملكت يده، واللِّصّ كان يسرق بمفرده، وربَّما اتجه الصُّعلوك إلى مشاركة غيره في الإغارة والسَّلب والنَّهب»(297). هذا ليس دائماً، فاللُّصوص يشكلون عصابات، ويتقاسمون بينهم المهام في عملية السَّرقة، ولهم رئيس وعيون يشخصون لهم مكان حفظ المال، أو الدَّفائن، ويراقبون لهم الطَّريق، ويتدخلون في اللحظة المناسبة للحماية. ما تعرضنا له مِن كِسات اللُّصُوص كانت جماعية، حتى عُرف للُصُوص كبيرٌ، عده البعض مختاراً، مثلما سيأتي الحديث عن ذلك.

ما سيأتي مِن أسماء اللُّصُوص وأفعالهم، وهم ليسوا الجميع بطبيعة الحال، جعل خطر ظاهرة اللُّصُوصيَّة القدماء يضربون بها المثل عند البغداديين القدماء، فقد أورد أبو منصور الثَّعالبي(٤٢٩هـ/١٠٣٧م) في فصل «مِن أمثال

أهل بغداد» المثل الآتي، وصيَّة نفعت بالأمس وتنفع اليوم: «خذ اللَصَّ مِن قبلِ أنْ يأخذك»(298)!

مسافر اللِّص: كان أحد اللُّصُوص واسمه «مسافر» في سجن أحمد بن طولون(299) بمصر، وأطلق سراحه مع مجموعة مِن اللُصُوص، مِن منطقة أهناس(300)، وصف بالغلام الخبيث المنظر، لا يملك نفقة وصوله إلى أهله، فأعانه تاجر صاحب أكيسة، أي بزاز تاجر قماش وثياب، بعد أن أظهر التَّوبة على يده، ووعده أن يمده بما يغنيه عن التلصص عند الحاجة، وحصل أن اضطربت منطقة أهناس بتسلط اللُصُوس عليها، وعلى كثير مِن المواضع.

يروي صاحب التَّاجر الذي أكرمه: «كانت لي أسلاف(ديون) بسُمُسْطَا(301) ونواحيها، فخرجتُ لقبضها في رفقةٍ مِن التُّجار، قد حملوا البز والطِّيب، وما يحتاج إليه الأرياف... لقينا قطعة مِن اللُصُوص، (فسساقونا) بأسرنا إلى موضع منقطع عن المارة، وفيه شابٌ أصفر راكب فرسٍ، ومعه نحو خمسة فوارس، فعُرضت الجماعة عليه إلى أن بلغني، فتأملته فوجدته «مسافر»، فأكب على رأسي وتحفّى بيَّ، ثم قال لأصحابه: أخطأ واللّه حرزكم، هذه رفقة شيخي وسيدي»(302). إن أغلب رؤساء عصابات اللُصُوص، عندما يرون أصحاب الأفضال عليهم يردون لهم الجميل، فلم يكن تصرف «مسافر» شاذاً، صحيح أن اللُصُوصيّة سلوك مناف للأخلاق، فِمن غير سلب أملاك النَّاس، يصاحبها الرُّعب والاعتداء على الآخرين، مع ذلك يبقى داخل اللِّصِّ شيء مِن الضَّمير والمروءَة في مثل هذه المواقف، هذا ما صادفنا كثيراً عند قراءة سير اللُّصُوصِّ وحوادثهم.

ابن برجان اللِّص: كان لشهرة اللِّصِّ «بُرجان» يُنسب السُّراق إليه، فيقولون «بُرجاص اللِّصّ»(303)، تصحيفاً لبرجان، وهو الفضيل بن بُرجان، ويُقال له فضل، أحد بني عُطارد مِن بني سعد، كان مولى لبني امرئ القيس، له صاحبان يُقال لهما: سهم وبَسَّام، قتلهم مدير شرطة البصرة مالك بن المنذر بن الجارود العبدي، في ولاية خالد بن عبد اللّه القسري(قُتل: ١٢٦هـ/ ٧٤٤م) على العِراق، وصُلب ابن بُرجان بعد قتله في مقبرة يُقال لها «العتيك»، تولى القتل والصَّلب شعيب بن الحبحاب، وأُخذ اللُصُوص المشهّرين بالبصرة وقتلهم، وبينهم بُرجان، وصاحبه اللُص سهم الصَّبيري مِن بني صبير بن يربوع(304). فقال خلف بن خليفة الأقطع(305) في هذه المناسبة راثياً(306):

إن كنتَ لم تسألني سهماً وصاحبُه

عن مالك فسلي فضْل ابن بُرجانِ

يُخبرك عنه الذي أوفى على شَرفٍ

حتــى أنافَ عـلى دُورٍ وبنيانِ

طهمان الكلابي: اشتهر القتَّال الكلابي باللُّصُوصيّة في المال والشّعر، «ولم يمنعه اشتهار هذا البيت مِن الإغارة، وسلك في سرقة الشِّعر مسلكه في الغارة على المال، فإنه كان مِن مشهوري اللُّصوص وفتاكهم وشعرائهم»(307).
والبيت الذي سرقه بيت الأعشى، والأخير بدوره أخذه مِن النَّابغة(308):

تجلو بقادمتي حمامة أيْكةٍ

بَرداً أُسفُ لثاته بالإثمد

يُذكر أنَّ يدَ طهمان بن عمير الكلابي كانت قد قُطعت بحدِ السَّرقة؛ قطعها له نجدة الخارجي(قُتل ٦٩هـ/٦٨٨م)، وكان يُغطيها بثوبه، وحصل أن هانئ بن يزيد بن شبل بن أبي ربيعة، قد ألقى ثوبه مِن على يده، كي يراه النَّاس، ويُعرف تطبيق حد السَّرقة به، فظل الكلابي يترصد يزيداً، حتى حظي به، وهو بلا سِلاح، فتمكن منه وقطع يده، فقال في ذلك(309):

لقد سَرني ما جَرَّف السَّيفُ هانئاً

وما لقيتْ مِن حدّ سيف أناملُه

ومـتركه بالبرَّدتين مُجــدّلاً

تنوحُ عليــه أُمّه وحــلائلُه

أما كيف حدث القطع فهذا ما يرويه أبو سعيد السُّكري، في شرحه لديوان الكلابي، قائلاً: «أخذ نجدة الحروري طهمان بن عمرو، فجعله دليلاً، فسار معه، حتى كان في اللَّيل أخذ طهمان نجيبةً، فألقى عليها رحلها وأداتها، وركبها ومضى يطمُّ (يعدو/المحقق)، فأصبحت راحلته تقلقل(تسير وتضرب الأرض/المحقق) في الفلاة، وكان مع نجدة رجلٌ مِن بني جعفر بن كلاب، يُقال له عبد اللّه بن سراقة. فقال لنجدة: هذا أثر طهمان فوجهني في جندٍ لعلي ألحقه فآتيك به! فوجهه في طلبه ورجلاً مِن أهل اليمامة، يُقال له عاصم، فأخذا فأتيا به نجدة فقطع يده»(310).

ما نريد قوله هنا، هل يعتبر طهمان فتاكاً وسارقاً، لأن يده قُطعت؛ ولأنه أخذ فرساً وفارق بها معسكر الخوارج، نقول هذا بسبب عدم وجود ما يُشير إلى لصوصيته، غير هذه الحادثة، وهذا ما يشبه القتال الكلابي، وربَّما في بعض الأحيان يختلط الاسمان . إنها حادثة منفردة، غير مرتبطة بسلوك وحرفة اللُّصُوصيّة، والتي اعتبر أبو سعيد السُّكري بها طهمان مِن ضمن اللُّصُوص كأشعار وأخبار. شكا طهمان قطع يده إلى الخليفة عبدالملك بن مروان (ت ٨٦هـ/٧٠٥م) بقصيدة سيأتي ذكرها في فصل أشعار اللُّصوص(311).

ابن الرّيب ورفاقه: كان لمالك بن الرَّيب المازني(312)، وهو اللِّص قاطع الطَّريق الفاتك، مجموعة مِن الرُّفقاء اللُّصُوص، مثل أبي حَرْدَبة، أحد بني أُثالة بن مازن، وعُويث مِن بني كعب بن مالك بن حَنظلة، وشظاظ مولىً لبني تميم، وكان أخبثهم(313).

يُنقل أن مالك بن الرِّيب قال لصاحبيه ابن حَرْدبه وشظاظ: «ما أَعجبُ ما عملتما في سرقاتكما؟ قال أبو حَرْدبة: أَعجبُ ما سرقتُ وأَعجبُ ما صنعتُ أني صحبتُ رفقةً فيها رحلٌ على جمل فأعجبني، فقلتُ لصاحبي: واللّه لأسرقنَّ رَحْله ثم لا رضيت أو آخذ عليه جعالة؛ فرصدته حتى رأيته قد خفق رأسه فأخذت بخطام جمله فعدلت به عن الطَّريق حتى إذا صيرته في موضع لا يغاث فيه إن استغاث أنخت البعير وصرعته وأوثقت يديه ورجليه، وقدت الجمل فغيبته. ثم رجعت إلى الرِّفقة وقد فقدوا صاحبهم وهم يسترجعون. فقلت: ما لكم؟ فقالوا: صاحب لنا فقدناه، فقلت: أنا أعلم النَّاس بأثره، فجعلوا ليَّ جعالة(314)، فخرجتُ بهم أتبع الأثر حتى وقفوا عليه فقالوا: ما لكَ؟ قال: لا أدري، نعيت فانتبهتُ فإذا بخمسين رجلاً قد أخذوني فقاتلتهم فغلبوني. قال أبو حَرْدبة: فجعلتُ أضحك مِن كذبهِ، وأعطوني جعالتي، وذهبوا بصاحبهم»(315).

أما شظاظ الضَّبي، فكان مولىً لبني تميم، وكان «لِصّاً متعالماً»(316)، سرقَ ناقةً لشيخ مِن أهل البصرة، مِن المتاجرين بالأكفان، كان يُصدرها مِن الحجّ، وكانت النَّاقة ترعى في مكان اسمه عِرق ناهق، فقال شظاظ يُغري اللُّصُوص بالسَّرق، وتُروى الأبيات لرئاب بن عُقبة أيضاً(317):

مَن مُبلغُ الفتيـــان عنـــي رسالةً

فـلا تهلكوا فقراً عـلى عْرِق ناهقِ

فإن بـــه صَيداً غـــزيراً وهجـمةٌ

نجـائبَ لم ينتجنَ فَتل المــرافـقِ

نجيبةَ ضيّاطٍ(318) يكـــون بغـاؤه

دعاءً وقد جاوزنَ عرْض الشَّقائقِ»(319)

قال ابن السِّيرافي(ت ٣٦٨هـ/٩٦٨م) في مالك بن الرَّيب، ومصاحبة اللِّص ابن حَرْدبة له(320):

عليَّ دماء البُدن(321) إن لم تفـارقـي

أبا حَرْدب يوماً وأصحاب حَرْدبِ

وردَ البيت عن سيبويه (ت ١٨١هـ/٧٩٧م)، وقد نسبه إلى رجلٍ مِن بني مازن(322):

عليَّ دِماءُ البُدْن إن لم تُفـارقــي

أبا حَردَب ليلاً وأصحابِ حَردبِ

وذُكر أن قائل هذا البيت هو مالك بن الرَّيب نفسه، فهو المقصود برجلٍ مِن بني مازن، يُخاطب به ناقته ويحثها على مفارقة أبي حَرْدبة، وقد أنشده أبو العباس المبرد(ت ٢٨٥هـ/٨٩٨م)(323).

قيل عن شظاظ: «هو لِّصٌ مِن ضبة، مرَّ بامرأة ترعى بازلاً(324)، وتقول أعوذ بالله مِن شظاظ! وكان هو على بِكرٍ فنزل، وقال: أتخافين على بعيركِ مِن شظاظ؟ قالت: ما آمنه عليه، فجعل يشغلها حتى تغافلت عن بعيرها، فاستوى عليه، ورفع عقيرته يقول:

رُبَّ عجوزٍ مِن أُناس شهرةٍ

علمتها الأقاض بعد القرقرة»(325)

لشدة لُصوصية شظاظ جاء في المثل: «فلان أسرق مِن ذُبابة، ومِن عقعق، ومِن شظاظ»326).

عثمان الخياط: لنَّا تسميته بمرشد اللُّصُوص، يتحدث الجاحظ عن اللِّص عثمان بن الخياط، وله وصية أو نصائح للُّصُوص، يمكن اعتباره حكيمهم

وشيخهم، فلم تأتِ هذه النَّصيحة إلا مِن صاحب تجارب طويلة في اللُّصوصيَّة. جاء في الوصية: «إياكم إياكم وحبَّ النّساء، وسمع ضرب العُود، وشرب الزَّبيب المطبوخ، وعليكم باتخاذ الغلمان، فإن غلامك هذا أنفع مِن أخيك، وأعون لك مِن ابن عمَّك، وعليكم بنبيذ التَّمر، وضرب الطَّنبور، وما كان عليه السَّلف، واجعلوا النَّقل باقلاء، وإن قدرتم على الفستق، والرّيحان شاهسفرم(327)، وقدرتم على الياسمين، ودعوا لبس العمائم، وعليكم بالقناع، والقلنسوة كُفْرْ، والخف شرك، واجعل لهوك الحَمَام، وهارش الكلاب، وإياك والكباش، واللَّعب بالصُّورة والشَّواهين، وإياكم والفهود... والدِّيك فإن له صبراً ونجدة، وروغاناً وتدبيراً، وإعمالاً للسِّلاح، وهو يبهر الشِّجاع... وعليكم بالنَّرد، ودعوا الشّطرنج لأهلها...» (328).

ويزيد الرَّاغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ/١٠٣٣م) عن اللِّص ابن الخياط تصنيفه للُصوص في السَّفر والحضر بخمسة أصناف: المحتال، صاحب اللّيل، وصاحب طريق، والنَّبَّاش، والخناق. ويأتي الرَّاغب على كلّ صنف بالآتي: المحتال لا يعمل إلا بحيلة، وهو لا يقتل، ولا يعرف بالصَّبر والنّجدةِ، بمعنى ليس مِن الفتيان المعروفين بالنِّجدةِ(329)، وصاحب اللَّيل: فهو النَّقاب(الذي يُنقب الخزائن) والمتسلق والمكابر، والنَّبَّاش: ينبش الدَّفائن لسرقتها، وأما الخناق»صاحب بعج ورضخ»، أي القتل لأجل السَّرقة.

يوصي عثمان الخياط قومه «اللُّصُوص»، أن يعتبروااللُّصُوصيّة غزواً؛ لأن الغزو ممدوح بين الأُمم، وهو نهب وسرقة وفتك أيضاً. يقول: «لم تزل الأُمم يسبي بعضها بعضاً، ويسمَّون ذلك غزواً، وما يأخذونه مِن غنيمةٍ، وذلك أطيب للكسب، وأنتم في أخذ مال الغدرة والفجرة أعذر، فسمَّوا أنفسكم غزاة»(330).

أبو النَّشناش اللُّص: قيل كان مِن لُصُوصّ بني تميم، الرّواية عن أبي سعيد السُّكري صاحب كتاب «أشعار اللُّصُوص»، كان أبو النَّشناش مِن ملاص(لُصُوص) بني تميم، يعترض القوافل في شذا مِن العرب على الطّريق بين الحجاز والشَّام، وقبض عليه أمير مِن أمراء مروان (لعله ابن الحكم)، فحبسه وقيده، لكنه تمكن مِن الهرب، فمرَّ على غرابٍ ينتف ريشه، فتشائم، ولما حكى القصة قيل له تُعاد إلى الحبس والقيد، وتُقتل وتُصلب، وكان شاعراً(331).

لا نعلم عن مدى صِحة ما أتى به صاحب «كتاب الأغاني» عن لُصوصية شخصية شهيرة في عالم الأدب، حمَّاد الرَّاوية، يقول: «وقال ابنُ النَّطَّاح: كان حمَّاد الرَّاوية في أوَّل أمره يتشطر، ويصحب الصَّعاليك واللُّصُوص، فنقبَ ليلةً على رَجلٍ فأخذَ ماله، وكان فيه جزءٌ مِن شِعر الأنصار، فقرأه حمَّاد

فاستحلاه وتحفّظه، ثم طلبَ الأدب والشَعر، وأيَّامَ النَّاس، ولغات العرب بعد ذلك، وترك ما كان عليه، فبلغ في العِلمِ ما بلغ»(332). نقول شخصية شهيرة لأنه أكثر النَّاس حفظاً للشعر الجاهلي، والأعلم بأيَّام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها(333)، ولهذا السَّبب عُرف بحمَّاد الرَّاوية(334).

حتى قيل إنه وراء رواية القصائد «المعلقات» الشَّهيرة، وأخبارها. يؤكد أبو جعفر أحمد النَّحاس(ت٣٣٨هـ/٩٤٩م) صلتها بحمَّاد هذا، وينفي تعليقها داخل الكعبة، قال: «وأمَّا قول إنها عُلقت في الكعبة فلا يعرفه أحدٌ مِن الرُّواةِ، وأصحُ ما قيل في هذا أنَّ حماداً الرَّواية لما رأى زُهد النَّاس في حفظ الشّعر، جمعَ هذه السَّبع، وحثهم عليها، وقال لهم: هذه المشهورات، فسمّيت القصائد المشهورة لهذا»(335).

أما ياقوت الحموي فنقل عن النَّحاس قائلاً: «إن حمَّاداً هو الذي جمع السَّبع الطُّوال، ولم يثبت ما ذَكره النَّاس مِن أنها كانت معلقة على الكعبة»(336). فلنَّا تصور أهمية هذا الرَّجل، إذا صحَ أنه كان وراء جمع «المعلقات»، وأن اللُّصُوصيَّة وراء نبوغه في الحفظ والرّواية، طالما شغل العرب وغيرهم مِن الباحثين والدَّارسين في كلِّ زمان، بما روى مِن أشعار وأخبار، وما كان سبباً في محاكمة طه حسين(ت١٩٧٣)، ومعارك أدبية، مثلما سيأتي الحديث لاحقاً.

بكر النَّطاح: ما يُشبه قصة حمَّاد الرَّاويّة، كونه بدأ لِصّاً ثم ترك اللُّصُوصيَّة وصار مِن أبرز مجالسي الأمراء، وأعتمد على أخباره(337)، وغدا مِن الأغنياء، هي قصة بكر النَّطَّاح (ت بحدود ٢٠٠هـ/)٨١٥م)، الحنفي التَّغلبي(338)، ذُكر أنه كان لِصّاً وقاطع طريق، ويبدو أن الذين أرخوا لذلك أعتمدوا على رواية عبد اللّه بن المعتز(قُتل٢٩٦هـ/٩٠٨م)، روى أن ابن النَّطَّاح مدح الأمير دُلَف العجلي(339)، بقصيدة وذكره ببيته، الذي تردد النَّطَّاح مِن قوله؛ لأنه يمدح به قومه على كلِّ العالمين، والبيت هو:

ومَن يفتقر منّا يعيشُ بحســامه

ومَن يفتقر مِن سائرِ النَّاسِ يسأل

فذّكره ممدوحه به «فخجل بكر وأطرق مليَّاً، ثم قال: أيها الأمير، لو كان تحتي فرسٌ مِن خيلك، وفي يدي قناةٌ مِن رِماحك، وتقلّدت سيفاً مِن سيوفك، لِما قمتُ هذا المقام. قال: فدعا بجميع ما ذَكرَ، وهِيمْان فيه خمسمائة دينار، ثم قال: امِضِ فصدّق قولك»(340)! ولما خرج، ليؤكد أنه ليس متكسبا ويعيش على ما يُكرم به مِن هبات، صادف قافلة قطع عليها الطَّريق، ونهب ما

فيها مِن مالٍ، وقتلٍ مِن رجالها، لكن هذه القافلة ظهرت أنها لأبي دُلف نفسه، ولما وصله الخبر، قال: «لا نلوم إلا أنفسنا، نحن بعثناه على ذلك»(341).

ذَكر لصوصيته صاحب «كتاب الأغاني» «كان بكر بن النَّطَّاح صعلوكاً يُصيب الطَّرق، ثم قصر عن ذلك»(342)، بمعنى تاب وعفَ عن اللُّصُوصيَّة. وبعد إتصاله بأحد أبرز القادة وأمراء المناطق، في زمن الرَّشيد والمأمون، وهو دُلَف العِجلي(ت٢٦٦هـ/٨٤٠م)، جعله «مِن الجُند، وجعلَ له رِزقاً سُلطانياً، وكان شُجاعاً بطلاً فارساً، شاعراً حَسن الشِّعر والتَّصرف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشَّجاعة والإقدام»(343).

ربَّما على هذه الرّواية قال عنه صاحب «فوات بالوفيات»: «كان صعلوكاً يقطع الطَّريق، ثم اقتصر على ذلك»(344). كذلك أتى صاحب «الوافي بالوفيات» بالرِّواية نفسها(345). ولا نعلم مَن غرف مِن مَن: ابن شاكر الكتبي مِن خليل الصَّفدي أم العكس؟! فتاريخ وافاتهما يشير إلى السّنة نفسها(٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، نقول هذا؛ لأنَّ الرِّواية عند الاثنين قد جاءت متطابقة حرفياً.

كان ابن النَّطاح شاعراً مطبوعاً، «مِن قلائده وأُمهات قصائده»، تائيته الجزيلة الطَّويلة(346)، ومطلعها:

وليلةٍ جَمْعٍ لم أبت ناسيــاً لكـم

وحينَ أقاضي النَّاسَ مِن عرفاتِ

ومنها البيت الذي قال فيه ابن المعتز: «لايكونَ وراءَه حَسِن ولا جودة»(347):

كأنَّ غمام العزِّ حَشوُ أكفِّهم

إذا طبَّقَ الآفــاق بالدّيماتِ

الغُدْاف: نجد قصةً مثيرة لقاطع طريق خطير ولِصٍّ عُدَّ مِن الفُتاك، أخضع النَّاس بمفرده، وأخذوا يؤدون له ما يُريد، اسمه «الغُدَاف»،ومعناه «جنس مِن الغربان»(348)، والغُدَاف «غراب القَيظ والشَعر الأسود الطَّويل»(349) ويُضاف إلى اسمه عبارة «صاحب عُبيد الله بن الحُرِّ»(350). لا يقصد الجاحظ بالصُّحبة بمعنى الرّفقة، وإنما بما بينهما مِن حادث أو قصة، وعُبيد الله بن الحُرّ هذا جمع حوله اللُّصُوصَ وقاتل بهم، وسيأتي الحديث مفصلاً عنه لاحقاً. يصف الجاحظ «الغُدَاف» بالقول: «لم يكن في الأرض أشدَّ منه، كان يقطع الطَّريق على القافلة وحده، بما فيها مِن الحُمَاة والخُفراء»(351).

يأتي ابن أعثم الكوفي(ت٣١٤هـ/٩٢٦م) على خبره، في «كتاب الفتوح»ونجد محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ/٨٥٦م) ينشد لأحد الشُّعراء السُّود أبي نُخَيلة السَّعدي(قُتل ١٤٥هـ/٧٦٢م) مِن جيد شعره(352):

مِن بعدِ تمشاي وتطواحي يدي

ومشيتي تحت الغُداف الأسودِ

كان الغُدَاف فاتكاً، يقطع الطَّريق على شاطئ الفرات، بين الأنبار وهيت، ومحل الأنبار المقصودة آنذاك كانت عاصمة للعباسيين، بعد وقبل الانتقال إلى بغداد(353). كان مِن أصحاب البشرة السّوداء، ضخم الجثة مقاتلاً شرساً، وصل الأمر بفتكه إذا سمع بامرأة جميلة يسطو عليها، وإذا اعترض زوجها يقتله ويخرج. يعيش على سلب القوافل في الطريق المذكورة.

كانت نهايته على يد عُبيد الله بن الحُر(قتل ٦٧هـ/٦٨٦م)، لما نزل الأخير هو أصحابه وجلهم مِن اللُّصوص وقطاعي الطّرق، بالأنبار بلا مقاومة مِن أهلها، لكنهم طلبوا منه أن ينزل عندهم مقابل أن يخلصهم مِن «الغُدَاف». يُذكر أن عبيد الله بن الحُرّ قد قال مفاخراً بقتله(354):

وأبيضُ قـد نبهتــه بعـد هجعةٍ

وقد لبس اللَّيل القميص الأرندجا(355)

وجـدتُ علـيه مغـرماً فقبضته

وفرّجتُ مـا يُرجا به أن يفرجـا

وكنتُ إذا قـومي دعـوني لنجدةٍ

شددتُ نطاقي حين أُدعى وأسرجا

فأكشف غماهــا وأكسبُ مغنـماً

وأطفي الذي قد كان فيها مؤجّجا

مضى ابن الحُر منفرداً يبحث عنه على شاطئ الفرات، فسار في جوف اللّيل إلى المكان المتوقع وجوده فيه، وعند بزوغ الفجر رأى الغُدَاف يخرج مِن وكره راكباً فرسه وحاملاً رمحاً طويلاً. سأله الغُدَاف: مِن أين الرَّجل؟ وإلى

أين يُريد؟ فأخبره أنه يريد هيت، وعند نهاية الوادي وبداية الصَّحراء، طلب من الحُر أن يترك فرسه وينجو بنفسه، واختلفا بطعنتين سقط الغُدَاف من على فرسه، وقتله إبن الحُر، وحزَّ رأسه وحمله إلى الأنبار، وصُلب هناك، وبهذا انتهت قصة هذا اللِّص الفاتك(356)، وبعد قتله قال ابن الحرُ في وصفه(357):

إنّي رأيتُ بــوادٍ غابرٍ رجــلا

مثل الهـزبر إذا ما ستور البطـلا

ضخم الفريسةِ لو أبصرت قامته

وسطَ الرِّجالِ إذا شبهتـه جمــلا

دهــدهته بــين أَحجارٍ وأوديةٍ

لا يعلم النَّاس غيري عِلم ما فعلا

يُدعى الغُدَاف وقد مالت علاوته

إن الغُدَافَ وربِّي وافـقَ الأجـلا

أبو معن الزِّنجي: يبدو كان مِن جماعة عثمان الخياط، الذي اعتبرناه شيخ ومرشد اللُصُوص، كان الزِّنجي صبوراً على الجلد بالسِّياط، حتى أنَّ قولاً فيه يُنسب للنظام، ولعلَّه إبراهيم بن سَيار المعتزلي: «لو أدعى النّبوة وأن معجزته الصَّبر لأدخل عليهم به شبهةً عظيمة»، ويقول الخيَّاط اللِّص فيه: «ضربته بشمراخ رطب، فألتوى إلتواء الحيَّة، وكاد يواثبني(يثب عليَّ)، فقلت: هذا صبرك؟ فقال: إنك لم تتعمد، أحسبت أن صبري على السِّياط طبيعةٌ، إنما هو الكظم والصَّبر على قِدرة النَّاظرة»(358).

أفلح الزِّنجي: كان يقطع القوافل بخُراسان لعشرين عاماً(359)، قتله قاطع طريق آخر وهو الشَّاعر مالك بن الرَّيب؛ وقصة ذلك: «بينما مالك بن الرَّيب في بعض هناته وهو نائم، وكان لا ينام إلا متوشّحاً السَّيف، إذ هو بشيء قد جثم عليّه، لا يدري ماهو، فانتفض مالك، فسقط عنه، ثم انتحى له بالسَّيف فقده نصفين، ثم نظر إليه فإذا هو رجلٌ أسود كان يقطع الطَّريق، في تلك النَّاحية»(360). وهذا هو الذي أشار إليه الجاحظ بـ أفلح، أحد السُّود، في رسالته «فخر السُّودان على البيضان». ولما قُتل أفلح قاطع الطَّريق، قال ابنُه،

الذي أشار إلى أن والده كان سكراناً فتمكن مِنه ابن الرَّيب، أو كان يدعي ذلك(361):

أَمالكُ لولا السُّكرُ أَيقنتُ أَنَّه

أَخُو الوّردِ يُربى على الأسَدِ الوَردِ

أبو الهيثم الطَّرار: حسب رواية عبد الله بن أحمد بن حنبل(ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م)، أن أبا الهثيم كان سجيناً مع والده، وأنه شجعه على تحمل الجلد. قال: «كنتُ أسمع والدي يقول: رحم اللّٰه أبا الهيثم، غفر اللّٰه لأبي الهيثم، عفا اللّٰه عن أبي الهيثم»(362). فسأل عبد اللّٰه والده عن أبي الهيثم هذا، فأجابه: «لما خرجت ليّ السّياط، ومددتُ يداي للعقابين، إذا بشاب يجذب ثوبي مِن ورائي، ويقول: أتعرفني؟ قلتُ: لا. قال: أنا أبا الهيثم العيَّار اللِّص الطَّرار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين...»(363).

ابن مردان: أحد رؤساء الأكراد، كان قرصاناً، «ينهب السُّفن رغم أنها كانت تُسير قوافل، تُسمَّى الواحد منها بالكار»(364).قرن الخوارزمي نفسه بابن مردان، وعبر عنه بـ «غارة الكُردي»، جاء ذلك في اعترافه بغاراته على «رسائل الصَّاحب بن عباد». قال: «وأنا في سلامة الحَر الذي يُذيب دماغ الضَّب، ويشبه قلب الصَّب، وهذا ما سرقته مِن رسائل الوزير الجليل ابن عَباد، وليس بأول غارة الكردي على الحاجي، ولا بأول أخذ الطَّرار مال التُّجار»(365).

أبو باز العُقاب: كان شيخاً طراراً محتالاً كثير الحِيلة، سَرق صبي مات غريقاً، عليه ثياب محلاة بالذَّهب والجَوهر، حدث هذا في السَّنة (٢٨٣هـ/ ٨٩٦م)، ببغداد، عندما سقط الجسر بالمحتفلين بعودة الخليفة المعتضد بالله العباسي وجيشه (ت٢٨٩هـ/ ٩٠١م)، بعد الانتصار بتكريت على أحد المتمردين، سقط الجسر على زورق مزدحم بالنَّاس، وغرق حينها نحو ألف نفس، وأخذ الغواصون يخرجون الغرقى، ومَن أُخرج بالكلاليب مِن الماء.

كان بينهم صبياً لأحد التُّجار الميسورين، عليه ثياب ثمينة، فادعى العُقاب أنه ولده وأخذ يبكي، وأتى بحمار وحمله عليه وذهب به، طمعاً بثيابه، وقد جاء الرَّجل الميسور والد الصَّبي ومعه أصحابه التُّجار، يريد تكفين ابنه ودفنه، ولا يهمه أمر الثّياب، فلم يجده، فأخبره النَّاس خبر العُقاب أبي الباز، وأخذوا يبحثون عنه ولكن لا عين ولا أثر، وقد عرف التوابون، هذا الطَّرار، وحكوا عن حيله العجيبة، «فأيسوا أبا الغريق منه»(366).

ابن حَمدي: يبرز اللّص ابن حمدي في العديد مِن روايات وأخبار اللّصوصية، وهو مِن لُصوص (القرن الرَّابع الهجري/العاشر الميلادي) المشهورين، وما له مِن ترتيب مع سلطة زمانه. نُلاحظ أن مِن أهم أخبار اللُّصُوص تأتي على لسان التُّجار؛ لأنهم المعنيون بالسّرقة وقطع الطَّريق قبل غيرهم، يقول تاجر بغدادي: «خرجتُ بسلع، ومتاع مِن بغداد أريد واسطاً، وكان البريدي(367) بها، والدُّنيا مفتتنة جداً. فقُطع عليَّ، وعلى الكار(العمل أو الشّأن) الذي كُنتُ فيه، لِصٌّ كان في الطَّريق يُقال له ابن حمدي، يقطع قريباً مِن بغداد، فأفقرني، وكان معظم ما أملكه معي، فسهلَ عليَّ الموت، وطرحتُ نفسي له»(368).

يُذكر في صفات ابن حمدي، أنه كان لا يتعرض للتجار الصّغار، أو أهل البضائع التي دون الألف درهم، وإذا أراد الأخذ مِنهم فيقاسمهم، كذلك أنه لا يتعرض لامرأة، قرنَ نفسه بمسؤولين في الدَّولة في ما يأخذونه مِن النَّاس، ويستولون عليه مِن ضياع وعقارات، مثل ابن شيرزاد(369) ببغداد والبريدي بالبصرة وواسط(370).

يقول مسكويه عن اللِّصّ ابن حمدي وظهوره في سَّنة (٣٣٢هـ/٩٤٣م)، وعلاقته بالسلطة: «ظهر لِصٌ يُقال له ابن حمدي، وكان أعيى السُّلطانِ، فخلع عليه ابن شيرزاد، وأثبته برسم الجُند، ووافقه على أنْ يُصّحح في كلِّ شهر خمسة عشر ألف دينار، مما يسرقه وأصحابه، وأخذ خطه بها، فكان يستوفيها منه، ويأخذ البراءات، وروزات الجهبذ بما يؤديه أولاً أولاً»(371). في السَّنة المذكورة نفسها قُبض على ابن حمدي وقُتل(372).

جاء في خبر نهايته: كانِ صاحب شرطة بغداد أبو العباس أسكورج(373) «قد اصطنع ابن حمدي، وأَملَ أنْ يرتدع ويقصر ويعرف به جميع المتلصصة، فكان يرسل أصحابه على النَّاس، فلهم في كلِّ يوم حادثةٌ عظيمة، وكبس وإغارة على الأموال، ووقف أسكورج على أنه أصل ذلك كلُّه، وقيل للأمير توزون(374) فيه غير مرة، وعَرف أبو جعفر الأمير حقيقة خبره، فأمر به فضُرب وسطه في دار الأمير توزون، وحُمل إلى الجسر على جمل، ونودي عليه: هذا ابن حمدي اللِّص فاعرفوه»(375). بعد قتل ابن حمدي اللِّص، بقطعه مِن الوسط، أخذت سلطة بغداد تتبع أصحابه فرداً فرداً، فقتلوا وصلبوا «فسر النَّاس بذلك، وقالوا ما أمنا على أنفسنا وأموالنا إلا الآن، بقتل ابن حمدي وأصحابه، وكثر الدُّعاء للأمير توزون، وكان قتله برأي أبي جعفر بن يحيى بن شيرازد الكاتب»(376). حصل ذلك ببغداد، العام (٣٣٢هـ/ ٩٤٣م).

لابن شيرازد هذا قصة أخرى مع المتلاعبين بقوت النَّاس، ويعرفان بـ»هاروت وماروت»، وقد لحق النَّاس بسببهما زيادة في الضَّرائب، وغلاء في الأسعار،

مما سبب بهروب التَّجار مِن بغداد، فهما كانا صنيعة الوزير وأمير الأمراء ابن شيرزاد(377)، ومعلوم أنَّ هروبَ التُّجار يعني تعطيل الاقتصاد وغلق السُّوق.

أبو بكر النَّقَّاش: ورد في القصة التي يرويها القاضي المُحَسِّن التَّنوخي(٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، عن ابن الدَّنانيري التَّمار الواسطي، أنَّ ابن النَّقاش كان رئيسَ اللُّصُوصُ بالبصرة، يُدير عصابته مِن داخل السّجن الواقع بحيِّ بني نمير بالبصرة، حيث مكان إدارة الشُّرطة أيضاً. جاء في القصة أن أحد الجباة، بعد إنجاز جبايته أراد العودة إلى الأبُلة، وقد وضع المال وقدره خمسمائة دينار في فوطةٍ يحملها معه، وأتى ليأخذ ملاحاً يوصله، فوجد أحدهم سهل عليه العودة، وبعد مشوار داخل النَّهر كان على الشَّاطئ ضرير يُغني بصوت ساحر، ويطلب حمله، والملاح يرفض. تدخل الجابي فحمله صاحب القارب، واستمر يغني، حتَّى وصلوا إلى الأبُلة، فلم يجد الرَّجل الفوطة، وكان قد وضعها أمامه، وفتش القارب ولم يجد فيه شيئاً، كذلك الملاح والضَّرير كشفا له ما عندهما، ولا وجود للفوطة، فنزل مهموماً، لا يستطيع العودة إلى داره وقرر الهرب مِن وجه التَّاجر الذي كان يجبي له، حتى نصحه رجلٌ، أن يذهب إلى سجن بني نمير، ويسأل عن أبي بكر النَّقَّاش، فهو الذي يُعيد له المال، وعليه أن يأخذ معه طعاماً له، ويحكي له قصته، فسيجد الحل عنده.

حمل الجابي طعاماً متنوعاً، ودخل إلى السِّجن، فقابل أبا بكر النَّقَّاش، ولم يكلمه حتى انتهى هو وأصحابه مِن الأكل. سأله: مَن أنت وما حاجتك؟! فحدثه بما جرى عليه. فقال له اذهب إلى المكان الفلاني، وستجد عريشة عليها مآزر، فاخلع مئزرك واتركه، وادخل وقل للموجودين: يسلم عليكم خالي أبو بكر النَّقاش، واعلمهم بحاجتك وقضيتك! وصل الرَّجل ووجد جماعة، لا يعرف بينهم أحد، وأكرموه بعد أن عرفوا رئيسهم النَّقَّاش خاله، ومثلما أوصاه أن يشرب النَّبيذ معهم، ويقول «هذا سار لخالي أبي بكر النَّقاش»، والساري هنا شبيه بعبارة «صحتك أو نخبك(حسب المحقق)، ويُقال هذا للمجاملة والتعبير عن الارتياح، عندما تُرفع أنخاب النَّبيذ.

كان اللُّصوص مجتمعين لتقاسم الخمسمائة دينار، وما سرقوا غيرها، لكنهم بدل ذلك ردوا الفوطة للجابي، فأصر عليهم أن يخبروه كيف وصلتهم الفوطة؟! كان بين الجالسين الملاح، والضَّرير، وهو ليس ضريراً، وتبين أن الضَّرير وهو ينشد بصوته الشَّجي، خطف الفوطة سريعاً وسلمها لرجل كان يسبح قرب القارب، بعد الوصول إلى شاطئ الأبُلة(378). إذا كانت واقعة ونظن أنها واقعة، لكن ربَّما أضيف لها- الحيلة، مثل تصنع العمى، ولا بد أن يكون هناك مخبر راقب الجابي حيث ينتظره الملاح، ووضع خطةً محكمة

للسرقة، ورئيس للصُوص يأمر وينهي، وهو مقيد بالحديد في السِّجن، ويدعونه بـ«أستاذنا»(379).

أبو النَّدى: زار رجلٌ صاحب ديوان الخراج بمصر خَصيب بن عبد الحميد، طالباً منه فلم يعطه شيئاً فانصرف الرَّجل، فاعترضه اللِّص وقاطع الطَّريق المعروف بأبي النَّدى، لينهب منه ما أعطاه خصيب، ولم يقتنع اللِّص بعذره «فضربه مائتي مقرعة. عاد الرَّجل لزيارة خصيب، فلم يعطه شيئاً أيضاً، فقال له: جُعلتُ فداك، تكتب إلى أبي النَّدى أنك لم تعطني شيئاً، لئلا يضربني»(380).

تقول الرِّواية أن أبا نصر خصيب بن عبد الحميد قد «ضحك ووصله»! فهل كان خصيب يعرف بوجود اللِّص قاطع الطَّريق، كي يستقبل قلق الرَّجل بضحكة، وماذا عن حفظ الأموال التي يجبيها عماله، واللِّص يتربص بضيوفه، وهو صاحب ديوان الخراج؟! ومِن بين ضيوفه كان الشَّاعر أبا نواس، وكاتبه المؤرخ المعروف «جابر بن داود البلاذري (381) «مؤلف كتاب البلدان وغيره مِن الكتب»(382). ورد خطأ هنا، فالبلاذري هذا جد المؤرخ صاحب المؤلفات المعروفة.

إن أعظم تهمة توجه لمسؤول في السُّلطة هي التَّغاضي عن اللُّصُوص والاتفاق معهم؛ فمما يُذكر أنه في سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م) لدى المَلك أبي سعيد أبق بن محمد مجير الدِّين صاحب دمشق(ت ٥٦٤هـ/١١٦٨م) وزير اسمه حيدرة، ويُعرف بابن الصُّوفي، كان معروفاً بالفساد، فاستدعاه الملك إلى القلعة «على حين غَفلة عن القضاء النَّازل به، لسوء أفعالهِ، قُبح ظلمه وخُبثه، ثم عَدل به الجاندارية(الحرس أو الجنود) إلى الحمَّام بالقلعة، مستهل ذي القعدة، وضُربت عنقه صبراً، وأُخرج رأسه، ونُصب على حافة الخندق، ثم طيف به، والنَّاس يلعنونه، ويصفون أنواع ظلمه، وتمكنه مِن الفساد، ومقاسمة اللُّصُوص، وقُطَّاع الطَّريق على أموال النَّاس المستباحة، بتقديره وتدبيره وحمايته، وكثر السُّرور بمصرعه وأبتهج به، ثم زحفت العامة والغوغاء، ومَن كان مِن أعوانه على الفساد، مِن أهل العبث إلى منازله ومخازنه ومخازن غلاته وأثاثه وذخائره، فانتهبوا منها ما لا يُحصى»(383).

جاء القول، وأحسبها حِكمة مِن حكم الأولين: «إن مَن تولى القضاء ولم يفتقر فهو لِصٌ، ولأنه قد افتقرت اللُّصُوص لِما سرقت الأُمراء مِن الخواتم الفصوص، والسَّرق إذا سَرق مِن سارق فقد عامله برأسِ ماله»(384). ويقول القاضي تقي الدِّين الغزي الحنفي(ت ١٠١٠هـ/١٦٠١م)، صاحب «طبقات الحنفية»

في ذلك المعنى: «مَن تمنى القضاء فلا تعطينه، واجعل الموت سابقاً للقضاء، كان زاهداً فساقه القدر والقضاء فرضي بما قدره الله، أي صار قاضياً»(385).

ابن حراصة: إذا كان شيرزاد وزيراً ويحمي اللُصوص مقابل ما يدفعونه، فشخص آخر يُدعى ابن حراصة، ينزل بالرُّصافة شرقي بغداد، قرب الجسر، في الموضع المعروف بين القصرين على دجلة(386). كان نفاطاً نفاطاً ضمن فرقة النّفاطين(387)، يجمع بين الصِّلة بالسلطة، كونه يعمل مع قائد مِن قواد الدَّيلم واللُّصوصيَّة، ويمارس «القمار والعيارة والفجور وبيع الخمور، وتأوي إليه اللُّصوص، فلا ينكر عليه أحد، لأجل شيرمردي(388)، وضمانه ذلك منه بألفي درهم، في كلِّ شهر»(389). إذا عجز ابن حراصة النَّفاط عن تسديد الضَّمان لقاضي الدَّيلم «قبض على مَن يجتاز ببابه، ويدخلهم فيها، ويُقال لهم: إما وطئتم ما تريدون، ووزنتم كذا وكذا، أو لا، فزنوه وانصرفوا، ولا يخرجون إلا بذلك»(390). كانت نهايته أن كُبست داره بأمر مِن معز الدَّولة البويهي، «فهرب وتفرقت جموعه»(391).

شيبان بن شِهاب: كان اللِّص شيبان بن شِهاب صاحب حيلة في سرقة الإبل، قد لا تأتي على بال أحد، يقوم بجمع «القراد في دبةٍ، فيأتي بها عطن الإبل(مبرك الإبل)، إذا استقرت فيه فيفتحها ثم يرسلها، فتتبدد الإبل فيسرقها»(392). فقد ذُكر في نفور الإبل مِن القراد قول الشَّاعر(393):

وأوصى جحدرٌ قِدماً بنيه

بإرسال القراد على البعير

غير أنَّ الجاحظ(٢٥٥هـ/٨٦٨م) نسب هذه الحيلة لجحدر، الذي ورد في بيت الشِّعر أعلاه، وهو يتحدث عن «القراد»:»إذا نزلت رُفْقةٌ قريباً منه، أخذ شَنَّةً فجعل فيها قِردَاناً، ثم نثرها بقرب الإبل فإذا وجدَتِ الإبلُ مَسّها نهضتْ، وشدّ الشَّنَّةَ (آلة يُضخ ومنها الماء) في ذنب بعضِ الإبل، فإذا سمعتْ صوتَ الشَّنّة، وعمِلتْ فيها القردانُ نفرت، ثم كان يثبُ في ذِروة ما ندّ منها، ويقول: ارحم الغارَّة الضِّعاف يعني القِرْدان»(394).

الكرخي: كان يقطع الطَّريق النّهري بين بغداد وواسط، حيث انحدار دجلة إلى الجنوب، روى قصة الكرخي هذا القاضي عليّ بن مُحمد التَّنوخي(ت ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م) والد القاضي المُحسِّن التَّنوخي(٣٨٤هـ/٩٩٤م)، صاحب «نشوار المحاضرة» و «الفرج بعد الشِّدة» و «المُستجاد مِن فعلات الأجواد». إنَّه ركب السَّفينة مِن بغداد إلى واسط، حاملاً رسالة مِن الوزير أبي عبد الله البريدي إلى الأمير أبي بكر بن رائق، وقبل الصُّعود إلى السَّفينة أُخبر بوجود لِصٍّ

يُدعى «الكَرخي»، كان أمره مستفحلاً في اللّصوصية، لكنه لم يزْ ذلك. وخلال الطَّريق خرج عليهم مجموعة مِن اللُّصُوص في عدة سُفن، مع أسلحتهم، وقد منع القاضي التَّنوخي غلمانه مِن الرّمي بالنُّشاب عليهم، خشية مِن العقبة، في ما تمكن اللُّصُوص منهم، فلا يكتفون إلا بقتل القاضي. فجمع أسلحة غلمانه ورماها في الماء.

جاء الكرخي، وهو رئيس اللُّصُوص، ومنع أصحابه من أخذ شيء مِن «زبزب» القاضي التَّنوخي، وهي نوع مِن السُّفن تُسمَّى بهذا الاسم، صعد الكرخي بمفرده، وكان قد لمح القاضي وعرفه حقَّ المعرفةِ، فالصُّدفة تُنجي القاضي مِن هذا الموقف الحرج، فاللِّص الكرخي كان قد تربى مع والده حاجب القاضي في داره، ويُدعى بالكرخي، فأمر أصحابه باطلاق السُّفن جميعاً، ورُد ما نُهب منها، وظل يحميهم حتَّى وصلوا إلى مأمن مِن خطر اللُّصُوص(395).

أخبر الكرخي القاضي عن الظَّرف الذي دفعه أن يكون لِصاً، وخلاصته أنه تدرب على السِّلاح، وذهب إلى بغداد باحثاً عن وظيفة في الدِّيوان، فرفض طلبه، وصادف وجود مَن هم على شاكلته، تجمعوا ليكون رئيسهم في اللُّصوصيَّة. قال: «ولو كان السُّلطان أنصفني، ونزلني بحيث استحق مِن الشَّجاعة، وانتفع بخدمتي، ما كنتُ أفعل هذا بنفسي»(396). يكفي البيت التَّالي شرحاً لتأثير الفقر والعوز على أن يكون الإنسان لِصاً، قاله عمار ذو كبار لأمير العِراق خالد بن عبد الله القسري، وهو يرفض مده بالمعونة التي طلبها(397):

وخلا منزلي فلا شيء فيه

لستُ مِمَّن يخشى عليه اللُّصُوصَ

ابن سباب الكُردي: لِّصٌ كان يتلصص ويقطع الطَّريق بين الجبال، يرتدي زي الأمراء لا زي قاطعي الطُّرق، فخرج يوماً على عبد الله بن عمر بن الحارث الواسطي السَّراج، والمعروف بأبي أحد الحارثي، ولما جرى النقاش بينهما، وجد الحارثي ابن سباب الكردي «يدل على فِهم وأدبٍ»، ويروي الشِّعر، ويفهم بالنّحو، فعمل أبياتاً في مدحه لعله يتخلص مِما هو فيه مِن محنة، وأخذ يمتحنه ليتأكد أن الشِّعر شعره، فأعطاه قافية وعمل له، ولما أقتنع به، سأله: ما أُخذ منه كي يرده له، فأرجع إليه كلّ شيء، وأخذ مِن أكياس التّجار الذين معه كيساً فيه ألف درهم، فوهبه للحارثي، ولما رفض أخذه لأنه مالٌ منهوبٌ، ولم يصارحه بذلك إلا بعد أن أخذ الأمان منه. إلا أن ابن سباب الكردي احتج عليه بما ورد في كتاب «اللُّصُوص» للجاحظ، وقال ما جاء فيه: «إن هؤلاء

التَّجار خانوا أمانتهم، ومنعوا زكاة أموالهم- وإن كرهوا أخذها- كان ذلك مباحاً لهم، لأن عين المال مستهلكة بالزَّكاة، وهؤلاء يستحقون أخذ الزَّكاة، بالفقر، شاء أرباب الأموال أم كرهوا»(398).

أخيراً أقنع اللِّصُ الحارثيَ بأخذ الكيس وبـ»صدق حكاية أبي عثمان الجاحظ». فساق القافلة، لكنَّ الحارثي طلب منه أن يكونوا بحمايته حتى يصلوا إلى مأمن مِن اللّصُوص، «ففعل ذلك»(399). لا ندري هل معنى هذا أن كتاب الجاحظ شاع بين اللُّصُوص، واستفادوا منه في حيلهم، فما حصل شبيه بالحيلة والذَّريعة للسرقة! وهنا إلى أي حدّ يكون كلام صاحب «الفرق بين الفرق» صحيحاً، مثلما مرَّ بنا في فصل سابق؟! عندما قال عن الجاحظ وكتابه «اللُّصُوص»: «وقد عَلم بها الفسقة وجوه السَّرقة»(400)!

عباس بن الخياطة: كان عباس بن الخياطة، -وتأتي أخباره بابن الخياطة-، لصّاً خطيراً، مِن لُصوص اللَّيل بالبصرة، طلبه الأمراء فلم يقدروا عليه، مِن لُصُوص اللَّيل، ولما أُلقي القبض عليه قُيد بمائة رطل مِن الحديد، ورمي في السّجن، لكنه كان يُدير عصابة مِن داخل سجنه، فمما يُذكر أنه بعد مرور عام على سجنه، سُرق تاجر مجوهرات بالأبُلة، فجاء إلى البصرة باحثاً عن ماله المسروق، فسعى أحد البوابين إلى ابن الخياطة، وهو في سجنه، يطلب منه المساعدة، فأمير البصرة قد هددهم بالقتل. استجاب ابن الخياطة واعترف بوجد سفط المجوهرات عنده، فسلمه إلى البواب وهو بدوره أوصله إلى الأمير، ولما سأل الأخير عن القصة أخبره بها، فطلب إحضار ابن الخياطة، وأمر بالإفراج عنه وإدخاله الحمَّام ليغتسل، وأجلسه مكرماً عنده(401).

أدلى ابن الخياطة للأمير بقصة السَّرقة، بأن جماعة مِن اللُّصوص قابلوه في الحبس، وذكروا له وجود المجوهرات، وأن دار التَّاجر حصينةٌ لا تُنقب، ولا تسلّق جدرانها، وصاحبها متيقظ، فصعب ذلك على اللُّصُوصِّ، فلجؤوا إلى ابن الخياطة، فقدم رشوة إلى السَّجان، أن يطلقه وسيعود، وإذا لم يوافق سيدبر قتله، قَبل السَّجان العرض، ونزع القيود مِن ابن الخياطة، وخرج مع اللُّصُوصِّ إلى دار التَّاجر، واستطاع سرقة المجوهرات، وعاد إلى السِّجن وهي معه(402).

يُذكر أيضاً عن ابن الخياطة، أنه تسلل إلى بيت صيرفي بالبصرة، يُدعى طالوت بن عباد، وكانت الحراسة شديدة عليه، ومع ذلك وصل إلى فِراشه، طالباً منه خمسمائة دينار، كدَين يرده له، فأعطاه، ولم يخبر حراسه، إنما زاد في عددهم، ومع ذلك دخل عليه، ليرد له الدّين، فتنازل عنها الصَّيرفي، ولم يقبل ابن الخياطة العرض، فحسب قوله: «ذلك يخرج عن الفتوة»(403). طلب

الصّيرفي منه ألاّ يفزعه ليلاً، إنما إذا أراد مالاً يطلبه منه نهاراً. قال: «فأخذت الدَّنانير منه، وانصرفت، وكان رسوله يجيئني بعلامة، بعد ذلك، فيأخذ ما يُريد. فما انكسر لي عنده شيء(404)، إلى أن قُبض عليه»(405).

أَسود الزُّبد: أتى أبو حيان التَّوحيدي(ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م) على أسماء لُصوص، أو مِن العيارين، وقد حولتهم الفتنة إلى قادة ووجهاء، منهم: ابن كبرويه، وأبو الدَّود، وأبو الذِّباب، وأبو الأرضة، وأبو النَّوابح، وخص أَسْوَد الزُّبْد بسيرةٍ مِن دونهم(406). كان عبداً يأوي إلى قنطرة الزُّبد، فعُرف بها، يطلب إتاوةً ممن يمرّ عليها، ويلهو ويلعب عرياناً، ولما وقعت فتنة، فرأى الزُّبد أن مَن هو أضعف منه قد امتشق سيفاً فيها، فتسلح بسيفٍ وأخذ بالسَّلبِ والنَّهبِ والغارةِ، فتحسنت أحواله «وصُبح وجهه وعذُب لفظه وحَسُن جسمه، وعُشقَ وعَشق، والأيام تأتي بالغرَّائب والعَجائب»(407). صار الزُّبد قائداً مطاعاً، وطلب الرياسة، لما ظهر مِن حُسن خُلقه مع ما فيه مِن شرٍّ وسفك دماء، وركوب فاحشة، فحصل أن اشترى جارية ولم تطق العيش معه، فصارحته أنها تكرهه، فاعتقها وأعطاها ألف دينار، وكان اشتراها بمثل هذا المبلغ، وصار إلى جانب أحد المتنفذين يُدعى أبا أحمد الموسوس، وبعدها سار إلى الشَّام، فمات هناك(408).

البُرجُميُّ العيار: كان عياراً ولِصّاً متنفذاً، على ما يبدو، حتى أُلقي القبض عليه السنة (٤٢٥هـ/١٠٣٣-١٠٣٤م)، عندما توسط لاطلاع سراح ابن القلعي عامل منطقة عُكبرا القريبة مِن بغداد، وقد بذل مالاً ولم يُطلق سراحه، بل كان مصيره الغرق. لقد عَظم شأن البُرجُميُّ وزاد شره، وكبس عدة مخازن بالجانب الشَّرقي، ودور وجهاء معروفين ببغداد، وأهلك النَّاس ببغداد، ومع ذلك كانت فيه مروءة وفتوة: لم يتعرض إلى امرأة، ولا إلى من يستسلم إليه. لكنّ أطرف ما يرد في خبره، ومما يدل على هيمنته، أنَّ العامة ثاروا على خطيب الجمعة ببغداد، وقالوا له: «إما أن تخطب للبُرجُميُّ، وإلا فلا تخطب لسلطان ولا غيره»(409).

ابن بكران وابن البزاز: تفاقم أمر اللُّصّ ابن بكران بالعِراق، وكان يُلقب بالعيَّار، السَّنة (٥٣٢هـ/١١٣٦م)، وقد كثر أتباعه، ويظهر بلا خوف مِن سُلطة يتقدم الحراميَّة، حتَّى خاف منه والي بغداد ويُدعى أبا الكرم، وله رفيق يُدعى ابن البزَّاز، وكانا يكثران المقام بالسَّواد، أي بالقرى والأرياف، فتعاظم أمرهما حتى أقدما على ضرب نقوداً باسمهما بالأنبار، فخيرا الوزير ومدير الشُّرطة الوالي إمّا أن يقتل ابن بكران أو يُقتل هو! فطلب الوالي مِن أبي القاسم ابن أخيه أن يتقدم لقتله، وكان ينزل عنده في بعض الليالي ويشرب عنده، فلما جاء عنده وشرب وثبت عليه وقتله، وبعدة قتل رفيقه ابن البزَّاز، وصُلب كي يراهما

النَّاس ويأمنوا مِن شرهما، ثم تتبعوا جماعته مِن «الحراميَّة» وقتلوا، فهدأ النَّاس(410).

بركات الفوعي: نقرأ عند ابن العديم الحلبي(ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م) قصة لِصٍّ، لفتوته وشهامته أصبح رئيساً لمدينة حَلَب الشَّامية، اسمه بركات فارس الفوعي، مِن منطقة الفُوعة بالشَّام، والمعروف بالمِجَنِّ(411)، وكان مِن جملة اللُّصُوص الشُّطار، وقطاعي الطُّرق، فاستتابه الملك آق سنقر(412)، وذلك لمعرفته بالمفسدين مِن الدُّعار واللُّصُوص. كانت حيلة الفوعي في اللُّصوصية، لتغطية سرقاته، أنه «يُصلي العشاء الآخرة بالفُوعة، ويسري إلى حلب ويسرق منها شيئاً ويخرج، ويُصلي الفجر بالفُوعة، فإذا أُتهم بالسَّرقة أحضر مَن يشهد له أنه صلى العشاء بالفُوعة والصُّبح، فيبرئونه»(413). قتل الملك رضوان بن ننش(ت١١١٣/٥٠٧م) الفوعي سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧)(414).

ما تقدم كانت رواية لابن العديم، ويُعد مِن المؤرخين المرموقين، لكنَّ بعض المعاصرين، مثل سُهيل زكار، اعتبروا بركات الفوعي ثائراً، وكان بالأصل فلاحاً مِن قرية الفُوعة الغربية مِن حلب، وأن قتله كان انتكاسة لحلب، قُتل؛ لأنه ثار على حاكم حلب الملك التركماني رضوان بن ننش(415). غير أن سُهيل زكار لم يوثق ما ذهب إليه بمصدر، فهو نفسه قد ألف «الموسوعة الشَّاملة في تاريخ الحروب الصّليبية» على ضخامتها ولكن بلا مصادر؛ لذا لا اعتبار بما قاله بخصوص الفوعي.

الزَّمَرْكل: يظهر اسم اللِصِّ الزَّمَرْكل، ضمن قصص وحوادث الحروب الصّليبية، يقول أسامة بن منقذ(ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م)، مؤرخ الحروب الصّليبية والمشارك فيها، عن أحد المقاتلين يدعى الجندار سامان أنه قال عن الزَّمَرْكل: «لو كنتُ لحقته شربتُ دَمه»(416). سمّى ابن مُنقذ اللِّص الزَّمركل أحد الشَّياطين(417). قال: «مِن شياطين اللُّصُوص، حدثني عنه معين الدِّين رحمه الله، قال: أغرتُ زمان مقامي بحمص على شيزر(418)، وعدتُ آخر النَّهار، نزلت على ضيعةٍ مِن بلد حماة، وأنا عدو لصاحب حماة. قال: فجاء في قومٍ معهم شيخ قد أنكروه، فقيضوه، وجاءوني به. فقلتُ: يا شيخ، أيش أنت؟ قال: يا مولاي أنا رجلٌ صعلوك، شيخ زَمِن(419)، وأخرج يده وهي زَمنة، قد أخذ لي العسكر عنزين جئتُ خلفهم، لعلَّ أن يتصدقوا عليَّ بهما، فقلتُ لقوم مِن الجندارية: احفظوه إلى غدٍ، فأجلسوه بينهم، وجلسوا على أكمام فروة عليه، فاستغفلهم في اللَّيل وخرج مِن الفروة، وتركها تحتهم وطار، وعدوا في أثره، سبقهم ومضى»(420). هذا هو الزَّمَركل أحد اللصوص المسلمين، والذي وجه لصُوصيَّته ضد الصليبيين.

ابن الدَّوديَّة: يأتي أسامة بن منقذ على ذكر لِصٍّ آخر، اشتهرت لصوصيته على الصليبيين أيضاً، يدعى «علي بن الدُّودويّة»، وكان يخدمه، ولما سيطر الفرنجة على كفر طاب، وكانت للأيوبيين «خرج هذا عليٌّ بن الدُّودويّة مِن دارٍ لهم، وأخذ حصاناً، ركبه وخرج به مِن المعسكر يركض، وهو يسمع الحسّ خلفه، حتى ركض قدر فرسخين(نحو عشرة كيلومتر)، والحسّ معه، فالتفت يُبصر ما خلفه في الظَّلام، وإذا بغلةٌ كانت تألف الحصان، قد قطعت مقودها وتبعته، فوقف حتى شدَّ فوطته في رأسها وأخذها، وأصبح عندي في حماة بالحصان والبغلة»(421).

الخناقون: ما يخص أخطر اللُصُوص، وما ارتبط بفرق دينية مغاليّة(422)، هم «الخناقون»، وهم جماعات منظمة، «لا يكونون في البلاد إلا معاً، ولا يُسافرون إلا معاً، فربَّما استولوا على دربٍ بأسره، أو على طريق بأسره، ولا ينزلون إلا في طريق نافذ، ويكون خلف دورهم، إمَّا صحاري وإمّا بساتين، وإمَّا مزابلُ وأشباه ذلك، وفي كلِّ دار كلابٌ مربوطة، ودُفوف وطُبول، ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلَّمَ كتاب منهم، فإذا خنق أهل دارٍ منهم إنساناً ضربَ النِّساء بالدُّفوف...» (423). قد يحدث هذا لسرقة ليست ذات ثمن، مثل سرقة «ثويب كان على حمَّال، وفيه دريهمات معه، فألقى الوَهق(424)، في عنقه فغشي عليه ولم يمت»(425).

يتم الخنق بعد تعيين صاحب المال أولاً، وإذا وجد الخناقون «تشاغلاً مِن القوم فألقى أحدهم الوتر في عنقه وغطاه بثوبه، وأذن في أذنه، فأخذ المخنوق يخور، فاجتمع القوم فقالوا: ما لكم والرَّجل خلوا عنه. فقالوا: سلو ربكم العافية وتباعدوا عنه، فإنه إذا أفاق ورآكم استحيا، فلما رأوه قد برد قالوا: دعوه قد نام وفي النُّوم راحته، ولما تفرق القوم أخذوا المال وتركوه. ومِن الخناقين مَن يحمل الرَّجل إلى داره بحيلته، فإذا ألقى الوتر في عنقه ضرب أصحابه الطُّبل والصّنج، وتصايحوا كما يفعل النِّساء في البيوت ليخفي صوته»(426). وهذا الصنف مِن اللُّصوصِّ أخطرهم، لأنه لا يُنجز سرقته إلا بالقتل خنقاً.

قيلت في «الخناقين» أشعار، منها قول حماد الرَّاوية (ت ١٥٥هـ/٧٧٢م) في خناقي الكوفة، ووردت عند ابن قُتيبة (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م) لأعشى هَمدان (قُتل ٨٣هـ/٧٠٢م)، فربَّما الرَّاوية كان قد أنشدها(427):

إذا سرتَ في عِجلٍ فسرْ في صحابةٍ

وكِندة فاحذرها حِذارك للخَسفِ

وفي شيعـةِ الأعمــى زياد وغِيلةَ

وقَشبٌ وإعــمالٌ لجنــدلة القَذفِ

وكلُّهــم شَرٌّ عــلى أن رأسهـم

حميــدةُ والميلاء حــاضنةِ الكسِف

إذا اعتزمــوا يوماً عــلى خنقِ زائرٍ

تداعــوا عَليْه بالنُّباح وبالعـزفِ

مِن أسماء الخناقين، الذين أشار إليهم الشَّاعر: أبو قصبة، وقيل أبو قطبة أو أبو قطبة، وهو مِن قبيلة كندة، وأخذ وقتل وصُلب، والأعمى هو المغيرة بن سعيد صاحب الفرقة المغيرية، وحميدة مِن أصحاب ليلى النَّاعطية مِن الغلاة، والميلاء حاضنة المغيرة، وهؤلاء كانوا في زمن ولاية خالد بن عبد اللّه القسري(قُتل ١٢٦هـ/٧٤٣م) على العِراق(428). على أن «المغيرة كان يُدين بخنق النَّاس وقَتلهم»(429). على ما يبدو، كان للّصُوصِّ الخناقون شبه تنظيم، يدل عليه انتشارهم في أكثر مِن مكان، مختلط مِن نساء ورجال، فتُذكر منهم اسم عَدِيّة المدنية بالمدينة(يثرب)، ورادوية أو وادوية بالبصرة، لكن الكثرة كانت بالكوفة(430).

نفهم مِن حديث الجاحظ عن أساتذه شيخ المعتزلة إبراهيم بن سيار النَّظام(ت نحو ٢٣١هـ/٨٤٥م) أن وجود الخناقين استمر بعد زمن الذين ذَكرنا، وهو أن النَّظام كان في خان بالأهواز، فقُرع عليه الباب، وكان متطيراً مما مرَّ به في سفره، «قلتُ: مَن هذا عافاك اللّه تعالى؟ قال: رجلٌ يريدك، قلت: مَن أنا؟ قال: أنت إبراهيم. فقلتُ: ومَن إبراهيم؟ قال: إبراهيم النَّظام. قلت: هذا خَنَّاق، أو عدوٌّ، أو رسولُ سُلطان...!» (431).

جماعة الماريخان: عصابة مِن اللُّصُوص، يقطعون الطَّريق بين خراسان والعِراق، كان بهزاد الكردي قائدهم، بشهادة ولده علي بن بهزاد، ورد اسمهم عند صاحب «الفرج بعد الشِّدة» بالماريخان، وجاء في الخبر أنهم اعترضوا قافلة كانت قادمة مِن خراسان إلى العراق، وفيها الشَّاعر أبو علي دعبل بن رزين الخزاعي(قُتل ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) ، وكان يتشيع للعلويين وكثير الهجاء. سلبه اللُّصُوص، وسمع أحدهم ينشد قصيدته الشَّهيرة «مدارس آيات»، دون أن يعرف أنه شاعرها، فقال دعبل: «عَجبتُ مِن لصٍّ كردي يتشيع»! وبعد أن عرفه رئيسهم رد اللُّصُوص ما نهبوه مِن القافلة، ومحقق «الفرج بعد الشدة»

اعتبرهم هم «المارانيَّة»، الذين جاء ذِكرهم عند صاحب «الكامل في التَّاريخ»(432).

ليس لدينا معطيات على أنَّ «الماريخان» هم أنفسهم «المارانيَّة»، الذين ذكرهم جاء خبرهم في الكامل، السنة (٣٠٩هـ/٩٢١م)، ربَّما ذهب المحقق عبود الشَّالجي(ت١٩٩٦) إلى ذلك على اعتبار كانوا أكراداً أيضاً، لكنَّ المارانيَّة كانوا بالموصل، بينما الطَّريق بين خراسان والعراق يمر، على الغالب، مِن الشَّرق وليس مِن الشَّمال. خالف «المارانية» المقتدر العباسي، فأرسل إليهم مَن يقضي عليهم ويأسر منهم أكثر مِن ثمانين، ويجلبهم إلى بغداد ليُشهر بهم(433).

بلا ريب، لم تكن الأسماء التي أوردناها، أو التي اخترناها، مِن شخصيات اللُّصُوص، شملت الجميع، فهذه طبقة أو فئة يصعب إحصاء شخصياتها، وهي موجودة في كلِّ زمان ومكان، طبقة أو فئة تُعد حِرفتها مِن أقدم الحِرف في التَّاريخ، إذا لم تكن هي الأقدم، ظهرت منذ بدأ النَّاس يميزون لهم أموالاً وممتلكاتٍ خاصة بهم، والطَّعام كان البداية، صار الجائع يقتحم تلك الحصون أو الأحراز، وعلى مرّ الزَّمان تطورت اللُّصُوصيّة بتطور أساليب الأحراز، مِن تسلق على الجدران، ومَن نَقبَ جداران القصوروالبيوت، والنَّبش في الأرض بحثاً عن الدَّفائن، فصار للحرفة شيوخ وحكماء، واختلفت تسميات اللُّصوص حسب اختلاف فئاتهم وعناوينهم، مثلما مرّ بنا.

لكنَّ ما لاحظناه أن اللُّصُوصيَّة، مِن خلال سير شخصياتها، الدَّافع كان فيها الحاجة؛ سواء كان لتلبية ضرورة كالطَّعام أو الدَّواء، أو مَن مارسها طلباً للغنى، وترف العيش، ومنهم مَن شعر بالغبن، وهو يرى أزلام السُّلطة تستحوذ على الأموال، وهو المحروم منها، ومنهم مَن اعتمد اللُّصوصية للوصول إلى السُّلطة، بعد أن حقق انتصارات، بتنظيمه لشبكة مِن المقاتلين الغالب منهم لُصوص، مثلما سيأتي الحديث عن عمران بن شاهين، وعبيد الله بن الحر، في هذا الفصل، لأن الغاية مختلفة، لكن سرعان ما تجد السُّلطات فائدة في التَّعاون مع اللِّصَ، وتتبنى لصوصيته مقابل دفع المال، أو دفع الأذى عنها.

التَّوابون: يُعَرف التَّوابون أنهم اللُّصُوصُ السَّابقون، ويعتبرون شيوخ فئات اللُّصُوص كافة، مِن الذين كبروا وتابوا، أو أعلنوا توبتهم لأمر ما. أخذت السُّلطات تستخدمهم في معرفة السَّرقات وطريقها، يعملون مع الشُّرطة كخبراء وأدلاء، وقد يتوقف مصير اللِّص على شهادتهم، ويبدو كان لهم ديوانٍ خاص، أو سجل، يعاملون كموظفين يستشارون في شأن اللُّصُوص، فمثلاً قال المعتضد بالله العباسي، وهو يُحقق مع لِص سرق رواتب الجُند،

وكان يُغريه أنْ يعترف: «ورسمتك في التَّوابين وأجريتُ لك في كلِّ شهر عشرة دنانير، تكفيك لأكلك وشرُبك وكسوتك وطيبك، وتكون عزيزاً وتنجو مِن القتل، وتتخلص مِن الإثم»(434).

هذا، وقد أتى ابنُ قُدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) على شخصيات مِن التَّوابين، مِن مجالات مختلفة، كان بدايتهم لصوصاً وقاطعي طريق، منهم شخصية شهيرة بزهدها، بعد التَّوبة، مثل الفضيل بن عياض(ت ١٨٧هـ/ ٨٠٣م) (435)، وعكبر الكُردي(436)، ولِص المقابر(437)، ونباش القبور مِن سارق الأكفان(438).

قد يعلن اللَّص توبته لموقف شديد عليه، مثل ما جاء في قصة أبي علي الكردي، وكان ضمن سبعين لِصّاً، فأسروا رجلاً وجاريته ونهبوا أمواله، إلا أنه تمكن منهم لسداد رميه بالنشاب، وقتل منهم عدداً كبيراً، فاضطروا إلى الهرب، واسترجع جاريته وماله(439).

تجنيد اللُّصوص

معلوم، أن تجنيد اللُّصوص وقطاعي الطُّرق تستخدمه جيوش كثيرة، في حروبها خارج أراضيها، وهو ما يُطلق عليهم اسم «مرتزقة»، وكذلك يجندون في شبكات الإرهاب، والانتماء إلى الميليشيات مقابل عطاءٍ معلومٍ، وبطبيعة الحال لا تُطاردهم الأجهزة الرَّسمية على سوابقهم، وليس أكثر ما يحصل اليوم مِن هذا النّوع مِن التجنيد. مثلما حصل خلال الحروب الصّليبية، فكان «أغلب التَّشكيلات العصابية مِن اللُّصوص والقراصنة، في عصر الحروب الصّليبية أشبه بالتنظيمات العسكرية الرَّسمية للدول، ففي كثير من الحالات كانوا يستخدمون العملاء والجواسيس لتنفيذ أعمالهم مِن السّطو والنَّهب»(440). هذا ما يُسمَّى في الجيوش والحروب الحديثة بالمرتزقة!

بعد هذا، نأتي على نموذجين، مِن التُّراث العربي الإسلامي، في تجنيد اللُّصُوص، والاعتماد عليهم، وخوض الحرب بهم.

- عبيد الله بن الحُر

عَد البعض عبيد الله بن الحُر الجعفي، مِن الذين ثاروا بالصَّعاليك واللُّصوص، وأنه كان ينوي قيام دولةٍ بهم(441). لكنّ ذلك رأي غير مبني على تحقيق، فهذا الفارس قد استعان باللُّصُوص والمشردين، في العهد الأموي، ليس لغرض الثَّورة، وبالتَّالي تأسيس دولته، إنما كان يبحث عن المجد، وهذا لا يحصل إلا لمَن لديه المال الوفير، وهدفه تلاقى مع هدف

قطاعي الطّرق واللّصوص، فهم ضالتهم المال أيضاً. نجده تواطأ مع أكثر مِن قائدٍ وحاكم، ويمكن أن يكون الوضوح، عمَّا ذهبنا إليه، في بيته الآتي(442):

ألم ترَ أنَّ الفقرَ يُزري بأهله

وأن الغنى فيه العُلى والتَّجملِ

كانت معاركه وغاراته على أهل النُّفوذ، مثل المختار بن عبيد الله الثَّقفي(قُتل ٦٧هـ/٦٨٦م)، وآل الزُّبَير عبد الله (قُتل ٧٣هـ/٦٩٢م) وأخيه مُصعب (قُتل ٧١هـ/٦٩٠م)، وحاول تجنب معركة الجمل بالبصرة (٣٦هـ/ ٦٥٦م)، ومعركة صفين (٣٧هـ/٦٥٧م)، وتجنب ما حصل مع الحُسين بن علي (٦١هـ/٦٨١م) بالعِراق، وتم له ذلك، فلم يُشارك أو يميل إلى طرف في واحدةٍ مِن الوقائع الخطيرة في تاريخ الإسلام، فعليها تشكلت مذاهب وفُرق إسلاميَّة. أمَّا عن إلتفاف الصّعاليك وقطاعي الطُّرق واللُّصُوص حوله فهو القائل(443):

أقولُ لفتياني الصَّعاليك اسرجوا

عناجيجَ(444) أذني سيرهنَّ وجيفُ

وقوله أيضاً(445):

نفيت لُصُوص الأرض ما بين عانةٍ

إلى جازرٍ حتى مدينة دسترا(446)

وينقل عنه القول: «لأكرمنَّ مَن جاءني مِن الفتيان والصَّعاليك بالأموال والخَيل والأثاث»(447). يتألف مقاتلوه، في قسمٍ منهم، مِن الصَّعاليك، حسب ما رواه ابن أعثم الكوفي (ت٣١٤هـ/٩٢٦م): «ثم أرسل عبيد الله بن الحُر إلى فتيانٍ صعاليك العَرب، فدعاهم وأخذ بيعتهم»(448). لا يتأخر الصّعاليك واللُّصُوص، نتيجة قسوة تشردهم ومطاردتهم مِن قِبل السُّلطة وأهل الثأرات، عن الاستجابة لمَن يدعوهم إلى نفسه، ليكونوا مقاتلين في عسكره، وبهذا يضمنون حياتهم وحمايتهم، فتشكيل عساكر منهم ليست بالمهمة الصَّعبة.

قيل فيه: «عبيد اللّه بن الحُر رَجلٌ صعلوك يأكل خبزه بسيفه»(449)، ومعلوم مَن يكون سيفه عدة رزقه، خارج الجيش، لابد أن يكون قاطع طريق، اعتاد النَّهب والسَّلب. فأكلُ الخبز عادة يكون بالعمل والحِرفة، والخبز هنا تعبير عن الطَّعام، وكلّ ما يحتاج إليه الإنسان في حياته.

جاء لقبه عند الجاحظ في «رسالة الحُجَّاب» بالفاتك(450)، وذَكر له قصيدة قالها لعبد اللّه بن الزُّبير شاكياً له أخاه مصعباً وحُجابه(451):

ابلـغ أمـير المؤمنين نصيحتــي

فلستُ عــلى رأيٍ قبيــحٍ أواربُه

أفي الحقِّ أنْ أجفي ويجعل مصعبُ

وزيــره قــد كنتُ فيه أُحــاربُه

ومــا لأمــرئ إلا الذي له سائقُ

إليه ومــا قد خَطَّ في الزُّبر كاتبه

إذا مـا أتبت الباب يُدخل مسلمٌ

ويمنعني أن أَدخلَ البابَ حاجبه

لقد رابني مِن مُصعبٍ أن مُصعباً

لدى كلِّ ذي غشٍ لنَّا هو صاحبه

لعلَّ صاحب «كتاب الفتوح» المؤرخ الأكثر تفصيلاً، مِن غيره، في سيرة ابن الحُر هذا. نفهم مما أرخه له أنه كان مغامراً شجاعاً، لا تستطيع أن تحزر له هدفاً، مِن سلوكه وقيادته للُصُوص، أكثر مِن الحصول على الجاه وإثبات الذَّات عن طريق المال الذي يجمعه بسيفه، ويوفر له الاستقلال في قيادة مَن حوله. يجمع المال ويصرفه في أصحابه، وبهذا صارت اللُّصُوصية والصَّعلكة حياته اليومية، فعندما سيطر على الأنبار، بعد قتله اللِّصّ الفاتك المعروف بالغُدَاف، مثلما مرَّ بنا، أخذ المال وخرج منها، وعندما غزا عين التَّمر(452)، وفتك بأميرها وأهلها وجمع المال منها وتركها، وكذلك فعل عند غزوته لمدينة هيت(453)، فتراه يُغير على السَّواد(العراق) «فيهزم الرِّجال ويحوى الأموال فيقسمها فى

أصحابه»(454). لأنه يعلم أن القائمين معه لا هدف ولا عقيدة لهم، غير المال، وسينفضون مِن حوله إذا تأخر عن إصابة المال.

نفهم مِن قصته أيضاً، أنه لايجد مَن هو أحقّ منه بالغنى والمجد الشّخصي والقبلي، ويُشعرك أنه لا يأبه لحكم قريشٍ حسب ما ورد في الحديث «الأئمة مِن قريش»(455)، فهو ليس قريشياً، كان مِن قبيلة مذحج اليمنية، وبهذا الرَّفض أراد إقناع قومه بالوقوف في خروجه على آل الزُّبير بالعِراق، وهو صاحب البيت المعروف(456)، الذي لا يستقر قائله بمكان، ولا تُناسبه سوى حياة التَّنقل:

فـلا كـوفة أمّي ولا بَصرة أَبي

ولا أنا يُثنيني عن الرِّحلة الكَسَلْ(457)

نفهم مِن بيته هذا أن مقامَه فوق سرج جوادهِ، ليس له مستقرٌ بمكان، وهذا سلوك الصَّعاليك والفُتاك، مع أن ابن الحُر كان مِن سادات الكوفة(458)، حيث ولد ونشأ، أما الأصل فمثلما مرَّ بنا، أنه مِن مذحج اليمنية. كان يعيش بالكوفة حتى خلافة عثمان بن عفان(قُتل ٣٥هـ/ ٦٥٥م)، وعندما بدأت الفتنة سارَ إلى معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠ هـ/ ٦٧٩م) بدمشق، ولم يحضر معركة الجمل بالبصرة، لا مع عليّ ولا مع معاوية، مثلما تقدم، ويغلب على الظَّن أن إتخاذ هذا الموقف له علاقة بعدم ميله إلى الإمامة في قريش، والاثنان كانا قريشيين، وهذا كان موقف «الخوارج» فلو بحثت عن منتمٍ لمختلف فرقهم مِن قريش ما وجدت أحداً فهم مِن: حنيفة وأزد وتميم وتغلب، وقبائل أخر.

اعترضه أثناء خروجه مِن الشَّام جماعة مِن أتباع معاوية، وحاولوا ردّه، فكانت معركته الأولى، طلب معاوية من ابن الحُر الانضمام له، وكان عنده بدمشق، لكنه رفض بعذر أنه سيكون محرجاً مِن قومه بالكوفة، وأنه كان لا يعتقد بأن علي بن أبي طالب (اغتيل ٤٠هـ/ ٦٦٠م) قد قتل عثمان بن عفان، وأن الحقّ كان مع عليٍّ، قال ذلك في مجلس معاوية، فوثب أحدهم وردَ عليه بالقول: إن أهل الشَّام يقاتلون عليّاً عن «ديانة»! غير أن معاوية كان حريصاً على انضمام ابنِ الحُر لمعسكره، ولم يكن له ذلك في معركة «صفين»، قائلاً له: سأكون معك بعد عليٍّ، بعدها خرج مِن دمشق هو وأصحابه في جوف اللَّيل. أما الطَّبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) فيرى أنه أحب عثمان، وقاتل مع معاوية في صفين، وبعد قتل علي بن

أبي طالب قال لقومه «ما أرى قريشاً تَنصِف، أين أبناء الحرائرُ! فأتاه خَليع كلِّ قبيلة، فكان معه سبعمائة فارس»(459).

قيل بايع ابن الحُر المختار بن عبيد الله الثَّقفي، لكنَّ سرعانَ ما انشق عنه، وترك الكوفة متوجهاً إلى تكريت، فطلبه المختار وحدثت معارك بينهما، فاجتمع المبغضون للمختار عنده، فغزا هيت وقتل عامل المختار عليها، ثم توجه إلى الأنبار، ومثلما تقدم استجاروا به مِن قاطع طريق فاتك، وهو اللِّص الزِّنجي الغُدَاف. حينها قرر المختار الثَّقفي هدم داره بالكوفة وحبس زوجته «أمّ توبة»، فغار هو وأصحابه ليلاً على الكوفة، وكسر الحبس وأطلق سِراح زوجته، وهو القائل في هذه الحادثة(460):

ألم تعلمـي يـا أُمَّ تـوبةَ أننـي

عـلى حـدثان الدَّهر غـير بليدِ

هم هدموا داري وساقوا حليلتي

إلى سجنهم والمسلمون شهودي

بعد انتهاء أمر المختار على يد الزُّبيريين، أخذ ابن الحُر يحارب آل الزُّبير، وبعد كرٍّ وفرٍّ، وغارات على المدن والقرى، كانت نهاية هذا المقاتل، قائد الصَّعاليك واللُصوص وقطاعي الطُّرق، غريقاً في ماء الفرات، بعد معركة غير متكافئة، حيث كان الآلاف يُطاردونه، فسقط مِن على ظهر جواده في الماء، والنّبال تُرمى نحوه بكثافة، ولصلده كان المقاتلون لا يجرؤون على الاقتراب منه، وإذ بصاحب زورق هناك، فطلب منه العبور معه إلى الشَّاطئ الآخر مِن الفرات، لكنَّ الأصواتَ أخذت تُلاحق صاحب الزَّورق، بأن الذي معه طريد أمير المؤمنين، والمقصود عبدالله بن الزُّبير. كان الملاح النَّبطي ضخم الجثة فأمسك بابن الحُر، وسقطا في الفرات معاً وغرقا. بعدها نودي على الغواصين، فأخرجوا جثته وصلبوها على الشَّاطئ، وحملوا رأسه إلى والي الكوفة وبعدها إلى البصرة، حيث يُقيم مُصعب بن الزُّبير، ومِن هناك بُعثت إلى مكة؛ ليكون بين يدي عبدالله بن الزُّبير، كان ذلك (السَّنة ٦٧-٦٨هـ)(461).

كان عبيدالله بن الحُر شاعراً فحلاً، ومَن يقول هذا البيت لابد أن يُصنف مِن الشُّعراء الكبار، لكنّ الشَّاعر أضاعته الحوادث الجسام والتَّشرد، قال(462):

فلم أرَ يوماً مثل يومٍ شهـدته

أَبت شَمسه مع غيمهِ أنْ تتغيبا

عُمران بن شاهين

لم يكن عُبيد بن الحُر، الوحيد في تاريخ الدَّولة الإسلاميَّة، الأبرز في ظاهرة استغلال اللُّصُوص وقاطعي الطُّرق، لبناء جيشٍ منهم يُحارب فيه الممالك، ويصمد به لعدة سنوات متواصلة، قضاها بين كرٍّ وفرٍّ، حتى عُد على طبقة اللُّصُوص والفُتاك في العهد الأموي (٤١هـ/٦٦١م-١٣٢هـ/٧٤٩م)، فبعد نحو مئتي سنةٍ ظهر مَن يُقرن بابن الحُر في العهد العباسي(١٣٢هـ/٧٤٩م- ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) وهو عُمران بن شاهين، الذي شَكَّل جيشاً مِن اللُّصوص وقطاعي الطُّرق النَّهرية والصَّيادين بمناطق البطائح، جنوب العِراق، وهي الأهوار اليوم. لذا سَمَّاه المستشرق الألماني آدم متز(ت ١٩١٧) بـ «أمير اللُّصُوصِ»(463). فابن شاهين مِن منطقة «الجامدة»، وهي قرية كبيرة تتبع لواسط، وهي محافظة اليوم بالاسم نفسه مركزها الكوت، مرَّ بها ياقوت الحَموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، أكثر مِن مرة، وقال عنها: «قرية كبيرة جامعة مِن أعمال واسط بينها وبين البصرة، رأيتها غير مرة»(464).

ظهر أمر عُمران بن شَاهين السَّنة (٣٣٨هـ/٩٤٦م) «كان هذا الرَّجل مِن أهل الجامدة، وجنى جناية، فهرب إلى البطيحة، مِن سُلطان النَّاحية (أمير الجامدة)، فأقام بين القصب والآجام، فاقتصر على ما يصيده مِن السَّمك قوتاً، ثم اضطرَ إلى معارضة مَن يسلك البطيحة متلصصاً، وعرف خبره جماعة مِن صيادي السَّمك، فاجتمع إليه جماعة مِن المتلصصة هناك، حتى حمى جانبه مِن السُّلطان»(465).

جاء في الرّواية عن ظهور ابن شاهين أيضاً: «في هذه السَّنة استفحل أمر عُمران بن شاهين، وقوي شأنه، وكان ابتداء حالة مِن أهل الجامدة، فجبى جبايات، فهرب إلى البطيحة خوفاً مِن السُّلطان، وأقام بين القصب والبردي، واقتصر على ما يصيده مِن السَّمك وطيور الماء قوتاً، ثم صار يقطع الطَّريق على مَن يسلك البطيحة(الأهوار)، فاجتمع إليه جماعة مِن الصَّيادين، وجماعة مِن اللُّصُوص، فقوي بهم، حمى جانبه مِن السُّلطان. فلما خاف أنْ يُقصد استأمن إلى أبي القاسم البريدي(466)، فقلده حماية الجامدة، وناحية البطائح، ومازال يجمع الرِّجال إلى أن أكثرَ أصحابَه، وقوي واستعد بالسِّلاح، واتخذ معاقل على التِّلول التي بالبطيحة، وغَلب على تلك النَّواحي»(467).

ظل الأمراء البويهيون ووزارؤهم في مواجهة لخطر عُمران بن شاهين المتافقم، وقد استمر يُقاتلهم أكثر مِن ثلاثين سنةً، حتى وفاته حتف أنفه (٣٦٩هـ/٩٧٩م)، واستمرت إمارته بعده، والسَّبب بصموده أنَّ ظروفاً والحوداث قد خدمته، فمَن يتحصن ببيئة مثل البطائح (الأهوار) لا يُهلك بحصار، فهو لا يجوع ولا يعطش، حيث وجود الماء والسَّمك والطُّيور بكثرة، إلى جانب ذلك أنها ممر مائي بين بغداد والبصرة، عبر مجربي دجلة والفرات وفروعهما هناك، فكان يشرف على الطَّريق، ويأخذ الأتوات مِن المارين؛ لهذا السبب كان ظاهرة مخيفة للسلطنة البويهية ببغداد ولطبقة التُّجار. أما مقاتلوه فيجدون أنفسهم في مأمن مِن السُّلطة التي تطاردهم، وأنَّ إخلاصهم له ليس له علاقة بعقيدة أو مذهب، بقدر ما هو ضمان لحياتهم، وماذا يُريد قاطعُ الطَّريق أو اللِّصُّ أكثر مِن هذه الحياة الآمنة.

أرسل معزُّ الدَّولة البويهي، وكان حاكم بغداد، الوزير أبو جعفر الصّيمري(468)، لقتال ابن شاهين، حال بداية أمره، وقد تمكن الوزير مِن محاصرته، فهرب واستتر(469)، وكاد يُقضى عليه، لكنَّ حدثاً حصل اضطر الوزير الصّيمري الانسحاب بعد استدعائه هو وجيشه، لمواجهة خطر آخر ببلاد فارس، فعاد ابنُ شاهين إلى وضعه الأول متمركزاً، وجمع ما تفرقَ مِن أصحابه.

بعدها استعد مُعزّ الدَّولة وبعث حملة أخرى ضده، وبنى ما يُعرف بآلات الماء، فالمعارك داخل الأهوار كانت تدور على الماء، مع ذلك فشلت الحملة الجديدة، وظل أمره يتفاقم، قاطعاً الطَّريق إلى البصرة عبر الأهوار(470)، وبعد عجز البويهيين مِن هزيمته اضطروا إلى التفاوض معه ومصالحته، فاشتد أمره أكثر؛ لأن هذا الصلح يُعد هزيمة للسلطنة ببغداد بل وللخلافة العباسية. تم الصلح العام (٣٤٠هـ/٩٥١م)، وقد قُلد رسمياً أميراً على البطائح (الأهوار) (471)، وبعد حين مُنح لَقب «معين الدَّولة»(472)، مِن قبل الخليفة الطَّائع لأمر الله(ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، ولم يتم هذا إلا بترتيب مع السّلطنة البويهيَّة.

بلغ ابن شاهين مِن القوة أن يرفض مالاً قدمه له مُعزّ الدَّولة البويهي، إلا بشرط حضوره شخصياً، والجلوس على بساطه(473)، أيّ أصبح يتعامل نداً لند مع سُلطان بغداد. غير أنَّ هذا الصّلح لم يستمر طويلاً، فقد توجه عزّ الدَّولة بختيار بن معزِّ الدَّولة، مصطحباً وزيره لمحاربته(474). اعترض على إعلان الحرب، حينها، ضد ابن شاهين فقهاء مِن أهل الكوفة، أثناء زيارة عزّ الدَّولة لها (٣٦٢هـ/٩٧٢م)، وحجتهم أنه صعب على السُّلطة بالعراق القضاء عليه، وإهمال أمور البلاد والعباد (475)، لذا طلب عزّ الدَّولة بختيار النِّجدة مِن عمِّه ركن الدَّولة(476)، ببلاد فارس.

بعد أن سمع عُمران بن شاهين بموت معزّ الدَّولة، وهو مازال حيّاً، وتعيين ولده أبي منصور بختيار أميراً للأمراء، قبض على أموال كانت محمولة لمعز الدَّولة، فأرسل إليه نقيب الطَّالبيين بردها. مما يفيد أنه كان قوياً، فلما فشل بختيار في حملته ضده، حاول استمالته، فأرسل إليه هدايا، بينها فرس مذهب، وإسقاط ما بقي عليه من مال الصّلح معه، وخطب إليه إحدى بناته. فكان جواب ابن شاهين ما يدل على قوته وضعف بختيار البويهي.كتب إليه: «أما الدَّين المتروك فالتَّحمد علينا، مع علمنا أنه ساقط باطل لا يُحسن، لكنا نقبل ذلك. وأما الواصلة فأنا رجلٌ لا أواصل إلا أن يكون الذَّكر من عندي والانثى من عنده... وهؤلاء أولاد أخي هم أكفاء لبناتي.. وأما الخلعة والفرس، فلستُ ممَن يلبس لباسكم، ولا أركب الخيل؛ لأنَّ دوابي هذه السّفن، لكنّ ابني محمد يقبل ذلك ولا يرده، وأما عسكري وإنفاذه، فليس تسكن رجالي إلى مخالطتكم لكثرة مَن قتلوا مِن رجالكم على مرّ السِّنين والوقائع»(477).

ظلت الحرب سجالاً بين السَّلطنة البويهية ببغداد وإمارة عُمران بن شاهين بالبطائح؛ فأُرسلت إليه حملة عسكرية، بقيادة قائد يُدعى روزبهان، لكنَّ الحملة فشلت أيضاً، بهزيمة نكراء، بعدها كُلف لحربه الوزير المهلبي(478)، فجعل ابن شاهين الكمائن في طريقه داخل البطيحة، وهي بيئة معقدة على الذي لا يعرفها ولم ينشأ فيها، فتشتت قوات الوزير المهلبي، ونجا هو بنفسه سابحاً في الماء(479). حصل أن مال ابن العريان عن أخيه ابن شاهين، وأمن نفسه عند البويهيين، فأكرموه(480)، لكن ذلك لم يفت في عضد أمير البطائح. كانت منطقة البطائح(الأهوار) حصينة، لا يستطع غير أهلها الصَّبر على قسوة بيئتها، ففي أهم حملة مِن الحملات التي وُجهت للقضاء عليه «ضجر النَّاس مِن المقام، وكرهوا تلك الأرض مِن الحرِّ والبَق والضَّفادع، وانقطاع المواد التي ألفوها»(481).

لم ينته عُمران بن شاهين بالحروب الكثيرة المتلاحقة، ولا بمحاولات غلق جداول الماء التي تُغذي البطائح(482)، إنما انتهى حتف أنفه على فراشه، بعد أربعين عاماً من الحروب الشَّرسة، قيل: «ركب للتنزه على عادة كانت له، فلما عاد إلى داره اشتكى ساعةً وفاضت نفسه، بعد أن نصبت له الأرصاد أربعين سنةً على حروبه الحرائب، وبعد أن أذل الجبابرة، وأرباب الدُّول وطواهم أولاً أولاً»(483).

حصل ذلك بعد أن تولى عضد الدَّولة(484) السلطنة البويهية ببغداد (٣٥١هـ/ ٩٦٢م). فارسل إليه ابن شاهين «يتلمس عهدا أو منشورا وعقداً وتقريراً، فأجيب إلى ذلك»(485). مع ذلك كان لابن شاهين محاولاته داخل بغداد، فلما انشق الوزير محمد بن بقية(486) عن عضد الدَّولة، وتحصن بواسط، تكاتب

مع ابن شاهين، وحذره منه، وقد أجابه إلى ذلك(487). حتَّى قيل إنَّ الوزير ابن بقية أمده بما يُعرف بـ»آلات الماء» للقتال(488).

قال الشَّاعر أبو عبد الله الحُسَين المشهور بابن الحجَّاج(ت٣٩١هـ/)١٠٠٠م) في عِمران بن شاهين عند حصاره(489):

إن عِمـران مذ نشأ النَّصرُ فينـا

قـد صفعنـا قفـاه حتى عَمِينا

وطَرحنـا في قلبـه الخوفَ حتَّى

صـار إنْ حركَ الهـراوى حزينا

هكـذا يَحسنُ الفتوحُ وهـذا

أبـداً فِعلنـا لمَـن يعصينـا

قـال قومٌ في استِ مَن صفعوهم

قلتُ لا، بل في استِ أمِّ مَن يعنينا

أتينا بهجاء ابن الحَجَّاج، والفخر بحصاره، بالذات؛ لأنَّ عِمران بن شاهين يُعد على المذهب الإمامي الشّيعي، وكذلك ابن الحجَّاج يُعد على المذهب نفسه، ومع أن المؤرخين القدماء لم يذكروا شيئاً عن مذهب ابن شاهين، بقدر ما ذكروا عن جنايته التي أدت به إلى الحبس، ثم التفاف اللُّصُوص حوله، فكوَّن

جيشه منهم، مثلما مرَّ بنا، غير أنَّ المَصادر المتأخرة أكدت شيعيته، وأنّه بعد وفاته نُقل جثمانه ودفن عند مرقد عليّ بن أبي طالب بالنَّجف، وهذا لا يتحقق إلا لشيعي. كتب صاحب «مراقد المعارف»: «عمران بنُ شاهين الخفاجي أمير البطيحة، وتوفى في المحرم سنة ٣٩١هـ بالبطيحة، ونُقل جثمانه إلى النَّجف الأشرف مشهد عليّ أمير المؤمنين عليه السَّلام. مرقده في النَّجف الأشرف شمال الصَّحن الغروي الأقدس قرب باب الطُّوسي»(490). وأضاف صاحب «مراقد المعارف»، بما يقطع بإماميته قائلاً: «وكان مِن أمراء الشِّيعة الإماميَّة»(491).

أما عن شيعية وإمامية ابنِ الحجَّاج فهي مشهورة، ونذكر ما جاء في شعره، ويعلن انتماءه المذهبي فيه، قال قاصداً أصحاب الكساء الخمسة: النَّبي وفاطمة وعليّ والحَسن والحُسين(492):

خمسةٌ حُبي إذا اشتَدَّ خَوْفِي

ثقتــي عند خالقي وأماني

قـد تيقنتُ أنهم يَنقُلـونِي

مِن يدَي مالكٍ إلى رضوانِ(493)

كذلك يقول الشَّريف الرَّضي (ت ٤٠٦هـ/١٠٥١م)، وهو نقيب العلويين، ووجيه إمامي معروف، في رثاء ابنِ الحَجَّاج(494)، ويسميه بـ «رَضيع الولاءِ»، والمقصود بالولاء هنا لإمامة عليّ وبنيه:

نعوهُ على حُسنِ ظني به

فللــه ماذا نعــى النَّاعـيانِ

مِن القلبِ مثلَ رضيع اللَّبانِ

مات عُمران بن شاهين، وتولى أمر إمارة البطائح مكانه ولده الحَسن بن عُمران، فشن عضد الدَّولة حملة عليه، لكن البيئة عصمته منها أيضاً، فاضطر لمصالحته مقابل مال يؤديه(495).

ممَن ضمهم عسكر عمران بن شاهين، مِن اللُّصُوص وقطاعي الطُّرق، قاطع طريق يُعرف بأبي عليٍّ الكردي، وصله عن طريق شخص يُعرف بحسنويه بن الحُسين الكُرديّ «فقبله وأجرى عليه»، يقول أبو علي الكُردي(496) ما يثبت أنه مِن عصابة تقطع الطَّريق: «خَرجنا مرة بالجبال، في أيام موسم الحجِّ، عددنا سبعون رجلاً، مِن فارس وراجل، فاعترضنا الحاجَّ الخراسانيَّة، وكمنَّا لهم، وكان لنَّا عين في القافلة، فعاد وعرَّفنا أنَّ في القافلة رجلاً مِن أهل شاش وفرغانة معه اثنى عشر حملاً بزَّاً(قماش)، وجارية في قُبّةٍ عليها حلي ثقيل، فجعلنا أعُننا عليه، وهو وجاريته في عمَّارية. فقطعنا قطاره وكتَّفناه، وأدخلناه وما معه بين الجبال، ووقعنا على ما معه، وفرحِنا بالغنيمة»(497).

بعد هذا، لنّا تصور كيف يتطور الطُّموح، مِن مطارد بسبب جناية لم يفصح عن جنسها المؤرخون، فلا نعلم هل كانت تتعلق باللُّصُوصية أم بالقتل، أو أيَّ أمرٍ مخل آخر لدى السُّلطات، فيصبح صاحب عِصابة مِن اللُّصوص وقطاعي الطُّرق، كي يحمي نفسه وهم يحمون أنفسهم مِن المطاردة بجناياتهم أيضاً، ثم يكبر طموحه إلى طامع بالسلطان على المنطقة التي تحصن بها، وبالفعل تم له ولأبنائه ذلك. ما كان مع ابن شاهين مختلفاً عمَّا حصل مع ابن الحُر، الذي لم يتحصن في بيئة ترد عنه الحملات، وهو صاحب ترحال مستمر، أما ابن شاهين فحدد هدفه، بعد أن انتصر بمَن معه وداخل البيئة المناسبة.

مرَّ بنا ذِكر العديد مِن اللُّصُوص الفتاك الشِّجعان عند المواجهة، وإزاء ذلك لا نأخذ قول الشَّاعر محمد محمود لُطف الباري الزِّبيري (اغتيل ١٩٦٥) على محمل الجَد، الذي فسره البيت الأول بالبيت الثَّاني، بأنه كان على سبيل الاستعارة(498):

إنَّ اللُّصُوصَ وإن كـانوا جبـابرةً

لهـم قلوبٌ مِن الأطفال تنهزمُ

والشّعبُ لو كان حيَّاً ما استَخف به

قردٌ ولا عاث فيه الظَّالم النَّهمِ

الفَصل السَّادس

أشعارُ اللُّصُوصِّ

قلما تجد لدى الشُّعراء اللُّصُوص غرضاً آخر، غير ما يخص اللُّصُوصيَّة، والصَّعلكة والمعاناة التي تلحقهم منها، مِن المطاردة والسُّجون وحياة التَّرقب، فاللِّص إنسان مطارد ينشط أثناء اللّيل، حيث حياته فيه، ويسبت في النَّهار متخفياً عن العيون، لا يعرف الحياة الهادئة الأمينة، فسلوكه جعله منبوذاً، وإذا تغزل أشرك في غزله معاناته الخاصة، وإذا وصف وصف اللَّيل والسِّجن والصَّحراء، وحياة التَّشرد، ووصف الوحوش، والألفة معها، يعيش مختلطاً بها، عاكساً الخرافة التي تنشأ في الفلوات والمناطق الموحشة حول الجنّ والغول وغير ذلك. قد لا تجد قصائد طوال كثيرة لدى شُعراء اللُّصُوص، إنما الغالب هو البيت أو البيتان أو القصيد.

حسب ما روي، جَمعَ أبو سعيد الحسن بن الحُسين السُّكري ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، مبكراً، أشعار اللُّصوص، وأفرد لها كتاباً خاصاً، عُرف بـ«أشعار اللُّصُوصِّ»، ويُذكر أحياناً بـ«أخبار اللُّصُوص»، وعلى ما يبدو أغلب الذين جمعوا دواوين لشعراء لُصُوص لم يستغنوا عنه، لكنَّ هذا الكتاب لم يصلنا منه غير جزء، وهذا الجزء الباقي قيل هو ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، ورد ضمن كتاب «جزرة الحاطب وتُحفة الطَّالب»، للمستشرق الإنجليزي وليم رايت (ت ١٨٩٩)، صدر (١٨٥٦)، وقد مرَّ الحديث عنه في الفصل الأول «تمهيد في المصادر».

صدر ديوان الكلابي في أكثر مِن طبعة، ولمحققين مختلفين، لكنَّ على ما يبدو أن ما نشره «رايت» هو الأصل، إلى جانب أن «أشعار اللُّصُوص» للسُّكري ظهرت منه فقرات متفرقة كثيرة في كتب الأدب والبلدان.

السُّؤال: هل كلّ الذين تضمنهم كتاب الرَّاوية أبي سعيد السُّكري «أشعار اللُّصُوص» أو «أخبار اللُّصُوص»، كانوا فعلاً لُصُوصّاً، أم منهم مَن أُضيفوا للكتاب بسبب أنهم كانوا فُتاكاً بالدِّماءِ، ومطاردين بالثأر، وسكنوا الفلوات بسبب ذلك؟! نقول هذا والمثال، هو ما كتبه أبو الفَرج الأصفهاني عن أخبار «القَتال ونسبه»، وهذا لقب لحقه «لتمرده وفتكه»، ولم يرد خبر عن لصُوصيَته، وكان الأصفهاني قد روى أخبار عمَّا جاء في «أخبار اللُّصوص»(499)، لهذا ليس لنَّا عدّ شعره مِن أشعار اللُّصُوص، أولاً لعدم وجود خبر عن لُصوصيته، وثانياً لم يتضمن شعره ما يُشير إلى احترافه اللُصُوصيّة.

حاولنا قدر الإمكان لقط أخبار شعراء اللّصوص مِن كَتب التَّراث القديمة؛ والتي تحفل بالكثير منها، آخذين جُهد الشَّاعر السُّوري معين الملوحي (ت٢٠٠٦) بنظر الإعتبار، أما ما قدمه الباحث السُّوري محمد نبيل طريفي مِن أخبار وأشعار اللُّصوص في جزءين «الشُّعراء اللُّصوص في العصر الجاهلي والإسلامي»، فيصعب الاعتماد عليه بعد ما تعرفنا على اتهامه بالسَّرقة مِن قبل الأكاديمي والباحث العراقي داود سلوم (ت٢٠١٠)، وهذا سيأتي في الباب الخاص بالسَّرقة الأدبية أو سرقة الكتابة.

سنأتي باسم الشَّاعر وما نعثر عليه مِن شعره، هنا وهناك:

ابن الرَّيْب: مالك بن الرَّيْب بن حَوط المازني، مِن بني مازن «كان شاعراً فتاكاً لِصّاً، ومنشأه في بادية بني تميم بالبصرة، مِن شعراء الإسلام، في أول أيَّام بني أميّة(500). كان يقطع الطَّريق ببلاد فارس، ولهذا جاءت قصة قتله لأفلح الزّنجي، لأن الأخير كان يقطع الطَّريق هناك لعشرين عاماً، مثلما مرَّ بنا الحديث عنه في فصل «شخوص اللُّصوص». هرب ابن الرَّيب مع أصحابه مِن المدينة إلى البحرين، ومِن هناك إلى بلاد فارس، ومعه أصحابه: حردبه وشظاظ وغويث وأحمد بن كعب، بعد أن «ساموا النَّاس شرَّاً، وطلبهم مروان بن الحكم (ت٦٥هـ/٦٨٤م)، وهو عامل معاوية على المدينة فهربوا»(501).. فرّ ابن الرَّيب مِن الحَجَّاج بن يوسف الثَّقفي (ت ٩٥هـ/٧١٣م)، وقال فيه(502):

فماذا ترى الحجَّاج يَبلغُ جهـده

إذا نحنُ جاوزنا حَفيرَ زيـادِ

فلولا بنو مروان كان ابنُ يوسفِ

كما كان عبداً مِن عبيدِ إيــادِ

زمـانَ هــو العبــدُ المقِرُّ بِذِلَّةٍ

يُراوح صبيان القَرى ويُغَادي

«قال ذلك؛ لأن الحجَّاج كان هو وأخوه مُعَلّمَين بالطَّائف»(503). وقال ابن الرّيب في ذئب قتله بالسَّيف ليلاً(504):

أذئبَ الغضا قد صرتَ للنَّاس ضُحكةً

تُغادي بك الرُّكبان شرقاً إلى غربِ

فأنت وإن كنتَ الجـريءَ جنــانُه

مُنيتُ بضِرغـامٍ مِن الأسُدِ الغُلْبِ

بمَن لا ينــام اللَّيـل إلا وسيفـه

رهينةُ أقـوامٍ سِراعٍ إلى الشَّغْـبِ

جمع لمالك بن الرَّيب شعرٌ كثير، قياساً ببقية المعروفين باللُّصُوصية وقطع الطَّريق، لكنْ، مثلما عُرف عنه كان مِن الشُّعراء القلائل الذين رثوا أنفسهم، وقد سارت الرُّكبان بمرثيته لنفسه، وهناك مَن يقول: إنَّ الأصل منها ثلاثة عشر بيتاً والباقي منحول «ولده النَّاس عليه»(505). كان يناشد فيها صاحبيه اللذين شهدا وفاته (نحو ٦٠هـ/٦٨٠م) ببيت بخراسان، حيث كان بصحبة واليها سعيد بن عثمان بن عفان (ت ٦٢هـ/٦٨٢م) وشهد معه حرباً هناك، بعد توبته، وقد غناها المغني «مَعبد ممَن لا يشكُّ فيه مِن غنائه»(506):

أيا صاحبيْ رَحْلي دنا الموتُ فانزلا

بـرابيــةٍ إنّي مقيــمٌ لياليــا

وخُطَّا بأَطرف الأسنَّةِ مضجَعـي

ورُدَّا عــلى عَـينيَّ فضــلَ ردائيــا

ولا تحســداني بـارك الله فيكـما

مِن الأرضِ ذات العرضِ أن تُوسعا ليا

لعَمري لأنْ غالتْ خراسانَ هامتي

لـقد كنتُ عن بابِ خُــراسانَ نائيــا

فيا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ ليلةً

بجنبِ الغضا أُزجي القِلاص النَّواحيـا

ومنها بما خص شجر الغضا(507):

فليتَ الغضا لم يقطع الرَّكبٌ عرضهُ

وليتَ الغضا ماشي الرِّكاب لياليا

وليتَ الغضا يوم ارتحلنا تقاصرت

بطولِ الغضا حتى أرى مِن ورائيا

لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا

مزارٌ، ولكنَّ الغضا ليس دانيــا

الهفوان العقيلي: «أحد بني المنتفق، وأحد اللُّصُوص»(508)، وهو القائل(509):

مَلسا بذودِ الحدسيَ مَلْسا

مِن بكرةٍ حتى كأن الشَّمسا

مُرة بن محكان السَّعدي: حسب محمد بن عمران المرزباني(ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) مِن بني عُبيد، وهو أحد اللُّصوص، غير أننا لا نجد أثراً للصُوصيّته عند صاحب «كتاب الأغاني»، ولا في شعره ما يدل على ذلك، وقد أتى بسيرة وافيةً عنه. قال فيه «كان مُرةً شريفاً جواداً، وهو أحد مَن حُبس في المناحرة والإطعام»(510)، وحسب المَرزُباني: هجا الشَّاعر المشهور الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التَّميمي (ت ١١٠هـ/٧٢٨م)(511)، وهو القائل(512):

يا ربَّةَ البيتِ قومي غير صاغرةٍ

ضمِ إليك رِحال القوم والقِربا

ماذا ترينا أنُدنيهم لأرحلنا

في جانبِ البيتِ أم نبني لهم قبا

في ليلةٍ مِن جُمادى ذات أنديةٍ

لا يُبصرُ الكلبُ مِن ظُلمائها الطَّنبا

لا ينبح الكلبُ فيها غير واحدةٍ

حتى يلفُ عـلى خيشـومهِ الذَّنبا

أنا ابن محكـان أَخوالي بنو مطرٍ

أَنمي إليهم وكانوا معشراً نُجبـا

الأُحيمر بن سُمية السّعدي: «اللِّص... وكان فاتكاً مارداً»(513)، وهو القائل(514)، وقد اشتهر منها «عوى الذّئبُ...»، معبراً عن سلوته بالوحوش، وحياته مشرداً في القفار:

وأَنَّي لاستحيي مِن الله أنْ أرى

أطُوف بأرضٍ لـيس فيه بعيرُ

وأن أسألُ المرءَ اللَّئيم بعـيره

وبُعْران ربّي في البــلاد كثيرُ

فاللّيلُ إنْ وارانَي اللُّيل حكمةٌ

ولِلشمسِ إنْ غابت عليَّ تدورُ

عوى الذِّئبُ فاستأنستُ بالذِّئب إذ عوى

وصَوَّتَ إنسانٌ فكدتُ أَطيرُ

يـرى اللّه إني لــلأنيس لشـــأنيءُ

ويبغضهـم لي مقلةٌ وضميرُ

روي أن أحد أعمدة مدرسة الرَّأي العراقية إبراهيم النَّخعي (ت ٩٦هـ/) عندما طلبه الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي (ت ٩٥هـ/٧١٣م)، وضاقت عليه الأرض، لما سُئل عن مكانه، فقال بحيث يقول الشَّاعر، ويقصد بيت الأُحيمر السَّعدي الشَّهير(515):

عَوَى الذّئبُ فاستأنستُ بالذِّئب إذ عوى

وصَوَّت إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

قالها النَّخعي لشدة طلب الحّجَّاج له، فقد روي عن تلميذه:
«بشرت إبراهيم بموت الحَجَّاج، فسجد، ورأيته يبكي مِن الفَرحِ»(516).

وللأحيمر في المقصد نفسه، وما يؤمله بالسَّرقة مِن التَّجار، فقد ذكر الحمار، والحمال واسطة نقلهم(517):

نَهقَ الحِمارُ فقلتُ أيمن طائرِ

إن الحِمارَ مِن التّجار قريبُ

وله في معاناته مع مَن يعيره بفقره(518):

يُعيرني الإعدام والبدو معرضُ

وسيفي بأموال التّجار زعيمُ

وروي أنه قال بعد توبته(519):

أشكو إلى اللّٰه صبري عن رواحلهم

وما أُلاقي إذا مرّوا مِن الحزنِ

قل للصُوصِ بني الخناء يحتسبوا

بزّ العراق وينسوا طرفة اليمنِ

فربَّ ثوبٍ كـريمٍ كنتُ آخـذه

.

مِن التَّجـار بلا نقدٍ ولا ثمنِ

طهمان بن عمرو الكلابي: أكثر شعراء اللُّصوص حظوة في ما وصلنا مِن شعره، فله ديوان مطبوع، وذِكر ذائع في كُتب الأدب والشِّعر، كانت يده مقطوعة بحدِ السَّرقة، قطعها له نجدة(520) بن عامر الحنفي الخارجي (قُتل ٦٩هـ/٦٨٨م)، وكان «مِن لُصوص العرب، وقيل أن الحرورية أسرته، فهرب راكباً ناقة مِن أحسن إبلهم، فأسروه مرة أخرى وقطعوا يده»(521). قال في قطع يده منشداً عبد الملك بن مروان(ت ٨٦هـ/ ٧٠٥م)(522):

يدي يا أميرَ المؤمنين أَعيْذُها

بحقويك أن تُلقى بملقى يهينها

فقد كانت الحسناء لو تم شَبرها

ولا تَعــد الحسناء عباً يشينهـا

وإنك مسؤول بحكمك في يدي

على حـالةٍ مِن رَبَّنا ستكونهـــا

وله مِن شعره (523):

وما كان غضُّ الطَّرف منا سجيةً

ولكننا في مَذْحِجٍ غُربانُ

وله مِن ديوانه هاجياً موزون بن عُمير(524):

إنَّى تَركتُ بني بَدر وحاميهم

أَذَلَّ لِلنَّاسِ مِن جبانةِ السُّوقِ

لا تطلع الشَّمس إلا وهو يَطلبني

ولا تُغيَّبُ إلا وهـو مسبوقُ

وله من ديوانه(525):

لعلكَ بعد القَيْدِ والسِّجن أنْ تُرى

تمرُ عـليَّ ليـلى وأَنتَ طلـيقُ

طَليقُ الذي نَجا مِن الكربِ يعدما

تَلاحمَ مِن دَرْبٍ عليكَ مُضيقُ

وله من ديوانه(526):

لا يُسْلمون ولا تَلقى لهم سَلمًا

ولا يُعَرجُ عن لوّمِ عذاريهـا

تَبلى عظامِ بني سَكنٍ إذا دفنت

تحت التُّرابِ ولا تَبْلى مَخازيها

السَّـارقـون إذا ما لزبةٌ أَزمت

وقطعت عند باب المَلكِ أيديها

وله أيضاً مما نُسب عند البعص لقيس بن المُلَوَّح قاله في ليلى العامرية، أما الكلابي فله ليلى الحارثية، لكنَّ المكان أصبح واحداً، وهو العراق(527):

ولو أَنَّ ليلى الحارثية سَلمت

على مُسجَّى في الثَّيابِ أسوقُ

حنوطي وأكفاني لديَّ مُعدةٌ

وللنفسِ مِن قُرب الوفاةِ شهيقُ

ونبئتُ ليلى بالعِراق مريضةٌ

فماذا الذي تُغني وأنتَ صديقُ

سَقى اللّٰهُ مرضى بالعِراق فإنني

على كلّ شاكٍ في العِراقِ شفيقَ

فيُنسب لقيس بن المُلَوِّح قوله(528):

شفى اللّه مَرضى بالعِـراق فإنني

على كلِّ مَرضى بالعِراقِ شفيقُ

فإن تُك ليلى بالعِراق مَريضةً

فإني في بحرِ الحتوفِ غريـقُ

عُطارد بن قَرُّان، أحد اللُّصوص، وكان قد حُبس بنجران(529)، وهو القائل في سجنه(530):

لقد هزئت مني بنجرانَ أنْ رأت

قيام في الكبلين أمُّ أبانِ

كأن لم تَرَ قبلي أسيراً مُكبلاً

ولا رجلاً يُرمى به الرَّجوانِ

كأني جوادٌ ضمه القيدُ بعدما

جرى سابقاً في حَلْبةٍ ورهانِ

خليليَّ ليس الرَّأيُ في صدرِ واحدٍ

أشيرا عليَّ اليوم ما تريانِ

أأركبُ الصَّعبَ الأمرِ إنَّ ذَلوله

بنجرانَ لا يُرجى لحينِ أوانِ

وله وهو في سجنه بمنطقة حَجْر(531):

يقُودني الأخشن الحدَّاد مؤتزراً

يمشي العِرضْنَة مختالاً بتقييدي

إني وأخشن في حَجْرٍ لمختلفاً

حالٍ وما ناعمٌ حالاً كمجهودِ

وهو القائل في سجنه وقيده أيضاً(532):

يطولُ عليَّ اللَّيلُ حتى أمله

فأجلسُ والنَّهديُّ عندي جالسُ

كلانا به كبلان(533) يّرسفُ فيهما

ومستحكم الأَقفال أَسمرُ يابسُ

لها حَلقاتٌ فيه سُمرٌ يحبها الـ

المُناةُ كما حبُّ الظَّماء الخوامسِ

كذلك لابن قرُّان، وهو يتذكر منطقة البِشر بنجد(534):

ولما رأيتُ البِشر أَعرض وانثنت

لأعرافهم مِن دونِ نجدٍ مناكِبِ

كتبتُ الهوى مِن رَهبةٍ أنْ يلومني

رفيقايَ وانهلت دموعٌ سواكبُ

كذلك هو القائل(535):

ولا يلبثُ الحبلُ الضَّعيف إذا التوى

وجـاذبه الأعداءُ أن يتجــذَّما

وما يستوي السَّيفان: سيفٌ مـؤنثُ

وسيفٌ إذا ما عض بالعظمِ صممَّا

العطاف العُقيلي، أحد اللُّصُوصٍ بمنطقة ضراف، ذكره ياقوت الحَموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ناقلاً عن «أشعار اللّصُوص» للسُّكري، وهو القائل(536):

إذا كان حاديها مِن الإنسِ أو وَنى

بعثنا لها مِن وُلدِ إبليس حاديا

فلن ترتعي جنبي ضِراف ولن ترى

جيوبَ سليلٍ ما عددت اللّياليا

الهيزدان: الهيزدان بن خطار بن حفص بن مجدع، «كان لِصاً فهرب إلى المهلب (ابن صفرة) بخراسان»(537)، وهو القائل(538):

ومـا لهـيزدانِ ولا عـليَّ

لفيف السَّيف إذ رهقا نصيرُ

سوى شِرْيانةٍ خَطمت بكلٍّ

لها في كفِ نازعِها خَطيرُ

إذا طُرحت وراء القومِ سهمٌ

مضى صرداً وأتبعه البصيرُ

حصل أن استضاف الهيزدان رجلا اسمه ثبيت، فقدم له تمراً ولبناً، وكان يريد خبزاً ولحماً، فقام الرَّجل يُصلي، فقال الهيزدان(539):

لخبزٌ يا ثبيت عليه لحمٌ

أحبُ إليَّ مِن صوت الأذانِ

تبيتُ تُدهور القرآن حولي

كــآني عند رأسك عُقربانِ

يونس الحَرامي: لُص من التركمان، في العهد السلجوقي بالعراق، كان على ما يبدو يقطع الطَّريق بين بغداد وحديثة عانة، أو بين هيت والأخيرة، غرب العِراق. كان ينهب ويأسر، فمِن العمليات اللُّصُوصية التي قام بها، أنه اعترض ابن صدقة الوزير، بعد أن خرج مِن الوزارة وأبعد إلى حديثة عانة، واتفق معه على دفع ألف دينار، مقابل إطلاقه، على أنْ يدفع له ثلاثمائة ويتم له بالباقي بعد الوصول إلى حديثة(540).

الجرنفس اللِّص، وفي مصدر أحد اللُّصُوص مِن أهل البحرين(541)، ولعله نفسه، وهو القائل في قيده وسجنه(542):

ابلغ بني ثعلٍ عنِّي مغلغلةً

فقـد أنى لك مِن نيءٍ بإنضـــاجِ

أما النَّهار ففي قيدٍ وسلسلةٍ

والليلَ في جوف منحوتٍ مِن السَّاجِ

الخُطيم العكلي: أحد اللُّصُوص، بتلٍ يُدعى بُلَيٍّ(543)، وهو القائل(544):

ألا ليتَ شِعري! هل أبيتنَّ لَيلةً

بأعلى بُليٍّ ذي السَّلام وذي السَّدرِ

وهل أهبطنْ روضَ القطا غير خائفٍ

وهل أصبحنْ الدَّهر وسطَ بني صخر؟

وهــل أسمعنْ يوماً بكاءَ حَمـامةٍ

تُنادي حمـاماً في ذُرى قَصَب خُضرُ؟

أبو المطراب عُبيد بن أيوب العنبري: شاعر مِن بني العنبر، أحد اللُّصوص يُخبر أنه كان يُرافق الغول والسَّعلاة، ويبيت مع الذِّئاب والأفاعي، ويؤاكل الوحوش، وهو القائل عن النَّار التي قالت الأعراب أنها توقدها الغول ليلاً(545):

فلله دّرُّ الغــولِ أيُّ رفيقــةٍ

لصاحبِ قفْرٍ خائفٍ متقنِّر

أرنت بلحنٍ بعد لحنٍ وأوقدت

حــواليَّ نيراناً تبوحُ وتزهِرُ

يقول أبو العباس المُبَرَّد(ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م) عن العنبري: «أحسبه مِن لُصُوص بني سَعْد»(546)، ويؤكد أنسه بالوحوش في قوله(547):

فإني وتَرْكي الإنسِ مِن بعد حُبْهِمْ

وصَبريَ عمَن كنتُ ما إن أُزايلــه

كـالصَّقــر جَلّى بعـد صادَ قِنْيَةٍ

قـــديراً وَشوياً عبيطاً خَرادِلُــه

أهـابـوا بـه فازدادَ بُعداً وصدَّه

عن القُربِ منهم ضَوءُ برِق ووابله

أَلم تـرني صــاحبْتُ صَفراء نبعةً

لهـــا رَبَذيٌّ لَمْ تُقــلْ معــابلُه

وطال احتضاني السَّيف حتى كأنما

يُلاطُ بِكشحـــي جَفنُه وحَمائلــه

أخو فلواتٍ صاحبَ الجنَّ وانتحى

عن الإنسِ حتى قد تَقصت وسائله

لــه نَسبُ الإنســي يُعرفُ نجرهُ

وللجِنِّ منــه شكّلــه وشمائلــه

ومِن أشد أبياته تصويراً لحياته، في المطاردة والتَّيه، والخوف، والخشية مِن القتل، وهذه هي حياة اللُّص(548):

كأنَّ بلاد الله وهي عريضةٌ

على الخائفِ المطرود كفَّةٌ حابلِ(549)

يُؤتَّــى إليـه أنَّ كُلَّ ثنيَّةٍ

تطلعهــا ترمــى إليــه بقاتلِ

هذا إذا قالها العنبري، لا تفهم منها إلا وصف حياة اللُّصُوصيَّة، لكنَّ إذا أخذنا برواية صاحب «الأغاني» بأنَّ قائلَها كان عبد الله بن الحَجَّاج (القرن الأول الهجري)، فستكون وصف لحالة سياسية، وهي مطاردة الخوارج له، فقد كان بين أصحاب نجدة الحروري أوالشَّاري الحنفي(قُتل ٦٩هـ/ ٦٨٨م)، ثم هرب عنهم، فضاقت عليه الأرض مِن شدّة الطَّلب، فقالها، واختلف البيت الثَّاني قليلاً(550):

تؤدِّي إليه أنَّ كلَّ ثنيَّةٍ

تيمَّمها ترمى إليهِ بقاتلِ

أَبو زيد الأعرابي: كان مِن اللُّصُوص(551)، وهو القائل(552):

ثلاثُ خِلالٍ لستُ عنهنَّ تائباً

وإن لامَني فيهنَّ كلّ خليلِ

فمنهـنَّ أَني لا أَزال معـانقـاً

حَمائل ماضي الشَّفرتين صقيلِ

به كنتُ أستعدِي وأعدي صحابتي

إذا صَرخ الزَّحفان باسم قَتيلِ

ومنهنَّ سُوق النَّهبِ في ليلةِ الدُّجى

يَحـاربها في الليلِ كلِّ دليلِ

ومنهـنَّ تجـريد الكعـاب ثيابها

وقد مـالَ جنحُ اللَّيلِ كلَّ مَميلِ

أبيات لأحد اللِّصين عياش الضَّبي أو التّيّحان العُكلي في دير ابن عامر(553):

أَلم ترني بالدَّير دَيرَ ابنِ عامرِ

زللتُ وزلات الرِّجال كثيرُ

فلولا خليلٌ خانني وآمنتــه

وجدك لم يقدر عليَّ أميرُ

فإنَّي قد وطنتُ نفسي لِما ترى

وقلبكُ يا ابن الطَّيلسان يَطيرُ

كفى حزناً في الصَّدرِ أنّ عوائدي

حجبنَ وأنّي في الحديدِ أسيرُ

فأجابه ابن الطَّيلسان(554):

وأَحموقةٍ وطنتَ نفسك خالياً

لها، وحماقات الرِّجال كثيرُ

عثمان الخياط، وكان بمثابة حكيم أو مرشد اللُّصوص، مثلما تقدم، وهو ينصح جماعته «اللُّصُوص»، أن يسمُّوا أنفسهم «غزاةً كما سمَّى الخوارج أنفسهم سُراة»(555)، ويغلب على الظَّن وقع تصحيف، فهم «الشُّراة»(556):

سأبغي الفتى إما جليسَ خليفةٍ

يقومُ سواء أو مخيف سبيلِ

وأسرقُ مالَ اللّه مِن كلِّ فاجرٍ

وذي بطنةٍ للطيبات أكولُ

ابن النَّشناش اللِّص، كان مِن لُصوص بني تيميم، يقطع الطَّريق بين الحجاز والشَّام، وهو القائل بعد هروبه مِن السِّجن، وتطيره مِن رؤية غراب ينتف ريشه، فقيل له ستعاد إلى السّجن وتُقتل وتُصلب(557) فقال:

وسائلةٍ أين ارتحالي وسـائلٍ

ومَن يسأل الصّعلوكَ أين مذاهبُهْ

مذاهِبُه أنَّ الفِجـاج عرِيضـةٌ

إذا ضنَّ عنــه بالنَّــوالِ أَقاربُهْ

إذا المرءُ لم يسْرَحْ سواماً ولم يَرح

سَواماً ولم يبسطُ له الوجهَ صاحبُهْ

فلِلْموتِ خيرٌ للفتى مِن قُعُودِه

عديماً ومِن مولى تُعافُ مَشـاربُهْ

ودَوِّيّة قفــرٍ يُحارُ بها القطــا

سرَت بأَبي النَّشناش فيها ركائبُه

ليُــدركَ ثأراً أَو ليَكسِب مغنـماً

ألاَّ أنَّ هذا الدَّهر تترى عجـائبُهْ

فَلم أرَ مثلَ الفقرِ ضاجعه الفتى

ولا كســواد اللَّيل أخفق طالبُهْ

فعِش مفتراً أو مُتْ كريماً فإنّني

أرى الموتَ لا يبقى على مَن يطالِبُهْ

رويت أشعــار لصـوص كثيرة، لكنَّ لم تُعرف أسماء قائليها، فجاءت منسوبةً بالعبارة «لبعض اللُّصوص»:

قال بعض اللُّصُوص (558):

تسألني الباعةُ ما نجارها

إذا زعزعوها فسمَّت أبصارها

كلُّ نجارِ إبلٍ نجارهـا

وكــلُّ دارٍ لإنـاسٍ دارهــا

لبعض لُصُوص طَيءٍ، والواضح أن الشَّاعر اللِّص هذا قد عاش فترة خلافة علي بن أبي طالب وبالكوفة، فقد ذَكر «المُخيس»(559)، وهو سجن بناه عليٌّ هناك لحبس اللُّصوص، مرَّ ذِكره في فصل سابق مِن الكتاب، وكذلك وردت في القصيد أوصاف عليٍّ بعبارة «شيخ بطين»، وكان «ذو بطن»(560)، ويأتي معنى حيدرة، مِن أسماء الأسد، وأحد أسماء عليّ بن أبي طالب «الممتلئ لحماً العظيم البطن»(561)، قال الطَّائي(562):

ولما رأيتُ أن ابني شميَط

بسكةِ طيءٍ والبــاب دوني

تجللتُ العصاد عَلمتُ أنَي

رَهين مُخيس إن أدركــوني

ولــو أَني لبثتُ لهم قليلاً

لجرُّوني إلى شيــخٍ بطــينِ

شديد مجامع الكتفين بـاقٍ

على الحدثان مختلف الشُّؤونِ

أنشد ابن الأعرابي(563) في نوادره لبعض اللُّصُوص(564)، ويبدو أنه قالها مِن سجنه:

هل البابُ مفروجُ أنظر نظرةً

بعينِ قلتَ حجراً وطال احتمالها

ألا حبَّذا الدَّهنا وطيبُ تُرابهــا

وأرضُ فضاءٍ يَصدحُ اللّيلُ هامها

وسّير المطايا بالعشياتِ والضُّحى

إلى بقـرٍ وحش العيون أكامهــا

وعن ابن الأعرابي أيضاً، ذُكر لبعض اللُّصُوص، وقد استشهد بها الحَموي، وهو يتحدث عن مكان «حوض الثَّعلب»، الواقع خلف عُمان(565):

إذا أخــذتَ إبلاً مِن ثَغلــبِ

فلا تُشرّق بي ولكـن غــرِّب

وبع بقرحى أو بحوضِ الثَّعلبِ

قال بعضُ اللّصُوص، وجعله سيبويه (ت ١٨٠هـ/٧٩٦م) مِن شواهده(566):

كأنَّا يومَ قُرَّى إنَّما نَقتل إيانا/قتلنا منهمُ كلَّ/فتىً أَبيض حُسانا

أُنشد لبعض اللُّصُوص، وكان الشَّاعر قد ذَكر إبلاً قد سُرقت(567):

وأَشْربتُها الأَقران حتى وقفتها

بُقُرحٍ وقد أَلقينَ كلَّ جنينِ

قال بعض اللُّصُوص(568):

إذا ما كنتُ ذا فرسٍ ورُمحٍ

فما أنا بالفقيرِ إلى الرِّجال

لعلكَ أنْ يسُوءك أنْ تريني

أُرِيغُ المال بلا سألِ الطُّوالِ

ذريني أبتغي نشباً فإني

رأيتُ الفقرَ داعيَّة السُّؤال

رأيتُ الفقَرَ ويبَ أبيكَ ذُلاً

ولم أرَ مَن يَعزٌّ بغـير مالٍ

أُنشد لبعضِ اللُّصُوص(569)، وما يكره ويخشى اللِّصُّ أكثر مِن الكلب والقمر والمستيقظ مِن أهل الدَّار، فكلها تكشف حاله، وقد جمع ما يكره في هذه الأبيات:

لَمْ يخلُقِ اللّٰهُ شيئاً كُنتُ أُبغِضهُ

غيرَ العُجوز وغَيْرَ الكَلب والقَمرِ

هذا نُبوحٌ وهذا يُستضَاءُ بهِ

وهـذهِ شَهلةٌ قــوَّامةُ السّــحرِ

أنشد المغيرة لبعض اللُّصوص(570):

ورَكبٌ بأبصار الكواكبَ أبصروا

ضلالَ المهارَي فاهتدوا بالكواكبِ

يكونـون إشراقَ المشارقِ مــرةً

وأُخــرى إذا آبو غروبَ المغاربِ

غيرَ أن هذا اللَصّ، المجهول الاسم، أخذ مِن معاني ما قال الشّاعر الشّهير أبو تمام حبيب بن أوس(ت٢٣١هـ/٨٤٥م)(571):

ألانهم لُبْس الحمائلَ والسُّرى

فلو عقدوا كانوا لَيان المناكبِ

لبعض اللُّصُوص، وهو يفضل السَّرقة مِن الكريم على السَّؤال مِن اللّئيم(572):

وإنّي لأستحي مِن اللهِ أنْ أُرى

أُجرِّر حبْـلاً ليـس فيــه بعـيرُ

وأَنْ أسأل المرءَ اللَّئيم بعـيرهُ

وبُعــرانُ رَبِّي في البــلادِ كــثيرُ

وهذا لِصٌ يهجو قوماً شهدوا عليه بالسَّرقة(573):

خوت نجومُ بني شكْسٍ لقد عَلقت

أظـافرهـا بعُقـاب أُمها أُحـد

بينا أنازعــهم ثَوبي وأجحــدهم

إذا بنــو صُحُفٍ بالحقِّ قد شهـدوا

عــلى رؤوسهــم حُمــاضُ مُحنيةٍ

وفي صــدورهــم جَمْرُ الغضا يَقدُ

للهِ درُّهــم أَبطـــالُ مُحنيـــةٍ

لا الرِّمحُ يعني ولا الصّمْصامة الفردُ

قال بعض اللُّصوص، وصار كناية لدى العرب، وهو ما يتعلق بتمني اللّص هبوب الرِّياح كي تعفي أثر ما يدل عليه، وهو لِصُّ الإبل الذي يسمونه بالخارب(574):

أَيذهبُ بارحُ الجوزاء عني

ولم أَذْعر هواملَ بالسِّتار

ولِلِصٍّ أخر بالمعنى نفسه(575):

أيا بارحَ الجوزاء مالك لا ترى

عيالك قد أَمسوا مراميلَ جُوَّعا

قال بعضُ اللُّصُوص(576):

وكم بيتٍ دخلتُ بغير إذنٍ

وكم مالٍ أكلتُ بغير حلٍّ

قال لصٌ آخر(577)، يعطي العُذر في تلصصه مِن البخلاء فيسرق ما اكتنزوه مِن أموال:

وعيابةٍ للجـودِ لم تدرِ أننــي

بنهابِ مال الباخلين موكّلُ

غدوتُ على ما احتازَه فحويته

وغادرته ذا حيرةٍ يتململُ

أحد اللُّصوص، والعادة أن اللُّصوص ينشطون في اللّيل ويسبتون في النَّهار، لكن هناك مَن يُخالف القاعدة، وقد قيل له: أتسرق بالنّهار»(578)! فقال:

معاذ اللّهِ مِن سرقٍ بليلٍ

ولكني أُجاهرُ في النَّهارِ

لبعض اللُّصوص في سرقة التَّمر(579)، وعلى ما يبدو مِن اللُّصوص مَن اختص بنوع مِن السَّرقة، فقبل قليل عرفنا «الخارب» وهو سارق الإبل، وهذا سارق التَّمر يقول:

ألا يــا جارَنا إنّـا

وجدنا الرِّيح خيرٌ منك جارا

يُخبرنا إذا هبَّتْ علينا

وتمـلأْ وجـه ناظركم غبارا

لبعض اللُّصوص يصف حياته في اللُّصُوصيَّة، نفهم من قوله أنه ورغم ذلك إذا دامت محبة الحبيبة له، ولو عُشر منها، فهذا ذروة الكرم(580):

أقيدٌ وحبسٌ واغترابٌ وفرقةٌ

وهجرُ حبيبٍ إن ذا لعظيمُ

وإنَّ امرأً دامت مواثيقُ وَدِّه

على عُشرِ ما بي إنه لكريمُ

الفَصل السَّابع

اللُّصُوصُ في أخبارهم

ليس أكثر مِن قَصَص اللُّصُوص وحكاياتهم، في كُتب التُّراث العربي، منها تُكتب وتُقرأ لما تمثله مِن حوادث ومواقف عصيبة ومُحرجة، ومنها تُروى للتسلية والفكاهة. فاللِّصُّ عادة إنسان معدم يُخاطر بحياته في اللُّصُوصية، إذا قُتل خلال تلصصه يذهب دَمُه عقوبةً على ما فعل، مهدد مِن أهل الدَّار، التي يسطو عليها، ومِن السُّلطة أيضاً، فإذا كان صاحب الدَّار مسلحاً قتله، وإن قبضت عليه الشُّرطة قُطعت يده، وإذا كان مواظباً على السَّرقة، مِن أصحاب السَّوابق، قُطعت بقية أطرافه، وقُتل صبراً، مثلما سنرى ذلك في الفصل القادم «عقوبة اللِّصِّ».

تراه متوارياً في النَّهار داخل الكهوف، ويتنقل عبر الفلوات، ويألف الوحوش فيها، يسكن الأماكن المهجورة والخرائب، ظاهراً تحت جنح اللَّيل، إلا مَن اختص مِن ص في سَرقة النَّهار(581). يعيش على قلق نهاره وليله، تعدو خلفه الكلاب، ويُسهر له الحراس، وتترصده الشُّرطة، وبعد كلِّ هذا ينتظره العِقاب، ناهيك عن أنه شخصٌ منبوذ، فمَن يُراد ذِله وتحقيره، مِن سياسيين وأمراء وفقهاء وشعراء وغيرهم: «حُمل إلى حبس اللُّصوص»(582).

جعل أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ/١١١١م) إيذاء اللُّصُوص وإيذاء الطَّبيعة واحداً، عندما قال: «امتنع عيش الإنسان وحده، وحدثت الحاجة إلى الاجتماع، ثمَ لو اجتمعوا في صَحراء مكشوفة لتأذوا بالحرِّ والبرد والمطر واللُّصُوص، فافترقوا إلى أبنيةٍ محكمةٍ ومنازلَ ينفرد كلُّ أهل بيتٍ به، وبما معه مِن الآلات والأثاث والمنازل تدفع الحرَّ والبردَ والمطرَ، وتدفع أذى الحيران مِن اللُّصُوصيَّة وغيرها. لكنَّ المنازلَ قد تقصدها جماعة مِن اللُّصُوص خارج المنزل، فافتقر أهل المنزل إلى التَّناحر والتَّعاون والتَّحصن بسورٍ يُحيط بجميع المنزل، فحدثت البلاد لهذه الضَّرورة»(583). يتساوى الألم، حسب الغزالي -وفي كلامه صُدق-، بين المُعرض عن الدُّنيا والمُقبل عليها، المعرض عن الدُّنيا يتألم مِن الصَّبر عنها، والمقبل عليها متألم «بالصَّبر عليها وحفظها وتحصيلها، ودفع اللُّصُوص عنها»(584)، فترى اللُّصُوص طرفاً في المعادلة.

جمع أبو حامد الغزالي، بين اللُّصُوصيَّة والكدية في الخِسة، قال: «إذا يجمعهما أنهما يأكلان مِن سَعي غيرهما، ثم النَّاس يحترزون مِن اللُّصُوص

والمكدين، ويحفظون عنهم أموالهم، فافترقوا إلى صِرف عقولهم في استنباط الحيل والتَّدابير»(585). مثلما للُّصوص أسماء وعناوين كذلك للمكدين، أو المتسولين، أسماء حسب طبيعة الكدية أو التَّسول، ذَكرها الجاحظ بخمسة عشر اسماً منها: المَخطراني: المتشبه بالنَّاسك، ويدعي أن بابك الخُرمي قد سل لسانه؛ لأنه كان مؤذناً، ويكون معه شخص يتكلم عنه، أو قرطاس يكتب فيه، ويقول الجاحظ: «وأنا أحد مَن خُدع بذلك»(586).

الكاغاني: الذي يدعي مرض الصَّرع والجنون، فيطرح نفسه ويخرج الزَّبد.
القرسي: يشد ساقه وذراعه وينام على هذا الوضع، كي يصبح وارماً من حصر الدَّم.

الإسطبل: المتعامي، ويستطيع التَّظاهر بخسف في عينيه.

المُقدِّس: يقف على ميتٍ يسأل شراء كفن له، أو يقف على حمار أو بعير ميت ويدعي كان له(587).

يميز أبو حامد الغزالي بين جماعات اللُّصُوص، منهم يجتمع حوله الأعوان، ويكون صاحب شوكة وقوة، ويتكاثر أصحابه، فيسرقون بقطع الطَّريق والغارة على القوافل كالأعراب والأكراد. أمَّا اللُّصُوص الضُّعفاء فيحتمون بالجبل، ويسرقون سراً بالنَّقب أو التَّسلق، يستغلون وقت غفلة أصحاب الدَّار، واللُّصُوص يكونون طرارين أو سلالين(588).

يساوي ابن حَزم الظَّاهري(ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) بين قوة السُّلطة وظلمها وقوة اللُّصُوص وظلمهم للناس، فالإكراه واحد. قال: «ولا فرق بين إكراه السُّلطان أو اللُّصُوص، أو مَن ليس سُلطاناً، كلُّ ذلك ما ذكرنا»(589)، ما عدا أنَّ إكراه اللُّصُوصيِّ ليس ملزماً، وإكراه السُّلطان ملزم(590).

أُدخل اللُّصُوص في الحوارات الفلسفيَّة والكلاميَّة، مثل مسألة «الإجبار والاختيار» في ما جرى بين أبي حيان التَّوحيدي(ت٤١٤هـ/١٠٢٣م) الذي مثلت أسئلته دور «الهوامل»(الإبل السَّارحة دون راعٍ)، وأبي علي مسكويه(٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) الذي مثلت أجوبته «الشَّوامل» (الحيوانات التي تضبطها)(591)، في كتابهما المشترك «الهوامل والشَّوامل»، وهما مِن أعيان الفكر في (القرنين الرَّابع والخامس الهجريين).

أجاب مسكويه على مسألة الاجبار والاختيار قائلاً: «وأَما العَوائق التي ذَكرها فبعضها اتفاقيّة، وبعضها قهريَّة، وبعضها طبيعيّة، فالاتفاقيَّة بمنزلة مَن يخرج لزيارة صديقه، فيلقاه عدو لم يقصده، فيعوقه عن إتمام فعله، وكمَن ينهض

لحاجة فيعثر أو يقع في بئر، والقهريَّة بمنزلة مَن يَشدَّ يديه اللّصوص ليعوقوه عن البَطش بهما، أو كما يُقيده السُّلطان ليمنعه مِن السَّعي والهَرب منه، والطَّبيعة بمنزلة الفالج والسَّكتة، وما أشبههما»(592).

وأول ما يتبادر إلى مَن يريد تحقير قوم يشبههم باللُّصُوص، فقيل قد نفى عبد اللّه بن الزُّبير(قُتل ٧٣هـ/)٦٩٢م)، وكان خليفةً بمكة وعلى العِراق، الحكم بن عَبداللّه الأسدي الكوفي، وهو شاعر مِن العِراق، عن الكوفة، فذهب إلى خصم ابن الزُّبير بدمشق عبد الملك بن مروان(ت ٨٦هـ/٧٠٥م)، فخرج ذات ليلة «هو سَكران محمول في مِحفَّةٍ(ما يُحمل عليها)، فلقيه صاحب العسس(الحراس)، فقال له: مَن أنتَ؟ فقال: يا بغيض، أنت أعرف مِن أن يسألني، اذهب إلى شغلك، فإن اللّصوص لا يخرجون باللّيل في محفّة، فضحك منه وانصرف عنه»(593).

وإذا ما أُشير إلى إنسانٍ باللُّص فيعني هذا ذروة الذَّم، إنه اللِّص أو «الحرامي» هاتك الحُرمات بلصوصيته، وقد مرّت بنا الإشارة إلى أنَّ أفعالاً شخصها الدِّين بالحرام، لا يُعرف بين النَّاس مرتكبها بالحرامي إلا اللِّص، يتبرأ منه الأهل، وتتخلى عنه العشيرة، يصبح طريداً، ويجمع على أبناء حِرفته، يكون اللِّص فرداً وجماعة لها تنظيم خاص، يُسيرها رئيسها، حتى إذا كان داخل الحبس. ما يُعرف عن اللِّص أنه لا دين له، ولا التزام اجتماعي، ومع ذلك نجد مَن يُشار إليه بـ «اللّص الشَّريف»، عندما لا يسطو على حيهِ أو محلته ولا يغير على الضُّعفاء، وإن قطع الطَّرق قطعه على القوافل الكبرى، ولا يُفتش امرأة ولا يسلبها(594)، مثلما هو اللِّص ابن حمدي، الذي مرَّ ذِكره في الفصل السَّادس مِن هذا الباب.

لكن الغالب مِن اللُّصُوصصِّ يهتكون هذا السُّلوك، فيسرقون النِّساء والضُّعفاء والأطفال، ومَن أمنهم بيتهم أو حاجتهم؛ لذا لا يُغطي سلوك اللُّصُوص «الشّرفاء» على عامتهم، فيبقى اللّصُّ إنساناً منحطاً، يستولي سراً أو خلسةً على مال غيره، ولا يُفكر ماذا سيواجه المسروق مِن ألم وحاجة، وخصوصاً إذا كان غريباً بعيداً عن دياره. يفكر اللِّصُّ بغنيمته فقط؛ لذا تأتي أهم صفة لدى اللِّصِّ «الأنانية». حتَّى الأرض التي يطأها اللُّصوص تصبح أرضاً شريرة، قال في ذلك أبو الحَسن علي بن أحمد الجوهري(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)، وهو أحد رجال الوزير الصَّاحب بن عَبّاد، بعد فراقه(595):

فارقتُ بطحاءَ المكــارمِ عنــده

ونزلتَ أرضــاً بعده شنعاءُ

مغنى اللُّصُوص ومنبع الشَّرِّ الذي

أفنى الرِّجال وجسَّم الأمراءُ

أشار بعض مفسري القرآن إلى أنَّ آيات محددة قصدت اللُّصُوصَ بذاتهم، مثلاً فُسرت سورة «الفيل» أنها تعني «اللُّصُوص المتغلبة»(596)، وأن سورة «الحجر» فُسرت بأن الجبال تحمي «مِن نقب اللُّصُوص، ومِن الأعداء وحوادث الدَّهر، أو آمنين مِن عذاب اللّه، يحسبون أنَّ الجبالَ تحميهم»(597).

ليس أهم مكاناً ولا أقدس مقاماً عند المسلمين مِن «الكعبة»، وشعائر الحجِّ، ومع ذلك يخترق هذا الموسم «اللُّصُوص»، حتى يضطر الكثير مِن أهل مكة التَّخلف عن الحجّ «ويقيمون فيها للمحافظة على دورهم مِن اللُّصُوصِّ، الذين يكثرون في هذه الآونة، فيقطعون ليلهم سهراً، بين إطلاق بنادقهم مِن كلِّ الجهات، إعلاناً بأنهم يفطنون لكلِّ مَن قَدم بسوءٍ»(598).

ماذا يُرجى مِن اللِّص، الذي يصبح أشد أعدائه ضوء القمر؛ لأنه يكشف أمره؟! فيُذكر أنَّ رجلاً رأى الهلال فاستحسنه، فقال له آخر، وعلى ما يبدو كان لِصاً: «وما يُستحسن منه؟ فواللّه إنِّ فيه خصالاً لو كانت إحداهنَّ في الحِمار لردَّ عليه؟ قال: وما هنَّ؟! قال: يدخل الرَّوزان(الرَّازونة: الكوة)، ويمنع مِن الدَّبيب، ويَدل على اللُّصُوص»(599). يقترن اللِّص بالشَّيطان، عندما يُنقل في الحديث عن «النَّار» وفوائد المصباح: «فإن المُصباح مطردةٌ للشيطان، مذبةٌ للهوام، مَدَّلةٍ على اللُّصوص»(600). مع ذلك تجد مَن يمدح الأسد ويصفه باللِّصِّ قاطع الطَّريق، حتى يغيب عنك الممدوح هل هو الأسدُ أم اللِّصُّ؟. قال عبد الجبار بن حمديس الصَّقلي(ت ٥٢٧هـ/١١٣٣م)(601):

يُوسدُ شبليهِ لحومَ فوارسٍ

ويقطعُ كاللِّصِّ السَّبيل على السَّفرِ

عندما يصل البعض إلى تآليف حكاية يُظهرُ بها إبليس أنه يدعي الخوف مِن اللُّصُوص؛ فلنَّا تقدير خطورة هذه الفئة مِن المجتمع، وفي كلِّ زمانٍ ومكانٍ. حُكي أنَّ راهباً زهد في الدُّنيا زهداً شديداً، فظل معتكفاً في صومعته لا يبرحها، حتى شكاه الشَّياطين لإبليس، بأنهم لا يُصيبون منه شيئاً «فأتاه إبليس وضرب عليه الدَّير، فادعا أنه عابر سبيل، ولما اعتذر منه الرَّاهب، ووجهه إلى القُرى كي يأوي إليها، قال له إبليس: اتقِ اللّٰه فإني أخاف اللُّصُوص والسّباع»(602)!

يُقدم الشَّاعر العباسي، المُعرَّف بأحد شياطين الأنس، محمد بن عبد العزيز السُّوسي(٣٧٠هـ/٩٨٠م) صورة تُعبر عن بوهيمية اللِّصّ، وعبثيته على حِساب الآخرين، ضمن قصيدة «تربو على أربعمائة بيت في وصف حاله وتنقله في الأديان والمذاهب والصّناعات»، وما يعني هذا التَّقلب مِن قلقٍ وترقب، فية مِن حياة اللِّص الكثير، ومنها(603):

الحمـدُ لله لـيس لي بخــتُ

ولا ثيـابٌ يضمهـا تختُ

سيــانَ بيتــي لمَن تأمّلــه

والمهمة الصّحصان والمرت

آمنتُ في بيتِ اللُّصُوصِّ فما

للِّصِّ فيه فوقٌ ولا تَحـتُ

جاء في «المقامة الرُّصافية» مِن مقامات بديع الزَّمان: «ملتُ إلى مَسْجدٍ قد أَخذ مِن كلِّ حُسْنٍ سرَّه، وفيه قومٌ يتأملون سُقُوفه، ويتذاكرون وقوُفه، وأدَّاهم عَجُز الحَدِيث إلى ذِكر اللُّصوص وَحِيلهم، والطّرارين وعملهم، فذكروا

أصحاب الفصوص مِن اللّصُوص، وأهْلّ الكفَ والقَفَ، ومَن يعمل بالطّفَن ومَن يحتالُ في الصَّفِّ، ومَن يختقُ بالدَّفِّ، ومَن يكمنُ في الزَّفِّ، إلى أنْ يُمكن اللَّفُّ، ومَن يُبدِّلُ بالمسحِ، ومَن يأخذُ بالمزَحِ، ومَن يَسْرقُ بالنُّصحِ»(604).

يُضيف لنَّا بديع الزَّمان الهمذاني(ت ٣٩٥هـ/١٠٠٥م) نوعاً آخر مِن اللُّصُوص، وهم «سُرَّاقُ الرَّوازين»(605)، ويأتي في شرح كلمات المقامة «سُراق الرَّوازين هم الذين يمدون أيديهم مِن الكوة ليسرقوا(606). بعد ذِكره، في مقامته نفسها، للطَّرارين، وهم الذين يبطون الجيوب ليختلسوا أو ينشلوا ما فيها مِن نقود أو أغراض.

حكايات وقَصص

يُحكى عن سرعة البداهة والظَّرافة لدى اللُّصُوص، وهي واحدة مِن حيلهم في التّخلص مِن المواقف الحَرجة، مع النَّاس أو السُّلطات، أنَّ جماعةً قبضت على لِصٍّ، ومع ثياب قد سرقها، «فجهدوا به أن يخلّي عنها فلم يفعل، وجعل يقول: أنا تائب على أيديكم. قالوا: فدع الثِّياب، فقال: يا غُفلاً، فبأي شيءٍ استعين على التَّوبة»(607).

يروى أن أحمد بن المعذل البصري(608)، قال: «كنتُ عند ابن الماجشون(609)، فجاء بعض جلسائه، فقال يا أبا مروان: أعجوبةٌ! خرجتُ إلى حائطي(بستان) بالغابة، فعرض لي رجلٌ، فقال: اخلع ثيابك! قلتُ: لِمَ؟ قال: لأنّي أخوك، وأنا عريان. قلتُ: فالمواساة؟ قال: قد لبستها برهةً. قلتُ: فتعريني؟ قال: روينا عن مالك(يقصد الإمام ابن أنس صاحب المذهب) أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل عرياناً. قلتُ: ترى عورتي! قال: لو كان أحدٌ يلقاك هنا، ما تعرضتُ لك؟ قلتُ: دعني أدخل حائطي، وأبعث بها إليك. قال: كلا، أردتَ أن توجه عبيدك، فأمسك. قلتُ: أحلف لك. قال: لا تلزم يمينُك اللِّصَّ»(610). حلف صاحب الحائط للِّصِّ، أن يبعث إليه بالثِّياب عن طيب نفسٍ، لكنّ اللِّصَّ رفض يمينه، وقال: «تصفحتُ أمرَ اللُّصُوص، مِن عهد النَّبي(ص) إلى وقتنا، فلم أجد لِصاً أخذ بنسيئة(الدَّين/ تأجيل أخذ المسروق)، فأكره أن ابتدع في الإسلام بدعة يكون عليَّ وزرها، ووزر مَن عمل بها بعدي إلى يوم القيامة. اخلع ثيابك»! قال ابن المعذل : «فخلعتُ ثيابي»(611).

يروي ناصر خسرو(ت ٣٩٩هـ/١٠٠٨م) في رحلته أن أخبره الدَّليل الذي كان في صحبته، عمَّا يفعل الخوف مِن اللُّصُوص بالإنسان: «كُنا ذاهبين، ذات مرة، مِن تون إلى كناية، فخرج علينا اللُّصُوص وتغلبوا علينا، فألقي بعضنا مِن الخوف نفسه في بئر تجري تحت الأرض، وكان لواحد مِن هؤلاء والدٌ شفوق، فجاء

واستأجر رجلاً لينزل إلى البئر، ويخرج ولده منها، واستعان الجماعة بكلّ ما لديهم مِن الحِبال، وأتى رجال كثيرون، ونزلَ الرّجلُ مسافة سبعمائة ذراع، حتى بلغ القاع، وربط الولد بالحبل وجروه ميتاً»(612).

قد يكون الخوف مِن اللُّصُوص عرضاً مِن أعراض مرض «المالنخوليا»، وهو أحد أبرز الأمراض النَّفسية، التي كانت معروفة قديماً، فرمى الإنسان نفسه داخل بئر سحيقة العمق، مثل التي وصفت في رحلة ناصر خسرو، ولم تكن بعيدة عن الواقع، فاللِّصُّ كائنٌ مخيف، يتقدم عليك في الظَّلام، ويباغتك في وقت نومك، فكيف إذا كان مسلحاً يقف لك في عرض الطَّريق، ليس فرداً بل عصابةً. يقول أبو علي الطَّبيب الشَّهير بابن سينا(ت ٤٣٠هـ/١٠٣٧م)، ويشير إلى الخوف مِن اللُّصُوصِّ في شرحه لأعراض هذا المرض: «علامات ابتداء (المالنخوليا) ظن رديء، وخوف بلا سبب، وسرعة غضب، وحُب التَّخلي، واختلاج، ودوار ودويّ، وخصوصاً في المراق. فإذا استحكم فالتفزع وسوء الظَّن، والغم والوحشة والكرب، وهذيان الكلام، وشبق لكثرة الرّيح، وأصناف مِن الخوف مما لا يكون أو يكون، وأكثر خوفه مما لا يخاف في العادة، وتكون هذه الأصناف غير محدودة، وبعضهم يخاف سقوط السَّماء عليه، وبعضهم يخاف ابتلاع الأرض إياه، وبعضهم يخاف الجن، وبعضهم يخاف السُّلطان، وبعضهم يخاف اللُّصُوص، وبعضهم يتقي ألا يدخل عليه سبع»(613).

يُذكر أن طراراً، وهو اللِّص الذي يبط الجيوب وينشل ما فيها، كان قطع مركب لوزير عضد الدَّولة البويهي، نصر بن هارون النَّصراني(614)، فقيل للِّصِّ الطَّرار «تجسر على هذا في مثل هذه الأيام، ومع سيِّد المُلك وهيبة وزيره؟! فقال: إن اللّه تعالى أجلَ مِن المَلك، وأمره أعلى مِن أمره، ولستُ أترك ما أنزل اللّه في القُرآن، بما يُرخص ذلك؟ قال: ليقطع طرفاً مِن الذين كفروا»(615). يُفهم مِن هذا الرَّد أن اللُّصُوصَّ لم يخافوا مِن اللّه وقد عاقب كتابه بالقطع على السَّارق، فكيف يخاف صاحب المركب الوزير ومَلكها عضد الدَّولة، أتت للمفارقة أنه ترك ما جاء في القرآن بخصوص السَّرقة، والتزم بالنَّص الآخر!

إذا كان اللِّصُّ يبدو مخيفاً، وتتخاذل القوافل والسُّفن أمامه، والنَّاس تطلب الحِماية منه عندما تضعف السُّلطة، لكنَّ قصة السَّيد عباس المغربي القادم مِن صنعاء، تعطي عكس القاعدة، كان مع جماعة مِن أهل اليمن يركبون البحر، نفد ماء الشرب مِن سفينتهم، فمالوا إلى جزيرة قريبة، فيها ماء عذب، غير أنَّ اللُّصُوص قد منعوهم مِن السّقاية مِن ماءِ الجزيرة، وهم في أشد الحاجة إلى الماء، فصاروا بين عذابين، عذاب الظمأ وعذاب مواجهة اللُّصُوص، الذي منعوا الرَّاكبين مِن الخروج منها، فقام المغربي وجرد سيفه «وخرج وأخرج

معه قِرب الماء، فلما رآه اللّصُوصٌ هربوا، وكان طويلاً ضخماً، حَسن الأخلاق، أبيض شديد القوة»(616).

تحدث أبو الرَّيحان البَيروني(ت٤٤٠هـ/)١٠٠٩م) عن لُصُوصٍ «الدَّيبل والبوازج» بجيزة الياقوت، وهي المعروفة بجزيرة «جاوة»، وهكذا ذكرها، حسب البيروني، بطليموس في كتاب «جاوغرافيا»، يحيُط بالجزيرة جبل أحمر أجرد، والجزيرة ليس فيها الياقوت، إنما سُمَّيت بذلك لجمال نسائها، وقيل فيهنَّ «نساء غب القمر»(617)، ونسبت الجزيرة إلى القمر لدوران الماء فيها بتعاقب المد والجزر. حصل أن صاحب أو حاكم الجزيرة أرسل إلى الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي(٩٥هـ/٧١٣م) نسوةً مسلمات ولدنَّ لتجار مات آباؤهنَّ، وأراد بذلك التَّقرب من الحجَّاج بهنَّ، فقطع لُصُوصٌ الدَّيبل والبوازج، على المركب الذي يحمل النُّساء وقاموا باغتصابهنَّ، وبلغ الخبر الحجَّاج، والأخير راسل أمير تلك الجزيرة واسمه داهر بن حجة في تخلية النّساء، فأجابه «أنه لا يقدر على ارتجاعهنَّ مِن اللُّصُوصِ»(618).

يذكر الجاحظ أن لِصّاً جمع إبلاً سرقها مِن قبائل شتى، وساقها إلى السُّوق، فسأله تاجر: «ما نارك»؟! «لأنهم يعرفون بميسم كلِّ كرم إبلهم مِن لؤمها»(619)، فقال:

تسألني الباعةُ ما نجارها

إذ زعزعوها فسمت أبصارها

فكلُّ دارٍ لأُناس دارُهـا

وكـلُّ نارٍ العــالمين نارها

كذلك يذكر الجاحظ عن عبد الملك بن قريب الأصمعي(ت ٢١٦هـ/ ٧٤٠م) عن حيلة المرأة بطرد اللُّصوص عن دارها؛ فمثل هذه الحيل لابد أن تكون ثقافة في مجتمع كانت غارات اللُّصُوص جزءاً من يومياته، وكانت تنزل بعيدةً عن الحي، مع غنمها وجارية لها، فلما طرقها اللُّصوص قالت لجاريتها، أو لابنتها:

«اخرجي! مِن ها هنا؟ قالت: هاهنا حَيَّان والحُمارس، وعامرُ والحارث، ورأي عنز وشادن»، فلما سمع اللُّصوصُ وهي تنادي جاريتها بالأسماء، فظنوا أنها تنادي على بنيها، والأسماء كانت أسماء التّيوس، فولوا خائبين(620).

لعلَّ مِن النَّادر أن يقدم اللُّصُوص على سَرقة الكُتب، إلا إذا عرفوا قيمة ما يُعادلها مِن المال، حصل أن سُرقت مكتبة الخازن(621)، أحد أصحاب الوزير الصَّاحب بن عَباد(ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، وقيل فيه: كان «مِن حَسنات أصفبهان وأعيان أهلها في الفضل، ونجوم أرضها في الشّعر»(622)، سُرقت مكتبة الخازن كاملةً، قال: «منذُ فارقتُ آل عباد، وفُجعت بكتبي جملةً، وضُرب عليها أولئك اللُّصُوصُ ضربةً، بل عَملتُ في تهنئة مولانا آدام اللّه سُلطانه، وحَرس مكانه، حين رُزق سبطاً نبوياً علوياً، فأشرقت الأرضُ ودعت السَّماء وآمنت الكواكب»(623).

كذلك عن سرقة الكُتب، روى الفيلسوف، في عصره، أبو سليمان السِّجستاني ويُعرف بالمنطقي(ت ٣٨٠هـ/ ٩٣٢م) لتلميذه أبي حيّان التَّوحيدي، والأخير أوردها في «الامتاع والمؤانسة»: أنَّ ملكَ اليونان ثيودسيوس كتب إلى الشَّاعر كنْتُس «أن يزوده بما عنده من كتب فلسفية، فجمع ما له في عيبةٍ (وعاء) ضخمة، وارتحل قاصداً نحوه، فلقي في تلك البادية قوماً مِن قِطاع الطَّريق، فطمعوا في ماله، وهموا بقتله... فرفع رأسه إلى السَّماء، ومَد طرفه في الهواء فرأى كراكيَّ تطير في الجوِّ محلّقة، فصاح: أيتها الكراكي قد أعجزني المعين والنَّاصر، فكوني الطَّالبة بدمي والآخذة بثأري، فيضحك اللُّصُوص، وقال بعضهم لبعض: هذا أنقص النَّاس عقلاً، ومَن لا عقل له لا جناح في قتله، ثم قتلوه وأخذوا ماله»(624).

هذا، ويُكمل التَّوحيدي الحكاية، ناقلاً عن أستاذه المتقدم الذِكر، كي يكون لها اعتبار يُعتبر به، في مثل هذه المواقف، أن أهل المدينة أقاموا على روح قتيل اللُّصُوص الشَّاعر والفيلسوف كنْتُس قراءة تسابيح في هيكلهم، وجاء اللُّصُوصُ أنفسهم ودخلوا مع النَّاس! وفي هذه الاثناء مرَّ سربٌ مِن طيور الكراكي، فقال أحدهم، على طريق الاستهزاء: إنَّ الكراكي جاءت لأخذ ثأر كنْتُس فسمعهم الحاضرون، وأكتشف أمرهم لدى السُّلطة، فاخذوا وقُتلوا، فالقتيل كان يحمل كُتباً للملك(625).

مِن أبرز السَّرقات، حدثت في خزينة الدَّولة، أو ما كان يُعرف ببيت المال، السَّنة (٢٣١هـ/٨٤٥م)، في أيام الواثق بدين اللّه العباسي(ت٢٣٢هـ/٨٤٦م)، وخبرها: «نَقبَ قومٌ مِن اللُّصُوصِّ بيتَ المالِ، الذي في دار العامة، في جوف

القصر، وأخذوا اثنين وأربعين ألفاً مِن الدَّراهم، وشيئاً مِن الدَّنانير يسيراً، فأخذوا بعدُ، وتتبع أخذهم يزيد الحلواني، صاحب الشُّرطة»(626).

جاء في أخبار الخليفة العباسي المعتضد بالله(ت ٢٨٩هـ/٩٠١م)، أن أرزاق الجُند قد تعرضت للسرقة، وكان عشر بِدَر(627)، يصعب على لِصٍّ واحدٍ حملها، وكانت قد حُفظت في دار صاحب «عطاء الجيش»، ليوزعها على الجُند، وفي تلك اللَّيلة نُقبت الدَّار، وسُرق المال كاملاً، فلما أصبح وجد الدار مُنقبة ولا وجود للمال، أي عمل فتحتة في الحائط، أو حفر تحته مثل النَّفق، فقال لصاحب الحرس، وقد حمله المسؤولية، وكان اسمه مؤنس الفحل: «إن هذا المال للسُلطان والجُند، ومتى لم تأتِ به أو بالذي نقبه وأخذ المال، ألزمك أمير المؤمنين غرمه»(628). فجد رئيس الحرس بالبحث عنه، ولم يجد له طريقاً، وقد أحضر التَّوابين، وهم «شيوخ اللُّصوص الذين قد كبروا وتابوا ، فإذا جرت حادثةٌ عَلموا مِن فعل مَن هي، فدلوا عليه، وربَّما يُقاسمون اللُّصوص ما سرقوه»(629). فكانت تلك الأيام بمثابة إعلان الطوارئ، مِن قِبل الشُّرطة والحُراس، والكلّ يبحث عن اللِّصّ الذي سرق مال الخليفة وجيشه، فتفرقوا في الطُّرقات والدُّروب والأسواق، والمواخير ودور القمار، فألقوا القبض على رجل، لم يثر الشُّبهة، بسبب ضعف بنيته، ولكنَّ الرَّجل على الرَّغم مما تعرض له مِن العذاب امتنع مِن الاعتراف.

فوصل خبره إلى الخليفة المعتضد بالله، وحقق معه شخصياً والرَّجل مستمر بالنَّفي، وهم يريدونه أن يقرَّ على مَن معه، فمِن الاستحالة أن يحمل بمفرده عشر بدر مِن المال. اعترف أنه اللِّص الذي نقب دار صاحب عطاء الجيش وأخذ المال، وذلك لشدة العذاب الذي تعرض له، من النفخ في الدِّبر، وتسمير اليدين، والجلد بالسوط، والمساهرة بوجود ثلاثين مِن الرِّجال السُّود الأشداء يتناوبون على اسهاره، حتى بدأ جسمه يتلف، ولم يهتم بوعد الخليفة له أنْ يُرّسمه أحد التَّوابين(يصبح خبيراً في شأن السَّرقات)، وله راتب شهري عشرة دنانير، فالسرقة جزء كبيرمِن ميزانية الخلافة، وتأخير أرزاق الجُند يعرض الخلافة إلى الاضطراب والفوضى.

أخيراً ظهرَ أنه أخفى المال مقابل مكان الحمَّام، تحت أكوام الشّوك، الذي يوقد الحمَّام. أما مصير اللِّص فكان مأساوياً، وهو أن نُفخ في دبره بالمنفاخ، وحشيت فتحات جسمه بالقطن، فغدا كالزِّق المنفوخ، وورم جسمه، وعيناه قد برزتا، فجيء بأطباء وأمروا أن يُضرب فوق حاجبيه، فأخذت الريح تخرج منها مع الدماء، ولها صوت كالصفير، حتى خمد ومات(630).

كان أمير الأمراء أبو الخير بجكم التركي(ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م) كثير الأموال، يحفظها في صناديق، ويحمل معها الرِّجال في صناديق أيضاً، كي لا يتعرفوا على طريق الأماكن التي تُدفن فيها، في عرض الصَّحراء، وبعد أن يدفنوها يُعيدهم في الصَّناديق، فضاعت بعد موته(631). يقول المستشرق الألماني آدم متس أو متز(ت ١٩١٧) في قتل أمير الأمراء بجكم، الذي قتله الأكراد بواسط(632): «ورغم يقظة الحكومة في المحافظة على الأمن، فإن العراق في أسفل بغداد لم تتمتع بالأمن قط، في أثناء القرن الرَّابع الهجري، وكان معظم اللُّصُوصصِّ بها مِن الأكراد، وقد بلغ مِن شرِّ اللُّصُوصِ أنهم قتلوا بجكم القائد التُّركي عام ٣٢٩هـ- ٩٤١م على عظيم سطوته، وذلك أنَّ قوماً من الأكراد لقوه وهو يتصيد فقتلوه بواسط»(633). فلك تخيل كم كانت قوة اللُّصُوص، إذا صحت رواية قتلهم لأمير الأمراء، والثَّابت حسب ما ذَكرنا أنَّ عصابةً مِن الأكراد قد قتلته.

تعرضت دار السّلطنة البويهيَّة (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) لغارة لُصُوص، وحينها كانت أكثر منعةً مِن دار الخلافة نفسها، ففي الثَّالث من محرم مِن تلك السَّنَّة «نقب قومٌ مِن اللُّصُوصص على دار المملكة، فأفضوا إلى حجرةٍ مِن حِجر الحَرم، وأخذوا منها شيئاً مِن الثِّياب، ونُذر بهم فهربوا، ورُتب بعد ذلك حرسٌ يطوفون حول الدَّار في كلِّ ليلة»(634).

لا تمنع قُدسية المسجد اللُّصُوص مِن التربص بالمصلين أو الغرباء الذين يأوون إلى المساجد؛ فأحدهم كان نائماً في المسجد، ومعه كيس فيه ألف وخمسمائة دينار، قال: «فما شعرتُ إلا بإنسان قد جذبه مِن تحت رأسي، فانتبهتُ فزعاً، فإذا شاب قد أخذ الكيس ومرَّ يعدو، فقمتُ لأعدو خلفه، فإذا رجلي مشدودة بخيط قنَّب في وتدٍ مضروب في آخر المسجد»(635)، ففاته اللِّصُّ ومعه الألف والخمسمائة دينار.

كان الصَّيرفيون، أو الصَّيارفة، هدفاً للُّصُوص، وهذا لِصٌّ مِن التَّائبين، يتحدث عن تجربته في سرقة صراف، كان عصياً عليه، لأخذه الاحتياطات المشددة، فتصنع شخصية المتسول وافتعل العمى، وذهب إلى داره، طالباً الصَّدقة، ولما خرجت الجارية مِن الدَّار، وتقدمت خطوات لاعطائه الصَّدقة، تمكن صاحبه في هذه الاثناء مِن دخول الدَّار والاختباء في الدَّهليز(636)، وقد شعر الصَّيرفي أن لِّصاً دخل، فأخذ قفلاً وقفل علية الدِّهليز، بعد أنْ تمكن اللِّصُّ مِن إدخال جماعته معه، فقاموا بحفر نفق يُفضّي إلى فناء الدَّار، لكنّ اللِّص الذي يروي القصة، رفض الخروج عبر النَّفق أو الممر، حسب ما جاء في الرّواية. لما خرجوا إلى الفناء وإذا يسقطوا جميعاً في حفرة، كان الصَّيرفي عملها، مموهةً بغطاء مِن خشب رقيق وقصب، وتُسَمّى «الزَّبية»، فطل الصّيرفي وجاريته

عليهم ويرميانهم بالحجارة، وهم في داخل الحفرة، حتى انتهوا بالرَّجم، ولم يعلم صاحبهم الذي في داخل الدّهليز هل دفنوا في الحفرة أم خرجوا منها(637)؟!

تفنن اللُّصُوص في حيل السَّرقة، فمِن أدواتهم فيها، تقليد مفاتيح أقفال الدَّكاكين والخزائن، فكان صاحب دُكان بالبصرة يعمل في التَّحويلات المالية، والتي كانت تُسَمَّى بـ «السَّفاتج»(638)، فأتى إليه رجلٌ ليحول سفتجةً له بالمؤجل، فصارت له معرفة بصاحب الدُّكان وصار يأتمنه، فأخذ يفتح أمامه صندوق النُّقود، يخرج منه كيساً أو يدخل آخر، فسأله عن القفل أين عمله، فأجابه صاحب الدُّكان بلا توجس منه، فذهب إلى الحداد نفسه وعمل مفتاحاً وقفلاً مشابهاً، واستغل خلو الدُّكان مِن صاحبه ومِن غلامه، وفتح الصَّندوق وأخذ ما فيه مِن نقود، وقفله، وترك البصرة إلى واسط، ولما ذهب صاحب الدُّكان إلى صانع الأقفال والمفاتيح، وسأله عمَّا إذا كان أتاه أحدٌ وطلب منه قفلاً ومفتاحاً، فأخبره بأوصافه، فعرف أنه صاحب «السَّفتجة»(639)، إلا أن صاحب الدُّكان أخيراً استطاع استرجاع النّقود، بعد مطاردة مِن البصرة إلى واسط، والقصة طويلة.

عن اللُّصُوص مِن داخل السُّلطة، يُذكر أنْ كُلف أبو الحسن بن عيسى، في وزارة أبي القاسم عبد الله بن محمد بن خاقان(640)، بالذّهاب إلى مصر والشَّام، للإشراف،أو لنقل مراجعة الحسابات هناك. دخل مصر على حمار، فاستقبله متولي المعونة(641)، وترجل له، مع المستقبلين، فعظمت هيبته بينهم، ولما دخل إلى دِهليز الدَّار التي ينتظره فيها المسؤولون، وقف وصاح: «اللُّصُوص»! ففزع الموجودون، فكلٌّ اعتبر الكلام يقصده. ثم قال لهم بما رأى بعينه وهو يدخل مصر: «يا معاشر النَّاس، أجزتُ السَّاعة على جسر قارون... فقدرتُ النَّفقة عليه عشرة دنانير، ووجدتُ العمال يحسبون عنه على السُّلطان ستين ألف دينار في كلِّ سَنة»! كان متولي المال حاضراً بين المجتمعين، فانصرف مِن المجلس غاضباً؛ لأنه المقصود، وهو أبو عليٍّ الحُسين أحمد الماذرائي(ت٣١٤هـ/٩٢٦م)، صاحب خراج مصر، منذ السَّنة (٢٩٢هـ/٩٠٤م)، وظل خلال خلافة المقتدر(قُتل ٣٢٠هـ/٩٣٢م) في منصبه، حتى سُخط عليه، وصودرت أمواله»(642). ولا نعلم بما حصل للماذرائي هل سُخط عليه بسبب هذه القضية أم غيرها، ويُرجح أنها التي أنهته. هناك لُصوص رسميون مِن غير المتعاونين مع السُّلطة، ويتقاسمون معها السّرقات، ومِن غير الفاسدين في أموال النَّاس، وهم جباة «المكوس» أي «الضَّرائب»، فهم مِن «اللُّصُوص» أيضاً، وقد عُددت الكبائر وأصحاب المكوس كانوا «الكبيرة السَّابعة والعشرين»، و«جابي المكس وشاهده وآخذه مِن جند وشيخ وصاحب رواية، شركاء في الوزر آكلون السِّحت والحرام»(643).

مِن النَّادر أن يأتي الإخباريون والقصاصون على النّساء اللّصّات، إلا ما ذكرناه ضمن خبر الخناقين، إلا أنَّ الخبر يأتينا عن عجوز كأنها كانت رئيسة عصابة مِن اللُّصُوص، حكى ذلك لَصٌّ مِن التَّوابين في تجربته مع التَّلصص، أنه وقعت عينه على صيرفي موسور، فسرق منه كيساً، وإذا بعجوز تصحبُ كلباً، فاعترضته وأخذت تُرحب به وتُقبله بحرارة، على أنها تعرفه، فألزمت عليه أنْ يأتي معها، وكلبها أخذ يلوذ به كأنه عرفه، والمرأة العجوز تستشهد بالكلب كيف عرفه، حتى أوهمت اللِّصَ أنها تعرفه مِن قَبل، فذهب معها إلى دارها، فوجد فيها أحداثاً يشربون، فرحبوا به أيما ترحيب، وأثناء ذلك نظر لثياب(بزّة حسنة)، فقرر سرقتها، ولم يحصل على الفرصة، ولما نام الأحداث أراد الخروج، فوثب عليه الكلب، ولم يتمكن مِن الاحتيال على الكلب، ولما استأذن من العجوز بالخروج، قالت له: «هات الذي أخذته مِن الصَّيرفي، وامض حيث شئت، ولا تقم في هذه المدينة، فإنه لا يتهيأ لأحدٍ يعمل فيها معي عَملاً، فأخذت الكيس، وأخرجته، حتى غاب عن المدينة»(644).

لا بد مِن ذِكر فئة مِن النَّاس يبدو وجودهم متعلق بوجود اللُّصُوص، ألا وهم الحراس والكلاب أيضاً، وما بين هذه مِن أواصر الرِّفقة خلال اللَّيل الطَّويل وخلو المكان، كذلك توسع الجاحظ في العلاقة بين الحراس والكلاب، إلى مجامعة الحُراس للكلبات(645)، فقالوا: «كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ»، عليه بالكلاب(646). يُذكر عدة أشخاص مِن هؤلاء، مثل: حمويه الأحمر، ويشجب الحارس، وقفا الشَّاة، وفارس الحَمَّامي، والأخير «كان حارساً وكان قيِّم حَمَّام»(647). يُنقل عن الأخير أنه ادعى: له علاقة مع «الكلاب خمسين سنةً، وشاخ وهُزِلَ وقُبح وتشنَّجَ ... حتَّى قتله اللُّصُوص»(648).

معلوم، أنه ما تمت إلفة النَّاس للكلاب ولا استخدامها في الحراسة، ووجود الحراس، إلا بسبب إتقاء شرِّ اللُّصُوص، نتحدث هنا عن عامة النَّاس، وضمنهم التُّجار وأصحاب الأطيان، من بساتين ومزارع، وأهل السُّلطة أيضاً، وبلاشك جزء مِن حراسة الآخرين هو الحماية مِن الاغتيال واللُّصُوص أيضاً. يكتب الجاحظ أيضاً في استخدام الكلاب للحراسة أنها تعطي إنذاراً مِن اللُّصُوص: «أنا متى وجدنا ذهراً تكثر فيه اللُّصُوص، ويفشو فيه السُّرَّاق، وتظهر فيه النُّقوب، ويشيع فيه التَّسلُّق، ممَن إذا أفضى إلى منزلِ القوم لم يرضَ إلا بالحريبة، ليس دونها شيء، أو يأتي على الأنفس، وهو لا يصل إلى ما يُريد حتى يمرَّ على النِّساء مكشَّفات، ومَن عسى إذا أخذ المرأة أخذَ يدٍ ألا يرضى أن يتوعَّد بذبح الأولاد، وأنْ يُتقي بالمال، ومَن عسى إن تمكن شيئاً أو أمن قليلاً، أن يركب الحُرَم بالسَّوءةِ العظمى وبالتي لا شوى لها، فهذا الحال أحقُّ بالحراسةِ مِن تلك الأحوال... وإذا كان الأمرُ كذلك أيُّ الأُمورِ أحقُّ بالتَّحصين والحياطة، وأيُّهما أشبه بالتغرير والإضاعة: اتخاذ الكلاب التي لا تنام عند نوم

مَن قد دأب نهاره، أو ترك اتخاذها؟ ويقظة السُّرَّاق على قدر نوم المسروقين»(649).

روى أبو بكر محمد بن خَلف المعروف بابن المرزبان(ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م)، في كتابه الظَّريف واللافت في عنوانه وموضوعه «تفضيل الكِلاب على كثيرٍ ممَّن لبس الثِّياب»، حكايات وأخبار مختلفة عن حماية وحِراسة الكَلب لصاحبه وماله وعرضه، أن شيخاً مسناً قد ذهب لأداء فريضة الحجَّ، وقد مرت قافلتهم بمنطقة قريبة مِن بغداد تُسمَّى «الياسرية»، وأناخوا ببستان، وكان كلب رابضاً بجوارهم، رموا له ببعض الطَّعام. وبعد ارتحالهم تبعهم الكلب، فألفوه، ومِن منزل إلى منزل، وما أن يقرب أحد مِن الجِمال والمحامل إلا ونبح، وقد أمنا مِن «سِلال الطَّريق»، أيّ اللُّصُوص، وتبعهم حتى وصلوا مكة، ومنها إلى اليمن، وعاد معهم إلى بغداد، وهو يقوم بمهمة الحِماية(650)، مَن يبحث في مواقف الكلاب مع أصحابها لا يجد في ما رواه ابن المُرزبان خيالاً.

ليس أغزر مِن حكايات وقصص وأخبار اللُّصُوص، وهو موضوع خصب للتلفيق، منه يأتي ضرباً مِن ضروب الفكاهة، ومنه للاعتبار، ومنه يكون صحيحاً لكن لغرابته لا يُصدق، لذا تركنا الكثير الكثير مِن الحكايات، وما أخذناه في هذا الفصل إلا الشَّيء اليسير، كي لا نُثقل على القارئ ويتعدى الكتاب حجمه، فعالم اللُّصوصيّة واسع يصعب الإلمام به، وهي ظاهرة مصاحبة للبشريَّة، منذ وجود الحاجة للاستحواذ على ما يملكه الغير، منه لضرورة في حالة الجوع، ومنه حِرفة ومرضٌ نفسي يُصيب حتَّى الأغنياء.

هذا، ولا نعلم صحة ما نُقل عن إسماعيل بن عبد اللّٰه الرَّعيني صاحب الفرقة «الرَّعينيَّة»، أنه أباح اللُّصُوصيَّة، ولأصحابه قطع الطَّريق، على أنه ضرب من ضروب الكسب، جاء في الخبر: «كان عند فرقته إمام واجبة طاعته، يؤدون إليه زكاة أموالهم، وكان يذهب إلى أنَّ الحرام قد عمَّ الأرض، وأنه لا فرق بين ما يكسبه المرء مِن صناعة أو تجارة أو ميراث، أو بين ما يسلبه مِن الرِّفاق، وأن الذي يحل للمسلم مِن كلٍّ ذلك قُوته كيفما أخذه»(651). نقل هذه المقال ابن حزم الظَّاهري(٤٥٦هـ/١٠٦٣م) مع التأكيد بعبارة: «وما الذي لا شك فيه»(652).

اعتبر ابن حَزم إسماعيل الرّعيني مِن أصحاب محمد بن عبد اللّٰه بن مسرة، الذي يوافق المعتزلة في مسألة القدر ومسائل أُخر، ثم برئ منه، ويصفه بالمجتهد والمنقطع العبادة والزُّهد، لكنه «أحدث أقوالاً شنيعة»(653)، ويضيف ابن حزم قائلاً: «أدركته إلا أنّي لم ألقه»(654). ثم يأتي عباس بن منصور السَّكسكي(ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤م) ويجعل الرّعينية مِن فرق المعتزلة، بشكل

واضح(655)، مع أن مؤرخي المعتزلة، الذين كتبوا تاريخ طبقاتهم، لم يذكروا الرَّعيني لا مِن بعيد ولا مِن قريب(656)، وكذلك مؤرخو الملل والنِّحل، ومَن هم مِن خصوم المعتزلة، لم يذكروا، حسب الطبعات التي لدينا، الرَّعينية كفرقة معتزلية(657).

بالمعنى نفسه، ولكنَّ ليس للمتكلم أوفقيه وإمامٍ في فِرقته الدينيَّة، وإنما نُسب لشاعرٍ مشهور، تحملَ الكثير في نسبةِ الشِّعر له، كي يشتهر باسمه، على أنَّ أبا نواس (ت ١٩٥- ١٩٧هـ/ ٨١٠- ٨١٢م) اسمه يقبل مثل هذه التَّلفيق، عند مَن لا يرى فيه غير الابتذال، فقد نُسب له ما يُشجع على اللُّصُوصية، وكأنه أحد شعراء اللُّصُوص ولم يكن منهم، هذا ما نسبه الشَّيخ يوسف الشَّربيني(نحو ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) لأبي نواس، وأخذ الآخرون يتناقلونها بلا تحقيق وتمحيص(658):

يقول ليَّ العذول وليس يدري

دع المال الحرام وكنْ قنوعاً

إذا أنا لم أجد مالاً حــلالاً

ولم آكل حراماً متُ جوعاً

وردت الأبيات نفسها، مع تغيير شطر البيت الأول ليصبح: «يقول لي الجهول بغير علمٍ»، عند سعد الدِّين مسعود بن عمر التَّفتازاني(ت ٧٩٢هـ/١٣٨٩م)، لكنه لم ينسبها لأبي نواس، إنما قال: «وما أملح قول الظَّريف»(659). كذلك وردت الأبيات نفسها عند عبد الرَّزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي(ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، مع تغيير في شطر البيت الأول ليكون: «يقول ليَّ الفقيه بغير علم...»، ولم ينسبها لأبي نواس، أحدهم أنشدها لابن الفوطي، ولم ينسبها لأبي نواس(660). وورد الشَّطر الأول مِن البيت الأول «يقول لي العذول وليس يدري» في شعر أبي عبادة الوليد البحتري(ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م)(661):

يقولُ ليَّ العذول وليس يدري

بأنَّ اللّوم مِن شِيع الخناءِ

غيرَ أن لأبي نواس قصيدة لامية وردت في خمرياته، أتى فيها تمني الغنى، جاء منها في ديوانه «برواية الصُّولي» سبعة عشر بيتاً، ومطلعها(662):

وخيمة ناطورٍ برأسٍ منيفةٍ

تهمُ يداً مِن رامها بزليلِ

ومنها ما قيل استشهد به اللُّص عثمان الخياط، وفق ما رواه الرّاَغب الأصفهاني(ت ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م)(663)، ولم يأت عليه الجاحظ(ت ٢٥٥هـ: ٨٨٦م) عندما ذَكَر وصية الخياط، كما مرَّ بنا:

سأبغي الغنى إما جليس خليفةٍ

نقومُ سواءً أو مُخيف السَّبيلِ

بكلِّ فتىً لا يُستطـارُ جنــانُه

إذا نوّه الزَّحفان باسمِ قتيلِ

لنُخمسُ مالَ اللّه مِن كلِّ فـاجرٍ

وذي بطمةٍ للطّيباتِ أكولُ

أتت في نسخة من ديوان أبي نواس «نديم خليفة»(تحقيق الغزالي)، ولم تأت «وزير»، ولا نعلم مِن أين أتى بها محمد رجب النَّجار في كتابه «حكايات الشَطار والعيارين، عندما أتى بالبيت وقد أخذه مِن الرَّاغب الأصفهاني، فجعلها: «سأبغي الغنى إما وزير خليفةٍ»(664). وقال: عن أبي نواس: «أبياته التي اتخذها العيارون والشُّطار والمكدون وأشباههم شعاراً لهم»(665)، كيف توصل النَّجار لهذا الاطلاق، وعلى أيّ مصدر اعتمد؟! مع أن الرَّاغب انفرد في ذِكر إنشاد عثمان الخياط لبيتين مِن قصيدة أبي نواس، مثلما تقدم، والبيتان اللَّذان اختارهما الرَّاغب، على أن الخياط أنشدهما، هما مع تغيير «الغنى جعلها الفتى» و«لنُخمس جعلها أسرق»(666)، وبهذا لم تبق الأبيات أبيات أبي نواس:

سابغي الفتى إمَّا جليسٌ خليفةٍ

بقوم سواءً أو مخيف سبيلُ

وأسرقُ مالَ اللّه مِن كلِّ فاجرٍ

وذي بطنةٍ للطيبـات أكولُ

ذكر أبو نواس في بيتين له، وهو يُشَبَّه الخمَّار باللِّص، والكأس سيفه(667):

نَجوتُ مِن اللِّصِّ المُغيرِ بسَيفهِ

إذا ما رَمـاهُ بالتّجار سَبيلُ

وصَلْتُ خمَّارٌ عـليَّ بكأســه

فراحَ بآثوابي، ورحتُ أميلُ

وفي رواية(668):

وسلَّطتُ خمَّاراً عليَّ بخمَّرهِ

فراحَ بأثوابي ورحَتُ أميلُ

أخيراً، مع كلِّ الشَّرّ الذي يُظهره اللُصُوصُ، بفئاتهم كافة، هناك مَن قال: «اللِّص أحسن حالاً مِن الحاكم المرتشي، والقاضي الذي يأكلُ أموال اليتامى»(669).

الفَصل الثَّامن

عقوبة اللِّصِ

ليس مِن السُّهولة تحديد مَن تنطبق عليهم عقوبة، أو حد السَّرقة، مِن اللُّصُوص، على ضوء ما ورد في اختلاف فئاتهم في السَّرقة، وقد مرّ بنا ذِكر مَن لحق به لَقب «الأقطع»، إشارة إلى حد القطع الذي نُفذ به، ومَنهم مَن تعرض للقتل، والقتل الجماعي حينما توجد عصابة مِن اللُّصوص. لكنَّ هذه العقوبة، التي جاءت واضحة في «القرآن»: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ](المائدة: ٣٨)، أخذت تنفذ في غير عقوبة السّرقة، مثلما هو الحال مع الوزير بن بقية، الذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً، في هذا الفصل.

نجد عقوبة السَّرقة، مِن العقوبات الدِّنيوية القليلة، التي وردت في (القرآن)، غير أنَّ الفقهاء توسعوا بعد ذلك فزادوا بالعقوبات، منها بالقتل والجلد، ناهيك عمَّا ينفذ تعزيراً لغرض التَّأديب(670). فمن العقوبات التي وضعها الفقهاء، ولا وجود لها في القرآن الكريم: قتل المرتدين(العقائديون غير المحاربين)، وقتل على الإساءة اللَّفظية للذوات المقدسة(671)، وقتل السَّاحر، والقتل رجماً للمُحصنين عقوبةً على ارتكاب فعل الزِّنى(672)، والجلد لشارب الخمر(673).

أمَّا ما يخص عقوبة أو حد السَّرقة فعند الضَّرورة، أو الضَّرر مِن الجوع والجذب، تتوقف، مثلما حدث في عام الرَّمادة (١٨هـ/٦٣٩م)،عندما أُحضر أمام الخليفة عمر بن الخطاب(اغتيل ٢٣هـ/٦٤٣م) بعض السُّراق، قال: «لن يهلك النَّاس على أنصاف بطونهم فكيف نأمر بالقطع؟»(674).

وردت قصة امرأة اسمها فاطمة بنت الأسود المخزومية، وقد قُطعت يدها بحد السَّرقة، عندما سرقت حُلياً، ولما تكلم نفراً مِن قريش في العفو عنها كَلفوا القريب جداً مِن النَّبي، وهو أُسامة بن زَيد(ت ٥٤هـ/٦٧٤م)، ليشفع لها عنده، فأجابة النَّبي: «يا أُسامة لا تشفع في حدٍ، فإنه إذا انتهى ليَّ لم يكن فيه مترك، ولو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقُطعت يدها»(675). يُتفق في هذا المعنى أن أحد الصَّحابة أتى بسارق ردائه إلى النَّبي «فأمر بقطعهِ»، لكنَّ صاحب الرِّداء قال: «قد تصدقتُ به عليه. قال: هلا قَبل أنْ تأتيني به؟!»(676).

ورد في الأحاديث أنَّ السَّرقةَ تُعادل الكفر في درجة الذَنب، في لحظة الفعل، بمعنى أنها مِن بين أكبر الكبائر. جاء في الحديث: «لا يَزني الزَّاني وهو مؤمن، ولا يَسرق السَّارق حين يسرق وهو مؤمن...»(677). جاء في الحديث عن قَدر المال المسروق الذي يصح به قطع اليد: «تُقطع اليد في رُبع دينار فصاعداً»(678)، والحديث: «تُقطع يد السَّارق في رُبع دينار»(679).

يختلف المشرعون في قدر المال المسّروق الذي يُقط به: «النّصاب في السَّرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم، وقال أبو حنيفة: دينار أو عشرة دراهم. وفي الصَّحيحين: من حديث عائشة: أنَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعداً»(680). كذلك عند الشّيعة الإماميّة، مثلما ورد عند شيخ الطّائفة أبي جعفر الطُّوسي(ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م)، القطع يكون بربع دينار، أو ما قيمته تعادل الرّبع دينار(681). على كلِّ حال يكون القطع «ألا ينقص قيمة المسروق عن ربع دينار مِن الذَّهب المسكوك، وقيل خُمسه»(682).

لكنّ يُشترط في تطبيق حد السَّرقة أن يكون المال المسروق في حرز، أيّ في حِفظ، إذا كان «من غير حَرز، فلا قطع»(683). كذلك لا يُطبق حد السَّرقة على: السَّارق مِن مال أبيه، أو جده، ومِن مال ولده أو حفيده، كذلك مِن مال الأُمِّ، والسَّارق والسَّارقة مِن مال الزَّوج أو مِن الزَّوجة، والعبد السَّارق من مال سيده، أو السَّيد السَّارق مِن مال مكاتبه، أو مِن الغنيمة التي لم تُخمس بعد، أو فقير مِن غلةٍ أو بيدر، أو مِن مال السَّارق فيه شريك، ولا قطع على منتهب المال، ولا على المختلس، ولا على الغاصب للمال(684)، ولا على خائن في وديعة، ويُقطع السَّارق مِن مال الأخ أو القريب(685).

كذلك لا قطع على سارق «في الثَّمر ولا كثر، والكثر الجُمار»(686). غير أنه مِن الفقهاء مَن يُطبق الحد بالقطع في: الرَّجل إذا سرق مِن مال أبيه أو أمه، وإذا سرقَ مِن مال زوجته، كذلك الزَّوجة تُقطع إذا سرقت مِن مال زوجها، وتُقطع إذا سرقت مِن مال ولدَها، بينما لا يُقطع الرَّجل إذا سرق مِن مال ولدَه(687).

أما عن كيفية القطع: قطع اليد اليمنى مِن مفصل الكف(688). هذا، ومَن حَكم بقطع الأصابع الأربع من اليد اليمنى، ويبقى الابهام وأصبع الرَّاحة، تُقطع اليد «اليُمنى مِن أُصول الأصابع الأربعة، وتترك الرَّاحة والابهام»(689). لأن الأصابع الأربع هي التي باشرت السَّرقة، وفي حال أنْ تكون يد السَّارق اليُمنى شلاء(مشلولة) فلا تُقطع اليسرى مكانها، بل تُقطع هي نفسها، إذا كانت اليُمنى غير موجودة تُقطع اليُسرى(690). أما الخوارج فيُذكر أنهم كانوا يقطعون يد السَّارق مِن المرفق(691).

قال أبو العلاء المعري(٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، عن المقدار الأدنى الذي تُقطع فيه اليد، بينما ديتها تبلغ «خمسمائة دينار»(692)، أي أكثر مِما تُقطع به بكثير(693):

تَناقضٌ ما لنَّا إلا السُّكوتُ له

وأنْ نعوذُ بمولانا مِن النَّارِ

يدٌ بخمس مئين عسجدٍ فديت

ما بالُها قُطعَتْ في ربعِ دينارِ

ردَّ على المعري، في هذه القضية بالذات مِن مجايليه، الشَّريف الرّضي(ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) بالقول(694)، وهذا البيت نسبه آخر إلى زبلاق(695):

صِيانة النَّفس أَغلتها وأرخصها

صِيانة المال فانظر حِكمة الباري

أما ابن قيم الجوزية(ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، فلم يذكر اسم المعري إنما قال: «وقد أوردَ بعض الزَّنادقة هذا السُّؤال وضمنه بيتين»(696). نسب الرَّد إلى شمس الدِّين الكردي(697):

قــلْ للمعري عــارٌ أيما عــارُ

جهل الفتى وهو عن ثوب التُّقى عارِ

لا تقدحنَّ زناد الشِّعر عن حكـمٍ

شعـائر الشّــرع لم تّقدح بآشعــارِ

فقيمة اليدِ نصف الألف مِن ذهبِ

فـإن تعــدت فلا تسوي بدينــارِ

أما عن نسبة الرَّد، على المعري، إلى الفقيه والقاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي(ت٤٢٢هـ/١٠٣٠م) (698)، فلم نجد لها أصل عند مَن ترجموا له(699)، بل نجد له ما يُشير إلى صلة مودةٍ له مع المعري، فقد مرَّ بمعرة النُّعمان، وهو في طريقه مِن العراق إلى مصر، واستضافه المعري، وقال فيه(700):

والمالكيُّ بن نصر زارَ في سفرٍ

بلادَنا فحمـدنا النَّأي والسفرا

إذا تفقــه أحيــا مالكاً جَدلاً

ويـنْشر الملك الضَّليل إنْ شعرا

ما تقدم ملخص عقوبة السَّرقة في الإسلام، وسنقدم هنا ملخصاً لها في ديانات وحضارات قديمة: جاء في اليهوديَّة: «إذا أُمسك لِصٌّ أو سارقٌ، عليه أن يعوض ضعفي المتاع المسروق، وإذا لم يكن قادراً على ذلك فكان يُباع عبداً لمدة معينة، يتمكن بها جمع المال، ما يُطلب منه مِن التَّعويض»(701). وحسب اليهوديّة إذا قتل صاحب البيت لِصّاً دخل بيته في الظّلام «لا يُحسبُ جريمة، ولكن إذا أشرقت الشَّمس وقُتل صاحب البيت المتطفل، فإن ذلك يُحسب عليه جريمة»(702).

ـّ

هذا ما جاء في «العهد القديم» عن اللَصّ: «وإنْ وجد السَّارق وهو يَنقب، فضُرب وقُتل ذُهبَ دمه هدراً، فإنْ وُجدَ وقد أشرقت الشَّمس، فلا يذهب دَمَه هدراً بل يعوض، وإن لم يكن له شيءٌ، فليبلغ لردِّ ما سَرقه، وإنْ وجدت السَّرقة في يده حيَّةً، مِن ثور أو حِمار أو شاة، فليعوض بدل الواحد اثنين»(703).

حددت شريعة حمورابي(١٧٩٥-١٧٥٠ قبل الميلاد) عقوبات على السَّرقة في تسع مواد(٦-١٤)، وتتراوح بين الغرامة المالية والقتل، حسب طبقة المسروق الاجتماعيَّة، إذا كان يخص الإله أو عامة الشَّعب، أو نوع السَّرقة، إذا كانت حيواناً أو أشياءً أو طفلاً قاصراً. جاء في المادة الثَّامنة الآتي: «إذا ارتكب الرَّجل الحُر سَرقةَ ثورٍ أو خروفٍ أو حِمار أو خنزير أو قارب، غُرم ثلاثين مثلاً مما سَرق، إذا كانت مِن إله(704) أو بيت كبير. فإن كانت السَّرقة مِن فردٍ مِن أفرادِ الشَّعبِ غُرم عشرة أضعاف مما سَرق، فإن لم يستطع دَفع الغرامة وجب ذبحه»(705).

ورد في المادة التَّاسعة مِن مواد عقوبة السَّرقةِ المذكورة، أنه إذا فقدَ رجلٌ شيئاً ثم وجده مع آخر، وأنَّ الأخيرَ قد أثبت أنه قد اشتراه، و«اعتبر البائع سارقاً ذُبح، واسترجع المدعي الشَّيء المفقود، واسترد المشتري قيمة ما دَفع مِن بيت البائع»(706). وفي المادة الرَّابعة عشرة: «إذا سَرق رجلٌ ولداً قاصِراً لآخر فإنه يُذبح»(707). أما ما يخص سرقة المعبد فتناولته المادة السَّادسة ونصها: «مَن سَرق مالاً خاصاً بأحد الآلهة، أو بيت كبير وجب ذبحه، كذلك يُذبح مَن قَبل هذه المسروقات»(708).

لم يُذكر قطع اليد عقوبةً على اللِّص أو اللِّصة، في الشَّرائع القديمة، مما تقدم طرحه، مثلما ورد في الإسلام، غير أن هذا النّوع مِن العقوبة، من دون التَّمييز بين سَرقة مسجد أو شريف أو عامي، ورد في «الجاهلية»، فـ«كان قطع اليد معمولاً به في الجاهلية، قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أقره، وزاد عليه شروطاً»(709). ومِن الذين قُطعت أيديهم على السّرقة في «الجاهليَّة»: مدرك بن عوف بن عُبيد بن عمر بن مخزوم «سرق في الجاهلية مراراً»، فقطعت قريش يده، ثم عاد وسَرق فرجموه حتى مات. والخيار بن عَدي بن نوفل بن عبد مناف، ومليح بن شريح بن الحارث قُطعت يده في «أمر غزال الكعبة»، وعبيد بن عثمان بن عَمرو، ووابصة بن خالد بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم(710).

كذلك في الإسلام تُقطع يد السَّارق وإذا كررها مراراً يُقتل، وعند الشِّيعة الإماميَّة تُقطع الأصابع الأربعة ويُترك الإبهام، وتترك راحة اليد لأنها مِن

المساجد، أي يسجد عليها عند الصَّلاة، ويختصر القطع على الأصابع؛ لأنها هي التي تُباشر السّرقة(711). إذا كرر السَّرقة، مرة أخرى، تُقطع رجله اليُسرى مِن مفصل القَدم، بعد أن قُطعت يده اليمنى في المرة الأُولى، وفي الثَّالثة يُسجن سجناً مؤبداً، وإذا مارس السَّرقة في السّجن وجب قتله(712).

ورد في المذاهب السُّنَّية الأربعة في شأن القطع: «قطع يد السَّارق اليمنى إن كانت سليمة، فأما إذا كانت مقطوعة، أو مشلولة، فإنه تُقطع اليُسرى، وذلك بإجماع آراء علماء الأُمة، مِن غير خلاف بينهم، وذلك لأن المال محبوب للنفوس، تميل إليه الطِّباع البشرية، خصوصاً عند الضَّرورة... والعبد والحُر في القطع سواء لإطلاقه، ولأن القطع لا ينتصف»(713). تكون مساواة العبد بالحر عند عقوبة القتل أو الرّجم والقطع، أما في عقوبة الجلد فتنتصف العقوبة، كجلد الزَّاني والزَّانية، وجلد شارب الخمر(714). لما رفض أمير المدينة قطع يد الآبق(العبد الهارب) السَّارق، وكان عبداً لعبد اللّٰه بن عمر بن الخطاب(ت ٧٣هـ/ ٦٩٢م)، وقد أرسله إليه ليُقطع، فقال له عبد اللّٰه بن عمر: «في أيّ كتاب اللّٰه وجدت هذا؟ ثم أمر به عبد اللّٰه بن عمر فقطعت»(715).

هناك مَن يجعل حُكم اللِّصّ حكم أصحاب الحرابة، وهو القتل، فقد ورد حديث عن عائشة أمّ المؤمنين(ت ٥٨هـ/ ٦٧٨م)، وجوب قتل اللِّص، واعتباره محارباً، لكن أُكتشف أنَّه مِن الموضوعات: «اللِّص محارب لله ورسولهِ فاقتلوه، فما أصابكم مِن أثم فعليَّ»(716). كان سبب اعتباره موضوعاً أنَّ أحد رواته نسبه إلى مالك بن أنس والأخير لم يروه، فلا تحل الرّواية ولا الاحتجاج به(717). أقول: لو قالوا لا يصح لأنَّه يُخالف الحكم الذي ورد في القرآن في السَّارق والسَّارقة، لقيل لهم لماذا يصح قتل المرتد، ولم يكن له حكم في القرآن؟!

تُقطع يد اللِّصّ؛ لأنها التي مارس بها فعل السَّرقة، مثلما تقدم، لكنَّ البعض أثارَ السُّؤال الآتي: لماذا لا يُقطع ذَكر الزَّاني، أو إخصاؤه مثلاً، لأنه آلة الزِّنى، يأتي الجواب مِن الفقه: «لأنه يوجد للسارق مثل اليد التي قُطعت، فإن انزجر بها اعتاض بالثَّانية، ووجد عوضاً عنها، ولكنْ لا يوجد للزاني مثل ذَكَره، فإذا قُطع لا يعتاض بغيره، ولا يجد عضواً يسدُ مسده، وأيضاً؛ لأنَّ قطع الذَّكر فيه إبطال النَّسل، وليس في قطع اليد إبطاله»(718). إنَّ أغلب الدُّول، التي تعد دينها الرَّسمي الإسلام، لا تُطبق عقوبة القطع في اللُّصُوص؛ لأنها لم تعد مناسبة للزمن، وستُزيد مِن أصحاب العاهات.

ورد في مجلة «الأزهر»(نوفمبر/تشرين الثَّاني ١٩٦٠) دعوةٌ إلى تطبيق الشَّريعة في اللُّصوص، في مقال كتبه أحد الأزهريين: «لستُ أدري لِمَ لا تُنفذ حدود

اللّه، ولو في هذه الجريمة، جريمة السَّرقة، وهي كثرت وأشتد خطرها، وهي أكثر الجرائم ترويعاً للناس، وشغلاً لجهاز الأمن في الدَّولة. لعلَّ أكثر مِن نصف القضايا التي تنظرها المحاكم الجنائية هي قضايا السَّرقة، وأن قطع يد واحدة لكفيل أنْ يُريح النَّاس مِن هذا الشَّر المستطير»(719).

غير أن المطالب بتطبيق حد القطع نفسه يقول: «وربَّ قائلٍ يقول: إنها قَسوة أن تُقطع يد الآدمي، ولكنْ أقول: هل مِن القسوة أن نقتص مِن الظَّالم الباغي»(720). نعم، لأنها تترك عاهة مستديمة، تؤثر على حياة الأولاد والأسرة كاملة، مِن النَّاحية النّفسية والاجتماعية، يتحول فيها «الأقطع» إلى حاقدٍ على المجتمع، وهنا لا نقول أن تبقى اللُّصوصيّة بلا عقوبة، إنما هناك عقوبات تكون فعالةً، تتناسب مع تقاليد الزَّمان، لا أن تُزيد عدد أصحاب العاهات، فالعلوم والأساليب تقدمت، والأهم مِن هذا دور الدَّولة في علاج الفقر والبؤس وتنظيف أجهزتها مِن المستحوذين الفاسدين في المال العام، ووقف الهدر فيه، كلُّ هذا لم يفكر به الدَّاعي إلى تطبيق عقوبة السَّرقة بقطع اليد، وإذا كررها تقطع رجله وإن كررها يُقتل.

ثم يأتي الشَّيخ الأزهري المطالب بتطبيق قطع اليد في اللُّصُوص، مِن ذكور وإناث، بمثل ما حصل بالحجاز: «فهذه أرض الحِجاز، التي كانت في يومٍ مِن الأيام مباءة للُصوص وقطاع الطُّرق، وقد ذاع بين ربوعها السَّلب والنَّهب، ما أنْ نُفذت فيها حدود اللّه، وقُطعت فيها يد السَّارق، حتى عمَّ الأمن وأصبحت تمضي الشُّهور بل السِّنون دون أنْ نسمع بحادث واحد مِن حوادث السَّرقة، وانتهى هناك عهد قطاعي الطُّرق»(721). كذلك نسى الشَّيخ الذي اعتبر قطع اليد كفيل بالقضاء على اللُّصُوصية وقطع الطُّرق، وجود أجهزة الدَّولة الأمنية، والطُرق الحديثة، التي ألغت تلك الظاهرة، فلم يبقِ السَّفر على قوافل الجمال مثلما كان، عرضةً لقطاعي الطُّرق، إضافة إلى تحسن الأوضاع المعاشية.

هناك رأي يأتي به رجل الدِّين العراقي كمال الحيدري، مع إشارته إلى ما جاء به الشَّيخ السُّوداني محمود محمد طه(اعدم ١٩٨٥)، مِن دون اتفاق كلي معه، في أخذ الزَّمن بنظر الاعتبار في المعاملات، وهو أن الأصل في الإسلام ما نزل بمكة، أما ما جاء بالمدينة فهو لنشر الإسلام، ويُعد محصوراً بزمانه، وهو ما يتعلق بالعقوبات أيضاً، فكثير مما ثبت في الفقه كل ما يخص الرِّق وما يميز الرَّجل عن المرأة بالأحكام، وتعدد الزّوجات لا أصل له في الإسلام، ويقصد الإسلام بمكة(722).

غير أنَّ الحيدري يرى وجود اختلاف بين العقوبات كنصوص وتطبيقها كممارسة، فالعقوبات نصوص ثابتة، لكنَّ تطبيقها يختلف مِن زمن إلى آخر،

فما طَبق في صدر الإسلام قد لا يصلح تطبيقه في زمان بعده، لكنَّ الذين يقولون بأن التَّطبيق صالح لكلِّ زمان ومكان، مِن السلفية السُّنية، لا يريدون الخروج عمَّا قيل ومورس في عهد الصَّحابة، وعند السلفية الشيعية، لا يريدون الخروج عمَّا جاء في زمن الأئمة المعصومين، أما هو فلا يرى قطع اليد صالحاً في زماننا هذا(723).

يرى الفقه الشِّيعي، من الأقدمين والمعاصرين، بعقوبة الطِّفل السَّارق بحك أنامله بحجر خشن حتى تُدمى، وقيل يؤدب في الأولى، وتُحك أنامله في الثَّانية والثَّالثة، وتُقطع إذا كررها، مثلما يُعاقب به البالغ بقطع أصابعه(724). غير أنّ هناك حديثا يتداول في الفقه السُّني: «رُفع القلم عن ثلاثةٍ: عن صبي حتى يحلم، وعن المجنون حتى يُفيق، وعن النّائم حتى يستيقظ»(725). مما يُفيد ليست هناك عقوبة على الصَّبي، أي لا يُقطع ولا تحك أنامله(726).

كان لكاتب الشّرطة، في الدَّولة الإسلاميّة، «النَّظر في الجنايات، وإقامة الحدود على مَن وجبت، والعقوبات، والفحص عن أهل الرَّيب والمُنكرات، وتعزير(تأديب) مَن وجبَ تعزيره، وإقامة الحدود على مَن وجبت إقامتها عليه، مِن اللُّصُوص ونحوهم»(727). صحيح أنَّ عقوبة قطع اليد جاءت واضحة في القرآن، لكنَّ حُكاما كثيرين تعاملوا مع اللُّصُوص بأشد مِن ذلك، وذلك مِن باب استخدام الرَّدع القوي، فمما يُنقل أن والي البصرة زياد بن أبيه(ت ٥٣هـ/٦٧٣م) بعث «إلى رجال مِن بني تميم، وجمع العرفاء، فقال: اخبروني بصُلحاء كلِّ ناحية، فأخبروه، فاختار منهم رجالاً فضمنهم الطَّريق، وجدَّ لكلِّ واحدٍ منهم حدّاً، فكان يقول: لو ضاع بيني وبين خراسان حبلٌ لعلمتُ مَن قطعه، وكان يدفن النَّباش(728) حياً، وينزع أضلاع اللُّصُوص»(729).

أمر عثمان بن عفان(قُتل ٣٥هـ/٦٥٥م)، أمير الكوفة بقتل لُصوص نقبوا دار رجلٍ يُدعى ابن الحَيسمان الخُزاعي وقتلوه، فقُتلوا على باب قصر في الرَّحبة، وهي ناحية قريبة مِن الكوفة، فقال عمرو بن عاصم التَّميمي(730) في المناسبة(731):

لا تأكلوا أبداً جيرانكم سَرَفاً

أَهل الزَّعارةِ في مُلكِ ابنِ عَفَّانِ

إِنَّ ابنَ عفّانَ الذي جَرَّبتــم

فَطمَ اللُّصُوص بمحكمِ الفُرقَان

مازالَ يَعملُ بالكتابِ مُهيمناً

في كــلِّ عُنْقٍ منْهــم وَبَنــانِ

كذلك يُذكر عن أمير البقاع منصور المعروف بابن الفريح: «انتهى أمره إلى الإمارة وتظاهر بقتل المناخيس(732)، وأهل الزَّعارة والشَّطارة، وكان يُبغض اللُّصُوص، والقِطاع(قاطعي الطَّريق)، ويُعاملهم إذا قُبض عليهم بالقتل والتَّمثيل»(733).

كذلك عاقب المعتضد بالله العباسي(ت ٢٨٩هـ/٩٠١م) لُصُوصاً بالقتل، عندما وصله خبر أنَّ جنوداً مِن الجيش دخلوا إلى بستانٍ وسرقوا منه قثاءً(ثمر الخيار)، وكانوا ثلاثاً، فأمر بحبسهم، وفي اليوم الآخر أحضروا إلى حقل الرَّجل الذي اشتكى عنده، وضُربت أعناقهم. فأخذ النَّاس تتحدث عن قسوة الخليفة، وكيف يقتل جنوداً على أكل قثاءٍ؟! وقبلها كان قد قتل نديمه المفكر أحمد بن الطَّيب السَّرخسي المعروف بابن الفرانقي(ت ٢٨٦هـ/٨٩٩م)، فقال له أحد خواصه بعد أن سأله عمَّا يُقال عنه: «إسراعك إلى سفك الدِّماء»(734). فأجابه قائلاً: «واللّه ما كان أولئك المقتولون هم الذين أخذوا القثاء، وإنما كانوا لصُوصاً حملوا مِن موضع كذا وكذا، وواقع(صادف) ذلك أمر أصحاب القثاء، فأردتُ أن أهول على جيشي بأن مَن عاث مِن عسكري، وأفسد بهذا القدر، كانت هذه عقوبتي له، ليكفوا عمَّا فوقه، ولو أردتُ قتلهم لقتلتهم في الحال والوقت، وإنما حبستهم، وأمرتُ بإخراج اللُّصُوص مِن غدٍ مغطين الوجوه، ليُقال إنهم أصحاب القثاء»(735). أمَّا عن قتله السَّرخسي، وهو تلميذ الفيلسوف الكندي، فقد برر المعتضد قتله له، بأنه دعاه إلى الإلحاد، فيقول قلتُ له: «أنا ابن عمِّ صاحب الشَّريعة، وأنا الآن منتصب منصبه، فألحدُ حتى أكون مَن؟!»(736).

صار بالأندلس إفراط في عقوبة السَّرقة، يقابله تنمر عنيف مِن قِبل اللصُّوص «ولا تكاد في الأندلس تخلو مِن سماع دار فلان دُخلت(أي كبستها اللُّصُوص) البارحة، وفلان ذبحه اللُّصُوص على فراشه، وهذا يرجع التَّكثير منه والتَّقليل إلى شدة الوالي ولينه، ومع إفراطه في الشَّدة وكون سيفه يقطر دماً فإن ذلك لا يُعدم، وقد وصل الحال عندهم إلى أنْ قتلوا على عنقود سَرقه شخص مِن كرْمٍ، وما أشبه ذلك، فلم ينته اللُّصُوص»(737). على ما يبدو يُريد صاحب «نفح الطِّيب» القول إنَّ التَّطرف بالعقوبة يأتي بنتائج سلبية تُزيد مِن الجرائم المعاقب عليها، وليس العكس.

طرح القاضي العراقي رحيم العكيلي رأياً في الإفراط بالعقوبة، فقد وجدوا كقضاة «في تطبيقات تشديد عقوبات الجرائم إلى الإعدام خصوصاً حين انتشار سرقات السَّيارات في التّسعينيات إلى أنَّ المجرمين أخذوا لا يكتفون بأخذ السَّيارة كما كانوا يفعلون قبل التشديد، بل بدؤوا يقتلون صاحبها أيضاً، خوفاً مِن تعرفهِ لاحقاً عليهم فيختارون قتله، لكي لا يصل بهم إلى حبل المشتقة لاحقا».

جاء ذلك جواباً على سؤال وجهته إلى القاضي رحيم العكيلي، الذي عمل في المحاكم العراقيَّة (١٩٩٧-٢٠١٣)، وترأس هيأة النَّزاهة بالعراق (٢٠٠٨-٢٠١١)، لأنه كان قد طرح قضية إلغاء عقوبة الإعدام، ومما جاء في رسالته أيضاً: «إنَّ عقوبةَ الإعدام لم تقلل من الجريمة بل فاقمتها، وهناك قاعدة معروفة عن القضاة خصوصاً المصريين يقولون: إذا أردت منع تطبيق عقوبة جنائية فبالغ بقسوتها، حين ذاك يتجنبها القضاة. خصوصاً مع عقوبة خطيرة كالإعدام التي لايمكن إصلاح الخطأ العدلي فيها. حينما تحكم على برئ بجريمة يظهر لاحقاً بأنه لم يرتكبها، فيلجأ القضاة إلى الميل للإفراج عن المتهم تجنباً للوقوع بمثل تلك الانتهاكات. إن فلسفة العقوبة الحديثة التي تنحى إلى إصلاح المجرم، وإعادة إدماجه في المجتمع أو تجنيب المجتمع خطورته الإجرامية؛ تأبى الأخذ بعقوبة الإعدام، فهي لا تصلح مجرماً، وإذا أردنا تجنيب المجتمع خطورته الإجرامية فيكفي أن نحكمه بالسجن مدى الحياة. أمَّا الإعدام فإنها عقوبة انتقامية من الجاني، لا تتفق مع الفلسفة الحديثة للتجريم والعقاب»(738).

السَّنة (٣٠٩هـ/ ٩٢١م) «في رمضان كبس اللُّصُوص منزلَ أبي عيسى النَّاقد الصَّيرفي، فأخذوا له عيناً وورقاً وأثاثاً، تُقدر قيمته بثلاثين ألف دينار، ثم وقعوا على اللُّصُوص وهم سبعةٌ، فارتجع مِن المال اثنان وعشرون ألف دينار، ثم قُتلوا»(739). تلك أمثلة على أن العقوبة قد تعدت قطع اليد إلى القتل، وما اشترط في تطبيقها.

كان سعد الدَّولة الكوهرائين(قتل ٤٩٣هـ/١٠٩٩م) «يعمل برأيه في قَتل مَن لا يجوز قَتله مِن اللُّصُوص، ويُمثل بهم، ويزعم أن ذلك سياسة»(740). وسعد الدَّولة هذا مِن الخدم الأتراك، الذين مَلكهم أبو كاليجار بن سُلطان الدَّولة بن بهاء الدَّولة بن عَضد الدَّولة البويهي(741). كان اللُّصُوص، مِن غير القطع، يُصلبون، ويوضعون بما يُعرف بـ «المقطرة، وهي خشبة تُفلق لأرجل اللُّصُوص والدُّعار ويُقطرون فيها»(742).

مِن جانب آخر، فإن قطع اليد، الخاصة بعقوبة السَّرقة، كانت تُمارس أيضاً في التَّصفيات السِّياسيّة، وقد نُفذت بدلالة شديدة الوقع، على مَن نُفذت بهم، ولعلَّ قطع يد الوزير الخطاط محمد بن علي المعروف بابن مُقْلَة(قُتل ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) كانت أبرزها، ولما قُطعت يده اليمنى، حسب ما رسمه الفقهاء في عقوبة السَّرقة أن تُقطع اليمنى، مثلما مرّ بنا، وكان خطاطاً مشهوراً، قال: «يدٌّ خدمتُ بها الخلفاء ثلاث دفعات(وزارات)، وكتبتُ بها القرآن دفعتين، تُقطع كما تُقطع أيدي اللُّصُوص؟!... إنَّ المحنة قد نشبت بيَّ، وهي تؤديني إلى التَّلف، وأنشد: إذا ما مات بعضُك قابل بعضاً/فإن البعضَ مِن بعضٍ قريبُ»(743). فظل ينوح عليها، فقُطع لسانه ومات(744). قُطعت يد كاتب الخراج والوزير والخطاط ابن مُقْلَة بفتوى أو محضر كتبه الفقهاء ضده، قيل: «ضَمن بعض الأمراء بمال، فاستفتى الفقهاء في حقِّه، فقال بعضهم: هذا قد سعى في الأرضِ بالفساد، فتُقطع يده، فقطعت»(745).

غير أنَّ روايةً مخالفةً لروايات بقية المؤرخين، في شأن نكبة الخطاط والوزير ابن مُقلْة، جاء بها شهاب الدِّين محمد الأبشيهي(ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦)، وفحواها أن كاتباً يهودياً زور كتاباً بإمضاء الوزير إلى بلاد «الكفار»، وضمنه أسرار الدَّولة، ثم تحايل وأوصله إلى الخليفة، فلما أطلع عليه الأخير أمر بقطع يده، وقد حدث هذا في يوم العيد(746). تبدو الرّواية غريبة، وفيها دسٌ واضح، أن يجري الحديث آنذاك عن عمالةٍ لدولة أجنبية، ومِن قِبل وزير وُزر لثلاث دفعات، وأن يقوم بالدّور يهودي؟! ناهيك عن تأخر الأبشيهي بقرون على مَن أثبت الرُّواية السَّابقة، والتي تبدو منطقية.

ومِن غريب ما روي أنَّ حاكم الموصل، الأمير الحَسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التَّغلبي(ت ٣٥٨هـ/٩٦٨م)، كان «ينظر في قصص أصحاب الجنايات مِن العامة، وفي ما ينظر فيه صاحب الشُّرطة، وتُقام الحدود الواجبة عليهم، مِن ضرب وقطع يد ورِجل بحضرته، وتُعرض عليه الأيدي والأرجل إذا قُطعت وتُعد بحضرته، ويستوفي العدد عليهم، لئلا يترفق أصحاب الشُّرطة مِن الجناة، ويُطلقوا مِن غير عِلمه»(747).

كان ناصر الدَّولة هذا حاكماً على الموصل وما جاورها، بدأ نائباً عن أبيه ثم حكمها، وقد لقبه الخليفة العباسي إبراهيم المتقي بالله(ت ٣٥٧هـ/٩٦٧م) بناصر الدَّولة، السنة(٣٣٠هـ/٩٤١م) وهو في اليوم نفسه نال أخوه الأصغر حاكم الدَّولة الحمدانية بحلب لقب سيف الدَّولة(748)، والأخير صاحب أبي الطَّيب المتنبي(اغتيل ٣٥٤هـ/٩٦٥م).

يفخر الخوارج بألا أحداً يجرؤ على السَّرقة ببلادهم «قزدار» وهي منطقة مِن الهند، لأنَّ اللُّصُوص كانوا يقتلون فيها، وقد اجتاز بها أحد المعتزلة المتكلم أبو الحُسين بن لطيف بن نظيف، صاحب أبي هشام الجبائي(749)، ووضع رزمة ثيابه أمانة عند الخياط، وذهب إلى مزرعة ونام فيها ليلته، فأخذ الخياط رزمة الثِّياب ووضعها عند محراب المسجد، ولما عاد أبو الحسين ودخل المسجد ليُصلي، وكان بابه مفتوحاً، رأى رزمته عند المحراب، ففتحها ووجدها كاملة، لم ينقص منها شيء، فذهب وعاتب الخياط على ترك ثيابه بلا حرز، فقال له: «هل فقدتَ شيئاً منها»؟!

أخذ الخياط يخبر أبا الحُسين عن أمن بلادهم، قائلاً: «أنتم تعودتم أخلاق الأراذل، ونشأتم ببلاد الكُفر، التي فيها السَّرقة والخيانة، وهذا لا نعرفه هنا، لو بقيت ثيابك مكانها إلى أن تُبلى ما أخذها أحد غَيرك، ولو مضيت إلى المشرق والمغرب، ثم عُدت لوجدتها مكانها، فإنا لا نعرف لِصّاً ولا فاسداً، ولا شيء مما عندكم، ولكنْ ربّما لحقنا في السنين الطَّويلة شيءٌ مِن هذا، فتعلم أنه مِن جهة غريب قد اجتاز بنا، فنركب وراءه ولا يفوتنا فندركه ونقتله، نتناول عليه بكفره وسعيه في الأرض بالفساد، أو نقطع كما يُقطع السُّراق عندنا مِن المرفق، فلا نرى شيئاً مِن هذا»(750). يقول أبو الحسين المعتزلي: «سألتُ عن سيرة أهل البلد، بعد ذلك، فإذا الأمر كما ذكره، وإذا هم لا يغلقون أبوابهم بالليل، وليس لأكثرهم أبواب، إنما هي شرائج(ستائر)»(751).

كان القتل صبراً، أو الاعدام، بقطع وسط الإنسان، المعروف بالتّوسيط، معمولاً به، يذكر ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، أن أحد سلاطين الهند نفذه في الفقيه عفيف الدِّين الكاساني، عندما ضُربت «عنقه حمائل وهو أن يُقطع الرأسُ مع الذِّراع وبعض الصَّدر»(752). بحث المحقق والقاضي عبود الشَّالجي(ت١٩٩٦) موضوع «التَّوسِّيط»(753). كانت بداية ممارسة القتل بالتَّوسيط، في التاريخ الإسلامي السِّياسي، في القرن الثَّاني الهجري، أي «ضرب الإنسان مِن وسطه بالسَّيف»، ومِن الذين اعدموا بهذه الطّريقة الشَّاعر والأديب صالح بن عبد القدوس البصري، قُتل بتهمة الزَّندقة، وذلك السَّنة (١٦٧هـ/ ٧٨٣م)(754).

كانت عقوبة الاعدام بـ«التّوسيط» شائعة في ظل سُلطة المماليك بمصر، فمما يُذكر السنة (٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م): «نودي في البلد، على لسان المقام الشَّريف- نصره اللّه- صحبة والي القاهرة: أن أحداً مِن المماليك السُّلطانيَّة لا يحمل سِلاحاً، ولا يضرب أحداً مِن العوام، وَإنْ فعل ذلك وُسِّط بلا معاودة»(755). عِقبها «رَسم السُّلطان بتوسّيط اثنين، بعد اشهارهما على الجمال، وعرضهما بين يدي السُّلطان وأمْره بذلك»(756)، أحدهما قتل حارساً بعد هربه مِن السِّجن، والآخر قتل تاجراً.

اكتشاف اللُّص

تعامل إخوان الصَّفاء وخِلان الوفاء في البحث عن اللُّص، وما سَرق عبر عِلم «النُّجوم»، أو «التَّنجيم»، جاء ذلك ضمن الرِّسالة الخاصة بالعلوم النَّاموسيَّة والشَّرعيّة، وحجتهم في ذلك أن أحد أصدقاء الإخوان كان يُجيد «صناعة النّجوم»، وهي حرفته التي يعيش منها، فأتاه يوماً رجلٌ يسأل عمَّن سرقه، فأخبره عن الشَّيء المسروق والسَّارق وجنسه ومكانه، فطُلب منه التَّفصيل لتعم الفائدة على الجميع، فكتب هذا الفصل وعنوانه، ضمن الرَّسائل: «في الحُكمِ على السَّرقة والسَّارق»(757).

يُحسبُ هذا «العِلم» ضرباً «مِن السِّحر المليح»(758)، ويتفرع الفصل إلى فصول: في معرفة السَّارق، وهذا يختص به البرج السَّابع مِن الأبراج. معرفة سِّن السَّارق، ويُنظر به إلى الكواكب الشَّرقيَّة التي تدل على الشباب، والكواكب الغربية التي تدل على المشايخ والكهول. معرفة ما أصابه اللِّص، وفي معرفته هل هو مِن أهل البلد؟ أو مِن المسافرين؟، ومعرفة المكان الذي حفظت فيه السَّرقة، ثم معرفة جنس المسروق(759).

ظلت هذه الكهانة شائعة، في الكشف أو البحث عن السّرقة، ولا تخلو بطبيعة الحال مِن الفراسة، التي عادةً كان يربطها المنجمون بمعرفة الكواكب وحركاتها، لم يتحدث إخوان الصَّفاء عن عقوبة اللِّصِّ، بقدر ما شَغلهم إثبات تهمة السَّرقة، وتحديد عناصرها عبر «التَّنجيم. غير أنَّ إخوان الصفا تحدثوا عن مهام السُّلطة، ويأتي مِن أبرزها: جمع المال وحفظه مِن حيل اللُّصُوص، وحفظ الطُّرقات مِن اللُّصُوص قاطعي الطُّرق، وجباية الخراج، وأخذ الضَّرائب، كالأعشار والجزية، وتوزع الأرزاق على الجند والحاشية، للدفاع عن ثغور المسلمين(760).

بسبب عدم وجود عِلم الجريمة، وفن التَّحقّيق، كان المشعوذون يترزقون على حاجة المسروقين وآلامهم، فيبدعون في الحيلة، منها أن أحدهم كانت

لديه وصفة لاكتشاف السَّارق، أن يؤخذ قدح في ماء، وخاتم يُشد بشعرةٍ ويُدلى في القدح، رُقاع يُكتبُ فيها أسماء المشبوهين أو المتهمين بالسَّرقة، ويكتب في رقعةٌ منها «السَّارق في القدح»، وأخرى يُكتب فيها اسم المتهم، وتوضع على حافة القدح، ويُقرأ عليه الآية: [وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] (الأعراف: ١٧١). فإذا ضرب الخاتم القدح، نُظر في الرّقعة، فإن السَّارق هو صاحب الاسم(761). لكنَّ هل يتسطيع القدح التَّعرف على مَن قيل فيه: «أسرق مِن زَبابة، وهي فأرة تَسرق كلَّ ما تحتاج إليه وما تستغني عنه»(762)؟!

أما الوسيلة التي كانت شائعة، وناجحة وخالية مِن الحيلة والتَّحايل على المسروقين، فيقومون بها «قُفاة الأثر». القائف الذي يتبع الآثار، تقول: قَفَّ أثره إذا تبعه، وفي المبالغة يُقال لصاحب النَّباهة في تعقب الأثر: أقوف النَّاس(763). قال الشَّاعر الجاهلي الأسود بن يعفر النَّهشلي(نحو ٦٠٠م)(764):

كَذَبْتُ عليكَ لا تَزال تَقُوفني

كما قَافَ آثارَ الوَسيقةِ قائفُ

بطبيعة الحال، مِن أخلاق القائف، وجمعه القَّافَة: الأمانة، والفراسة في أثر أقدام السُّراق ورائحتهم. سمعت ببعث تلك المهنة، وذلك بعد أن اضطر النَّاس اللجوء إليها داخل العِراق، بعد اليأس مِن الجهات الرَّسميَّة لكشف القَتلة واللُّصُوص.

نجد محمود شكري الآلوسي(ت ١٩٢٤) في كتابه (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب)، الذي فاز بجائزة سويدية العام ١٨٩٧، يسرد الحديث عن القيافة والعيافة معاً. يقول:»اعلم أن القيافة على قسمين: قيافة الأثر ويُقال لها العيافة، وقيافة البشر، أمَّا العيافة فهو عِلم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر في المقابلة للأثر... إذ القائف يجد بها العِلم الفارّ مِن النَّاس، والضّال من الحيوان، بتتبع آثارها وقوائمها بقوة الباصرة، وقوة الخيال والحافظة»(765)، وهذا ما يخص تتبع آثار اللُّصُوص. أما «قيافة البشر» تختص بتأكيد الأنساب، بالاستدلال مِن هيئات الأشخاص(766).

القائف يكون عادة أصيل، له باع في كشف الأثر، ومنهم له قدرة التَّمييز بين قدمي الشَّاب والشّيخ، وبين أثري الرَّجل والمرأة، وأكثر مِن هذا التَّمييز بين أثري الثَّيب والبِكر مِن النِّساء، وبين أخفاف الأباعر. حسب الآلوسي، أن هناك جماعات اختصت بعلم القافة، ومعرفة الأثر من التفرس في هيئات النَّاس، مثل بني مُرَّة بنجد. وحكى قصة حدثت بالحلَّة: أن صاحب حمار سرقه منه اللُّصُوص تتبع أثره حتى دخل إلى الحلَّة، فوقف على أثره بين آثار حوافر قافلة مِن الحمير(767). مِن اختصاص القافة أيضاً التأكد مِن النَّسب، أي يقوم مقام فحص الحمض النَّووي، إن صح التَّشبيه، فهم يؤكدون نسبة الولد لأبيه والأخ لأخيه.

يروي ابن عبد البرِّ (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م)، في ما يخص «قيافة البشر»: إن الصَّحابي مجزز المدلجي القائف دخل على بيت النَّبوة، فرأى زيد بن حارثة وولده إسامة، وقد غطيا رأسهما، ولم تبد إلا أقدام منهما، فقال: «إن هذه الأقدام بعضها مِن بعض»(768)، وبهذا أثبت أنَّ أسامة من زبد، فصارت القافة أصل عند فقهاء الحجاز. ومثلما تقوى بصائر القافة وفراستهم، في كشف السُّراق، ترى الأخيرين يتفننون في حيلهم. يروي الزُّبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٠م): قيل لرِّجل مِن القافة: «كيف أنتم في الأقدام؟ قال: ذلك أيسر الأشياء علينا، إن السُّراق ليجرُّون الأكيسة على أقدامهم ليخفوا آثارهم فنعرفهم»(769).

مِن هذه القصة التي وردت في «صحيح البخاري»، عن صحابي اسمه سُراقة بن مالك، أنه كان قائفاً لقريش وهم يتبعون أثر النّبي وأبي بكر الصِّدِّيق عند الهجرة مِن مكة إلى المدينة، ويبدو أنه كان معروفاً بهذه الفراسة، وفق قول أبي بكر الصِّدِّيق الذي ورد في الصَّحيح ضمن قصة الهجرة، قال: «وأتبعنا سُرَاقَة بن مالك»(770).

مثلما تفنن أصحاب المال، أو الشُّرطة، في إبداع أساليب وطُرق للكشف عن اللُّصُوص، فاللُّصُوص لهم حيلهم مع أخطر ما يعترضهم في السَّرقة، وهي الكلاب ونباحها، وما يمنعها مِن النّباح، ووصفة ذلك: «لِسان الكلب الأسود يُملح، ويُخرز ويُحمل، فلا ينبح حاملهِ الكلاب، وهذه الخاصية تعلمها اللُّصُوص»(771).

بما أنَّ اللُّصُوصيّةَ، أو القرصنة، أخطر ما تنتظر المسافرين بحراً، عُلم أن مِن تقليد المسافرين عبر بحر الصِّين ينذرون نذراً للشيخ أبي إسحاق المعظم عند مسلمي الهند والصِّين، وزاويته موجودة بمنطقة كازرون مِن بلاد فارس، وذلك إذا عادوا سالمين مِن قطع اللُّصُوص، يكتبُ «كلّ واحدٍ منهم على نفسه

ما نذره، فإذا وصلوا برِّ السَّلامة صعد خدام الزَّاوية إلى المركب، وأخذوا الزِّمام، وقبضوا مِن كلِّ ناذر نُذره، وما مركبٌ يأتي مِن الصِّين أو الهند إلا وفيه آلاف الدَّنانير»(772).

كذلك أعلن مجموعة لُصُوص توبتهم على يد الشَّيخ شمس الدِّين محمد الضَّيروطي(ت٩٢١هـ/١٥١٥م)، اخبروا عنه أنَّه كان صاحب كرامات منها وقف السُّفن عن الجريان، فقيل: «أشار مرة إلى سفينة فيها لُصُوص فتسمرت، ثم أشار إليها فانطلقت، وتاب اللُّصُوصُ على يده»(773). فمثل هذه الحكاية، كثيراً يلجأ إليها النَّاس وهم يواجهون اللُّصُوص وكل معتد لا يقدرون عليه، أما صاحب الكرامة فتكون هذه الحكايات سبباً لوجود ضريح يُزار يكون رزقاً للقائمين عليه.

غير أنَّ هناك ما يمكن قوله، فلو حصل أن المراكب لم تُسرق أو لم تجر عليها القرصنة؛ فأرزاق المائة مِن خدام زاوية الشَّيخ أبي إسحاق، وما يتصل بالزَّاوية مِن أرزاق الآخرين ستنقطع؛ لذا ليس بعيداً أن تدبيراً يحصل في هذه الحالات، مِن قبل أهل الزَّاوية أنفسهم، نقول هذا؛ لأن العديد مِن الأضرحة والأماكن المقدسة تجري فيها سرقات كبرى، فإذا استمر الحال مِن دون نسج حكايات فضح السُّراق، وعقوبتهم المباشرة مِن قِبل صاحب الضّريح أو دفينه، ستضعف هيبة الضّريح، وبالتَّالي يقل قاصدوه.

كنا نسمع بالكثير مِن تلك الكرامات، منها أن أحد اللُّصُوص سرقة في الحضرة الفلانيَّة، فتعلق بسقف قُبة الضَّريح، وآخر سرق خلال الزِّيارة فلُصق بشباك الضَّريح، وآخر أصابه الجنون، ويُتداول هذا كثيراً بين النَّاس، لكنَّ الأصل كان ترتيباً مِن القائمين على الضَّريح أنفسهم. لم يسأل النَّاس أنفسهم، إنه لماذا يشترط على الذين يجمعون أموال النذور أن تكون ثيابهم بلا جيوب؟! ولماذا لا تفضح تلك الأضرحة سرقة المال العام، أو لُصوصه، وهم يدخلون إلى الأضرحة ويقبلون شبابيكها أمام الكامرات، ولم تفضح أحداً، سوى الذين يمثلون هذا الدَّور، كي يدخل الرُّعب إلى قلوب النَّاس البسطاء، فيهمون بالزِّيارة وتسليم النُّذور، أمَّا اللُّصُوص أنفسهم فلا يعنيهم ذلك.

يأتي صاحب «حياة الحيوان الكبرى» كمال الدِّين محمد بن موسى الدَّميري(ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) بأحراز كثيرة لإتقاء اللُّصُوص، وهو يتحدث عن الكائنات، مِن طيور وحيوانات، ناقلاً عن عادات النَّاس وتجاربهم، ومنها: «قلب البومة الكبيرة إذا قُلع وشدَّ في جلد الذِّئب، وعلق على العضد أمنَ حامل ذلك مِن اللُّصُوص، وسائر الهوام، ولم يخف أحداً مِن النَّاس»(774). كذلك يأتي بتفسير أحلام النَّاس، وعليهم الحذر: يفسر المنام بالبومة: لِصٌ

ماكرٌ(775)، والمنام بالجن يكون في المنزل لَصُوص(776)، الحدأة في المنام تدل على اللُّصُوص(777)، مَن صاد خطافاً(السّنونو) دخلت عليه اللُّصُوص(778)، مَن رأى ذئباً دخل داره فاليحذر اللُّصُوص(779)، مَن رأى أنه يأكل لحم غراب، سيأخذ مالاً مِن اللُّصُوص(780).

أخيراً يُنقل عن الصَّحابي عبد الله بن مسعود(ت ٣٢هـ/ ٦٥٣م)، في الاحتراس أو الاحتراز مِن اللُّصُوص وسوس الأرض معاً: «مَن استطاع منكم أنْ يجعل كنزه في السَّماء حيث لا يناله اللُّصُوص، ولا يأكله السُوسُ، فليفعل»(781).

الباب الثَّاني

لُصُوصُ الفِكرِ مِن المنظومِ والمنثور

«خير السَّرقة ما لا يجب القطع»

هُمام بن غالب الفرزدق(١١٠هـ/٧٢٨م)

(الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص ٢٢٨)

الفصل الأول

ما قيل في لُصُوصيَّة الأدب

لم يكن الحديث جديداً عن لُصُوص الفكر والأدب، وما عُرف حديثاً بالسَّرقات الأدبيَّة. صحيح أن الاهتمام بهذا النَّوع مِن اللُّصُوصية ليس بقدم الاهتمام بلُصوص المال، لكنه بدأ عند العرب قديماً أيضاً، مع الشّعر أولاً. لم تعنِ الأديان بهذا الضَّرب مِن السَّرقة، بنهي أو تحريم، وإذا وردت عند البعض مؤخراً فقد جاء قياساً بمعاملة المال، مع ذلك مازالت هذه اللُّصُوصيّة تُعامل بأقل شأناً في العقوبات قياساً بسرقات المال، مع إنها إغارة على العقول، والاستحواذ على جهود الغير بلا مبررٍ.

لم تظهر عقوبات على السَّرق الأدبيَّة إلا في العقود الأخيرة، وهي لا تتعدى الغرامة المالية، أو منع الكتاب المسروق مِن التَّداول، والعرض للبيع، وكثيراً ما تبقى هذه العقوبة مِن دون تنفيذ، وتظل الكتب المسروقة متداولة في أسواق الوراقة، وهذه العقوبات والأحكام ليست لها علاقة بالفقه الإسلامي بشكل مِن الأشكال، لكنَّ هناك، مثلما سيأتي ذكره، من يحاول أن يصبغها بمسحة دينية.

كانت عبارة الشَّاعر همام بن غالب الفرزدق(ت ١١٠هـ/٧٢٨م) مهمة جداً، في التَّهوين مِن السَّرقة الشَّعريَّة، وبالتَّالي كلّ ما يتعلق بالكتابة والحروف، قال: «خير السَّرقة ما لا يجب القطع»(782)، «يعني الشِّعر»(783) أيّ قطع اليد، حسب الآية: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا](سورة المائدة: الآية ٣٨).

عندما يُطرح موضوع السَّرقات الأدبية، عند القدماء، تُطرح في المقام الأول سرقات المنظوم دون المنثور، بينما الأخيرة هي الأخطر والأهم، لأنَّ الشّعر، وهو السَّائد والمتداول على ألسنة النَّاس والمنقول بسرعة مِن مكان إلى آخر، لسرقاته أوجه متعددة وأعذار كثيرة تأتي وفق تفسيرات وتأويلات، بمعنى أن التُّهم في سرقاته قد تُبرر بسهولة، ليس مثلما هو المنثور سرقاته تُهم دامغة لا تقبل أيّ تبرير، شأنه شأن المال لا محيص عن تورط لُصُوصه بالجرم، وهو لا يحتاج إلى شهود وأدلة سوى مقابلة النّصُوص المنحولة بالنُّصُوص الأصلية، ومعرفة زمن كلٍّ منها. مع ذلك لم تظهر السَّرقة الأدبية للنثر إلا مؤخراً، وحتى الآن لا يجري الحديث عن لُصُوص الحُرُوف إلا تقدمت السَّرقات الشّعريَّة، والتي كثيراً ما وجدنا ما يشوبها مِن شعور التَّحامل والحسد.

جمع النَّديم(ت٣٨٠هـ/٩٩٠م) عناوين لكتب في السّرقات، وجاءت في موضوع الشِّعر كافة: «السَّرقات» لعبد اللّه بن المعتز(784)، «سرقات البحتري مِن أبي تمام»، «السَّرقات الكبيرة» لأبي ضياء بشر بن يحيى النَّصيبي، أو بشر القيني النَّصيبي(785)، «سرقات الشُّعراء» لأحمد بن طاهر طيفور الكاتب(786)، «سرقات الشّعراء وما اتفقوا عليه» ليوسف بن يعقوب بن السِّكيت(787)، «سرقات الكُميت مِن القرآن وغيره» لعبد اللّه بن يحيى بن كُناسة(788)، «السَّرقات» لجعفر بن محمد الموصلي، قال النَّديم عن الكتاب الأخير «ولم يتمه، ولو أتمه لاستغنى النَّاس عن كلِّ كتابٍ في معناه»(789)، كتاب «السَّرقة لداود بن علي بن خلف الأصفهاني، أما كتاب «السَّرقة وقطاع الطَّريق» لمحمد بن الحسن بن فرقد الشَّيباني(ت ١٨٩هـ/٨٠٤م) أحد أهم أصحاب وتلاميذ الإمام أبي حنيفة النُّعمان(ت ١٥٠هـ/٧٦٧م)، فلا يعني، على ما يبدو، بلُّصُوص الكتابة أو والحُرُوف، إنْ كانت منظومة أو منثورة، إنما يتضح مِن مؤلفه أنه كتاب فقهي(790). كذلك يرد كتاب «إغارة كُثيّر على الشُّعراء» للزبير بن بكار(ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، و«سرقات المتنبي» لابن وكيع الحسن بن محمد التَّنيسي(ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م). هذا مِن غير الكتب التي تناولت سرقات شُعراء كبار آخرين والتي سيأتي ذِكرها في محله مِن هذا الباب.

نُشرت مقالات عديدة، في مختلف عقود القرن العشرين وبعدها، في شأن اللُّصُوصيّة الأدبية، نأتي على ذِكر نماذج منها، من كُتابها مَن طَرح موضوع «التّناص»، أي كيفية تأليف النَّص على نصوص تسبقه، مثل مقال «التَّناص والسَّرقة الأدبيَّة والتَّأثير»(791) لعبد السَّتار الأسدي، وذهب به إلى التَّناص اللاواعي، وهو ضرب مِن ضروب تبرير السَّرقة، خصوصاً إذا جرى «التَّناص» بأسلوب: وقع الحافر على الحافر»(792). ومقال عبد الملك مرتاض «فكرة السّرقات الأدبيَّة ونظرية التَّناص» المنشور في مجلة «علامات في النّقد»(العدد الأول) (793)، وفيه رأي غريب إلى حدٍ بعيد، وهو لا يجب أن يُجرم السّارق، أو تجريم السَّرقة، على حدِ عبارته، إلا أنه قصد الشّعر، وما يحصل بين الشُّعراء مِن استعارات. ونقول: الاستعارة شيء والسَّرقة شيء آخر.

تناول طالب مزبان في مقاله: «السَّرقة الأدبيَّة بين الشِّعر والنَّثر»، في مجلة «الأديب»، موضوع السَّرقة على مستوى المقامات، جاء فيه: «على أن المتتبع لكلِّ هذه النُّصُوص ونظائرها وأشباهها، يجدها كُلها مبنية على السَّرقة أو الاتباع(794). سيأتي الحديث عن هذا الموضوع، فأيُّ فكرةٍ لا تخرج مِن العدم، والمنشئ الأول لابد أنه استفاد ممن سبقه، فمِن الصَّعب اعتبار كل فن المقامات بعد بديع الزَّمان الهمداني سرقةً، لكنَّ فيه الاتباع واضحاً.

كتب محمد نصر «مِن قضايا السَّرقات الأدبيّة قصة سودانيَّة بين غراب ومراد»، في مجلة الرِّسالة»(795). مقال «السَّرقات الأدبيَّة» لمصطفى الصَّافي الجويني في مجلة العربي الكويتية(796). كتب عبد اللّه العتيبي في مجلة «البيان» الكويتيَّة مقال: «السَّرقات الأدبيَّة أزمة إبداع أم أزمة ضمير»(797). كتب مبكراً إبراهيم عبد القادر المازني(ت ١٩٤٩) «مقال «السّرقات الأدبيَّة» في مجلة «الرِّسالة» ١٩٣٧(798). كتب محمد نصر في مجلة «الرِّسالة»، «مِن قضايا السِّرقات الأدبيَّة»، وكان يتعلق بسرقة قصة «فارس بني حمدان»(أبو فراس الحمداني)، وقد جعلها ظافر الصَّابوني مسلسلاً أذاعته «صوت العرب» المصريَّة، وحكمت المحكمة لورثة المؤلف علي الجارم.

ما ذكرناه نماذجَ، مما نشرته الدَّوريات العربيَّة عن لُصُوصِّ الكتابةِ، لكنَّ الغالبَ منها ظل كتابها بحدودالتَّنظير العام، لم يشيروا إلى لِصٍّ من لصُوص الكتابة، إضافة إلى ذلك الغالب منها أيضاً تناول النَّص الشِّعري، وليس بين كُتابها مَن طالب بوضع قوانين حاميَّة للملكيَّة الفكريَّة، إنما ظلت المقالات تدور حول السَّرقة نفسها نظرياً بلا موقف واضح.

مِن الهمداني إلى تيسلر

صنف الأديب عبد الرَّحمن بن عيسى الهمداني(ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) كتاباً يَعدُ به الكُتاب لحرفة الكتابة؛ جهز لهم فيه الألفاظ، بعد أن تحولت الكتابة إلى مهنة أو حرفة يمارسها كلُّ أحد، مثلما هو الحال اليوم في وسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونيَّة الكثيرة جداً، بلا موهبة ولا قدرةٍ، عنونه بـ «الألفاظ الكتابية»، وذُكر أيضاً بعنوان «ألفاظ الكَتبة»(799)، فشاع الانتحال عنه بلا ضوابط، فمَن يحفظ تلك الألفاظ يصبح كاتباً!

بعد أكثر مِن ألف عام اخترع الأمريكي لاري تيلسر(ت٢٠٢٠) فن «الكوبي بيست»، القطع واللَّصق، فشاعت الكتابة بطريقة ما سميناه «لواصق غوغل»، أي الغَرفِ مِن الكتب والمقالات نصوصاً عبر مبحث «غوغل»، والاثنان، الهمداني وتيلسر، على الرّغم مِن أهمية ما أوجدا. إلا أنهما خدما لُصوص الكتابة بوجهٍ مِن الوجوه. قبل ذلك قال أبو الفتح محمد بن أحمد النَّحوي(ت ٤٢٠هـ/١٠٣٠م)، في كتابي الهمذاني المذكور، و«فصيح الكلام» لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب إمام النَّحو بالكوفة (ت٢٩١هـ/٩٠٣م)، مِن غضب، على ما يبدو، منهما: «هذان الكتابان مِن زَغب فراخ الكُتب»(800).

يُعد اختراع طريقة «القص والنّسخ واللَّصق»(١٩٨٣)، في جهاز الكمبيوتر، مِن أعظم الاختراعات في عالم الكتابة والتأليف، لكنَّ أغلبَ الاختراعات

والإكتشافات لها منافع ومضار أيضاً، وهل هناك اختراع أسهم في مدِّ الطُّرقات والأنفاق تحت الجبال، وتمهيد الأرض الوعرة لسكن الإنسان، مثل الدَّيناميت؟! لكن الأشرار حرفوه إلى تفجير البشر بدل تفجير الصُّخور، فاضطر صاحبه إلى وضع جائزة «نوبل» (السويد ١٨٩٥) للمتفوقين في خدمة العِلم والأدب والسَّلام، مِن أجل فائدة البشرية، كاعتذار عن استخدام اختراعه في القتل الجماعي، كون المتفجرات صارت لها كتائب خاصة في الجيوش، وقد عانى البشر براً وبحراً مِن زراعتها، ناهيك عن تفجيرات التَّنظيمات الدِّينية الكارثية في العقود الأخيرة.

مثلما حُرف اختراع «نوبل» عن وظيفته الإنسانية، حُرف اختراع «لاري تيسلر» عن مهمته الحضارية والعلمية، إلى السطو على جهود الآخرين، مِن نصوص ودراسات وترجمات، مع تغييرات في مفرداتها، فقد سهل «تيسلر» لهم السَّطو، وتلفيق التَّأليف عن طريق «القص أو النَّسخ واللصق»(كوبي بيست).

كم يُذكرنا اختراع تيسلر، في مجال لصوصية الكتابة، بكتاب «الألفاظ الكتابية»، وكان مصنفه مِنْ الكُتاب المقلين، قال فيه الوزير والأديب الصَّاحب بن عباد(ت٣٨٥هـ/٩٩٥م): «لو أدركت عبد الرَّحمن بن عيسى، مصنف كتاب الألفاظ لأمرت بقطع يده»! ولما سُئل عن السَّبب قال: لأنه «جمع شذوذ العربية الجزلة في أوراق يسيرة، فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب، ورفع عن المتأدبين تعب الدُّروس، والحفظ الكثير، والمطالعة الكثيرة الدَّائمة» (801). أيّ جعل لهم قوالب جاهزة في صنعة الكتابة.

قال الهمداني في سبب تصنيفه للألفاظ الكتابيَّة: «وجدتُ المتأخرين في الآلةِ قوماً أخطأهم إلا تعالٍ في الكلام، فهم متعلقون في مخاطباتهم وكتبهم، باللَّفظة الغريبة والحَرف الشَّاذ، ليتميزوا بذلك عن العامَّة، ويرتفعوا عند الأغبياء عن طبقة الحشو والخرس والبكم، أحسن مِن النُّطقِ في هذا المذهب، الذي تذهب إليه هذه الطَّائفة في الخِطاب، وألفيتُ آخرين قد توجَّهوا بعض التَّوجّه وعَلوا عن هذه الطَّبقة. غيرَ أنهم يَمزجُون ألفاظاً يسيرةً قد حفظوها مِن ألفاظ كُتَّاب الرَّسائل بألفاظ كثيرة سخيفةٍ، ومِن ألفاظ العامة، استعانةً وضرورةً إليها لخفة بضاعتهم...»(802).أمَّا لصوص الكتابة اليوم فهم صبيان المكاتب سابقاً، وهم على حدِّ تشخيص الهمداني «مَنْ أخذ منهم معنى بلفظه فقد سرقهومَنْ أخذهُ ببعض لفظه فقد سلخه» (803)، وذلك من زمن الهمداني حتَّى زمن تيسلر.

طَور كتاب «الألفاظ الكتابية» على يد آخرين، لكنَّه يبقى الأصل، وما كان اللاحقون إلا فروعاً، فبأثره ظهر كتاب «فقه اللُّغة وأسرار العربية» لأبي منصور الثَّعالبي(ت ٤٢٩هـ)، وإن كان أوسع وأشمل، فقد جاء موسوعة مِن المفردات للأشياء ومعانيها، أتى تأليف الهمداني والثَّعالبي أيضاً، لتدني مستوى الكتابة، مع وجود كبار آنذاك فيها. بعد حين طويل صنف الأديب اللبناني إبراهيم اليازجي(ت١٩٠٦) كتاباً عنونه بـ«نجعة الرَّائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»، وهو عبارة عن توسيع لكتاب «الألفاظ الكتابية» لعبد الرَّحمن الهمداني، لكنَّه لم يذكر له فضلاً.

تزايد مدعو الكتابة والتَّأليف قديماً وسيلتهم «الألفاظ الكتابية»، أو «ألفاظ الكتبة»، وحديثاً وسيلتهم اختراع تيسلر، الذي طوع الإلكترونية لتكون قاصاً وناسخاً ولاصقاً، اختراع لاري تيسلر أحد إنتاج «التَّغريب» نفع أهل الكتابة، وفي الوقت نفسه سهّل لصُوصيّة الألفاظ والمعاني، والخطورة ما عبر عنه الوزير الصَّاحب بن عَباد، وكلمته «لقطعت يده»!نجدها ألتفاتة، غير مقصودة، لشمول لُصوص الكتابة بحكم أو عقوبة السَّرقة: [وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا](المائدة: آية ٣٨).

تحذير المسعودي

حذر المؤرخ أبو الحسن المسعودي(ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، ويغلب على الظَّن أنه كان السَّباق في التَّحذير مِن سرقة كتابه أو التَّلاعب به، في أيّ شكلٍ مِن الأشكال، وهو مِن جنس المنثور لا المنظوم، وضع تحذيره الشَّديد في مقدمة تاريخه «مروج الذَّهب ومعادن الجوهر» وفي خاتمته، كي لا يترك عذراً للُصٍّ ومحتالٍ. انتهى المسعودي مِن تاريخه قبل وفاته بعشر سنين، أيَّ في السَّنة (٣٣٦هـ/٩٤٧م) جاء ذلك بقوله: «وهو جمادي الأولى سَنَّة ست وثلاثين وثلاثمائة، الذي فيه انتهينا مِن الفراغ مِن هذا الكتاب»(804).

جاء تحذيره الشَّديد اللَّهجة بالآتي: «فمَن حرفَ شيئاً مِن معناه، أو أزال رُكناً مِن مبناه، أو طمس واضحةً مِن معالمه، أو لبس شاهدةً مِن تراجمه أو غيره، أو انتخبه(805) أو اختصره، أو نسبه إلى غيرنا، وأضافه إلى سوانا، فوافاه مِن غضب اللّٰه، وسُرعة نقمهِ وفوادح بلاياه، ما يعجز عنه صبرُه ويُحار له فكره، وجعله مُلةً للعالمين وعِبرة للمعتبرين، وآيةً للمتوّسمين، وسَلبه اللّٰه ما أعطاه، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه مِن قوةٍ ونعمةٍ مبدع السَّموات والأرض، مِن أيّ الملل كان والآراء، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير، وقد جعلتُ هذا التَّخويف في أوّل كتابي هذا وآخره، ليكون رادعاً لمن ميّله هوىً أو غلبه شقاء، فليراقب أمرَ ربَّه، وليُحاذر منقلبه، فالمدة والمسافة قصيرة، وإلى اللّٰه المصير»(806).

ماذا نستشف مِن قلق المسعودي على كتابه، وهو ملكيته الخاصة مثلما المال يملكه الآخرون؟! نستشف أن موضوع سرقة المنثور كانت تُمارس، لكنّ ليس هناك مِن حقوق ولا موانع، على خلاف الشِّعر كانت أخبار السَّرقة تتداول؛ لأن الشِّعر يُنشد، ويسمعه الجميع، إلى جانب شهرة الشَّاعر، والحسد بين الشُّعراء، فتُلاحظ السَّرقة سريعاً وبسهولة، بينما كتاب المنثور يُقرأ، ووسط القراء المهتمين، قياساً بالوسط الشِّعري الواسع.

أشار ابن خلدون(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) إلى خطورة السَّرقة الكتابيَّة أو الفكريّة، وكان متأخراً على المسعودي بأكثر مِن خمسة قرون، قائلاً: «المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتَّأليف ومراعاتها، وما سوى ذلك ففعل غير محتاج إليه، وخطأ عن الجادَّة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء، مثل انتحال ما تقدم لغيره مِن التَّواليف بأن ينسبه إلى نفسه ببعض تلبيس، مِن تبديل الألفاظ وتقديم المتأخر وعكسه، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن، أو يأتي بما لا يحتاج إليه، أو يبدل الصَّواب بالخطأ، أو يأتي بما لا قائدة فيه. فهذا شأن الجهل»(807). ثم أردف قائلاً: «نعوذ بالله مِن العمل في ما لا ينبغي للعاقل سلوكه، واللّه يهدي للتي هي أقوم»(808). غير أنَّ ابنَ خلدون نفسه لم يلتزم بكلمته هذه، فتعود مِن أمرٍ وقد ارتكبه، وهذا ما سيأتي بيانه لاحقاً.

الفصل الثَّاني

لُصُوصيَّة المنظوم

لا نعرف، في ما اطلعنا عليه مِن تواريخ الأدب والشّعر، قبل طَرفة بن العبد(القرن السَّادس الميلادي)، صاحب المعلقة المشهور، مَن ذكرَ السَّرقة، وربط بينها وبين الغارات التي تنتهي بالسّلب والنَّهب للأموال والأعراض، فهو القائل(809):

ولا أغيرُ عـلى الأشعار أسِرقُهـا

عنها غَنيتُ وشرُّ النَّاسِ مَن سَرقا

وإنَّ أَحـسَنَ بيتٍ أنتَ قـائلــهُ

بيتٌ يُقـال إذا أنشدتــه صَدَقـا

أما كعب بن زُهير(ت٢٦هـ/٦٤٦م) فيعترف بأن ما يُقال وسيُقال، قد قيل في ما مضى، والمعنى الجديد لا وجودَ له، جاء ذلك في بيته الآتي(810):

ما أرانا نقول إلا مُعــاراً

أو مُعاداً مِن قولنِا مكرورا

ورد البيت في ديوانه كالآتي، بما لا يخل بالمعنى الأول(811):

ما أرانا نقُولُ إلا رَجيعـاً

ومُعاداً مِن قولنا مكرورا

أتى صاحب «العقد الفريد» ابن عبد ربّه الأندلسي(٣٢٨هـ/٩٣٩م) بهذا البيت؛ دعماً لفكرته عن الاستعارة في المنظوم والمنثور، من معنى ومِن لفظ، قال: «لم تزل الاستعارة قديماً، تُستعمل في المنظوم والمنثور، وهذه الاستعارة خفية لا يؤبه بها، لأنك نقلتَ الكلام مِن حالٍ إلى حالٍ، وأكثر ما يجتلبه الشُّعراء، ويتصرف فيه البلغاء إنما يجري فيه الآخر على السِّنن الأول، وأقل

ما يأتي لهم معنى لم يسبق إليه أحد، إما المنظوم وإما المنثور؛ لأنَّ الكلام بعضه مِن بعضٍ، ولذلك قالوا في الأمثال: ما تركَ الأول للآخر شيئاً»(812).

فأخذه كعب بن زهير مِن النَّابغة الذّبياني(توفى قبل الإسلام نحو ٦٠٥م)، يعبر عمَّا ذهب إليه، لكنَّة يُحسب حساب الانتحال، جاء في قصيدة «بانت سُعاد» الشَّهيرة(813):

أُنبئتُ أنَّ رسولَ اللّهِ أوعدني

والعفو عند رسولِ الله مأمولُ

مَهلاً هداك الذي أعطاك نافلةَ الـ

قـرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخُذنَّي بأقـوال الـوشاةِ ولم

أُذنب ولو كثُرت عني الأقاويلُ

جاء في في قصيدة النَّابغة الذّبياني للنعمان بن المنذر المكنى بأبي قابوس(814):

أُنبئتُ أنَّ أبا قابوس أَوعدني

ولا قرار على زأر مِن الأسدِ

مهلاً فِداءً لكَ الأقوام كُلّهمُ

وما آثمَّر مِن مالٍ ومِن ولدٍ

لا تَقذفَنَّي برُكْنٍ لا كفاءَ له

وإن تأثَّفك الأعداء بالرَّفدِ

ويشكو حبيب بن أوس أبو تَمام(ت٢٣١هـ/٨٤٥م) مَن غارة وتلصص على شعره(815):

إنَّما الضَّيغم الهصورُ أبو الأشـ

بالِ رئبالُ كلِّ خيس وغابِ

مَن عدت خيله على سَرحِ شعري

وهو للحين راتغ في كتابِ

غارةٌ أسخنت عيون القوافي

فاستحلت محارم الآدابِ

يا عَذارى الكلام صِرْتَنَ مِن بعد

ي سبايا تُبعنَ في الأعراب

يرى مهلهل بن يموت بن المُزَرِّع(ت/ بعد ٣٣٤هـ/٩٤٦م)، كان الجاحظ خال أبيه يموت بن المُزَرِّع، أو خال أُمِّ أبيه(816)، مهوناً مِن أمرِ السّرقةِ في الشّعر، وبالتالي في النَّثر أيضاً، وذلك ما تلعبه العواطف ضدَ هذا الشَّاعر أو ذاك. قال: «رأيتُ مِن النَّاسِ كلّ مَن تعصب مِن الشُّعراء، قصد آخر بالعيب والإزدراء، على مقدارِ الشَّهوات، ومكان العصبيات، يختص واحدٌ منهم شاعراً بالمناقب، فيعارضه آخر بإحالته إلى المثالب، كلٌّ عبدُ شهوته، وخادم عصبيته»(817).

لكن، هل تخلى ابن يموت نفسه عن عصبيته عندما يصنف كتاباً في سرقات أبي نواس (ت ١٩٥- ١٩٧هـ/ ٨١٠- ٨١٢م)؛ ويعتبر شهرته ليست بالمستوى الشّعري الحقيقي، وإنما بُنيت على السّمعة والصّيت، وهو ما يُبعد العيب ويُثبت الصَّواب، قال: «ثم أجمعوا على أبي نواس، وتفضيله على شُعراء النَّاس، والعصبية له، فلا يسمعون شعراً حَسناً في معناه، ولا معنىً نادراً في فحواه إلا نسبوه إليه، وخلعوا فضيلته عليه، وحتَّى أنهم لا يسمعون بوصفِ خمرٍ إلا أقسموا جهد إيمانهم أن ذلك لأبي نواس»(818).

لكنّ السؤال: هل أبو نواس خُص بالصّيت دون غيره مِن الشُّعراء الكثيرين؟! فأحياناً قصيدة واحدة يصعد صيت الشَّاعر بها إلى الذّروة، بل وبيت واحد يبقى متداولاً مدى الأزمان، ويُلقب ويُخلد به صاحبه، وهذا ما جمعه الشَّاعر والأديب العباسي المتأخر مجد الدِّين النَّشابي(ت٦٥٧هـ/١٢٥٩م)، عندما أشار إلى الأبيات النَّوادر للشعراء، وقد عرفوا واشتهروا بها، وذلك في كتابه «المذاكرة في ألقاب الشُّعراء»(819).

مع كلِّ ما قاله ابن يموت في أبي نواس، فإنه يدعي بتقديره وإجلاله، ولا نعلم إلى كم مدى يكون هذا الإدعاء صحيحاً، أو حِيلة إلى إظهار عدالته وموضوعيته في كتابه، كغطاء للإمعان في ثلب النَّواسي، وعلى ما يبدو أن عباس محمود العقاد(ت ١٩٦٤)، الذي كتب كثيراً في التَّاريخ والأدب من دون مصادر وتوثيق، قد تأثر بابن يموت عندما ألف كتاباً عن أبي نواس «أبو نواس الحسن بن هانئ»(820)، ولم يترك للشاعر شيئاً، فقد جعله نرجسياً فارغاً من الإبداع، وأن صيته وسمعته كانا بين العوام، وأعاد كلّ ما قيل عن أبي نواس مِن مثالب، وأنه كان شاذاً جسدياً ونفسياً، ولولا أنَّ ذلك يخرجنا مِن مسار موضوعنا، لتبسطنا في العقدة مِن أبي نواس عند بعض المصريين، فربَّما هذا الشُّعور ضد أبي نواس يتعلق بقوله «في شأن خصيب(ابن عبد الحميد) وأهل مصر حين اضطربوا عليه»(821):

فإن تكُ مِن فرعون فيكم بقيّةٌ

فإنَّ عصا موسى بكّفِ خصيبِ

ما قاله ابن يموت، وهو على ما يبدو قد عاش بمصر قريباً مِن الأخشيديين(822)، أسقط عن أبي نواس شاعريته مثلما أسقطها العقاد عنه، كصاحب فكر وشاعرٍ جليل، ومَن يرد على ما تقدم هو الأمير العباسي عبد الله بن المعتز(قُتِل ٢٩٦هـ/٩٠٨م) في طبقاته، حين قال فيه: كان أبو نواس «عالماً فقيهاً، عارفاً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهة، وقد تأدب بالبصرة، وهي يوم ذاك أكثر بلاد الله علماً وفقهاً وأدباً، وكان أحفظ لأشعار القدماء والمخضرمين وأوائل الإسلاميين والمحدثين» (823)، ولا نعرف هل كان العقاد هو الأقرب مِن ابن المعتز لزمن أبي نواس؟! أما الفقيه الزَّاهد سُفيان الثَّوري(ت ١٦١هـ/٧٧٧م): كان يذب عن أبي نواس في مجالسه، وقد ردَّ رجلاً نال من قدره أمامه، فقال له: أتقول في رجل يقول(824):

تخــافه النَّاس وترجــوه

كــأنه الجنَّـة والنَّار!

يقول ابن يموت في الجانب الآخر مِن أبي نواس: «الإقرار بتفضيله وتقديمه في المشهور مِن شِعره؛ لا المنحول المزور، وأعلمتك أنَّ أستاذنا أبا تمام كان يعتقد له كلَّ الإعظام، ويفضله على جميع الأنام، إلا أنّي ذممتُ إليك الطَّوائف التي نحلته الشِّعر الرَّديء، والنُظم الزَّري، لمَن سبر معرفته ودرايته»(825). لكنَّ إذا كانت «الطَّوائف» نحلته الرَّديء وحسبته عليه، فما ذنبه في ذلك؟! كان مِن الشُّعراء القلائل الذين أشير إليهم بشعراء العراق: «أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي الأديب شاعر العراق»(826).

بعد أبي نواس، نأتي على أكثر الشُّعراء العِراقيين ابتلاءً في ما كُتب عنهم بالسَّرقة، وهو أبو الطَّيب المتنبي أحمد بن الحُسين(قُتل ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، وكان الأكثر حدةً ضده محمد بن أحمد العميدي(ت ٤٣٣هـ/١٠٤١م) في كتابه «الإبانة

عن سَرقات المتنبي»، نجده يضيق مِن شهرةِ المتنبي، التي سارت بها الرُّكبان، وقوله فيه يشبه ما قاله ابن يموت في أبي نواس، فيقول للمدافعين عنه، ومَن أوصله إلى المعصوميَّة في الشِّعر: «هؤلاء المتعصبون له، المفتخرون باللّمع التي يزعمون أنه استنبطها وأثارها، والمعتدون بالقِصَّر، التي يدعون أنه أفتض أبكارها، والمترنمون بأبيات سائرة، يذكرون أنَّه أنفرد بألفاظها ومعانيها، وأغرب في أمثلتها ومبانيها، والمتمثلون بها في مجالسهم ونواديهم، والمستعملون لها في خلواتهم وأغانيهم، كيف لا يستحيون أن يقولوا بعصمته»(827).

أعطى العميدي مثلاً على التَّعصب، الذي سماه بالأعمى، للمتنبي، أنه كان في مجلس ذُكر فيه الأقيشر بيتاً لأبي الطَّيب يصف به الفرس، وقال إنَّه لا يوجد شاعرٌ جاهلي وإسلامي يُنافسه في هذا الوصف:

رجلاه في الرَّكض رجلٌ واليدان يدٌ

وفعله ما تريدُ الكفُّ والقدمُ

فقال الأقيشر: «لقد أبدع المتنبي ما شاء وأغرب، وأفصح عن الغرض وأعرب»(828). فرد العميدي بما يُقارب هذا المعنى، وليوضح سرقة المتنبي، ويفضح تعصب الأقيشر(829):

يجري كما أختاره فكأنه

بجميع ما أبغيه منه عالمٌ

رجلاه رجلٌ واليدان يدٌ إذا

أحضرته والمتنُ منه سالمٌ

فرد الأقيشر، وبرأي أعمى، حسب ما يصف العميدي: «ياقوم أهذا شعرُ إنسان، له مكنة مِن عقل، وبُلغة مِن فضل، أنَّ للمتنبي غلماناً وأتباعاً أجلُ مِن هذا البليد المجهول»(830)! يقول العميدي في ما سمعه مِن الأقيشر: «عافاك الله، حديثنا في الإبداع لا في الإتباع، وفي الآداب لا في الأنساب»(831). سيعلم مَن يقرأ كتاب العميدي في سرقات المتنبي، أنه يتطرف ويُغالي في الكراهية والحقد، فهو القائل: «ليس تغني المتنبي جلالة نسبه مع ضعف أدبه، ولا يضره خلاف دهره مع اشتهار ذِكره، ولقد تأملتُ أشعاره كلَّها فوجدتُ الأبيات التي يفتخر بها أصحابه، وتُعتبر بها آدابه مِن أشعار المتقدمين منسوخة، ومعانيها مِن معانيهم المخترعة مسلوخة، وإني لأعجب والله مِن جماعة يظنون في ذِكر المتنبي وأمره، ويدعون الاعجاز في شعره، ويزعمون أنَّ الأبيات المعروفة له، هو مبتدعها ومخترعها ومُحدثها ومفترعها»(832).

بعدها يأتي العميدي على سَرقات المتنبي، ومنها للإيجاز، إنه سَرق الشَّاعر عبد السَّلام بن رغبان المعروف بديك الجن الحُمصي(ت٢٣٥هـ/ ٨٥٠م)، في قوله(833):

طَلَلٌ تَـوَهّمَهُ فصــاحَ مُسَلِّما

أضَنَىً بهِ أَمْ ضَنَّ أَنْ يتكلّـما

دِعْصٌ يُقِلُّ قَضيبَ بانٍ فوقَهُ

شمسُ النّهارِ تُقِلُّ ليلاً مُظْلِما

قال المتنبي(834):

كُفّي أَراني وَيكِ لَومَكِ أَلوَمُ

هَــمٌّ أَقامَ عَلى فُؤادٍ أَنجَـما

غُصنٌ عَلى نَقَوى فَلاةٍ نابِتٌ

شَمسُ النَهارِ تُقِلُّ لَيلاً مُظلِماً

يُعلق العميدي،بلؤم،على هذا البيت قائلاً: «مثل هذا البيت يسميه أصحابه التَّوارد، ويسميه خصومه النَّسخ والتَّعمد، فأنا أعرفُ أنَّه تعب في هذا البيت، فله فضيلة التَّعب»(835). ربَّما كان المتنبي قد ضمن الشَّطر مِن «شمس النَّهار...»، ولكنَّ قديماً لم يكن هناك علامات في الكتابة، مثل القويسات، فالقصيدة طويلة وجزيلة، لا يتوقف أمرها ويُعدم شاعرها مِن إبداع لهذا الشَّطر، وهو مثلما قُلنا لعله كان تضميناً.

كذلك، حسب العميدي، أخذ المتنبي ما لوالي خُراسان للأمويين نصر بن سَيَّار(ت١٣١هـ٧٤٨م) (836):

ولرُبَّما نفع العدو بعقله

ولرُبَّما ضرَّ الصَّديق الجاهلِ

فقال المتنبي في المعنى، ونراه بعيداً عمَّا قاله ابن سَيَّار، لكنَّه مطابق عند العميدي، ويقول: «وقد مَلحَ الأبيات»(837)، ثم يضيف قائلاً عن بيت المتنبي التالي: «هذا والله أحسن»(838)، ويقصد بيت المتنبي الذي يدعي أنه انتحله مِن ابن سيَّار (839):

وإذا أتَتْكَ مَذَمّتي مِن نَاقِصٍ

فَهيَ الشَّهادةُ لي بأنّي كامِلُ

كذلك، حسب العَميدي، أن المتنبي أغار على بيت علي بن العباس بن جريح أو جورجيس المعروف بابن الرُّومي(٢٨٣هـ/٨٩٦م)(840):

غدا الدَّهرُ لي خصماً وفيَّ مَحكماً

فكيف بخصمٍ ضالعٍ وهو يَحكمُ

قال المتنبي(841):

يا أَعدَلَ النَّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي

فيكَ الخِصامُ وَأَنتَ الخصْمُ والحكَمُ

وأنَّ المتنبي، حسب العميدي، جعل بيته الشَّهير سَرقةً(842):

أنا الذي نَظرَ الأعمى إلى أَدبي

وأَسمعتْ كلماتي مَن به صَممُ

على أنه سرقه مِن عمرو بن عروة العبد الكلابي، في قوله(843):

حتى فتحت بإعجازٍ خُصصت به

للعمى والصَّم أبصاراً وأسماعا

يقع أبو سعيد العميدي في مطبٍ آخرَ، في إبانته بشأن سرقات المتنبي، فهو يذكر بيتاً لأبي الطَّيب ويعتبره قد سلبه مِن أبي تمام أو ابن الرُّومي، لكنه لم يتهم أياً منهما سلبَ الثَّاني، وبطبيعة الحال أبو تمام هو الأقدم، القصد هنا تأتي الانتقائية في الاتهام، قال ابن الرُّومي (844):

وأعوامٌ كأن العامَ يوماً

وأَيامٌ كأنَّ اليومَ عامُ

وقال أبو تمام:

أعوام وصلٍ كاد يُنسى طولهـا

ذِكرُ النَّوى فكأنها أيامُ

ثم أنـبرت أيـامُ هجرٍ أعقبت

نجوى أسَى فكأنها أعوامُ

ثم انقضت تلك السُّنون وأهلها

فكـأنها وكأنهم أحـلامُ

أما بيت المتنبي المتهم بالإغارة على الاثنين فهو:

إنَّ أيامنا دهورٌ إذا غبـ

تَ وساعاتنا القصار شهور

لا نريد الإكثار مِن الأمثلة، التي وردت في كتاب العميدي «الإبانة»، وليس دفاعاً عن المتنبي، لكنّ أياً مِن الشُّعراء كان خالياً مِن مثل هذا الاقتباس، أو التَّضمين، في اللَّفظ والمعنى، وهنا نُشيرٍ إلى كتاب العميدي نفسه، الذي خصصه لسرقات المتنبي، فنجده مستلاً مِن كتاب القاضي أبي الحَسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني(ت ٣٩٢هـ/١٠٠١م) «الوساطة بين المتنبي وخصومه»، والذي صنفه دفاعاً عن المتنبي وخصومه، عندما تطاول عليه الوزير الصَّاحب

ابن عَباد(ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) في رسالته «مساوئ شعر المتنبي»(845). فقد أعدّ الجرجاني مصنفاً لشعر المتنبي ذاكراً فيه الضَّعيف والملتبِس، فيبدو أن العميدي أخذ ما جعله الجرجاني استعارات المتنبي مِن الشُّعراء، واستعاراتهم في ما بينهم، ليجعله سرقةً، دون أن يذكر فضلاً للقاضي الجرجاني الذي وضع «الوساطة» قبله بعقود طويلة، وبهذا المعنى تُلاحق السَّرقة العميدي نفسه في كتابه «الإبانة عن سَرقات المتنبي»، ويمكن أن يُطلق عليه إن صحت العبارة «سرقة السّرق»!

كتب الجرجاني مدافعاً عن المتنبي، وموجهاً كلامه إلى الصَّاحب بن عَباد: «وقد نجد كثيراً مِن أصحابك ينتحل تفضيل ابن الرُّومي، ويغلو في تقديمه، ونحن نستقرئ القصيدة مِن شعره، وهي تُناهز المائة أو تُربْو أو تضعف، فلا نعثر إلا بالبيت الذي يروق، أو البيتين، ثم قد تنسلخ قصائد منه، وهي واقفةٌ تحت ظلها، جاريةٌ على رسلها، لا يحصل منها السَّامع إلا عدد القوافي، وانتظار الفراغ، وأنتَ لا تجد لأَبي الطَّيب قصيدة تخلو مِن أبياتٍ تُختار، ومعانٍ تُستفاد، وألفاظٍ تروق وتعذب، وإبداعٍ يدلُ على الفطنةِ والذَّكاء، وتَصَرُّف لا يصدر إلا على غزارةٍ واقتدارٍ»(846). بعدها يأتي الجرجاني على مساوئ شعراء كبار، وكأنّه بهذا أراد القول للصاحب بن عباد، ولكلّ مبغضي المتنبي وحساده: لماذا المتنبي دون الآخرين؟!

اعتبر الجرجاني الاستعارة عند المتنبي «منافسة»(847)، وهو أتى بضعيف شعر المتنبي، الذي استغله البعض؛ ليخرجه به مِن طبقة فحول الشُّعراء، ثم يأتي على ما يُثبت أنَّه أحد هؤلاء الفحول، فيقول للصاحب: «وكيف أسقطته عن طبقات الفحول، وأخرجته مِن ديوان المُحَسّنين لهذه الأبيات التي أنكرتها، ولم تُسلّم له قصب السَّبق ونِصال النِّضال، وتُعنْون باسمه صحيفة الاختبار»(848). ثم يُصعد الجرجاني نقده للصاحب، وحتى لمَن أتى بعده، مثل العميدي، قائلاً: «ألا تسلك بأبي الطَّيب هذا المسلك، ولتحْمله هذا المنهج، علمتُ أنك متعصب مائل، ومتحاملٍ جائر»(849).

بعد الصاحب بن عباد والعميدي يأتي دور محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي(ت٣٨٨هـ/٩٩٨م) في الحديث عن سَرقات المتنبي وخصومته له، وقد كتب ذلك تحت عنوان «الرِّسالة الحاتميَّة»، وهي عبارة عن مناظرة بين الحاتمي والمتنبي ببغداد، حسب إدعاء الحاتمي نفسه، على أنَّه قصد المتنبي عندما وصل إلى بغداد، وهناك صب جام غضبه عليه؛ لأن المتنبي تجاهله، وقد زاره ليسأله عن معاني شعره، لكنّ يُفهم مِن الرِّسالة أنَّ القصد لم يكن هذا، إنما كان ذلك بعد تدبير هجمة جماعية على المتنبي، وكان يقودها الوزير

أبو محمد المهلبي(850). بان ذلك في ما قاله الحاتمي في رسالته(851)، أو حسب ما يدعي مناظرته مع المتنبي(852).

كان واضحاً باعتراف الحاتمي نفسه أنَّ ما كتبه كان لغرض، ومنه إرضاء أحمد بن بويه أمير الأمراء ببغداد الملقب بمعزّ الدَّولة البويهي(٣٥٦هـ/٩٦٧م)، فعندما سمع الأخير بما فعله الحاتمي مع المتنبي قال: «نعم، شفا صدورنا»(853)، ومنها عقد الحاتمي صِلة له بمعزّ الدَّولة. قال: «ومن فضيلته وصفاء ذهنه، وجودة حذقه ما حداني إلى عمل الحاتميَّة الثَّانية، وتأكد بيني وبينه صحبة وثقة، وصرتُ أتردد إليه أحياناً، وهذا آخر المناظرة»(854). أمَّا الحاتمية الثَّانية فكانت في ما اقتبسه المتنبي مِن أرسطاطاليس(855). لكنَّ الصَّاحب بن عَباد والحاتمي قد حاولا تبديل موقفهما مِن المتنبي، وهذا ما أراده معزّ الدولة(856)، ولم نتبسط به فهو خارج موضوعنا.

نعود إلى العميدي وتطرفه ضد المتنبي، الذي واجه ردوداً عليه، المباشرةً وغير المباشرة، فنجد أبا منصور عبد الملك الثَّعالبي(ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، يأتي بعكس ما أتى به أبو سعيد العميدي، متعقباً سرقات الشُّعراء مِن المتنبي، خلاف كلّ مَن صنف في سرقات المتنبي، وكان أولهم الصَّاحب بن عباد والحاتمي ثم العميدي، والأخير كان من ، الذين أغضوا الطَّرف عمَن أغار على شعر أبي الطَّيب، مِن ذلك قول المتنبي(857):

وقد أَخذ التَّمام البدرِ فيهْم

وأعطاني مِن السُّقم المحاقا

أخذه أبو فرج عبد الواحد بن نصر النَّصيبي المعروف بالببغاء(ت ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م) وجعله(858):

يا مَن يُحاكي البدرَ عند تمامه

ارحمْ فتىً يحكيه عند محاقهِ

بل إن الصّاحب بن عباد، والذي صَنف رسالة «الكشف عن مساوئ المتنبي» نفسه قد أغار على شِعر المتنبي. قال المتنبي(859):

وكنتُ إذا يمَّمتُ أَرضاً بعيدةً

سريتُ فكنتُ السِّرَّ واللَّيل كاتمه

جعلها ابنُ عباد(860):

تجمشّتها واللَّيلُ وحفٌ جناحه

كـأني سرٌ والظَّـلام ضميرُ

ما تقدم كان مثالاً، فما أتى به الثَّعالبي، مِن سرقات الشُّعراء مِن المتنبي، كان غزيراً، وعلى العموم يقول صاحب اليتيمة في أبي الطَّيب: «نادرة الفلك، وواسطة عقد الدَّهر في صناعة الشِّعر»(861)، ومِن المؤكد بسبب هذه الموهبة الفذة يكثر الحاسدون والسَّارقون أيضاً. يُضاف رد القاضي الجرجاني، السَّابق الذّكر، وتعظيم أبي العلاء المعري(٤٤٩هـ/١٠٥٧م) للمتنبي، حتى أنه سَمَّى شرح ديوانه بـ«معجز أحمد»، وأحمد بن الحُسين هو المتنبي، هذا وكلُّ شاعرٍ يجد مَن يهيم به، هيام المعري بأبي الطَّيب، فهذا معروف عبد الغني الرُّصافي(ت ١٩٤٥) بدوره هام بأبي العلاء، حتى سَمَّاه بـ«شاعر البشر»، في قصيدة له تحت هذا العنوان(862)، وقال في عذره: «قد قلت مرة في أبي العلاء: إنه شاعر البشر. أمَّا الآن فأقول: إنَّه شاعر الخلق كافة، إذ لم تكن نظراته الحكيمة مقصورة على بنى آدم بل تجاوزتهم إلى غيرهم من سابح في الماء، وطائر في الهواء، ونابت في الأرض وطالع في السَّماء، وهذه لزومياته طافحة بالشَّواهد على ما أقول. فما أجدره بأن يدعى شاعر الخلق!، أو شاعر الدنيا والآخرة!»(863). وسَمَّاه «شاعر الحقيقة»(864). لهذا يمكن القول: إنَّ التغير الذي طرأ على فكر الرُّصافي، وقبله هذا الانقلاب، وهو كان مشروع رجل دينٍ، قد حصل بتأثير أبي العلاء.

كذلك ردّ الشّيخ يوسف البديعي(ت ١٠٧٣هـ/١٦٦٢م) في كتابه «الصّبح المنبي عن حيثية المتنبي»، جاء فيه على العميدي، وإن كان متأخراً: «وكان الشّيخ أبو سعد محمد بن أحمد العميدي عن أبي الطّيب في غاية الانحراف؛ حائداً في التّمييز عن سنن الإنصاف، ونحن نورد كلامه نردّ في نحر سهامه، فإنه تجاوز الحدّ وأكثر الرّدّ»(865).

وهذا الحسن بن محمد بن وكيع التنيسي(ت ٣٩٣هـ/١٠٠٣م)، يُصنف كتاباً تحت عنوان «سَرقات المتنبي» فـ«عذله بعض أهل الأدب عن ذلك، فقال له: هل تثقل عليك الموافقة؟ قال: لا، قلتُ هذه الأبيات التي لك مأخوذةٌ مِن قول المتنبي»(866). وأبيات وكيع هي:

لو كـان كلُّ علـيلٍ/ يُـزادُ مثـلك حُسنـاً

لكـان كلُّ مـريضٍ/ يَودُّ لـو كـان مضـنى

يا أكمل النَّاس حُسناً/ صلْ أكمل النَّاس حُزناً

غنيتَ عنــي ومــالي وجــهٌ به عنــك أغنى

أما قول المتنبي الذي غار عليه وكيع وصنف في صاحبه كتابه «سرقات المتنبي»(867):

ولو كان المريضُ يَزيدُ حُسناً

كما تزداد أنت على السّقام

لما عيد المريضُ إذن وعدتُ

شكايته مِن النّعمِ العظامِ

ردَّ وكيع على التَّساؤل الذي واجهه به أحدهم، مبرراً ما لا يبرره لغيره، في مثل هذا الموقف: «واللّه ما سمعتُ هذا». فردُ عليه: «فقلتُ: إذا كان الأمرُ على

هذا فآعذر بمثله المتنبي»(868)! أقول: لماذا لا يُعذر المتنبي بما ردّ به وكيع مِن أنه «توارد خواطر»؟!

أتى الأمير الشَّاعر عبد الله بن المعتز(قُتل ٢٩٦هـ/٩٠٨م)، في طبقاته، على العديد مِن الأشعار التي اعتبرها مسروقة، ولشعراء معروفين، مثل قوله في مروان بن أبي حفصة(ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، قال: «فسرق مروان هذا المعنى، وأودعه قصيدته»(869)، إلا أنه نفسه كان متهماً بالسَّرقة، أو متورطاً بها على حدِّ ما أخبر به بعضهم(870)، فقد أخذ قول ديك الجن الحُمصي:

مشعشةٌ مِن كفِّ ظبي كأنَّما

تناولها مِن خَدِّه فأدارها

وردَ عند ابن المعتز:

كأن سُلاف الخمر مِن ماءِ خَده

وعنقودها مِن شَعرهِ الجعدِ يَقطفُ

اتهم ابن الرُّومي أبا الوليد البُحتري بالإغارة على شعره، بشكل مباشر، وهما كبار فحول الشّعر في زمانهما، ذلك إذا ميزنا فحول الشّعر بالكبار والصّغار(871):

أيسرقُ البحتري النَّاس شِعرهم

جهراً وأنتَ نكالُ اللّصِّ ذي الرَّيبِ

أُتهم أحمد بن أبي الفنن(ت: بين ٢٦٠-٢٧٠هـ) بالإغارة على شعر لإبراهيم بن المهدي(ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، في قوله(872):

صبٌ بحــبِ متيـمٍ صب

حبيــه فوق نهاية الحـبِ

أدميت باللَّحظات وجنته

فاقتصَ ناظره مِن القلبِ

أما قول إبراهيم فهو (873):

يا مِن لقلبِ صيغ مِن صخرةٍ

في جَسدٍ مِن لـؤلـؤٍ رطبِ

جرحتُ خـديه بلحـظي فما

برحت حتى اقتص مِن قلبي

إذا أردنا البحث في المتشابهات مِن الأبيات، وما أخذه الشُّعراء بعضهم مِن بعض سيطول الكلام، لكنّنا نذكر فقط، مِن أمثلةٍ قديمةٍ ومعاصرةٍ عن إعجاب شاعر بأبيات آخر، فيحاول أخذها منه بالإكراه أو القبول أو الشِّراء.

كان همام بن غالب الفرزدق(ت ١١٠هـ/٧٢٨م) يأخذ أشعار غيره بالإكراه(874)، منها أنه وقف على الشّاعر الشَّمردل بن شريك بن عبد الملك بن رؤبة(ت: نحو ٨٠هـ/٧٠٠م)، وهو ينشد قصيدة، فوصل إلى بيتٍ طمع فيه الفرزدق:

وما بين مَن لم يعطِ سمعاً وطاعةً

وبين جريرٍ غيرَ حزِّ الحلاقم

فقال الفرزدق مهدداً: «يا شمردل، لتتركنَّ هذا البيت لي، أو لتتركنّ عرضك»؟! فتنازل عنه الشَّمردل وهو يقول: «خذه، لا بارك اللّٰه لك فيه»(875).

كذلك سمع الفرزدقُ ابنَ ميادة الرَّماح بن أبرد الذِّبياني(ت ١٤٩هـ/٧٦٦م) ينشد والنَّاس حوله، فقال له: «أما واللّٰه يا ابن الفارسيّة لتدعنَّه لي أو لأنبشن أُمَّك مِن قبرها»(876) فتنازل ابن ميادة عمَّا له مكرهاً. وما استحوذ عليه الفرزدق مِن ابنِ ميادة الآتي:

لـو أَنَّ جميعَ النَّاسِ كـانوا بربوةٍ

وجئت بجدي ظالمٍ وابن ظالمِ

لظلَّت رِقاب النَّاس خاضعةً لنَّا

سُجوداً على أقدامنا بالجماجمِ

يَذكر القاضي أبو علي التَّنوخي (ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤م) قصة شراء الخليفة الذي لم يُعد مِن خلفاء بني العباس، وصاحب الغناء إبراهيم بن المهدي بن أبي جعفر المنصور(ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) بيتاً مِن الشِّعر خالد بن يزيد الكاتب البغدادي (ت ٢٦٢ هـ/٨٧٥م)، وكان فقيراً معدماً، أتاه إبراهيم متنكراً، عليه طيلسان أسود وعلى رأسه قلنسوة طويلة راكباً حماراً ومعه خادمه، وطلب شراء بيت منه، ورمى عليه صرة مِن النُّقود، ولم يقبلها لأنه لا يعرفه، ثم عرفه إبراهيم بنفسه(877).

أما البيت فكان مِن الغزل اللَّطيف:

أقول للسقمِ عُدْ إلى بدني

حبًّا لشيءٍ يكون مِن سَببك

حدث مثل ذلك في العصر الحديث، فقد طلب جميل صدقي الزَّهاوي (ت١٩٣٦) من معروف عبد الغني الرُّصافي(ت١٩٤٥) أن يتنازل له عن بيتين قالهما الأخير، وكانا يجلسان في مقهى ببغداد، والبيتان هما(878):

عجبتُ لقومٍ يخضعون لدولةٍ

يسوسهم في الموبقات عميدها

وأعجبُ مِن ذا أنهم يرهبونها

وأموالهم منهم ومنهم جنودها

قال الرُّصافي: «فقال جميل أعطني البيتين لأنظم قصيدة منها، فقلتُ له: ولماذا أعطيها لكَ تنظم فيها، وفي اللَّيل نظمتُ القصيدة المذكورة، وجعلتُ مطلعها البيتين»(879). لم يتحرج الرُّصافي مِن كشف انتحال للزهاوي(ت ١٩٣٦) من المعري(ت١٠٥٧ميلادية)، عندما قرأ أحدهم للزَهاوي، في مجلس يضم بعض الأدباءِ، من رباعيته بيتين، كان قد استعار، بشكل مفضوح، المعنى مِن أبي العلاء المعري:

أكثرَ التُّربِ عظامٌ

مِن ضلوعٍ وصدورِ

سحقتهما أرجلُ الدَّهـ

رِ وأقدامِ العصورِ

فقال الرُّصافي ساخراً: «غَفرَ اللّٰه لأبي العلاء، فقد سطا على معاني الزَّهاوي، لما نظمَ قصيدته: خفف الوطء»(880). كانت قصيدة المعري مشهورة، لا يجهلها مطلعٌ: ومنها البيت(881):

خفف الوطءَ ما أَظُنّ أَديم الـ

أرضِ إلاَّ مِن هذهِ الأجسٰاد

الفصل الثَّالث

لُصُوصيَّة المنثور عند المتقدمين

حدد القدماء درجات السَّرقة، وينطبق هذا على المنظوم والمنثور، لأنه يتعلق بالمعاني والألفاظ، مع أنهم قصدوا الأول، فالثَّاني لم يكن مشاعاً. يقول نصر اللّه ضياء الدِّين بن أبي الكرم بن الأثير الجزري(ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م): «متى أورد الآخر شيئاً مِن ألفاظ الأول، في معنى مِن المعاني، ولو لقطة واحدة، فإن ذلك مِن أدل دليل على سَرقته. أعلم، أن علماء البيان قد تكلموا في السَّرقات الشِّعريّة فأكثروا، وكنتُ ألفتُ فيه كتاباً، وقسمته إلى ثلاث أقسام: نسخاً وسَلخاً ومَسخاً. أمَّا النّسخ: فهو أخذ اللَّفظ والمعنى برمته، مِن غير زيادة عليه، مأخوذ ذلك مِن نسخ الكتابِ. وأمَّا السَّلخ: فهو أخذ بعض المعنى، مأخوذ ذلك مِن سَلخ الجلدِ، الذي هو بعض الجسم المسلوخ. وأمَّا النَّسخ: فهو إحالة المعنى إلى ما دونه، مأخوذ ذلك مِن مسخ الآدميين قِردةً. وهاهنا قسمان آخران أخللت بذكرهما في الكتاب الذي ألفته، فأحدهما أخذ المعنى مع الزِّيادة عليه، والآخر عَكس المعنى إلى ضدّه، وهذان القسمان ليسا بنسخٍ ولا سَلخٍ ولا مَسخٍ»(882).

كذلك يرى ابن الأثير صعوبة تحديد سَرقة الشِّعر، إلا بشرط «حفظ الأشعار الكثيرة، التي لا يحصرها عدد، فمَن رام الأخذ بنواصيها والإشتمال على قواصيها، بأنْ يتصفح الأشعار تصفحاً، ويقتنع بتأملها ناظراً، فإنه لا يظفر منها بالحواشي والأطراف»(883). لأنَّ مجال الشِّعر غير النَّثر، فالشَّاعر ينظم قصيدة مِن مئة بيتٍ، أقل أو أكثر، فربما يأتي مِن خزانة حفظه، ما يُناسب الموقف، لكنَّ النُّقاد يتركون القصيدة ويقفون عند البيت أو البيتين منها، وقد أتى بهما على معنى التَّضمين أو الاستعارة، وهذا لا يدخل في سرقة القصائد الكاملة، أو النَّسخ الذي عبرَ عنه ابنُ الأثير نفسه قائلاً: «وقوع الحافر على الحافر»(884)، أي، حسب ابن الأثير: أخذ المعنى واللَّفظ جميعاً، مثلما حصل لبيت أمرئ القيس(القرن السَّادس الميلادي)(885):

وقوفاً بها صحبي عليَّ مَطيَّهم

يقولون لا تهلك أسىً وتَحمَّلِ

نسخه طرفة بن العبد(القرن السَّادس الميلادي)، بما يناسب قافية معلقته(886):

وقوفاً بها صَحبي عليَّ مَطيَّهم

يقولونَ لا تَهلك أَسىً وتَجلَّدِ

وهنا لا بد مِن وضع الملاحظة بنظر الاعتبار، وهو أيهما أسبق مِن الثَّاني، امرؤ القيس أم طرفة؟! فكلاهما مِن القرن السَّادس الميلادي، وقبل الإسلام، وتواريخ ميلادهما أو وفاتهما جاءا على التَّقدير؟ وليس على الضَّبط. وهنا إذا كان طرفة بن العبد قد نسخ البيت أو سَرقه، فقد أسقط ما قاله في شرِّ السَّرقة، مثلما مرَّ بنا(887):

ولا أغيرُ على الأشعار أسِرقُها

عنها غَنيتُ وشرُّ النَّاسِ مَن سَرقا

أقول: فلو تركها طّرفة بن العبد «تحمَّلِ» لقيل تضمين بيتٍ، لكنَّ ما حصل كان إغارةً على البيت كاملاً.

يرى المظفر بن الفضل العَلوي(ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) صاحب «نَضرة الإغريض في نُضْرة القريض» السَّرقة قسمين: محمود ومذموم «فلهم سَرقات مُستقبحة، وإغارات بزناد الإكثار مستقدحة»(888)، وحدد المحمود منها بعشر نقاط، نذكرها كعناوين: (استيفاء اللفظ الطَّويل في الموجز القليل، نقل الرَّذل إلى الرَّصين الجزل، نقل ما قُبح مبناه دون معناه إلى ما حَسن مبناه ومعناه، عكس ما يصير بالعكس ثناء بعد أنْ كان هجاءً، استخراج معنىً مِن معنىً، توليد كلام مِن كلام اللفظ مفترق والمعنى مُتَّفق، توليد معانٍ مستحسنات مِن ألفاظ مختلفات، المساواة بين المسروق منه والسَّرق بزيادة ألحقت المسبوق بالسَّابق، المماثلة في الكلام حتى لا يُفضل نظامٌ على نظامٍ، رُجحان لفظ الآخذ على المأخوذ منه، وتفضيل معناه على معنى أصدره عنه) (889).

كذلك حدد المذموم مِن الإغارة أو سَرقة الأشعار بعشر نقاط، معكوس المحمود (نقل اللفظ القصير إلى الطَّويل الكثير، نقل الرَّصين الجزل إلى المستضعف الرَّذل، نقل ما حُسن معناه ومبناه إلى ما قُبح مبناه ومعناه، عكس الثناء إلى هجاء، نقل الحسن في الوزن والقافية إلى القبيح الثقيل منها، حذف الكلام الذي كان تمام في المسروق، رُجحان المأخوذ على الآخذ، نقل العذب إلى المستكره الجافي، نقل الكلام إلى تقصير ظاهر أو فساد، أخذ اللفظ المُدَّعي هو ومعناه معاً، وهو أقبح السَّرقات وأشنعها) (890).

أخذ يوسف البديعي(ت١٦٦٢) مِن محمود السِّرقات ومذمومها، ليجعل منها خمسة عشر ضرباً، لكنه لم يزد عليها(891)، فكل الذي عمله أنَّه جمعها في قائمة واحدة، إلا أن البديعي، في ذِكر المحمود والمذموم، مثلما جاءت عند المظفر العلوي، كان مدفوعاً بالذَّب عن المتنبي، وقد شَرح أنواع السَّرقة ونسي نفسه، فهو أخذها مِن العلوي مِن دون إشارة لا مِن بعيد ولا مِن قريب لفضله.

أما أنَّ المتأخرين لا يذكرون للمتقدمين فضلاً، فهذا غير صحيح، إذا أخذنا، على سبيل المثال لا الحصر، أن عزَّ الدِّين بن أبي الكرم بن الأثير الجزري المؤرخ (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، عندما صنف تاريخه «الكامل في التَّاريخ»، قد ذَكر فضل أبي جعفر محمد بن جرير الطَّبري(ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) في «تاريخ الأُمم والملوك». قال: «فابتدأتُ بالتَّاريخ الكبير، الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطَّبري، إذ هو الكتاب المعوَّل عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذتُ ما فيه مِن جميع تراجمه، لم أخل بترجمة واحدة منها، وقد ذَكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عددٍ، كلُّ رواية مثل التي قبلها، أو أقل منها، وربَّما زادَ الشَّيء اليسير أو نقصه، فقصدتُ أتمُ الرّاويات فنقلتها، وأضفتُ إليها مِن غيرها ما ليس فيها، وأودعت كلَّ شيء مكانه، فجاء جميع ما في تلك الحادثة، على اختلاف طرقها، سِياقاً واحداً على ما تراه... وقد سَمَّيته اسماً يُناسب معناه، وهو: الكامل في التَّاريخ»(892). فكما تقدم، أنَّ ابنَ الأَثير لم يكتفِ بالاعتراف بفضل الطَّبري إنما شرح كيف استخدمه.

كانت السَّرقة الأدبية عيباً وتهمةً، تُعد كبيرة مِن الكبائر، في الوسط الثَّقافي، على وجه الخصوص في المنثور؛ لأنها مفضوحة ويستحيل تبريرها، فإذا بررت الإغارة على الأشعار بالاستعارة أو التَّضمين، واختلاف المعنى، فالمنثور لا محيص مِن كشف السَّارق، حتى يصعب تطبيق مبدأ «توارد الخواطر» عليها. فتجد الخصوم يترامون بتهمة سَرقة النُّصوص، حتى إذا كانت غير حقيقيَّة؛ لأنَّها نافعة في التَّسقيط والتَّشهير. فلما صنف أبو بكر محمد بن الحَسن المشهور بابنُ دريد(ت ٣٢١هـ/٩٣٣م) «الجمهرة في اللُّغة»، بطلب مِن

الأمير إسماعيل بن عبدالله بن ميكال، قذفه خصمه إبراهيم بن محمد المعروف بنفطوية(ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م) بأبيات شاعت عنه: «ابنُ دُريد بَقَرة/ وفيه عيٌّ وشرَه/ويدعي مِن حَمقه/ وضع كتاب الجمهرة/ وهو كتاب العين/إلا أنه قد غيّره»(893).

ذكر ابنُ دُريد أو الدُريدي، مثلما يُسَمَّى أيضاً، ما قذفه به زملاؤه مِن أهل اللُّغة كنفطويَّه: «ولم أجر في إنشاء الكتاب إلى الإزدراء بعلمائنا، ولا الطَّعن في أسلافنا، وأنىّ يكون ذلك، وإنما على مثالهم نحتذي وبسبلهم نقتدي، وعلى ما أصلوا نبتني، وقد ألف أبو عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد الفرهودي(هكذا وردت) رضوان الله عليه، كتاب العين، فأتعب مَن تصدى لغايته، وعلى مَن سَما إلى نهايته»(894). كان بين ابن دُريد ونفطويه «مماظَّة»(895). فأجابه ابن دُريد: «لو أُنزل الوحيُ على نفطَويَّه/ لكان ذاك الوحيُ سخطاً عليه/ وشاعرٌ يدعي بنصف اسمه/ مستأهِلٌ للصفعِ في أخدعيه/ أحرقهُ اللّهُ بنصف اسمه/ وصيَّر الباقي صِراخاً عليه»(896).

الهمداني والحَريري

يُطرح موضوع المقامات وتشابهها بالأسلوب والأدوات واللغة والعناوين لعدد مِن المقامات؛ بين بديع الزَّمان الهمذاني(ت ٣٩٧هـ/١٠٠٦م) والقاسم بن علي الحَريري(ت٢١٦هـ/١١٢٢). يفصل بينهما زمن يزيد على أكثر مِن مائة عام، قرأت هذا الطَّرح في مقال تحت عنوان «السَّرقة الأدبية بين الشِّعر والنَّثر»، أشار فيه كاتبه إلى أن مقامات الحريري هي مقامات البديع نفسها، مِن حيث الأدوات والأسلوب. جاء في المقال: «على أن المتتبع لكلِّ هذه النُّصُوص ونظائرها وأشباهها، يجدها كُلَّها مبنية على السَّرقة أو الإتباع، وصاحب اليد الطُّولى فيها هو بديع الزَّمان»(897).

أقول: من الطَّبيعي أن يكون بديع الزَّمان هو المبدع؛ لأنَّه المتقدم والحريري المتأخر، فبينهما أكثر مِن قرن مِن الزَّمان، لكن اعتراف الحَريري، في مقدمة مقاماته، يعفيه مِن تُهمة السَّرقة، شأنه شأن ابن الأثير المؤرخ مثلما مرَّ بنا، ويمكن أن يكون ما قام به إتباع وليس استعارة ولا تضمينا، وفي النَّثر يُسمَّى «اقتباس»، فكلّ إبداع جديد يُبنى على أسلوب قد سبقه، وهذا هو التّوارث بين الأجيال، وبطبيعة الحال لا تبقى الأساليب أو الأفكار كما هي، إنما تظهر بمظاهر جديدة.

فحسب الأديب زكي مبارك(ت ١٩٥٢) أن بديع الزَّمان نفسه «ليس المنشئ لفن المقامات، وإنما حاكى أحاديث ابن دريد»(898). لهذا اعتبرت معارضة، فابن

دريد عارض أربعين حديثاً لابن دريد، ثم الحريري عارض بديع بعد مقاماته(899). كذلك يُفهم عبارة إبراهيم بن المُدَبِّر(ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٣/): «انظر في كُتب المقامات والخطب ومحاورات العرب، ومعاني العجم، وحدود المنطق، وأمثال الفرس ورسائلهم»(900)، تؤكد بأن المقامات كانت معروفة قبل زمن البديع، أي في القرن الثّالث الهجري(901)، ومفردة «كُتب»قصد ابن المدبر بها المقامة المقصودة، وليست معناه المعروف»المجلس».

قال الحريري معترفاً بفضل بديع الزَّمان: «وبعد، فإنَّه قد جرى بعض أَندية الأدب، الذي ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، ذِكر المقامات التي ابتدعها بديع الزَّمان، وعَلّامة همذان رحمه الله تعالى، وعزا إلى أبي الفتح الأسكندراني في نشأتها، وإلى عيسى بن هشام روايتها، وكلاهما مجهول لا يُعرف، ونكرة لا تتعرف، فأشار مِن إشاراته حكمٌ، وطاعته غنمٌ، إلى أن أنشئَ مقامات أتلو فيها تلو البَديع، وإنْ لم يدرك الضَّالع شأو الضَّليع... ما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السَّروجي، وأسندتُ روايته إلى الحَارث بن همام البَصري، وما قصدتُ بالإحماض(902) فيه إلا تنشيط قارئيه، وتكثير سواد طالبيه»(903).

ثم يتلو الحريري اعترافه بفضل بديع الزَّمان الهمذاني: «هذا مع اعترافي بأنَّ البديع -رحمه الله- سَباق غايات، وصاحب آيات، وأنَّ المتصدي بعده لإنشاء مقامةٍ، ولو أُتي باغة قُدامة، لا يغترف إلا مِن فُضالته، ولا يُسري ذلك المسرى إلا بدلالته ولله دّر القائل: فلو قبل مَبكاها بكيتُ صَبابةً/ بسُعدى شَفيت النَّفس قبل التَّندمِ/ ولكنْ بكت قبلي فهيج لي البُكاء/ بُكاها فقلتُ الفضلُ للمتقدمِ»(904).

على الرّغم مِن وجود عناوين مشتركة بين مقامات البديع ومقامات الحريري، لكنَّ بعد فحص النُّصُوص عند الاثنين، نجدها مختلفة، نعم الأسلوب واحد، فالاثنان استخدما أسماء مستعارة، عند البديع الإسكندراني وعيسى بن هشام، وعند الحريري السَّروجي والحارث بن همام، كذلك تتشابه العناوين بين مقاماتهما، في عشر مقامات، مِن الخمسين مقامة عند الحريري، والاثنين والخمسين مِن مقامات بديع الزَّمان، والعناوين المتشابه عند الاثنين هي: الحلوانيَّة، الدِّينارية، الكوفيَّة، البغداديَّة، الدَّمشقية(الهمذاني) الشَّاميّة(الحريري)، الشِّعريَّة، البُخارية (الهمذاني) السَّمرقنديَّة (الحريري)، الشّيرازيَّة، السَّاسانيَّة، البَصريَّة.

أشار الحريري في المقامة «الشِّعريَّة» إلى سَرقة الأشعار، ولم يشر إليها الهمذاني في المقامة نفسها، كتب الحريري على لسان أبي زيد السّروجي، أن

أحدهم سَرقه «وقد ادعيتَ سحري واستلحقته، وانتحلتَ شعري واسترقته، واستراق الشِّعر عند الشُّعراء أفظع مِن سَرقة البيضاء والصَّفراء، وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبكار، فقال الوالي للشيخ: وهل حين سَرق سَلخ أم مسخ أم نسخ؟ فقال: والذي جعل الشِّعر ديوان العرب، وتُرجمان الأدب، ماحدث سوى أن بتر شمل شرحه، وأغار على ثلثي سرحه»(905).

غير أنَّ نص الحَريري الأخير لا يعني أنه لم يكن متَخيلاً، فأكثر نصوص المقامات متخيلة، نُذكّر بذلك كي لا نذهب بعيداً، ونعتقد بوجود تقاض مبكر بشأن السَّرقة الأدبية أو الشّعريّة، فالسَّرقات مثلما مرَّ بنا كانت شائعة جداً، لكنْ لم ينظر بها القضاء آنذاك؛ لأنَّه كان بحدود الشَّريعة أو الفقه، والشَّريعة الإسلاميَّة خاليَّة مِن نصوص كي تفصل فيها آنذاك.

إذا كان بَديع الزّمان الهَمداني مؤسساً لفن المقامة، وأنَّ الحريري لم يكتب الاعتراف والتمجيد له كونه سبقه بالفضل فيها، لكانت سَرقة مع سبق الإصرار، فالاعتراف بالفضل يكفي بالنّسبة للمتقدمين، فلم يعرفوا تثبيت المصادر أو تنصيص الاقتباسات وإحالات، إلا أنَّ آخرين كتبوا على هذا المنوال، ولم يذكروا فضلاً لمَن سبقهم، مثلما تعرض كتاب عبدالرَّحمن بن عيسى الهمداني(ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) «الألفاظ الكتابيَّة»، وكتابه يُعد تأسيس لهذا الفن مِن اللغة، ثم كثر المتناولون له، ولم يذكروا له فضلاً. أما عن فن المقامات، وأن الحريري صرح واعترف، فنجد رُكن الدِّين محمد الوهراني(ت٥٧٥هـ/١١٧٩م) صنف مقاماته ومناماته، مِن دون ذِكر فضل لأحد قد سبقه في هذا الفن(906)، وهي مطابقة لأسلوب وأدوات السابقيّن البديع والحريري، وهذا يُعد سَرقة بلا شك.

النُّوبختي والأشعري

كان مثال عمَّا حصل بين صاحبي المقامات، الهمذاني والحَريري، تأثراً بالأسلوب ونمط الكتابة، مع اختلاف في المعاني والنُّصوص، ومع ذلك لولا اعتراف المتأخر بفضل المتقدم، لحُسب سَرقة مفضوحة، لكنَّ في مثال ما حصل لكتاب أبو محمد الحسن بن موسى النُّوبختي(نهاية القرن الثَّالث الهجري/التاسع الميلادي) «فِرق الشِّيعة» المنسوخ في كتاب «المقالات والفِرق» لسعد الأشعري(ت بحدود ٣٠١هـ/٩١٣م)، نقف على نوعٍ آخر مِن الإغارة أو السَّرقة، وهي كثيرة قديماً، فليس هناك عقوبة تمنعٍ وتحد من هذه الظَّاهرة. فمَن يقرأ الكتابين يجد نصوصاً كاملة متطابقة بينهما، بل أكثر مِن

هذا هناك مَن اعتبرهما كتاباً واحداً، وهو المؤرخ الإيراني عباس إقبال الآشتياني(ت ١٩٥٦).

يقول الآشتياني: «إن أبا القاسم الأشعري وأبا محمد النُّوبختي، كانا متعاصرين، وتوفيا في زمن واحد تقريباً، يعنى على التَّحقيق، في العشرة من المائة الرابعة للهجرة، فلو لم يطلع كل من هذين العلمين على كتاب الآخر، وكان الكتاب الحاضر -أي فرق الشيعة- من تأليف النوبختي، فأي شيء هذا الاتحاد الموجود بين مضامين وعبارات الكتاب، وبين ما نقل عن الاشعري؟! هل أن النُّوبختي أخذ المطالب عيناً من كتاب الأشعري، من دون إيراد المستند؟ وهل أنه مع سعة علمه وإطلاعه وإحاطته بالفنون المختلفة من الكلام والحكمة والأدب وفن الملل والنِّحل بادر إلى هذا العمل -أيّ الاقتباس من الأشعري من دون إشارة إليه-، وهو يعد من السَّرقات الأدبية؟! أو أن الأشعري وهو من الفقهاء والمحدثين المعتمد عليهم عند الشِّيعة بل هو أصل لرواية كثير من أخبار الطَّائفة الإمامية عمد إلى إقتباس المطالب من كتاب النُّوبختي عيناً، وتأبى على خلاف الطَّريقة المطردة عن ذكر اسمه»(907).
يأتي بحث السَّيد محمد رضا الحُسيني في هذا الموضوع مانعاً جامعاً، أتى بالمقارنات والمقابلات بين مؤرخي الشيعة في هذا الموضوع، لكنَّ النَّتيجة لم تبن، هل هو كتاب النّوبختي أم الأشعري؟، وكان هذا هو عنوان بحثه الرّصين(908).

إنَّ الباحثَ أو القارئ في الكتابين لا يجد فرقاً، غير حروف زائدة وعبارة تتأخرأو تتقدم، وإضافات بسيطة، لكنها مهمة أنْ تعلمك أنهما كتابان، فأيهما أغار على الآخر؟! هذا هو الإشكال. أما مِن ناحية تثبيت السَّرقة فلا مناص أنها ثابتة. فمحقق كتاب الأشعري محمد جواد مشكور(ت ١٩٩٥)، الذي أصدره العام (١٩٦٣) يَرى أنهما كتابان، لكنَّه لم يعتبر كتاب الأشعري إغارةً على كتاب النّوبختي، ذلك لم يقل أن النُّوبختي قد أغار على الأشعري! نقول هذا بحكم أنهما كانا متعاصرين. حاول مشكور إثبات عدم التَّشابه بستة وعشرين فرقاً بينهما، غير أن ما أتى به مِن فروق ليس لها اعتبار، مقابل التطابق الأعظم بين النُّصوص.

يبدو أنَّ مشكوراً حاول تبرير تحقيقه للكتاب ونشره، على أنه إضافة تاريخيَّة مهمة في دراسة الملل والنِّحل، وينقل عن عباس الآشتياني قوله: «اعتقد بأنّه نُسبَ للنوبختي الذي كان يُعاصر أبا خلف الأشعري خطأً»(909). لا يهمنا هنا ما كتبه الآشتياني، ومَن ردَّ عليه، في شأن صحة كتاب «المقالات والفِرق» حتى بدا مشكور يُشكك بوجود كتاب النُّوبختي نفسه، حسب ما سبق قوله، لكنَّ قراءةَ سريعة لهما يتضح أنهما كتاب واحد، والاختلافات في كتاب الأشعري

القمي، تؤكد أنه قد ستله مِن النَّوبختي البغدادي، فالأصل هو غير المضاف عليه. قد يُعذر الأشعري على نسخه الكتاب، وفق المعايير التي ذكرناه سابقاً، عن محددات السَّرقة أو الإغارة والإدعاء به، إذا ذَكر فضلاً لصاحب الكتاب الأصل، فوحدة المتنَّ تجعل مِن الصَّعب تبرئة الأشعري، مثلما أراد محقق الكتاب، أو ما تشكك به الآشتياني، وبطبيعة الحال مِن الاستحالة أن يكون يُحسب الأمر توارد خواطر، فالتوارد له حدوده وقيوده أيضاً، لا يخرج من بيت الشّعر أو الجملة والعبارة إلى نصوص كاملة! على اعتبار أنَّ الكتابَ أشتهر قديماً وحديثاً للنوبختي.

الغَزالي والكاشاني

نأتي على قضية، خرجت عن حدِّ النَّسخ أو السّلخ إلى التَّحريفِ، حسب محدِدات السَّرقة ودرجاتها، لكنَّ بأسلوبَ آخر، لم يَتنكر المُحرف لجُهد مَن حرفَ كتابه، إنما هو معترف به، وعمل له تهذيباً، والتَّهذيب يأتي بمعنى التَّلخيص والإيجاز، وكُتب كثيرة ظهرت مهذبةً مِن بعد أصحابها، لتسهيل القراءة وزيادة الإفادة منها. بيد أنَّ الخطورةَعندما يتحول التَّهذيب إلى تحريف، ويتعدى إلى تحريف اعتقاد مؤلف الكتاب نفسه! هذا ما حصل لكتاب «إحياء علوم الدِّين» لأبي حامد محمد الغزالي(ت ٥٠٥هـ/١١١١م)، على يد الملا محمد بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني(ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م) في كتابه «المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء».

يعتبر الفيض الكاشاني(910) أحد المحمدين السِّتة الكبار مِن أصحاب الحديث عند الشِّيعة الإماميَّة، وهم المحمدون المتقدمون الثَّلاثة: محمّد بن يعقوب الكلينيّ(ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م) كتابه «الكافي»، ومحمّد بن عليّ بن بابويه القميّ المعروف بالشَّيخ الصَّدوق (ت٣٨١هـ/٩٩١م) كتابه «مَن لا يحضره الفقيه»، محمد بن الحسن الطُّوسي(ت ٤٦٠هـ/١٠٦٩م) وكتاباه «الاستبصار» و «التَّهذيب». أمَّا المحمدون الثلاثة المتأخرون فهم: محمد بن الحَسن العاملي(ت ١١٠٤هـ/١٥٩٥م) وكتابه «وسائل الشِّيعة»، محمد باقر المجلسي(ت١١١١هـ/١٦٩٩م) وكتابه «بحار الأنوار»، الملا محمد بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني»كتابه «الوافي» والكُتب الثَّلاثة الأخيرة كُتبت في العهد الصَّفوي(١٥٠١-١٧٢٣م)، وجاء بعدهم رابع المتأخرين حسين بن محمد الطَّبرسي(ت ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)، كتابه «مستدرك الوسائل»، أي «وسائل الشِّيعة». أتينا على ذِكر كتب الحديث عند الشِّيعة الأساسيَّة، كي نعرف أهمية الفيض الكاشاني.

عاش الفيض الكاشاني في العهد الصَّفَوي، ويعد أحد أبرز الفقهاء في ذلك العهد، وكان منتسباً إلى المدرسة الإخباريَّة(911). جاء الكاشاني بعد الغزالي بنحو خمسمائة عام، وواضح أنَّه كان معجباً بالغزالي وتصوفه، وبكتاب الإحياء نفسه، فقرر تهذيبه، وأصدره العام (١٣٣٩هـ ش) بطهران، لكنَّ الكاشاني ذهب قبل التَّذهيب إلى تشييع الغزالي، وهو الفقيه السُّنّي الشَّافعي والأشعري المعروف، قال: «إلا أنَّ أبا حامد لما كان حين تصنيفه عاميّ المذهب(سُنّي) ولم يتشيع بعد، وإنما رزقه الله هذه السَّعادة في أواخر عمره، كما أظهر في كتابه المُسَمَّى بسرِّ العالمين، وشهد ابن الجوزي الحنبلي»(912). يقصد بالأخير سبط ابن الجوزي(ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م).

عن كتاب «سر العالمين»، المنسوب للغزالي، أنَّه أورد فيه باباً تحت عنوان «ترتيب الخلافة والمملكة»، وأتى به على حديث «غدير خم»، بما أوصى به النَّبي لعلي بن أبي طالب، وأنَّه ذكر ابن الخطاب هكذا بينما ذكر علياً بأمير المؤمنين. قال: بعد وفاة النَّبي «غلب الهوى في قعقعة الرَّايات...» (913). لنفترض أن كتاب «سِر العالمين» كان كتاب الغزالي، فيا ترى هل هذا دليل على تشيع الغزالي؟! ربَّما قال الغزالي ذلك، لكنَّ هل يكفي أن يصبح الغزالي شيعياً إمامياً؟! هناك مَن يرى أنَّ الكتاب مِن الكتب المنسوبة أو المنحولة للغزالي، وهي ليست مِن كتبه(914).

ليس موضوعنا إثبات تشيع الغزالي مِن عدمه، وبالتَّالي ليس موضوعنا إثبات نسبة كتاب «سر العالمين» له أو منسوب إليه، فهذا أمر آخر، فموضوعنا الأساسي مسخ كتاب «إحياء علوم الدِّين»، تحت عُذر تهذيبه، فالإحياء لم يكن متضمناً أحاديثَ وأقوالاً وروايات أئمة الشّيعة الاثني عشر، فأخذ الفيض الكاشاني على عاتقه ملء تهذيب الإحياء بتلك الرّوايات وأقوال الأئمة المعصومين في مذهبه.

يبرر الكاشاني مسخه لكتاب الغزالي في ما أعتبره نقصاً في الكتاب قائلاً: «فرأيت أن أهذبه تهذيباً يُزيل عنه ما فيه مِن الوصمة والعيب، وأبني مطالبه كُلها، على أُصول أصلية مُحكمة لا يتطرق إليها الشَّك ولا ريب، وأضيف إليها في بعض الأبواب ما ورد عن أهل البيت عليهم السَّلام، وشيعتهم في ذلك الباب مِن الأسرار، والحكم المختصة بهم عليهم السَّلام، واختصر بعض مباحثه بنظم فرائده، وحذف زوائده، لكي يزيد رغبةَ متناوليه»(915)، ونقول: هذا ليس تهذيباً إنما تحريف.

نحن في حال الكاشاني، وما صنعه بـ»إحياء علوم الدِّين»، وهو كتاب سبق عصر الكاشاني بخمسة قرون، ليس سّرقة أو إغارة أو انتحال، إنما فعل

تحريف وتلاعب في كتاب غيره. غير أن إعجاب الكاشاني بالغزالي، وكتابه المذكور، لا يُبرر له هذا، وحتَّى لو افترضنا أنَّه أصبح شيعياً، فهذا كتاب له وقته وأسلوبه واختيارات مصنفه. غير أننا أمام احتمالين لفعل مسخ الكتاب: الأول أنه بتهذيبه على الطَّريقة الشّيعية الإماميَّة، وضمَّنه أحاديثَ الشِّيعة، أراد تبرير اهتمامه بالكتاب وصاحبه، وعلى وجه الخصوص أنه كان أحد فقهاء العهد الصَّفوي وراوية الحديث، والمتشدد مذهبياً، والاحتمال الثَّاني اعتقاده بأن الغزالي أصبح شيعياً بالفعل، بعد تصنيف الإحياء، فأراد أن يجعله كتاباً شيعياً له.

إخوان الصَّفا وابن خلدون

قبل الحديث عن انتحالِ، أو استعارةِ عبد الرَّحمن بن محمد المعروف بابن خلدون(ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، لأفكاً ونصوص مِن رسائل إخوان الصَّفا وخِلان الوفا(القرن الرَّابع الهجري/ العاشر الميلادي) (916) وضمها إلى مقدمته، نأتي على تأكيد وصول الرَّسائل مِن المشرق إلى المغرب، أو الأندلس، حيث كان يُقيم ابن خلدون؟! وهل هذه الرَّسائلَ كانت موجودة بالفعل، فالشَّك يمكن أنْ يكون حول وجودها مِن الأساس، أما مقدمة ابن خلدون، والتي هي مقدمة تاريخه العِبر، فلا يوجد حولها أيّ شك، كونها كانت متأخرة عن زمن إخوان الصَّفا وكتابة رسائلهم بنحو خمسمائة عام، ناهيك عن أنَّ مؤلفي الرَّسائل غير معروفين بالأسماء الصّريحة، بينما ابن خلدون كان معروفاً وهو مصنف المقدمة والتَّاريخ، وأخباره في السِّياسة والقضاء مشهوره.

قال أبو حيان التَّوحيدي(٤١٤هـ/١٠٢٣م) عن زيد بن رفاعة، وهو أحد إخوان الصَّفا: «قد أقام بالبصرة زماناً طويلاً، وصادف بها جماعة لأصناف العلم وأنواع الصّناعة، منهم: أبو سليمان محمد بن معشر البيستي(وقيل البستي)، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزّنجاني، وأبو أحمد المهرجاني(917)، والعوفي، وغيرهم، فصحبهم وخدمهم. وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة، وتصاقت بالصّداقة، واجتمعت على القدس والطّهارة والنّصيحة. فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا إلى الفوز برضوان اللّه، وذلك أنهم قالوا: إنَّ الشّريعةَ قد دُنست بالجهالات، واختلطت بالضّلالات، ولا سبيل إلى غَسلها وتطهيرها إلا بالفلسفةِ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشّريعة العربية، فقد حصل الكمال. وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة، علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرساً، وسموها رسائل إخوان الصّفا، وكتموا فيها أسماءهم، وبثوها في الوراقين(أسواق الوراقة)» (918).

أورد القاضي عبدالجبار الأسد آبادي الهمذاني (ت ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، وهو من معاصري إخوان الصّفا وخلان الوفا، وأحد شيوخ المعتزلة المعروفين في زمانه، أسماء بعضهم بلا إشارة إلى عنوان الجماعة «إخوان الصّفا» قائلاً: «إنما أشرنا إلى هذا الزّنجاني القاضي؛ لأنه كبير فيهم، ومن أتباعه زيد بن رفاعة الكاتب، وأبو أحمد النّهرجوري(919)، والعوفي، وأبو محمد بن أبي البغل الكاتب المنجم، وهؤلاء بالبصرة أحياء وغيرهم في غير البصرة» (920).

نجد خبر الرّسائل يظهر في كتاب «طبقات الأمم» لصاعد الأندلسي (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م)، مؤكداً وصولها إلى الأندلس، بعد أن تعرف عليها أحد القرطبيين الدّارسين ببغداد، المهندس والرّياضي أبو الحكم عمرو بن عبدالرّحمن الكرماني (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، ليوصلها بدوره إلى الأندلس، قال صاعد: «جلب معه الرّسائل المعروفة برسائل إخوان الصّفا» (921). وهناك اطلع عليها ابن خلدون، ووجدها من دون مؤلف فأخذها وضمن نصوصها في مقدمته.

اشتهرت مقدمة ابن خلدون أكثر من أي كتاب، لكن أفكاراً ونصوصاً منها قد وردت في رسائل إخوان الصّفا، ومنها الإشارة إلى نظرية «أصل الأنواع». بينما لم يُعرف عن إخوان الصّفا سوى الأسماء، التّي كشف عنها أبو حيان التّوحيدي، مثلما تقدم، بأنهم عاشوا في القرن الرّابع الهجري (العاشر الميلادي)، ورسائلهم بثت بين الوراقين.

دافع علي الوردي (ت ١٩٩٥) عن ابن خلدون ضد المشككين في أمانته، والقصد أنَّ الشّكوك كانت مطروحة. قال: «يحاول بعض النّقاد أن ينتقصوا من قيمة نظرية ابن خلدون بحجة أنه جمع نظريته من أفكار سابقة؛ الظّاهر أن هؤلاء النّقاد يفترضون في المفكر المبدع أن يخلق نظريته الجديدة من عدم، فإذا وجدوا شيئاً من الشّبه بين أفكاره وأفكار بعض السّابقين له، قالوا: إنه لم يأتِ بشيء جديد»(922).

لكنَّ في مكان آخر، يستدرك الوردي، قائلاً: «يغلب على ظني، أنَّ ابنَ خلدون قد استمد فكرته عن الدّورة الاجتماعية من إخوان الصّفا، إنما هو قد طورها وأخضعها لمنطقه الجديد» (923). فصاحب المقدمة، حسب الوردي: مُنكت بارع «يجمع في ذهنه نكاتٍ منوعة كثيرة، يقتبسها من هنا وهناك. لكنْه لا يأتي بها عند التّنكيت إلا بعد أن يطبعها بطابعه الخاص» (924).

عارض الوردي ما ذهب إليه محسن مهدي (ت ٢٠٠٧) في رسالة الدّكتوراه حول فلسفة التّاريخ عند ابن خلدون، عندما قال: «لم يكن سوى تلميذ مخلص للفلاسفة القدامى» (925). فالوردي لا يريد لأثيره ابن خلدون التّلمذة

بل الفلسفة بالفطرة. قال: «أخالف الدّكتور مهدي من هذه النّاحية مخالفة غير قليلة، ففي رأيي أنَّ ابنَ خلدون كان ثائراً على الفلسفةِ القديمةِ بوجه عام، وعلى المنطق الأرسطي بوجه خاص» (926)!

عن تأثر ابن خلدون برسائل إخوان الصّفا، تجدر الإشارة، مثلما تقدم، إلى أنَّ الرّسائل قد وصلت الأندلس وانتشرت هناك، ولا بد أنّه اطلع عليها ابن خلدون، يقودنا بحث أحمد زكي باشا(ت ١٩٣٤)(927) إلى ما ترجمه صاحب «طبقات الأطباء»(928) ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، ويقودنا الأخير إلى صاحب كتاب «طبقات الأمم» القاضي صاعد الأندلسي. فنقرأ عنده في ترجمة الكرماني الآتي:

«أما الكرماني فهو أبو الحكم عمرو بن عبدالرّحمن بن أحمد بن علي الكرماني من أهل قرطبة؛ أحد الرّاسخين في علم العدد والهندسة. أخبرني به تلميذه، الحسين بن محمد الحسين بن حيّ التَّجيبي المهندس المنجم، أنّه ما لقي أحد يجاريه في علم الهندسة، ولا يشقّ غباره في فك غامضها، وتبيّن شكلها وابتغاء أجزائها، ورحل إلى ديار المشرق، وانتهى منها إلى حران من بلاد الجزيرة، وعُني هنالك بطلب الهندسة والطّب، ثم رجع إلى الأندلس، واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها، وجلب معه الرّسائل المعروفة برسائل إخوان الصّفا. ولا نعلم أحداً أدخلها الأندلس قبله، وله عناية بالطّب، ومجريات فاضلة فيه، ونفوذ مشهور في الكي والقطع والشّق والبط وغير ذلك من أعمال الصّناعة الطّبية» (929).

يذكر ابن خلدون في أكثر من مكان، في كتابيه «المقدمة» و «التَّعريف»، أنه توصل إلى أفكاره المطروحة في المقدمة عن طريق الإلهام غير المسبوق بمؤثر. قال: «أنزلوني بأهلي في قلعة ابن سلامة من بلاد بني توجين، التّي صارت لهم بإقطاع السّلطان، فأقمت بها أربعة أعوام متخلياً عن الشّواغل كلّها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب، وأنا مقيم فيها، وأكملت المقدمة على ذلك النّحو الغريب، الذّي اهتديت إليه في تلك الخلوة، فسالتَّ فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر، حتَّى امتخضت زبدتَها، وتألفت نتائجها، وكان مِن بعد ذلك الفيئة إلى تونس كما نذكره» (930).

كانت الأربعة أعوام لكتابه التَّاريخ كاملاً، أما المقدمة فيقول في خاتمتها: «أتممت هذا الجزء الأول بالوضع والتَّأليف، قبل التَّنقيح والتَّهذيب، في مدة خمسة أشهر، آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعمئة، ثم نقحته بعد ذلك وهذبته، وألحقت به تواريخ الأمم، كما ذكرت في أوله وشَرطته: وما العلِم إلا من عند اللّه العزيز الحكيم» (931).

وتراه يقول في كتابه ككلّ «العبر لا المقدمة فقط»: «لما طالعت كتب القوم، وسبرت غور الأمس واليوم، نبهت عين القريحة مِن سنة الغفلة والنّوم، وسمت التَّصنيف من نفسي، وأنَّا المفلس أحسن السّوم. فأنشأت في التَّاريخ كتاباً، رفعت به عن أحوال النّاشئة من الأجيال حجاباً، وفصلته في الأخبار والاعتبار باباً باباً، وأبديتُ فيه لأولية الدّول والعمران عللاً وأسباباً... وسلكتُ في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً، واخترعته من بين المناحي مذهباً عجيباً، وطريقة مبتدعة وأسلوباً» (932).

حدد إخوان الصّفا ارتقاء الكائنات الطّبيعي في أكثر من رسالة كالآتي: «اعلم أيها الأخ، بأن لهذه الموجودات التَّي تحت فلك القمر، نظاماً وترتيباً أيضاً في الوجود والبقاء، وهي مرتبة بعضها تحت بعض، متصل أواخرها بأوائلها كترتيب العدد وترتيب الأفلاك... إن المعادن متصل أولها بالتَّراب وآخرها بالنّبات، والنّبات أيضاً متصل آخره بالحيوان، والحيوان متصل آخره بالإنسان، والإنسان متصل آخره بالملائكة، والملائكة أيضاً لها مراتب ومقامات متصلة أواخرها بأولها كما بيّنا في رسالة الرّوحانيات» (933).

وبيان ذلك: «أنَّ أول مرتبة النّباتية وأدونها مما يلي التَّراب هي خضراء الدّمن، وآخرها وأشرفها مما يلي الحيوانية النّخل... وأما النّخل فهو آخر مرتبة النّباتية مما يلي الحيوانية، وذلك أن النّخل نبات حيواني؛ لأن بعض أحواله وأفعاله مبائن لأحوال النّبات وإن كان جسمه نباتياً... فإن النّخل إذا قُطعت رؤوس أشخاصه جفت وبطل نموه ونشوه، كما أن الحيوان إذا ضُربت أعناقها بطلت وماتت، فبهذا الاعتبار بأن النّخل نبات بالجسم حيوان بالنّفس» (934).

ويستمر الإخوان في تشكيل الكائنات من أدنى إلى أرقى حتى تصل إلى مرتبة الإنسانية؛ ففيها ترتقي الحيوانية إلى الفضيلة، وتجتمع فيها أنواع من الحيوان، «بصورة الجسدانية مثل القرد ومنها بالأخلاق النّفسانية مثل الفرس الكريم الأخلاق، ومثل الطّير الأنسي، الذّي هو الحَمَام، ومثل الفيل الذّكي القلب، ومثل الهزار والببغاء الكثيرة الأصوات والألحان والنّغمات، ومثل النّحل اللّطيف الصّنائع، وما شاكل هذه الأجناس»(935).

تجد ابن خلدون يلوم المؤرخين الذين أخذوا عن سابقيهم، حتى وصف ذلك بالمجهلة: «وما استبكر القدماء علم التَّاريخ إلا لذلك، حتى انتحله الطّبري والبخاري وابن إسحاق من قبلهما، وأمثالهم من علماء الأمة، وقد ذُهل الكثير عن هذا السّر فيه حتى صار انتحاله مجهلة»(936). قد يقول قائل: إنَّ ابن خلدون أخذ مِن عدة مصادر لمقدمته وتاريخه، فلماذا تقفون عند أخذه مِن

رسائل إخوان الصَّفا، وحسبتموها إغارة؟! نعم، هناك حقّ في هذا الاعتراض، مع إضافة أنَّ المؤرخين والمفكرين الأقدمين كافة قد أخذ بعضهم مِن بعض؛ وأنَّ بيتَ كعب بن زُهير، السَّابق الذِكر، قد اختصر لنَّا الفكرة:

ما أرانا نقولُ إلا مُعاراً

أو مُعاداً مِن قولنا مكرورا

بطبيعة الحال، لا يكون الجديد صورةَ طبق الأصل عن القديم، إنما يظهر في حِلة جديدة وفكرةٍ مختلفة، فلا تنشأ الأفكار والنَّظريات مِن دون سوابق استندت لها وبُنيت عليها، هذا شيء وانتحال الفكرة أو النَّص شيء آخر. بعد هذا نُجيب على التَّساؤل أو الاعتراض المطروح، وهو أن ابن خلدون أشار إلى مَن استفاد مِنهم في مقدمته وتاريخه كافة؛ إلا ما خص إخوان الصَّفا فلم يشر إليهم لا مِن بعيد ولا مِن قريب، مع أنَّ الرَّسائل كانت معروفة حيث صنفها جماعة تعرف بإخوان الصَّفا، مثلما مرَّ بنا. فهو مثلاً يذكر فضل السَّابقين في قضية محددة قائلاً: «وذهب كثير مِن أئمة المحدثين والفقهاء مثل ابن إسحق والطَّبري والبخاري إلى جواز الرَّفع في الأنساب»(937)، كذلك يذكر فصل أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابي(ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) الكاتب وهو يتناول تاريخ السّريانيين(938). نسب كلاماً أخذه مِن الطَّبري بالاسم، أو نقله عن أبي الحسن المسعودي(939)، كذلك ذكر فضلاً لابن حزم الظاهري(ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، وما أقتبس منه(940)، وذَكر ما اسنده لابن العربي القاضي والفقيه(ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م) وما أقتبس منه(941).

ذكر فضل أبي بكر الطَّرطوشي(ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) عندما يتحدث عن الملك والدَّولة(942)، في فصل «الحروب ومذاهب الأُمم» جاءت عبارة: «إنْه صحَ في الاعتبار ما ذهبَ إليه الطَّرطوشي»(943)، وكان هذا مِن إطلاعه على كتاب الطَّرطوشي «سِراج الملوك». يقول علي الوردي عن الطَّرطوشي «كتب كتباً غير قليلة، منها كتاب سراج الملوك، وهذا الكتاب له أهمية خاصة بالنّسبة لابن خلدون»(944).

اعترف ابن خلدون لأهل الأدب، وذَكر أفضالهم عليه، وهم كبار الكُتاب المشارقة، مثلاً قال في فن الكتابة واللُّغة ضمن «فصل علوم اللِّسان العربي»: «سَمعنا مِن شيوخنا في مجالس التَّعليم أنَّ أُصولَ هذا الفن وأركانه أربعة دواوين، وهي: أدب الكاتب لابن قُتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان

والتَّبيين للجاحظ، وكتاب النَّوادر لأبي عليّ القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتُبع لها، وفروع عنها، وكُتب المحدثين في ذلك كثير»(945).

اعترف ابن خلدون لهؤلاء وغيرهم بالفضل، وأشار إليهم بوضوح، وهنا الأمر طبيعي جداً، وليس مطلوب منه أكثر مِن الإشارة، وفق آلية التَّأليف آنذاك، لكنْ أن تُستل نصُوصٌ وأفكارٌ بارزة في رسائل إخوان الصَّفا، مِن دون إشارة ولا اعتراف، فهذا لا يُصنف إلا بالسَّرقة، وإن كان مِن صنف السَّرقة المحمودة، فيها النَّسخ، أي لم يتم تشويهها، إنما قدمها بوضوح، لكنَّ ماذا عن فضل المتقدمِ؟! فلم يضع كلمةً واحدة عن أصحاب الرَّسائل إخوان الصَّفا، مع أن الذي استله مِنهم بنى هيكل مقدمته عليه.

لم يلتزم ابن خلدون بما نصح به، وحذر مِن ارتكاب جنحة الانتحال، وقد ذكرناها قبل ذلك، قائلاً: «وما سوى ذلك، ففعل غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة، التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء، مثل انتحال ما تقدم لغيره مِن التَّواليف، بأن ينسبه لنفسه ببعض تلبيس مِن تبديل الألفاظ، وتقديم المتأخر وعكسه، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن، أو يأتي بما لا يحتاج إليه، أو يبدل الصَّواب بالخطأ، أو يأتي بما لا فائدة فيه، فهذا شأن الجهل والقِحة»(946).

في نَسخ ابن خلدون مِن رسائل إخوان الصَّفا، يأتي كتاب الباحث المصري محمود إسماعيل جدير بالذِّكر، «نهاية أسطورة نظريات ابن خلدون مقتبسة مِن رسائل إخوان الصَّفا»، ثم الكتاب الذي نشر فيه إسماعيل ما كُتب عن الموضوع مِن قِبل باحثين آخرين «هل انتهت أسطورة ابن خلدون جدل ساخن بين الأكاديميين والمفكرين العرب»(947)، وكنت أحد المشاركين في هذا الكتاب ببحث تحت عنوان: «ظلال رسائل إخوان الصَّفا وارفة على أسلوب ومكونات المقدمة الخلدونيَّة»(948). قبلها، أيّ العام ١٩٩٣، تناولتُ هذا الانتحال في مجلة «الاغتراب الأدبي» الصَّادرة بلندن، وفي حينها عزيت موضوع تجاهل ابن خلدون لرسائل إخوان الصَّفا إلى العامل السِّياسي والمذهبي(949)، ولم أكن موفقاً في ما ذهبتُ إليه حينها، فالصَّحيح أنَّه لو ذَكر فضل تلك الرَّسائل سيُحرم مِن استحداث وإبداع «الصَّنعة».

إنَّ ما أظهره الباحث محمود إسماعيل مِن منقولات ابن خلدون مِن رسائل إخوان الصَّفا كالآتي؛ ونكتفي بالعناوين، ونترك لمَن يرغب في إزدياد مراجعة كتاب «إسطورة ابن خلدون» نفسه: في الجغرافيا والعمران، الاقتصاد، العمران والاجتماع، في التَّاريخ والأخلاق، في السِّياسة، في العلوم والمعارف، في الإلهيات، في الجسميات والطَّبيعيات(950).

يختم إسماعيل كتابه باقتباس مِن مقدمة ابن خلدون نفسها، وكأنه في هذه العبارة يحاول إبعاد الشّكوك التي قد تظهر في يوم مِن الأيام حول مقدمته وفضل إخوان الصَّفا فيها: «واعلم إنَّ الكلامَ في هذا الغرض(951) مستحدث الصَّنعة... ولعَمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد مِن الخليقة، ما أدري ألغفلتهم عن ذلك؟ وليس الظَّن بهم، أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصلنا»(952). لكنه وصل إلى ابن خلدون، وهو «رسائل إخوان الصَّفا وخلان الوفا»، بشهادة صاعد الأندلسي(ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣-١٠٦٤م)، مثلما ذَكرنا.

السِّيوطي وسارقوه

تفرد الفقيه والكاتب الغزير عبد الرَّحمن بن كمال الدِّين المعروف بجلال الدِّين السِّيوطي(ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)؛ عن الآخرين بشكواه مِن لِصٍ سطا على كتابه. نعم، كثيرون مِن الشُّعراء والكُتاب ذكروا معاناتهم مِن سرقة حروفهم، لكنَّ السِّيوطي صنف رسالتين تضمنتا تجربته ومعاناته الشَّخصيَّة، وهما: «الفارق بين المصنف والسَّارق»، وعنوانها في المخطوط «رسالة في سَرقة كُتب المؤلفين»، صنفها العام (٨٩٩هـ/ ١٤٩٢م) (953)، والرِّسالة الثَّانية «البارق في قطع السَّارق»، وصنفها العام (٩٠١هـ/١٤٩٥م).

يستهل السَّيوطي رسالته «الفارق بين المصنف والسَّارق»، بالإشارة إلى اللِّصّ الذي سطا على كتابيه: «هل أتاك حديث الطَّارق(وما أدراك ما الطَّارق/ السيوطي) الخائن السّارق، والمائن المارق، الذي توسل إلينا بأولاد الحُنفاء، وتوصل إلينا بأبناء الخُلفاء(954)، فأوسعناه بشراً فقابله بجفاء، وعاملنا بغدر، إذ عاملناه بوفا، وتطفل علينا في الموائد، فأنعمنا له بشيء مما لدينا مِن الفوائد، وأذنا لطلبتنا أنْ يسمحوا له بإعادة مصنفاتنا الدُّرر الفوائد، إكراماً لمَن تشفع مِن بني العباس...»(955).

ويُضيف السِّيوطي متأثراً مِن فعل أحد لُصُوص التَّأليف، وكان مِن بين تلامذته، قائلاً: «فما كان مِن هذا العَديم الذَّوق إلا أنَّه نبذ الأمانة وراء ظهره، وجنى ثمار غروسنا، وهو في ما جناه جان، وافتض بكار عرائسنا اللائي لم يطمَثهنَّ في هذا العصر إنس قبلنا ولا جان، وأغار على كتبٌ لنَّا، أقمنا في جمعها سنين، وتتبعنا الأُصول القديمة، وما أنا على ذلك بضنين، وعَمدَ إلى كتابيَ! المعجزات والخصائص المطول والمختصر، فسرقَ جميع ما فيها بعبارتي، وقال: تتبعتُ وجمعتُ ووقع لي»(956).

يذكر انتحال كتابه «الخصائص»، الذي نسخه برمته «هو كلابس ثوبي زورا بما لم يعط متشيَّع، وعمد إلى التَّخاريج والنُّقول التي وقفتُ عليها في أُصول

القوم، فذكر العزو مستقلاً به مِن غير واسطة كتابي، مُوهماً أنه وقف على تلك الأُصول، وهو لم يرها بعينه إلى اليوم ولا في النُّوم»(957).

إنَّ مثل هذا النُّوع مِن السَّرقة شائع في أيَّامنا هذه، وهو أخذ المصادر مِن كتاب مِن دون الإطلاع على أُصولها، وتسجيلها على أنها للمؤلف السَّارق؛ بمعنى يقوم اللُّصُوص باستخدام إحالات المسروقين، على أنَّها مِن بحثهم وجهدهم، لكنَّ هناك مَن يعثر ويرتكب خطأ في الإملاء مثلاً ويأخذه اللِّصُّ كما هو فيفتضح أمره. يقول السَّيوطي للسَّارق عمَّا فعل عندما أخذ مصادره وأسانيده: «ولقد أبهم نقولاً عن أئمَّةٍ فأوردها على إبهامها، ولو سُئل في أيِّ كتاب هي لم يَدر خنصرها مِن إبهامها»(958).

غير أنَّ لِصَّ الكتابة ليس كلص المال والأشياء العينية، فالأخير قد ترجو توبته، والأول لا ترجو مهما منى نفسه الآخرين بذلك، إلا أن يبرح حرفة التَّأليف بالكامل، فمَن يجرؤ على سَرقةِ سطرٍ لا يتوقف عن سرقة كتاب، وتستمر كتابته سرقةٍ في سرقةٍ، ولم يكتفِ بسرقة واحد مِن المؤلفين. يقول السّيوطي في هذا المعنى: «إنه لم يقتصر على السَّرقة مِن كتبي، بل رأيت كتابه كُلَّه سرقةٍ بعد سرقةٍ، وطبقات كلها مسترقة»(959).

كان اللُّصُّ الذي تسلط على كتابيّ السِّيوطي، وكُتب آخرين، مِن أهل ما وراء النَّهر، أخذهما مِن تلميذ السّيوطي الشَّيخ عبد الجبار، وهما بمكة، وأقام بها فترة طويلة، فاستعار من عبد الجبار كراريس المعجزات والخصائص، ومكثت عنده طويلاً، حتى أغار عليها، بغير عِلم ولا معرفة، ثم لما عاد إلى مصر سأله في إعادة بقية الكراريس فامتنع، فألح عليه وتشفع إليه، فأعطاه بشفاعة مَن شفع»(960).

يُحيل السِّيوطي القارئ إلى مقامات الحَريري، النَّص الذي ورد في «المقامة الشِّعريَّة»، والتي تطرق فيها إلى سَرقة(961)، وإن كان ذلك مِن وحي خيال صاحب المقامة، مثلما تقدم ذِكره. في كراسه أو رسالته نفسها يأتي السِّيوطي على قصة أحد المصنفين، وقد تعرض للسَّرقة، وهو مهذب الدِّين بن الخيمي(962)، عندما نظم قصيدة وأودعها في مكان سكنه مِن بعده شاعرٌ آخر، وهو نجم الدِّين بن إسرائيل(963)، فوجد القصيدة أمامه فنسبها لنفسه، وقد قَدم صاحبها مِن السَّفر وبلغه ما حصل لقصيدته، فتحاكما أمام الصوفي عمر بن الفارض(ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، فأمر كلاً منهما أن ينظم قصيدة على رويها وبحرها، «فلما سَمع القصيدتين، وعَرف النَّفس، قضى بتلك لابن الخيمي، وعرف أن الثَّاني سَرق واختلس»(964). أخيراً يطلق السِّيوطي تحذيراً للمؤلفين، مِن أمثال هذا اللِّص: «أعوذ بالله مِن هذا السَّارقِ، فحقٌّ أنْ يُمنع هذا

السَّارق مِن إعانة كتاب مَصون، وأن يُغير على كتبكم إنْ كنتم بعزَّة العلم توقنون، واخشوا شياطين سحرهِ»(965).

جعل السّيوطي رسالته الثَّانية «البَارق في قطع السَّرق» في طبيعة السَّرقة نفسها؛ وقسم لُصُوص الحروف إلى: سُراق الحديث، وسُراق التَّصانيف، وسُراق الشِّعر. ما يخص الحديث فالسُراق هم الوضاعون المجروحون، وسُراق التَّصانيف مذمومون أيضاً(966). أمَّا سُراق الشّعر فأكثرهم يسرقون المعاني، وهذا غير مبرر، فينبغي لمَن ضَمن أو استعار أن يعترف بحقِّ مَن أخذ عنه(967).

يأتي السِّيوطي بمثلٍ على السَّراقين أو لُصُوص الحروف، قال: «وقفتُ على فهرست أبي الحَسن الشَّاري، فرأيته ينقل فيه أشياء مِن مختصر ابن الصَّلاح، ولم يعزها له، حتى ظننتُ أن ابنَ الصَّلاح أخذ منه. ثم رأيته قال في أواخر الكلام: واتصل بنا في أوائل المئة السَّادسة كتابٌ مفيد في هذا الباب، كان لرجلٍ مِن المشارقة يُعرف بابنِ الصَّلاح(968) لا غنى لمحدثٍ عنه. فكتب الحافظ ابنُ حَجر(969) بخطه على الحاشية ما نصَّه: قد اعترف بوصول كتاب ابنِ الصَّلاح إليهم، وقد أغار على مواضع كثيرة جداً، ولم ينسبها إليه، وكان ينبَغي أنْ يعترف بها إليه»(970).

نقل السَّيوطي عن ابن الأثير، وهو الأديب والكاتب ضياء أخو عزَّ الدِّين ابن الأثير المؤرخ، عن بعض رسائلهِ، أنَّه كان يساوي بين سَرقة التَّأليف وسَرقة المال، قال: وقد عُلم أنَّ سارق بيوت المعاني كسارق في بيوت المال، غير أنَّ سارق أحدهما يجب فيه قطع الأعراض والآخر فيه قطع الأوصال»(971). كذلك في المساواة بين جنسي اللُّصُوصية، ذَكر السّيوطي البيتين الآتيين لعلي بن المظفر علاء الدِّين الوداعي(ت ٧١٦هـ/١٣١٦م)(972):

أرى الكُتاب والحُسَّاب فيهم

لصُوصٌ يسرقون النَّاسَ طُرَّا

فقومٌ يسرقون اللَّفظَ جهـراً

وقومٌ يســرقــون المالَ سِراً

أطلق نعت «قاطع الطّريق» على لَصُوص الأدب والفكر أيضاً، فقد أشير إلى يحيى بن أبي طي الحلبي(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) بأن أكثر تصانيفه أو مؤلفات جاء مِن قطع الطَّريق، وإخافة السُّبل «يأخذ كتاباً قد أتعب العلماء فيه خواطرهم، ويُقدم أويؤخر، ويزيد قليلاً أو يختصر»(973).

نسب السِّيوطي ما ورد بشأن يحيى الحلبي لياقوت الحَموي في «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(معجم الأدباء)، ولكن بعد البحث في معجمي الحَموي «معجم الأدباء» و«معجم البلدان» أيضاً للتأكيد، لم نجد فيهما الرِّواية المذكورة. وردت ترجمته، التي اعتمدها السَّيوطي تماماً، عند صاحب «فوات الوفيات»، وينسبها بدوره أيضاً إلى ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وهو مِن معاصريه، حيث قال فيه: «وقد جعل التَّصنيف(التأليف) دكانه، ومنه مكسبه وقوته... ويخلق له اسماً غريباً وينتحله انتحالاً، وقد طول ياقوت ترجمته في معجم الأدباء»(974). ومعلوم أن مفردة الدُّكان مفردة تجارية سوقية، لا تناسب المؤلف أو الكاتب. غير أنَّ هناك دراسة عن الحلبي نُشرت في «المجلة الأردنيَّة للتاريخ والآثار» تُظهره مِن أكابر المؤلفين والمؤرخين وله في أكثر مِن فن، مع ذِكر الباحث لما نقله الكُتبي عن الحموي واعتبره مجرد ناسخ (975).

حسب السِّيوطي، كان القدماء ينتقدون مَن لا ينسب المعلومة لصاحبها، قال: «أخبرني بعض الفضلاء، أنَّ بعضَ تلامذته استعار نسخةً مِن الطَّبقات الوسطى للسُّبكي(976)، وعليها حواشٍ بخطه، استدركها مِن التَّواريخ، فأخذ هذا المستعير يؤلف طبقات، فأدخل فيها الحواشي المذكورة، وعزاها إلى التَّواريخ المنقول منها، ولم يُنبّه على أنَّه نقلها مِن خطهِ. فكتب إليه شيخ الإسلام ابن حجر ورقةً فيها: ومَن أباح لكَ أن تُغير ما تتبعته وزدته مِن الفوائد، وتورده مِن تأليفك مِن غير تنبيه على أنَّك نقلته مِن خطي، وأنا المتتبع له؟ أما سمعتَ قول العلماء: «بركة العِلم عزوه لصاحبه»(977).

يلحق السِّيوطي رسالته «البارق في قطع السَّارق» بنصين أدبيين يخصان السَّرقة. على شكل مقامتين، الأولى «مقامة ظُلامة الخالدي»، باسم مهذب الدِّين محمد بن نصر القيرواني، والثَّانيّة «تعلق الشِّص في حلق اللِّصِ»، وردت باسم سعد الدِّين عبد الله. جاء في الظُّلامة: رأى الخالدي في المنام أنَّ واعظاً سرق أشعار أبي تمام(ت٢٣١هـ/)٨٤٥م)، وحفظ الكلام الذي سمعه في منامه. جاء في المقامة: «إني مخبركم عن سرى سريتها، ورؤيا رأيتها، ومنام حضرته، وكلامٌ حفظته فحرصته، طال به اللَّيل عن تحانق قصَرهِ (إلى قوله) رأيتُ في ما يراه الرَّائي، أبا تمام حبيب بن أوس الطَّائي، في صورةِ رجلٍ كهلٍ، كاسٍ مِن الفضل، عارٍ مِن الجهل، العربيَّة تعرب عن شمائله، والألمعيَّة

تلمع مِن مخايله، فجعل يرمقني في اعتراض، ويستنطقني مِن غير إعراض»(978).

على أنَّ أبا تمام، في تلك الرُّؤيا، قد غضب واستشاط لما تعرض شعره للسرقة، فناشد الأدباءَ: «متى أُهملت بينكم الحقُّوق، وحدث فيكم هذا العقوق، أُضيعت عندكم حُرمة السَّلف، وخَلف فيكم هذا الخلف، أنهبُ وتغضون، ويُغار عليَّ وترضون، ألستُ أول مَن شرع لكم البديع، وأنبع لكم عيون التَّقسيم والتَّرصيع...»(979).

كان عنوان المقامة الثَّانية، التي ضمنها السَّيوطي في البارق، شديدة الوطئ على لُصُوصِّ الكتابة «تعلق الشّص في حلق اللِّصّ»، ومع ذلك ليس أشدَ مِن عنوان رسالة السِّيوطي نفسها. تحدث فيها مؤلفها عن السَّرقة قائلاً: «سمعتُ في بعض الحكايات الغريبة، والأمثال المُصيبة، أنَّه كان بعض الأحيان لصٌ ببلاد المغرب، يؤتى مِن أحاديثه بالمعجب المُغرب، خبير بالنّقد والتَّعليق، والرَّقي والتَّسليق، يكاد بنظره يفتح الأقفال، ويُفكُ منها الأوصال، قد أتخذه اللُّصُوصُّ في هذا الفنِ قدوةً، ووجدوا ذهنه فيها ناراً، فكلٌ منهم يقتبس منها جذوره، فهو كما قلتُ:

لِصٌّ يطيقُ بحسُن الرَّأي في

مساكنِ الجنِ أو سدٍّ ياجـوجِ

يرى البيوتَ أحاديثاً مضعفةً

فيهـا القـوي فيستثنى بتخريجِ

بينا ترى المرءَ ذا مالٍ ومقدرةٍ

تراه قد صارَ فيها في المحاويجِ»(980)

تحدثت مقامة «تعلق الشّص في خلقِ اللِّص» عن شخص اختص «بسرقة ألفاظ الكُتب ومعانيها، وألا يكون تاركاً لما أمكن مِن الصِّناعة، التي لم يزل يعانيها، فإذا قضى مِن تلك الدَّار مأرباً، أتخذ غيرها مسرباً(إلى قوله) وما زال يُغير على بادي المعاني وكامنها، ويُثير غيرة الأدب بتحريك ساكنها، ويُبدل

صبح الألفاظ برثها وسمينها بغثّها، حتى خيل له الجهل أنَّ مراده قد وصل»(981).

غير أن أطرف ما جاء في مقامة الشّص بيتاً يقول(982):

سارقاً لم يكن إلى الطَّيرِ يُعزى

لسوى سرقة اختطاف المعاني

وآخر أكثر دلالة مِن الأول بمعناه(983):

ولدى الحَشرِ لو رأى بُشراً الـ

حافي(984) وافاه كي يلصَ النَّعالا

المَعري ودانتي

مازال الحديثُ شائعاً، يملأ الوسط الثَّقافي العربي، عن انتحال الكاتب الإيطالي الشَّهير دانتي(١٢٦٥-١٣٢١م)، لـ «رسالة الغفران» لأبي العلاء المعري(ت٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، أو التَّأثر بها، وجعلها «الكوميديا الإلهية» ، فلو لم تكن لديك فكرة عن قضية الإغارة أو السَّرقة، وكنتَ قرأت الرِّسالة والكوميديا لما انتبهت إلى التَّشابه بينهما، فالرِّسالة نصٌ نثري تتخللها أشعار الذين تخيلهم المعري في الآخرة، وحاورهم، وقد وضع أشعاراً على ألسنتهم وبأسماء متخيلة أيضاً، مثلا لأبيات التي كتبها ونسبها إلى شخصية يهوديَّة غير موجودة مِن يهود خيبر، وسماه «سُمير بن أدكن»! قال فيها متحدثاً عن تهجيرهم مِن خيبر إلى خارج الجزيرة العربيَّة:

يَصـولُ أبـو حَفصٍ علينا بدِرَّةٍ

رُويـدكَ إنَّ المرءَ يَطفـو ويَرْسُبُ

كـأَنَّك لم تَتْبع حَمــولَةَ مــاقِطٍ

لـتشبع، إنَّ الـزّاد شـيءٌ محبَّبُ

فلو كان موسى صادِقاً ما ظهَرتمُ

عَـلينا ولِكـنْ دولةٌ ثم تذهبُ

ونحنُ سَبقناكمْ إلى المَينِ فاعرِفُوا

لنا رُتبَـة البادي الذي هوَ أَكذبُ

مَشَيتـُم عـلى آثارِنا في طَريقِنـا

وبُغيَتُكم فـي أن تَسودوا وتُرهبوا(985)

لم نجد لسُّمَيَر بن أدكن خبراً أو ترجمة، وما أتى به ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) اقتبسه عن «سالة الغُفران»، وأورد الأبيات ضمن ترجمته لأبي العلاء في «معجم الأُدباء»، مع تعليق يقول فيه: «هذا يشبه أن يكون شعرة قد نحله هذا اليهودي، أو أنْ أراده لمثل هذا واستلذاذه به مِن أمارات سوء عقيدته، وقبح مذهبه» (986).

ذَكر المعري في رسالته قصص الشُّعراء ومَن رُمي بالزَّندقة، ومعلوم أن المعري أحد الذين رميوا بالزَّندقة، فقد نُقل عن ابن قاضي شُهبة(ت ٨٥١/١٤٤٨م) أنه قال: «زندقة الدُّنيا أربع: بشار بن بُرد، وابن الرَّاوندي، وأبو حيان التَّوحيدي، وأبو العلاء المعري»(987). كذلك قال فيه أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي(ت ٥١٣/١١١٩م): «مِن العجائب أنَّ المعري أظهر ما أظهر مِن الكُفر البَارد، الذي لا يبلغ منه مبلغ شُبهات الملحدين»(988)، وقيل فيه : «رماه بعض النَّاس بالإلحاد»(989).

أما «الكوميديا الإلهيَّة» فهي نصوص شعرية، وشاعرها دانتي نفسه، وكتب مَن كتب على أنَّ دانتي استوحى الكوميديا مِن «رسالة الغفران»، لكنَّ علينا أولاً التّحقق هل كانت الرّسالة مترجمةً في حياة دانتي، كي يطلع عليها وينتحل فكرتها؟! فيصعب اعتباره كان يعرف العربية، أو أنَّ النَّص قد وصله

مخطوطاً واطلع عليه، أو أن أحدهم قص عليه ما فيه؟! وهل كانت الرِّسالة مطبوعةً في ذلك الوقت، وأين وجدت مخطوطها؟! إلى غير ذلك مِن الأسئلة.

ففي هذه القضية ينقل أصحاب المقالات عن بعضهم البعض، بلا توثيق، بأنَّ ملك قشتالة الأسبانيَّة أمربترجمة «رسالة الغفران»، وبعد التَّدقيق لم نجد مما أمر بترجمته هذا الملك غير قصة «الإسراء والمعراج» الإسلاميَّة، وليست «رسالة الغفران»، وعندما يُذكر لهم ذلك، يكون الجواب أن ترجمة الرّسالة تكون كتحصيل حاصل ضمن ما تُرجم مِن كتب المسلمين، وهذا الكلام لا أصل له، ولا يؤخذ في البحث على محمل الجد، إنما ضربٌ مِن التَّصور والظَّن.

نقرأ الآتي عن هذه القضية، إنَّه في «٢٦ كانون الثَّاني (يناير) ١٩١٩ فجر آسين بلاثيوس قنبلة علمية كبرى، عندما تقدم ببحث استهلالي بمناسبة تعيينه عضواً في الأكاديمية الملكية الأسبانيَّة، عنوانه الآخرويات الإسلاميَّة في الكوميديا الإلهيَّة(نُشر بمدريد في العام نفسه ١٩١٩). وقد أثار هذا البحث الضَّخم هزةً كبيرةً في مختلف الأوساط العلميَّة في العالم كله، نظراً لخطورة المشكلة التي أثارها، وهي تأثر دانتي بالتَّصورات للآخرة، في رائعته الخالدة الكوميديا الإلهيَّة»(990).

طُرح النِّقاش في هذا الموضوع بعد ثلاثين عاماً، عندما أصدر المستشرق والسَّفير الإيطالي بطهران إنريكو تشيرولي؛ كتابه «المعراج ومسألة المصادر العربيَّة- الأسبانيَّة للكوميديا الإلهيَّة، وقد ضَمن المستشرق المذكور كتابه التَّرجمة اللاتينية والفرنسية القديمة لقصة المعراج والإسراء الإسلامي؛ المترجمة السَّنة (١٢٦٤م) عن طريق الطَّبيب اليهودي إبراهيم الحَكيم، وهذا ما يؤيد وصول ما في قصة المعراج إلى دانتي(991). لكنْ لم نجد في ما ورد ذِكراً لترجمة «رسالة الغفران».

ورد في مقدمة ترجمة «الكوميديا الإلهيَّة» (طبعة ١٩٥٥) الآتي: «تحوي فكرة الكوميديا، وفيها الغابة الموحشة، وأحاديث عن اللّٰه والخلق، الإنسان والكواكب وعن الفضائل، ويُقابل فيها المؤلف عدداً مِن النِّساء اللائي يوجهنَ إليه الحديث والنُّصح، ويصحبه بعض الوقت أوفيريوس الشَّاعر اللاتيني»(992).

تأثر دانتي بتجربة بشرية واسعة عن الجحيم، أو العالم السُّفلي، فكانت موجودة لدى الصِّينيين والهنود والبابليين والمصريين واليونانيين، حيث عالم عذاب الأشرار، والتَّراث المسيحي يتضمن عذاب الآثمين بين النَّار والأفاعي، فظهر في إيطاليا، في القرنين الحادي عشر والثّاني عشر، جماعة

مِن كَتاب الرؤيا(المشاهدة)، وصفوا الحياة في عالم ما بعد الحياة، ومَن تحدث عن نهر الكبريت المحترق، وفوقه جسر يؤدي إلى حديقة الفردوس، ويُضاف إلى ذلك التُّراث الإسلامي، وما فيه مِن صور العذاب الأخروي، والذي انتقل إلى أوروبا آنذاك.

كان القرآن قد تُرجم إلى اللآتينيَّة، في النصف الأول مِن القرن الثَّاني عشر، إلى جانب كتابات أوروبيَّة عديدة عن العقاب والثَّواب، وما انتقل مِن التَّاريخ الأسباني، أمر بكتابته الملك ألفونسو الحكيم، كذلك ظهرت قصيدة فاترودل أوبرتي بالإيطاليَّة عن معراج النبي محمد، لكن ذلك حصل بعد زمن دانتي، أيّ منتصف القرن الرَّابع عشر الميلادي، غير أن ميجول آسين بلاثيوس الأسباني كتبَ كتاباً (١٩١٩) العالم الإسلامي لما بعد الحياة في الكوميديا الإلهيَّة، وازن فيه بين كوميديا دانتي ومؤلفات بعض متصوفة الإسلام، كمحي الدِّين بن عربي، ورسالة الغفران للمعري، وكتابات المحدثين والمفسرين، وبعص صور الإسراء والمعراج(993). بعد هذا، لم يُثبت وجود ترجمة لرسالة الغفران، في زمن دانتي، كي نقول إنَّ الأخير قد استعارها أو انتحل أفكارها، أو أقتبس معانيها.

لا نعلم مِن أين أتى كُتاب المقالات، الذين أشاروا إلى ترجمة «رسالة الغفران» إلى لغة أوروبيَّة بأمر من ملك قشتالة، مثلما كتب عبد المنعم عبد العظيم في موقع «الميدليس أون لاين»، تحت عنوان «كوميديا شامبليون بين الكوميديا الإلهيَّة ورسالة الغفران»، بتاريخ (٧/٢/٢٠٠٨)، وما كُتب تحت عنوان:
«الكوميديا الإلهية سطو إيطالي على المعري» في موقع «فيتو» بتاريخ (٢٨/٥/٢٠١٥)، وما كتبه حسن مدن في صحيفة «الخليج» تحت عنوان «المعري ودانتي» بتاريخ (١٩/١١/٢٠١٥)، وما كتبه جميل فتحي الهمامي في موقع «الجزيرة»: «هل كان دانتي صديق المعري» بتاريخ (١٨/٧/٢٠١٨).

إضافة إلى ما جاء في مجلة «الفيصل» الصَّادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات» بالرِّياض تحت عنوان «السَّرقات الأدبية مستمرة في أشكال أو أقنعة جديدة وحقوق المؤلف نمرٌ بلا مخالب»، تحقيق كتبه سامر إسماعيل بتاريخ (٦/١١/٢٠١٦)، هذا بعض ما كُتب في موضوع المعري ودانتي، فالقائمة تطول.

الفصل الرَّابع

لُصُوصيَّة المنثور عند المتأخرين

بعد أنَّ عرفنا طبيعة اللُّصُوصيّة في المنثور عند الأقدمين، وبين ما ذُكر كان شبهات وتهما شاعت، ولكنها غير ثابتة، فحاولنا البحث في حقيقة ما حصل، ومنها كانت لُصُوصيّة مركبة، سَرقة وتحريف، لكنّ على ما يبدو لم تتغير الأساليب لدى المتأخرين، فالسَّارق ظل يتجاهل المسروق، وكأن لا وجودَ له، وأكثر السَّرقات نجدها في مجال التَّحقيق، كذلك نجدها ممارسة مِن قِبل الأسماء الذَّائعة، ممَن قد يتعالون عن ذِكر فضلٍ لأحد، لأنهم وضعوا أنفسهم في مقامٍ عالٍ، مع أن العِلم درجات، «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ»(يوسف: ٧٦) (994).

مرجيلوث وطه وشاكر

كان كتاب طه حسين(ت ١٩٧٣) «في الشِّعر الجاهلي»(١٩٢٦) سابقةً في ما كُتب عن أدب الشِّعر الجاهلي، وبهذا الرَّأي الجريء، هكذا نُظر له عند نشره وحتى الآن، وفي وقتها تعرض مؤلفه لمحاكمةٍ، والاتهام هو تكذيب القرآن، عمَّا تحدث به عن إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل، والطَّعن بنسب النَّبي محمد، ونسب ذلك إلى الخرافة والكذب، وغير ذلك مِن التُّهم التي تُخرج المتهم بها مِن الإسلام، ومعروف ماذا يعني هذا الاتهام مِن خطورة ببلاد مسلمة.

قُدم البلاغ ضد طه حسين في (٣٠/٥/١٩٢٦)، مِن قِبل الشَّيخ خليل حسنين، وهو أحد الطَّلبة الأزهريين، ثم دخل الجامع الأزهر بشخص شيخه أو إمامه بخطاب إلى النَّائب العام، وحدد التُّهمة على صاحب كتاب «في الشِّعر الجاهلي» أنَّه «كَذبَ فيه القرآن صراحةً»، واعتبر ذلك «تعدياً على الدِّين الإسلامي»(995). غير أن النَّائب العام لمصر آنذاك محمد نور، كان رجلاً مطلعاً ومثقفاً، فتعاطف مع طه حسين، آخذاً القضية ثقافيّة بحتية وليست جنائيّة، فقد «رأى أن هذه القضية ليست جنائيَّة بالمرة، وأنَّها قضيةٌ عاديةٌ، وأنَّ الحكمَ فيها، تبعاً لذلك، يحسمها لمناصرة الموقف العلمي، وحرية البحث العلمي»(996)، وهذا أدى إلى شيوع الكتاب؛ لأنه أصبح قضية عامة، تتداولها الصُّحف وأفواه النَّاس، إلى جانب ذلك أنَّه حظي بردود عنيفة كثيرة، في المحاضرات والمقالات والكُتب، مِن قِبل عُلية القوم والجامعيين(997).

لكنَّ هذا الكتاب الذي سارت به الرّكبان، وحسب الأديب محمود شاكر(ت ١٩٩٨)، كان منحولاً بفكرته ومادته مِن مقالٍ للمستشرق البريطاني دافيد صمويل مرجيلوث(ت ١٩٤٠)، الذي نفى وجوُد الشّعر الجاهلي، وأنَّ الموجود بأيدي النَّاس منه، ما هو إلا اختلاق ما بعد الإسلام، وقد سبق وذكرنا أن راوية المعلقات، وهي جواهر الشّعر الجاهلي، كان حماد الرَّوايَة(ت ١٥٥هـ/٧٧٢م)، جاء في الرِّوايَة: «إن حمَّاداً هو الذي جمع السَّبع الطِّوال، ولم يثبت ما ذكره النَّاس مِن أنَّها كانت معلقة على الكعبة»(998).

ظلت الرُّدود على طه حسين مستمرة منذ صدور كتابه والعقود التَّالية(999)، وربَّما آخرها، وقد لا يكون الأخير، ردّ محمد مهدي الجواهري(ت ١٩٩٧) في كتابه «الجَمهرة»، صنفه العام (١٩٨٤)، وكان يختلف معه في كلِّ ما ورد بخصوص نفي وجود الشّعر الجاهلي، إلا أنه، أي الجواهري، يعتبر معلقة عمرو بن أُمِّ كلثوم لا تنتمي لأي عصرٍ مِن عصور الشِّعر العربي، لا الجاهلي ولا الإسلامي بعصوره المختلف، وحتَّى يومنا هذا، لِما فيها مِن ركاكةٍ وتداعٍ في الكثير مِن أبياتها، فليست كلُّها مِن «الشّعر الجاهلي الرَّصين الأخاذ»(1000). إذا كثرت الرُّدود على طه حسين، فإن مرجيلوث نفسه تعرض إلى مثل هذا، فقد اعتبر عبد الرَّحمن بدوي(ت٢٠٠٢) كلَّ ما كتبه مرجيلوث ضد الإسلام، ممارساً أسلوب التَّشكيك، مِن دون أنّ يذكر مقاله «نشأة الشّعر العربي» وبدوافع يهودية أحد أجداده، وما له غير ما نشره مِن كُتب التُّراث العربي، والتُّهمة الأخيرة خارجة عن نطاق العلم، وإلا إذا كان مارجليوث مدفوعاً بنسبه اليهودي ضد الإسلام، فما الذي دفع طه حسين إلى ذلك؟!(1001).

يقول شاكر: إنه اطلع على مقال المستشرق مرجيلوث «نشأة الشِّعر العربي»، وكان منشوراً في مجلة «الجمعية الملكيَّة الآسيويَّة»(عدد يوليو/تموز ١٩٢٥)، ومعلوم أنه كتاب «في الشّعر الجاهلي» صدر (١٩٢٦). اكتشف شاكر الانتحال بعد دخول جامعة القاهرة- قسم الأدب، وبمساعدة طه حسين نفسه، فقد استمع لمحاضراته في الموضوع نفسه، متبنياً منهج «الشَّك الدِّيكارتي» في نفيه للشعر الجاهلي، تلك المحاضرات التي أصدرها كتاباً(1002).

اكتشف محمود شاكر أنَّ كلامَ أستاذه طه حسين في الشِّعر الجاهلي منحول مِن مقال مرجيلوث، لكن كعب طه العالي، وكونه أستاذ العربيَّة في كلية الآداب في الجامعة المصرية، وسمعته وهيبته منع تلميذه من مكاشفته، أو أن يكتبَ عنه، وقد سَمَّى شاكر ما قام به طه حسين بـ «السَّطو العريان على مقالة مرجيلوث»(1003).

اطلعنا على مقالة مرجيلوث، التي نُشرت بالعربيّة، ضمن كتاب «دراسات المستشرقين حول صحة الشِّعر الجاهلي»(١٩٧٩)، ترجمة عبد الرَّحمن بدوي(ت ٢٠٠٢)، وبعد قراءتها نجد الفكرة واحدة، فمرجيلوث يُشكك بوجود شعر جاهلي، ويُشكك برواته، طبعاً لم يكن النَّص سلخاً إنما نسخ لمعانيه، بل هناك تشابه كبير جداً.فبعد قراءة مقال مرجيلواث وكتاب طه حسين تصل إلى نتيجة أنَّ الأخير لم يكن يطرح فكرته هذه إلا بعد الإطلاع على ما كتبه مارجيلوث(1004). أما ما نُشر مِن دفاع مارجيلوث، تحت عنوان «نص مقالة مرجيلوث في براءة طه حسين»(1005)، فمرجيلوث لم يتطرق للاتهام أو البراءة، التي جعلوها عنواناً، إنما تحدث عن مطابقة الفكرة، وهو الشَّك بوجود الشِّعر الجاهلي.

إذا كان جامع الأزهر قد رفع قضية على طه حسين، تتعلق بإزدارء الدِّين، وتكذيب القرآن، لكنَّ مَن يرفع قضيةً إلى المحاكم، على سرقة مقال مرجليوث! فحسب محمود شاكر أنَّ «الجامعة وجميع أساتذتها يومئذ، قد علموا علماً يقيناً أنَّ كتاب الشِّعر الجاهلي، قائم على السَطو على مقالة مرجيلوث بحذافيرها، ومع ذلك فقد ابتلعت الجامعة وأساتذتها هذا السَّطو، ثم تستروا عليه، لا بل أحاطوه بالرِّعاية وبالعصبية»(1006).

أما الانتحال الثَّاني الذي أتهم به محمود شاكر طه حسين، فهو يخص كتابه «المتنبي»، عندما نشره عبر سلسلة مقالات في مجلة «المقتطف»، بداية مِن ١ يناير (كانون الثَّاني) ١٩٣٦، بينما صدر كتاب «المتنبي» لطه حسين العام (١٩٣٧)، وكان طه قد أبلغ شاكر عن قراءته للمقالاته التي نشرها بمناسبة ألفية المتنبي، وأثنى على قيمتها العلمية، إلا أنَّ شاكراً تفاجأ، وهو يقرأ كتاب «مع المتنبي» لطه حسين، أنْ وجد فيه أفكاره وكثير مِن ألفاظه ومعانيه. يقول شاكر: «تعودنا في كتب الدَّكتور طه نقله معاني النَّاس إلى معانيه، وانفته مِن نسبة الأشياء إلى أصحابها، والذين رموا أنفسهم في نارها، حتى استخلصوها بعد أنْ أصابهم البلاء والأذى، وجهدهم الجهد»(1007).

صحيح أنه لما تقرأ كتاب «مع المتنبي» لطه حسين تجد لُغته أخرى وأسلوبه مختلفاً؛ لكنَّ الأفكار واحدة، فكان المشترك بين الكتابين أصل أب المتنبي العلوي وعروبته، فإن طه حسين قد أشار إلى ما كتبه محمود شاكر، لكنّ في مسألةٍ ضيقةٍ وهامشية جداً في كتابه، وهي ما يتعلق برثائه وصِلته بخولة أخت سيف الدَّولة الحمداني(ت٣٥٦هـ/٩٦٦م)، عدا هذا لم يذكر له فضلاً لا مِن مِن بعيد ولا مِن قريب(1008).

غير أنَّ سطو طه حسين يُعد سطو الكبار، لم يترك أثراً، يصبح ما أخذوه بالإغارة حقّاً مِن حقوقهم، فيكون الإبداع لهم لا لغيرهم، وقد ذَكرَ محمود شاكر، في قضيته مع طه، بهمام ابن غالب الفرزدق(ت١١٠هـ/ ٧٢٨م)، وكان مهيباً تخافه الشُّعراء فسلب ما سَلب مِن أشعارهم، فصار له(1009)، وقد جئنا على ذلك في فصل سابق. غير أن شاكراً لا يُعلي درجة سطو أستاذه ويساويه بسطو الفرزدق، فالأخير كان «ينحط على صاحب الشِّعر كالصَّقر لا يبالي، أن يستلبه ما شاء اغتصاباً في مشهده، على الرّضا أو الغضب»(1010)، وهذا ما سَمَّاه شاكر بـ «مذهب الفَرزدق في اللُّصُوصية»(1011).

باعتقادنا، ونحن لا نُقلل مِن مرارة محمود شاكر، وهي شبيهة كثيراً بمرارة جلال الدِّين السّيوطي(ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، مع عكس الصُّورة، الأول انتحل جهد أستاذه والثّاني انتحل جهده تلميذه، فعلى ما يبدو مرارة شاكر تكون أكثر وقعاً، فمَن يصدقه ومَن يقف معه؟! ولا نعطي عذراً للأديب والأكاديمي الشَّهير عربياً طه حسين، لكنّ في كلِّ كُتب الأخير، وخصوصاً ما يتعلق بالتَّاريخ السِّياسي والأدبي منها، كانت مبنية على السّماع، فهو بطبيعة الحال لا يقرأ إنما يُقرأ له، فتأتيه المعلومات كقصص وحكايات، فيُحلق خياله بها، لترسخ في ذهنه وكأنها مِن بنات أفكاره، حتى إذا أتى على إملائها على كُتابه سبكها بصياغات أُخر مختلفة، وقد نسي أصحابها، أيّ الكتب التي تُقرأ عليه ويستوحي أفكاره منها، وتكون الدَّافع الأول في تأليفه، ولا تُنسى في حالٍ مِن الأحوال، فكيف ذَكر ما قُرأ عليه مِن صلة المتنبي بأخت سيف الدَّولة وقد أحالها لمحمود شاكر، بينما تجاهل ما بني عليه كتابه كاملاً، وهو عن أصل المتنبي؟! والسُّؤال هل يرد ذلك ضرباً مِن النّسيان أم التَّجاهل؟! فمحمود شاكر يعتبر ما حصل مِن قِبل أستاذه معه كان تجاهلاً.

اليعقوبي والخاقاني

صدر كتاب «شعراء الحِلة» أو «البابليات»، لمؤلفه الشَّيخ علي الخاقاني(ت ١٩٧٩)، وبعدها صدر كتاب «البابليات» لمؤلفه الشَّيخ الخطيب محمد علي اليعقوبي(ت ١٩٦٥)، فما هي العلاقة بين الكتابين، وهل كان الخاقاني مفكراً في تأليف كتاب تحت العنوان نفسه؟! لقد أثارت هذه القضية لغطاً في الأوساط الأدبية العِراقيّة والنَّجفيَّة على الخصوص، بعد أنْ تبين وجود نصوص منتحلة في كتاب «شعراء الحِلة» مستلةٌ مِن «البابليات». نشرَ السَّرقة الأديب النَّجفي جعفر الخليلي(ت ١٩٨٥) في كتابه «هكذا عرفتهم»، بعد أن ذكرها الشَّيخ اليعقوبي نفسه، في خاتمة كتابه «البابليات»، كذلك كتب عنها الأديب والقاضي توفيق الفكيكي(ت ١٩٦٩). ثم نقرأ إشارة إلى القضية

في كتاب عنوانه «الشّيخ اليعقوبي دراسة نقديَّة في شعره مع ديوانه المخطوط» لمؤلفه عبد الصَّاحب الموسوي.

كان لدى الشَّيخ محمد علي اليعقوبي صندوق يحفظ في داخله قصائد وسير شعراء ورسائل مفقودة؛ حتى عُرف بـ «صندوق اليعقوبي»، ولم ينشر منه شيئاً، ولا يستجيب لأيِّ طالب منه، لفائدة البحث أو الكتابة أو الإطلاع، وكان شديد الحرص عليه، وحصل أنْ عَلم الأديب والقاضي توفيق الفكيكي بما يحتويه الصَّندوق، فعبر الفكيكي عن بخل اليعقوبي في مقالٍ له، يحرضه به على فتح الصَّندوق، وإخراج ما فيه، بعدها تحمس اليعقوبي على فتح الصُّندوق ليرفع عنه نعت البخل، وكان بين تلك المحتويات سير وقصائد شعراء الحلة، والتي عُرفت ونشرت بعنوان «البابليات»(1012). جاء الكتاب «موسوعة أدبية تاريخية، تقع في أربعة أجزاء، وتبحث عن شعراء الحلة وأدبائها، وبيوتاتها العِلميَّة والأدبيَّة، وأهم حوادثها التَّاريخيَّة، منذ تأسيسها حتى العصر الحاضر»(1013).

يقول جعفر الخليلي: «إن الفكيكي قد استعار مِن اليعقوبي مسودة «البابليات»؛ قبل تقديمها للطبع، وكان الفكيكي لم يزل يومذاك الحاكم(القاضي) المنفرد في مدينة كربلاء، وقد عَلم علي الخاقاني بهذه المسودات عند الفكيكي، فجاء راجياً أن يعيره مسودة البابليات سواد ليلة واحدة، لمجرد الإطلاع عليها، وكان الخاقاني صديقاً للفكيكي، وموضع ثقته، على ما يُستبان مِن سهولة حصول الخاقاني على مسودة البابليات، ومِن اعتراف الفكيكي نفسه بهذه الصَّداقة، كما ورد ذلك في مقال الفكيكي. وفي تلك الليلة، التي تمت فيها استعارة البابليات مِن لدن الخاقاني، شمرَّ الخاقاني عن ساعد الجد، ونقل مِن البابليات تراجم طائفة مِن الشُّعراء، ثم بدأ ينشرها باسمه، كما لو هو جامعها ومحققها، والعاثر عليها في خبايا وزوايا مِن بيوت أهل العِلم»(1014).

فكان كتاب الخاقاني «شُعراء الحِلة»، وكانت المفاجأة عندما أطلع اليعقوبي على التَّراجم التي خرجت مِن صندوقه منشورةً، وقد كتبها بقلمه وحققها بنفسه، فعلى إثر ذلك جرى بينه وبين الفكيكي عتاب وملامة، وكان الخليلي قد نشر عن هذه الحادثة في جريدة «البلد»، فأنكر الخاقاني وأعتبر القضية كذبا وتلفيقا ضده، لكن كيف يكون الإنكار واليعقوبي نفسه قد كتب قصة السَّرقة في كتابه «البابليات»(1015).

أخذ اليعقوبي، مِن الأذى الذي تعرض له، مِن التَّجاوز على جهوده، يشكر في مقدمة كتابه أنه جاء موثقاً سواء كان النَّقل مِن المطبوعات أو المخطوطات،

ونادراً ما يحصل أن مؤلف كتاب يقدم الشكر والامتنان إلى مَن أخذ من كتابه وأشار إلى المصدر، وفي مقدمتهم السَّيد محسن الأمين(ت ١٩٥٢) ما اقتبسه منه لكتابه «أعيان الشّيعة». أقول لم يذكر اليعقوبي هذا الشّكر إلا نكايةً بعليّ الخاقاني، وكأنه يريد أن يقول له: أنت لست أكبر مِن هؤلاء(1016).

يقول الموسوي في السَّرقة المذكورة: «إن أحد محترفي التَّأليف قد استطاع أن يتسلل إلى جزء مِن هذا الكتاب(البابليات) قبل طبعة؛ فينسخه ثم يُضيف إليه ويخرجه مطبوعاً باسمه، ولكنَّ المطلعين على القضية، وهم مِن أفاضل القوم، تصدوا لهذا المؤلف المحترف، وكشفوا عن فعلته، كما كتب الشَّيخ اليعقوبي كتاباً، كشف فيه عن التَّشويه والغلط الذي أصدره ذلك المؤلف»(1017). أما الكتاب الذي صنعه اليعقوبي ضد علي الخاقاني فهو «نقد شُعراء الحلة»، ونشره باسم «باحث كبير»، والسَّبب لأنه كان طرفاً في الخصومة مع مؤلف الكتاب الخاقاني. تناول اليعقوبي الأخطاء التي وردت فيه. جاء في نقده: «الآن وقد انتهينا مِن نقد كتاب شُعراء الحلة، يجب أنْ نُنبه القارئ، ونُعيد ما ذكرناه غير مرة، مِن أننا لم نستقص كلَّ هفوات الكتاب، وأخطائه بل سجلنا ما سمحت به الفرصة مِن المؤاخذات والملاحظات»(1018).

كتب اليعقوبي في خاتمة كتابه «البابليات» «لقد وقعت لكتابنا هذا قصة تناولتها أقلام الكُتّاب والأساتذة بالتَّعليقات الطَّريفة؛ والكلمات التي افتضح بها أمر سرقةٍ أدبيَّةٍ، قام بها متطفل على البحث والأدب، إذ انتحل فصولاً كبيرة وتراجمَ عديدة، بعد أن وصلت إليها يده، عن طريق سيقف عليه القارئ، وأثبتها في كتاب سماه «شعراء الحلة»، فكان بعضها صور طبق الأصل، وبعضها الآخر محرفاً ومشوهاً، بصورة لا تخفى على الفطن اللَّبيب»(1019).

نشر اليعقوبي المقالات التي تعرض أصحابها إلى قضية سرقة كتابه، مثل مقال توفيق الفكيكي، المنشور في صحيفة «الاستقلال»، تحت عنوان «قصة تبحث عن مقدمة»(1020)، فاضحاً فيه صاحب جريدة «البيان» الخاقاني. ردَّ الخاقاني على الفكيكي واعترف بالانتحال، كذلك نشر مقال موقع باسم «ابن الفيحاء»، والذي كان قد نشره في صحيفة «الهاتف»، بعنوان «قصة البابليات أو صندوق اليعقوبي»، طالب فيه ابن الفيحاء «إن لم نضع قوانين عقاباً لمثل هؤلاء السُّراق، فيجب علينا نحن معشر الأُدباء أن ننتقم منهم، وننزل بهم العِقاب الصَّارم، وما هو إلا أنْ نُخرجهم مِن قوائم الإنسانيَّة والكرامة»(1021). كذلك نُشر مقال بتوقيع دعبل، والذي كانت «جريدة النبأ» قد نشرته تحت عنوان «بابليات اليعقوبي»، أتى دعبل باسم الخاقاني، وكيف يسطو على آثار

مَن ما زال على قيد الحياة، كذلك قال: «إذا كان الخاقاني يحسبُ النَّاس، أو القلة المتتبعة مِن النَّاس على الأقل، مِن الجهل والغفلة، بحيث يفوتها مثل هذا الحدث الأخلاقي المؤسف»(1022).

ضمنَ الخاقاني كتابه «شعراء العري أو النَّجفيات» سيرة لصاحب «البابليات» الشَّيخ محمد علي اليعقوبي، وليته ما ضمن كتابه بهذه السيرة أو الترجمة، فقد أظهر الرَّجل انتهازياً غير عراقي، وأنه مِن تبريز، وما شعره إلا بضاعة للبيع والشِّراء لكثرة المديح الذي فيه، وليس له إبداع شعري، لا يُجيد غير الهجاء والمديح، كأداة بيد الحاكمين وأصحاب الجاه، وبالجملة أظهره متطفلاً على الأدب والشِّعر والمجالس، يفتش عن رزقه هنا وهناك، وما الصَّندوق الذي إدعاه وفيه المخطوطات والنَّوادر إلا كذبةً.

يعترف الخاقاني لليعقوبي بالذكاء وسلاسة الأسلوب، كي يمرر تشنيعه ضده، وكلُّ هذا يسخره لمصالحه الشَّخصية، وتعمد أن يذكره بمحمد علي بن يعقوب التَّبريزي، وهو المعروف باليعقوبي! والأنكى مِن ذلك إدعى الخاقاني أن كتاب اليعقوبي «البابليات» قد سرقه مِن كتابه «شعراء الحِلة»(1023)، متناسياً مَن شهد في هذه القضية، وكتب ضده في حينها.

قال الخاقاني ما نصه: «والحقّ أنَّ أبا موسى(اليعقوبي) تحفةٌ في بابها، وإنّ قعدت به صحته عن القيام بمشاريع مهمة، ولكنَّه يستطيع أنْ يموه بأنه باحث كبير وناقد ممتاز، وأنَّه صاحب مؤلفات، ولكنها لا تزال في صندوقه، الذي ظهر في الأخير أنه ممون بالآثار المطبوعة، ناسياً أنَّ التَّطبيق يختلف عن الإدعاء، وقد انكشفت مواهبه في التأليف أخيراً، عندما نزل الميدان مَّن يجيد التَّأليف، ومِن آثاره التي نُشرت البابليات، وقد استقى معظمها مِن الحصون المنيعة، ومِن كتابنا شعراء الحِلة...»(1024). غير أنَّ تهمة سرقة الخاقاني مِن اليعقوبي ثابتة، وما كتبه الخاقاني في محاولة عكس التُّهمة ليس لها اعتبار بل إدانة له قبل غيره.

روى لنَّا الخاقاني قصة انتحال مارسه غيره، وبالأسلوب نفسه تماماً، الذي مارسه مع كتاب البابليات للشيخ محمد عليّ اليعقوبي، وهو ماحصل بين الشَّيخ محمد رضا الشِّبيبي(ت ١٩٦٥) والشَّيخ عبد العزيز الجَّواهري(المولود ١٨٩٢)، بسبب جمع ونشر ديوان السَّيد محمد سعيد الحبوبي(ت ١٩١٥)، وقصة ذلك: كان الشِّبيبي يجمع في ديوان الحبوبي، مِن الموشحات والقصائد، فعمد الجواهري إلى عمِّه، لاقناعه في الإطلاع على ديوان الحبوبي، بالحصول عليه ولو لليلة واحدة من جامعه ومحققه الشِّبيبي، فوسط العم قائ مقام النَّجف آنذاك ناجي السُّويدي(ت ١٩٤٢) باستعارته، وعندما وقع بيد الجواهري سهرَ

عليه مع جماعة فنسخوا الدِّيوان كاملاً، وأعيد إلى الشَّبيبي، وإذا بالدِّيوان يصدر(بيروت: المطبعة الأهلية ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)، من دون مراجعة، وهذا ما سبب ألماً للشبيبي(1025)، صدر مع عبارة «اعتنى بتصحيحه وتذييله عبد العزيز الجواهري(1026)، وهو لا يقل عن الألم الذي سببه عليّ الخاقاني لصاحب «البابليات»، عندما أخذ الأصول لسواد ليلة واحدة، وبواسطة مَن لا يُرد.

هذا، وكان أهم ما في ديوان الحبوبي موشحاته، يذكر الخمرَ كثيراً، مع أنَّه فقيه ولم يشربها، لكنه وصفها في أكثر مِن موشح، ولولا الحرج لعُدت له «الخمريات»، مثلما عُدت لأبي نواس(ت١٩٥- ١٩٧هـ/٨١٠- ٨١٢م).هذا، وعبدالعزيز الجواهري هو حفيد الشَّيخ محمد حسن النَّجفي(ت ١٨٥٠) المعروف بصاحب الجواهر، الموسوعة الفقهيّة الشيعيّة الضخمة «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام(٤٥ مجلداً)»، وهو الشَّقيق الأكبر للشاعر الشَّهير محمد مهدي الجواهري(ت ١٩٩٧)(1027).

الرُّصافِي ودَشتي

صدر كتاب «الشَّخصية المحمديَّة» أو «حل اللغُز المقدس» لمعروف عبد الغني الرُّصافي(ت ١٩٤٥) بألمانيا- كولون عن دار «الجمل»(٢٠٠٢)، عن النِّسخة التي يملكها كامل الچادرچي(ت١٩٦٨)، وكانت بحوزة نجله المعماري رفعت الچادرچي(ت٢٠٢٠)، وهي واحدة مِن عشر نسخ مكتوبة على طابعة كاتبة، وواحدة منها محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، وأخرى محفوظة في مكتبة جامعة هارفرد، والأخيرة هي التي اطلعتُ عليها (أكتوبر ٢٠٠٤) وقابلتها مع الكتاب المطبوع فوجدتها شبه الغراب بالغراب مثلما يُقال، وبهذا وغيره أزحتُ شك الكثيرين بنسبة الكتاب لصاحبه الرُّصافي.

أما كتاب الدبلوماسي والأديب الإيراني عليّ دشتي فقد صدر عدة مرات بالفارسية، بعنوان «بيست وسه سال»، ووزع داخل إيران بعد الثَّورة، واعتقل علي دشتي بسببه، وهو حاول إنكار أن يكون الكتاب له، ثم صدر بالإنجليزية العام (١٩٨٥) مثلما سيأتي الحديث في محله، وأخيراً أصدرته بالعربية، مترجماً عن الإنجليزيّة، «رابطة العقلانيين العرب» (٢٠٠٤)، عن دار «البترا» بدمشق، ترجمه ثائر ديب بعنوان «ثلاث وعشرون سنة».

ما يتعلق بحقيقة نسبة كتاب «الشَّخصية المحمدية أو حل اللُّغز المقدس» إلى الرُّصافي، نسخته المخطوطة محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، بأربعة أقسام (١١٥٤ صفحة)، بخط كامل الچادرچي(ت ١٩٦٨) عن

نسخة المؤلف الأصلية، تم نسخها (٣١/٨/١٩٤١)، قرأها الچادرچي على الرُّصافي(1028).

جاء في كلمة الرُّصافي، التي حذف منها في الكتاب المطبوع اسم الچادرچي: «اطّلعت على هذه النسخة التي استنسخها صديقي الفاضل كامل الخيام (الچادرچي) على النِّسخة التي كتبتها بخطّي من كتاب الشَّخصية المحمدية، فرأيتها صحيحة كاملة خالية من الأغلاط في النَّسخ. فلذا أجيز له روايتها، والنَّقل عنها، والاعتماد على ما هو مكتوب فيها قبل طبع نسخة الكتاب الأصلية. ونشرها، وبما أنّي أثق بثقافة كامل الخيام(1029)، وبصدقه وإخلاصه في مسائل العلم والأدب، كتبتُ هذا إعلاماً بذلك»(1030). أُنجز الكتاب بالفلوجة بين (١٩٣٣-١٩٤٠)، وكان الرُّصافي في عقده السَّادس(1031).

وورد في مذكرات الرُّصافي: «ومنذ اختياري للفلوجة عزمت على تأليف كتابي الشَّخصية المحمدية، أجلو بها سيرة المختار، وفعلاً باشرت بتأليفه عندما وضعت قدمي في الفلوجة. وأنا إذ كان عملي ناقصاً فسببه قلة المصادر التي لديَّ، فأنا ألفتُ هذا الكتاب وليس لدي من أمهات المصادر سوى أربعة وهي: السِّيرة للحلبي، وسيرة ابن هشام، والتَّفسير للزمخشري ومعجم البلدان. وهذه الكتب الأربعة هي أيضاً ليست ملكي، وإنما استعرتها من مصطفى علي» (1032).

وبدوري اطلعت على النسخة المطابقة لنسخة منشورات الجمل، محفوظة في مكتبة هارفرد بكامبرج بالولايات المتحدة الأمريكية، منسوخة عام ١٩٩١ على الورق العادي، بلغت عدد صفحات ملازمها السَّبع ١١٥٤ صفحة، وكانت مطابقة لعدد صفحات ما نسخه الچادرچي. يضاف إلى ذلك لم يكن مثل هذا التَّأليف غريباً على الرُّصافي فمن غير أعماله المجهولة، التي نشرها نجدة فتحي صفوة(ت ٢٠١٥) في التاريخ والعقائد، له: «الآلة والدواة»، و «دفع المراق في كلام أهل العراق»، و «الرِّسالة العراقية» في السِّياسة والدِّين والاجتماع، و «نفخ الطِّيب في الخطابة والخطيب» وغيرها. أوردنا هذا؛ لأن هناك مَنْ شكك بنسبة الكتاب إلى مؤلفه الرُّصافي. على أنه اشتهر شاعراً لا ناثراً.

قبل رمي تهمة السَّرقة على الأديب والدُّبلوماسي والسِّياسي علي دَّشتي؛ علينا التَّأكد إذا كان قد قصد السَّرقة أم أنه أراد ترجمة النَّص وإصداره بالفارسية خالياً من اسم المؤلف؟ فهناك من الأدلة ما يؤكد تورط دَّشتي بسرقة الكتاب، وبالمقابل هناك ما يشير إلى دوره كمترجم حاول إبعاد اسمه من على غلاف الكتاب خشية مما يُرمى به من تهمة التَّجاوز، أو تخطي

الحدود في كتابة السِّيرة النَّبوية، على الرَّغم من أنَّ «الشّخصية المحمدية» كان كتاباً موقراً لشخصية الرَّسول، وليس فيه غير محاورة الرُّوايات الواردة في سيرة ابن هشام، أو السِّيرة الحلبية.

هناك عدة أمور تقود الباحث أو القارئ إلى الشك في حقيقة عمل المؤلف؛ منها الاهتمام نفسه، فمن النَّادر أن يصنف ناقد أدبي كتاباً في الأديان والمذاهب، أو يبرز ناقد سينمائي في كتاب عن طبقات الأرض أو الاقتصاد مثلاً، وهذا ما قاد إلى فضح سرقتين على صفحات جريدة «الشرق الأوسط»، لفت تأليفهما خارج حدود اهتماميهما، مثلما سيأتي تفصيله لاحقاً. يقود هذا أيضاً إلى الشك في نسبة كتاب «٢٣ عاماً دراسة في السِّيرة النَّبوية المحمدية» إلى عليّ دَّشتي، فهو لم يُعرف طوال حياته، في كتاب أو مقال، من المهتمين في التاريخ. بل مؤلفاته في الشأن الأدبي والتصوف كوجدان لا كتاريخ. فمن مؤلفاته حسب مقدمة الكتاب: «نقش از حافظ» «دراسة في شعر حافظ»، و «سيري درديوان شمس» «الشِّعر الغنائي عند جلال الدِّين الرومي»، «درقلمرو سعدي» «الشَّاعر والناشر سعدي شيرازي»، «شاعري دير آشنا»، «حول شعر الخاقاني»، و «دمي خيام «الشّاعر عمر الخيام»، و «برده بندار»حول التَّصوف» و «دردیار صوفیان» وغيرها(1033).

كتب محمد علي النَّجفي بالفارسية في جريدة «نيمروز» التي تصدر بلندن: «إن ما صدر باسم علي دَّشتي خال من الصِّحة، فالكتاب لمعروف الرَّصافي، وما دَّشتي إلا كان مترجماً. كان النَّجفي قد أطلع على نسخة من كتاب «الشَّخصية المحمدية»، قبل نشره في كتاب، مطبوع على الآلة الكاتبة، استعارها من وزير عراقي سابق، لم يسمح له بتصويرها، بل قرأها على عجل وأعادها له. لكن لم يلتفت أحد إلى ما نبه إليه النَّجفي، الذي كان يعرف علي دَّشتي وأفكاره عن قرب. افتضح أمر الكتاب بعد ترجمته إلى العربية، وقد تسلمتُ رسالة من النَّجفي، وهو رجل مُسن، بخصوص القضية، بعد محادثة عبر الهاتف(1034).

وحسب مقدمة الكتاب، عاش علي دَّشتي بالعراق فترة مِن الزَّمن، وفد إلى كربلاء في أواخر العهد العثماني لغرض الدِّراسة الدِّينية، وكان يجيد اللغة العربية، لكنَّه لم يحفل بالدِّراسة الدينية بل توجه إلى الكتابة في الأدب الفارسي، فأصدر جريدة «شفق سرخ -»الفجر الأحمر». وكان قد سُجن في سنة ١٩١٩ بسبب موقفه ضد المعاهدة الإنجليزية الإيرانية. وبعد سنوات من التَّردد على السُّجون، عُين سفيراً لبلاده بمصر ولبنان. ثم وزيراً للخارجية لمدة أسبوعين فقط. ثم عُين عضواً في مجلس الشّيوخ الإيراني، وبقي في هذا

الموقع حتى سقط الشّاهنشاه بإيران ١٩٧٩. بعدها سُجن في سجون الثورة الإيرانية، وتوفي سنة ١٩٨١ وقيل ١٩٨٢ .

بعد الاتصال بالدُّكتور نجفي حول ما كتبه في «نيمروز» أصر أن دَّشتي لم يسرق الكتاب بل لم يضع اسمه على الطَّبعة الفارسية الأولى؛ لكنَّ الاسم ظهر على غلاف واحدة مِن طبعات الكتاب، حسب ما توفر في مكتبة معهد الاستشراق البريطاني، وكانت في حياة دَّشتي. وكتب مترجم الطبعة الإنجليزية F.R.c. BAGLEY قائلاً: «إن دَّشتي طلب عدم نشر الكتاب إلا بعد وفاته، لكنه لم يذكر أنه أوصى بعدم وضع اسمه على الكتاب، وقد نشر تحت عنوان TWENTY THREE YEARS) عام ١٩٨٥ بلندن وسيدني وبوسطن.

يُذكر أن علي تقي منزوي، وهو نجل العلامة أغا بزرك الطهراني(ت ١٩٧٠)، صاحب موسوعة»الذَّريعة إلى تصانيف الشِّيعة» كان من المتحمسين لنشر الكتاب؛ لأنَّه يفيد في مواجهة الإسلام السِّياسي الذي استلم السلطة بإيران، وهو أيضا من الذين ترددوا على سجون الثَّورة الإيرانية ليساريته، وتربطه علاقة صداقة بعلي دَّشتي، نشر الكتاب ببيروت، ووضع على غلافه اسم علي دشتي، طبع منه خمسة آلاف نسخة.

نفدت الخمسة آلاف نسخة داخل إيران، وأخذ الكتاب يصدر تباعاً في الثَّمانينات من دون اسم دار نشر، وبنسخ مصورة. وحسب النَّجفي أن الطَّبعة الأولى حملت اسم علي منزوي، إلا أنه سارع إلى نفي هذه النِّسبة. وما لم يعلمه نجفي أن الطَّبعة الفارسية، التي بين أيدينا، حملت اسم علي دَّشتي مؤلفاً للكتاب لا مترجماً. وربما يعللّ هذا العمل أنه حصل من دون علم دَّشتي، فينقل عنه أنه صرح لمدير مجلة (ألمانية ـ فارسية): «بأنك لو وضعت اسمي (على غلاف الكتاب) فأنا سأكذبه»!

بطبيعة الحال، لا يخلو ما كتبه الدَّشتي من بعض الآراء، ومن إضافة نصوص، واعتماد مصادر أُخر، وينطبق عليه معيارا النَّسخ والسَّلخ، في السَّرقة، لكتاب الرُّصافي، وبغض النَّظر عن براءة أو تورط مؤلف كتاب «بيست وسه سال» أي (٢٣ عاماً) أن الكتاب بمجمله هو محاكاة دقيقة لكتاب الرُّصافي «الشَّخصية المحمدية»، من ناحية الأسلوب والمعلومات والاستنتاجات، وأن التَّقديم والتَّأخير في فصول الكتاب، عما هو موجود في كتاب الرُّصافي لا يستر التَّشابه الشَّديد بين الكتابين، ومعلوم أن ترجمة الكتاب إلى الفارسيَّة تُغير الألفاظ كثيراً، وثم إعادته إلى العربية يكون التَّغيير أكثر، لكنّ تبقى المعاني واحدة رغم اختلاف الألفاظ.

إن الأمر الأقوى الذي يضع كتاب دشتي في محل الشّك، هو لماذا لم يضع اسم الرُّصافي على الكتاب إذا كان قصده التَّرجمة وحسب، وعندها ينتهي التَّساؤل، فليس هناك مَنْ يبحث عن اسم المترجم. مات الرُّصافي(١٩٤٥) ومات دَّشتي(١٩٨١/١٩٨٢) وظل السِّر مطوياً. ومَنْ يدري، فلربَّما أراد الرُّصافي، الذي أوصى بعدم نشر كتابه إلا بعد وفاته، أن يكون بالفارسية، ففيه ما فيه ضد بلاد فارس، وضد التَّشيع الصَّفوي عموماً، وهذا ما لم يظهره علي دَّشتي في (٢٣ سال).

ختاماً، قد تقنع كلمة النَّاشر، التي وردت على صفحة الغلاف الأخيرة، بطبعته العربية، غير المطلعين على كتاب «الشَّخصية المحمدية»، في اعتبار علي دَّشتي مؤلفاً للكتاب لا مترجماً وناقلاً، بل اعتبره مبتكراً كتبه بالإلهام: «علي الدَّشتي يحاول في هذا الكتاب أن يُقدم دراسة جديدة، ومخالفة للكثير مِن الدِّراسات، التي سبقتها عن السِّيرة النَّبويَّة ونشوء الإسلام». كذلك أنَّ ناشره زاد الشَّك في أنّه لم يقرأ الكتاب عندما كتب عن في صفحة الغلاف الأخير: «يقدم تصوره عن وصول الإسلام إلى بلاد فارس، وكيف استقبلوه فيها ولماذا أمنوا فيه»! فلا دَّشتي ولا الرُّصافي بحثا في هذا الموضوع، والمصيبة أن يكون النَّاشر أو مَنْ كتب العبارة المذكورة لم يطلع على الكتاب، ليجعل مثل هذه المعلومة جزءاً من الدِّعاية للكتاب!

سلوم وطريفي

أصدر الأكاديمي العِراقي الدُّكتور دواد سلوم، أستاذ في جامعة بغداد وجامعة تكريت وجامعة جرش وجامعة همبولدت الألمانية، كتاباً تحت عنوان «السَّرقات الفنية للآثار الأدبيَّة سرقات الدُّكتور محمد نبيل طريفي نموذجاً»(بغداد: مطبعة الأفراح ٢٠٠٥)، وأهداه بالعبارة السَّاخرة الآتية: «إلى الأقدر والأقرع والأروع في عالم افتح يا سمسم الأدبي إلى الدُّكتور محمد نبيل طريفي»! أما طريفي فهو باحث ومحقّق سوري، وعلى ما يبدو غزير الانتاج في تحقيق الدَّاووين الشّعريَّة والشَّروحات.

وجه سلوم لطريفي تهمةَ سرقةِ تحقيقهِ لديوان الكميت بن زيد الأسدي(ت ١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م)، وكتابه المشترك مع الأكاديمي العِراقي الدُّكتور نوري حمودي القيسي(ت ١٩٩٤). كتب سلوم توضيحاً، جاء فيه: «كان الحصار الذي فُرض على العِراق، قد أعاق العراقيين مِن الإطلاع على الجديد مِن الكُتب التي تصدر في بيروت أو دمشق أو القاهرة، وبعد كسر الحصار بدأ سيل المطبوعات يصل إلينا مِن بغداد، واطلعت مصادفةً على كتاب ديوان الكميت بن زيد الأسدي جمع وشرح وتحقيق- كما يدعي- الدُّكتور نبيل طريفي في

طبعته الأولى، الصَّادرة عن دار صادر في بيروت عام ٢٠٠٠م، وقد هالني ما صنعه في نقل كتابي، شعر للكميت بن زيد الأسدي، الصَّادر في النَّجف الأشرف، عام ١٩٦٩، والصَّادر في طبعته الثَّانيَّة عن عالم الكُتب في بيروت ١٩٩٧، وسيكون موضوع هذا البحث مناقشة للأسباب التي دعته إلى هذا النَّهب، إضافة إلى ضمه تحقيقي لهاشميات الكُميت بشرح الرَّياشي، وضمه قصيدة طويلة بتحقيق الجاسر، التي سمح لنَّا بنشرها في ملحق هاشميات الكُميت، المطبوعة في بيروت ط١ عام ١٩٨٥ وط٢ عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦، وأنَّ قِدمَ الجريمة لم يعف السَّارق مِن الحساب، وكشفه خدمةً للعلم، مهما طال الزَّمن بالسَّارق المحترم»(1035).

أضاف طريفي على كتاب سلوم (ديوان الكميت) خمسة وأربعين نصاً مِن أبيات مفردة، على ما ذكره سلوم، بنصوصها وإحالاتها، وقد بلغت إحالات طريفي ١٢٧٧ إحالة، وسلوم يسأل هل رجع إليها طريفي؟(1036). عرض طريفي في تحقيق ديوان الكميت نواقص وردت في تحقيق سلوم، لكنَّ صاحب التَّحقيق الأصل يقول: «لو كان لي مثالب المحققين في الأرض، فإن ذلك لا يوجب تحويل كتابي مِن اسم إلى اسم آخر، وسلبه قِسراً، وتغيير عنوانه، ولو كان طريفي منصفاً، وعالماً وأميناً حقَّاً لتمكن مِن كتابةِ مقالةٍ علميَّةٍ رصينةٍ، يذكر فيها المستدرك على شعر الكُميت، كما فعل الباحث هلال ناجي، الذي نقلنا جهده ملحقاً في شرح الهاشميات، فقد استدرك أكثر مما استدركه طريفي، وكما فعل المرحوم الدُّكتور نوري القيسي في شِعر نُصَيب، حيث استدرك أبياتاً، وكما فعل الدُّكتور عبد القدوس أبو صالح مع شِعر يزيد بن مفرغ، ويَذكر لو كان منصفاً وعالماً وأميناً لجميع التَّصحيحات، ثم نشرها في مجلة علميَّة تُراثية، لكان له أفضل، ولكنتُ تقبلتها برحابة صدر واحترام وتقدير، وأما التّشهير واستباحة العمل، وتحويله إلى اسمه فهذا مما لا ينطوي، تحت أيّ مسمَّى علمي، ولا يصلح له إلا اسم السَّرقة الأدبيَّة المقيتة»(1037).

أتبع طريفي خطة سلوم نفسها في تحقيقه لديوان الكميت، ونظامه الخاص في ترتيب القوافي، فهو يأتي بالحروف حسب حركات إعرابها، الباء المرفوع فالمكسورة فالمفتوحة، وهكذا مع الحروف الأُخر، ومع وضعه بيتاً واحداً مخالفاً، والذي اعتبره سلوم لتغطية السَّرقة(1038).

كشف سلوم السَّرقة مِن خلال المصادر، وللتغطية وضع طريفي تحقيقه التَّحقيق المشترك للهاشميات ضمن المصادر، وكان طريفي قد حذف من مصادر سلوم الضَّروريَّة، والتي بلغت (٢٣٠) مصدراً، واكتفى بـ (١٦٢) مصدراً، وقد عدد سلوم المصادر التي خذفها طريفي مِن التَّحقيق، ثم يأتي بتطابق

النَّماذج بين التَّحقيقين، بالأبيات والصَّفحات(1039). كتاب سلوم «في السرقات الفنيَّة للآثار الأدبيَّة» يحكي قصة سرقة وتشوبه، وهو يقول متألماً بما لا يقل عن ألم السِّيوطي، مثلما مرَّ بنا الحديث، قائلاً: «أغضبني أنْ يسرق جهدي الذي كلفني وقتاً طويلاً»(1040)، إلى جانب تحقيق سلوم لديوان الكُميت انتحل طريفي «هاشميات الكميت»، وكان مثلما تقدم كتاباً مشتركاً، وكتب عليه، مِن غير مبالاة: «قرأه ووضع حواشيه».

بعد الاطلاع على كتاب الأكاديمي داود سلوم، المتضمن سرقة طريفي لجهده، اطلعتُ على كتاب «ديوان اللُّصُوص» في العصرين الجاهلي والإسلامي للباحث محمد نبيل طريفي، وفي مستهل المقدمة انتقد الباحث والشَّاعر السُّوري عبد المعين الملوحي، على كتابه «شعراء اللُّصوص وأخبارهم»، وتحقيقات الأكاديمي العراقي نوري حمودي القيسي، لدواوين شعراء اللُّصُوص، قائلاً: «لا يمكن لنَّا اعتبار هذين العملين ضمن الأعمال العلميَّة الصَّحيحة، وسنُعلل هذا الرَّأي لاحقاً؛ لذا عزمتُ على أنْ أعد طبعة جديدة لشعر اللُّصُوص إعداداً علمياً على قدر الجهد، والإمكان بسد ثغرات الطِّباعة القديمة، والنقص العلمي فيها»(1041). لكنه إذ ذكر عدم علمية الملوحي، فلم يذكر عدم علمية الأكاديمي القيسي، صاحب تحقيق هاشميات الكميت، والمتهم طريفي نفسه بالإغارة عليها مثلما تقدم. كرر طريفي في كتابه هذا عبارة «الغوص في بطون الكتب القديمة»! أقول: وهل للباحث أو المحقق الذي يتصدى لمثل هذا المجال ألا يغوص في الكتب؟! كذلك كتب على واجهة كتابه «صنعه»! بينما جرت العادة أنَّ يُكتب على مثل هذا العمل «جمع وتحقيق»، وهذا ما فعله مثلاً الملوحي وغيره بكلِّ تواضع.

سنذكر شيئاً عن ديوان اللُّصُوص، بما يخص شعر وأخبار طُهمان بن عمرو الكلابي، ورد عند طريفي ضمن ديوان اللُّصُوص، وكان قد حققه وأصدره المحقق العراقي محمد جبار المعيبد(بغداد: ١٩٦٨)، وكتاب طريفي قد صدر (بيروت: ٢٠٠٤)، وقرأت التحقيقين، وأجدهما متشابهين تماماً، وإذا كان المعيبد ألحق الدِّيوان بما سمَّاه «المستدرك»، فطريفي سمَّاه «الذَّيل»(1042). لعلَّ الأكاديمي سلوم في كتاب «السَّرقات الفنية...»، قد فتح الباب لإعادة قراءة تحقيقات طريفي الغزيرة جداً كافة، ليجد نفسه ليس المجني عليه الأول والأخير مِن قِبل هذا الرَّجل.

في كتابه نفسه، طرح داود سلوم قضية سرقة تعرضت لها مِن قِبل باحثة كويتيَّة؛ الأكاديمية في جامعة الكويت- كلية الآداب وهي طيبة الشَّذر، أخذت نصاً بحثه الموسوم «الجاحظ مفكراً معاصراً»، والمنشور في مجلة «المورد» العراقية في (١/١٠/١٩٧٨)، ثم في مجلة «الثَّقافة»(١/٥/١٩٨٧)، ونشرته في مجلة

«العربي» الكويتيَّة (نيسان/أبريل ٢٠٠٤)، وقد اطلعتُ على المقالين في المجلتين المذكورتين، فوجدتهما بالفعل مقالاً واحداً، مع إضافة الشَّذر كلمة «رافض» في آخر المقال. ونص الجاحظ جاء عند سلوم في «المورد»: «والذين نحلوا عمر العصبية رجلان أحب أنْ يمقته إلى العجم والموالي...»، جاء في ملاحظة مجلة المورد كلمة أخرى تركناها «رجل رافض»، وكذلك وردت الملاحظة في مجلة الثَّقافة. ما عملته الباحثة الشَّذر أنها أضافت كلمة «رجل رافضي»، هذا كلُّ ما كان لها مِن جهدٍ في البحث الذي جعلته مِن جهدها وعِلمها!

كتب سلوم رسالة إلى مجلة «العربي»، وطلب أن تتصل به الباحثة المذكورة، ليستفهم منها ما حصل! ثم وجه رسائل إلى المجلة وجامعة الكويت، وقد نشر نصوصها في كتابه «السَّرقات الفنيَّة...». كان عذر الأكاديمية الشَّذر أنَّها مهتمة بالجاحظ، وهذا دفعها إلى الاستفادة من بالبحث، واعترفت أن المقال المنشور ليس مقالها، وهو لداود سلوم، لكنْ حصل خطأٌ علميٌّ غير مقصود! والسُّؤال كيف يحصل خطأ غير مقصود، ويحصل السَّهو؟، وقد سلخت البحث من ألفه إلى يائه، مع إضافة للعنوان ليكون «قراءة جديدة في كتاب العثمانية الجاحظ مفكراً معاصراً»؟! لكنَّ هذه القراءة الجديدة هي لداود سلوم، وإذا الشَّذر اعتبرت ذلك سهواً، فما قصة الإضافة على العنوان؟!(1043)

الرَّاهب والشَّيخ

لم أجمع بين الرَّاهب والشَّيخ على أنهما سرقا مِن بعضهما، إنما ما يجمعهما هو الدِّين والتَّقوى، هذا هو المفروض، ولا أذهب بعيداً واعتبرهما لُصين، على المعنى العام، لكنَّ في قضية السَّرقة الأدبيَّة أن الكتابيَّة أجدهما معذورين؛ لأنهما لم يجدا في تعاليمهما الفقهيَّة والوصايا الدّينيَّة ما يمنع منها، أيّ لم يجدا دليلاً دينياً يُحرم هذا النَّوع مِن اللُّصوصيَّة، وهما بطبيعة الحال يلتزمان بالنصوص، فما لم يأت فيها، مِن حلال أو حرام ليس له اعتبار عندهما، وهما ليسا المنفردين بين الرُّهبان والشُّيوخ في هذه القضيّة بالذات. نأتي على قضية الرَّاهب (سُهيل قاشا العراقي) و(الشّيخ عائض القرني السُّعودي)، وإذا كان الأول لم ينل جزاءً في المحاكم، فالثَّاني قد نال الجزاء بغرامات كبيرة، أصدرتها المحاكم السُّعوديَّة. أراد الرَّاهب والشّيخ أن يصبحا نجمين في عالم التَّأليف، وكان لهما هذا لدى القراء البسطاء وأرباع المثقفين أيضاً.

ظهرت على الرَّاهبَ والشَّيخَ أكثر مِن قضية إغارة أو انتحال، وما فعلاه يدخل تحت عنوان «السَّلخ» وفقاً لمحددات السَّرقة الأدبيَّة التي أشرنا إليها في ما سبق، لكنَّنا سنكتفي باثنين، لكلٍّ منهما ، مما افتضح بشأنهما.

أولاً: أصدر بيت الحكمة ببغداد كتاباً تحت عنوان (الحياة الرُّوحية في بابل) (بغداد ٢٠١٤)، هذا ما سُجل على وجه الغلاف الأول، وفي الصَّفحة الدَّاخلية(بغداد ٢٠١٣)، على أنها الطَّبعة الأولى، والكتاب مِن تأليف، حسب ما سُجل أيضاً: الأب الدُّكتور سُهيل قاشا، وسُجل أيضاً اسم الدُّكتور إياد كريم الصَّلاحي كمراجع علمي للكتاب، ركزا على مفردة «علميّ»!

كان الكتاب قد صدر، تحت العنوان نفسه «الحياة الروحية في بابل»(دمشق: منشورات المدى ١٩٩٥)، للباحث الآثاري الرُّوسي كلشكوف، ونقله إلى العربية الباحث العراقي عدنان عاكف حمودي. عثرتُ على الكتاب، طبعة بيت الحكمة، معروضاً في معرض الشَّارقة للكتاب العام (٢٠١٦)، فرابني العنوان؛ لأنني سبق أن نشرتُ عرضاً للكتاب الأصل في صحيفة «الحياة»(٢٧ شباط ١٩٩٦)، ومع أنني أعلم ولي تجربة مع سهيل قاشا في السَّرقة أو الانتحال، فأجلت البت في الموضوع حتى أقابل بين «الحياة الرُّوحية في بابل»(١٩٩٥) و «الحياة الرُّوحية في بابل»(٢٠١٣)، مع ثقتي أن الكتاب كان منحولاً، ليس مِن العنوان، فقد يُعذر مَن يصدر كتاباً بعنوان مشابه لكتاب آخر، لكنْ رابني اسم المؤلف، وعدم الإشارة إلى مَن سبقه بالتَّأليف.

ليست السَّرقة الأولى التي يقوم بها قاشا، ويعتدي على جهود الآخرين، بجرأة عجيبة، ولا أدري هل هي إصرار على الانتحال وإمعان في السَّرقة، مع أنَّه رجلَ دينٍ ويعيش في دير بلبنان ويقوم بتدريس رهبان جُدد، أم أنَّه مِن السَّذاجة ألا يميز بين التَّأليف والنَّسخ مِن الكُتب؟ فمن سوء حظه أن أكتشفت سرقة سابقة له وفي معرض الكتاب نفسه، عندما اقتنيت كتابه «المعتزلة ثمرة الفكر الإسلامي الحر» الصادر عن دار «التنوير»(٢٠١٠) ببيروت، ووجدت أنَّه انتحل مقدمة كتابي «معتزلة البصرة وبغداد»(منشور ١٩٩٧) كاملةً(١٣ صفحة)، وكلُّ ما بقي في الكتاب عبارة عن انتحالات من هنا وهناك.

ثم يفتضح أمره بسرقة من كتاب الأديب اللّبناني عبده وازن «حديقة الحواس»، واكتشف وازن سرقة كتابه إثر دعوة وردته من دار «النُّعمان للثقافة» تدعوه لحضور حفل إعلان فوز كتاب سُهيل قاشا بجائزة العام ٢٠١١: «أنا والكتابة»، فعندها أكتشف وازن السَّرقة(1044). أي بعد عام من نشر فضيحته بسرقة كتابي «معتزلة البصرة وبغداد»، ومِن عجب أنْ تُمنح الجوائز بلا تدقيق ولا تقليب لتاريخ المؤلف، وما يُكتب عنه.

ليس أكثر شيوعاً مِن سمعة «بيت الحكمة» العراقي العلمية، قبل أن تصادرها وتشوهها العقائد الحزبية والدِّينية، فكنا نأمل أن يعتدل حال الحكمة بعد(٢٠٠٣)، لكنَّ أولَ رئيسٍ لها جاء بعلاقة المصاهرة، مع أحد قادة حزب

الدَّعوة الإسلاميَّة، فزادنا الأحباط إحباطاً. حسب ما كتبه الباحث العراقي الموصلي المرموق سعيد الدَّيوه جي(ت٢٠٠٠) أن الحكمة بيوت وليست بيتاً واحداً، ويمكن كل مؤسسة ترجمة وتأليف وتعليم وبيوت كُتب يُطلق عليها عنوان «بيت الحكمة»، فكان لكلِّ عاصمةٍ قديماً بيت حكمة، غير أنَّ أولَّ بيت حكمة أسسه العباسيون ببغداد، وكان أعظمها شأناً(1045). فكم مِن علماء ومترجمين عملوا في هذا البيت، ومعلوم أن حضارة الشُّعوب تنقل عِبر التَّرجمة، حيث التَّبادل الثَّقافي والحضاري.

أقول: ما قياس العلمية لدى الدُّكتورالذي راجع كتاب سُهيل قاشا علمياً، وأوصى بنشره، ووضع اسمه على الغلاف الدَّاخلي؟! هل كان مراجع الكتاب مختصاً في الآثار والتَّاريخ القديم مثلاً؟ وإذا لم يكن كذلك، فأول خطوات المراجعة العلمية أن يكون في الكتاب ثبت للمصادر، بينما جاء الكتاب خالياً منها، وأن يبحث المُراجع عن الكتاب ومؤلفه، والإنترنيت لم يبخل بمعلومات وافية عن الكتاب الذي أصدرته المدى(١٩٩٥)، وإلا كيف تمت المراجعة كي توصف بالعلمية؟! وأي مؤسسة، مِن المفترض أن تكون علمية؛ لأنها أكاديمية وبحثية كبيت الحكمة، أصدرت الكتاب مع عبارة فخمة: «المراجعة العلمية الدُّكتور إياد كريم الصَّلاحي»؟!

أقول: إذا كان سهيل قاشا اعتاد ممارسة الانتحال، فما هو موقف «بيت الحكمة»، وبأي عذر يتعذر هذا الصَّرح العلمي، في تاريخه لا في حاضره، كما يبدو. فمؤلف الكتاب الأصل أعد فكرة التأليف في العام ١٩٧٤، عندما كان عضواً في بعثة علمية صغيرة من معهد التاريخ القديم التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية، فأسهم بدراسة المواقع الأثرية، فترة أمضاها المؤلف كلشكوف وسط الرِّمال الجرداء، وبين خرائب وأنقاض(الحياة الروحية في بابل/طبعة المدى ١٩٩٥).

فبأي حق يُخطف الكتاب، والجريمة مركبة ضد المؤلف وضد المترجم أيضاً، فقد وجدَه سهيل قاشا جاهزاً، وزادته فخراً، على ما يبدو وأمن مِن الفضيحة، مراجعة بيت الحكمة (العلمية) لكتابه! أخذ سهيل قاشا الكتاب كاملاً، لكنْ مع تقديم وتأخير، أما فصل «المصير عند البابليين»(صفحة ٣٣ طبعة المدى وصفحة ٢٩ طبعة بيت الحكمة)، فجاءت النُّصوص نفسها تماماً من البداية وحتى النهاية، وحتى المثل السومري «اتبع مصيرك» جعلها قاشا في الهامش، كي يبعده عن عنوان الفصل، وكان كمفتتح تحت العنوان مباشرة.

تخيلوا، المضحك في تأليف قاشا أنه يكتب في الصفحة(٣٠) الآتي: «سنعتمد في دراستنا على تحليل المصطلح الأهم والأكثر شيوعاً واستعمالاً ومقارنته

مع المصطلحات الأخرى القريبة منه...»، وهذه عبارة المؤلف المسروق نصاً. إنه وضع نفسه مكان المؤلف الأصلي للكتاب، وأخذ يحتل مكانه ومكان المترجم أيضاً، وأنَّه هومَن درسَ وبحثَ! فهل هناك جرأةٌ على العلِم والبحثِ كهذه الجرأة، يشترك فيها مُراجع الكتاب (العلمي)؟!

يأخذ قاشا عناوين كلشكوف ونصوصه، ويبدأ العبارة ولا ينتهي إلا بملء صفحات من كتابه، ليس لدي وقت أقضيه مع هكذا منتحل وهكذا مراجعة (علمية) خائبة، لكنّ مَن يقرأ الطّبعتين مباشرةً يذهب إلى الصَّفحات التَّالية المنقولة نصاً: ٣١ وما بعدها، ٣٢ وما بعدها، ٣٤ وما بعدها، ٣٦ وما بعدها، ٣٧ وما بعدها، ٣٨ وما بعدها، ٤٠ وما بعدها، ٤٢ وما بعدها، ٤٤ وما بعدها، ٤٦ وما بعدها، ٤٨ وما بعدها، ٦٠ وما بعدها، ٦٢ وما بعدها، ٦٤ وما بعدها، ٦٦ وما بعدها، مع انتحال القصائد نصاً، ومحاولته ذكر مصدر آخر غير الكتاب المسروق.

قد تفوت سذاجة المؤلف والمراجع على القارئ العادي، مع قصد استغفاله، لكنْ ما ظننتها تفوت على أكاديميين مختصين، في الجامعات العراقية، تمنيتهم قد عثروا على هذا الانتحال المدمر للثقافة وروح البحث، مع ممارسة استسهال الكتابة، والحصول على اللقب العلمي في حال مَن راجع الكتاب المنحول والمؤلف بسهولة.

حاول قاشا التَّقديم والتَّأخير في العناوين والنّصوص، كي يخفي الانتحال، فيأخذ من فصل ويضمنه لفصل آخر، مع تلاعب طفيف في العبارات، حتى جاء الكتاب، طبعة بيت الحكمة، مشوهاً، لمَن أطلع على الكتاب الأصل. لهذا إذا كان بيت الحكمة يحترم تاريخه، فعليه أن يُقدم اعتذاراً رسمياً عن هذه الفضيحة، لمؤلف الكتاب ومترجمه والقارئ، ويسحب الكتاب فوراً، ويتشدد مع الذين توكل إليهم المراجعات العلمية، وفي التعيينات في أقسامه أيضاً.

كذلك انتحل سلخاً الأب سهيل قاشا من كتابي «معتزلة البصرة وبغداد» (لندن: دار الحكمة ١٩٩٧ الطبعة الأولى)، حيث ظهرت المقدمة كاملة في كتابه «المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر» (بيروت: مكتبة السَّائح والتَّنوير ٢٠١٠). كتب الأب قاشا نحو ثمانين كتاباً في مختلف مجالات التاريخ والثقافة، وكانت حصة التاريخ الإسلامي منها غير قليلة.

كنت في معرض الشَّارقة (٢٩ أكتوبر ٢٠١٠) فلمحت عند دار الفارابي كتاباً تحت عنوان «المعتزلة...»، وبتصفحي له وجدت أن الموضوعات مطروقة كثيراً من قبل. عدت وأنا أتصفح الكتاب، ووجدته رجع إلى كتابي «معتزلة

البصرة وبغداد» كثيراً، وليس في الأمر مثلبةً، مع أنه لم يضع الكتاب كأحد مراجعه مع ثبت المراجع، وقلت إنه النسيان، وزحمة الوقت عند الانتهاء من العمل في الكتاب، ومعلوم أن المصادر آخر ما يرصد في الكتاب، وكذلك المقدمة!

لكن المفاجأة، لما بدأت بقراءة المقدمة وإذا هي كلماتي بعينها، ومَنْ ينسى كلامه المكتوب، وأيضاً صبرت ولم أحكم أو أقطع بالحكم على أنه سرقة، فقلت ربما هناك تخيلات في الأمر مني، أو هو توارد خواطر مثلما يُقال. لكن بعد المقابلة بين مقدمتي لكتاب «معتزلة البصرة وبغداد»، وما وضع الأب قاشا من مقدمة لكتابه «المعتزلة» وجدته انتحلها حرفياً. حتى حزمت أمري وقلت: لا بد من الكتابة! ولماذا الصَّمت حيال سُراق الحروف؟ والسَّرقة هي السَّرقة، سواء قام بها البعيد أم قام بها القريب! فمَنْ كتبت عنهم سابقاً لم يحصل أن التقيت بهم، أو حتى قرأت لهم. أما الأفظع في الأمر فقد قدم الأب سهيل قاشا لمقدمته بالكلمات التالية: «خدمة للعلم والمعرفة، ثم نزولاً عن رغبة طلابنا في معهد مار بولص للفلسفة واللاهوت، زيادة في الإيضاح والفائدة، نعمل على إبرازه إلى النور بمقدمة جديدة هاك نصها» (قاشا، المعتزلة، طبعة ٢٠١٠ ص ١١). كان النص مقدمتي بحروفها ومفرداتها ومقاطعها وأفكارها، والشَّبه ما بين المقدمتين شبه الغراب بالغراب (معتزلة البصرة وبغداد ١٩٩٧). وتبلغ عدد كلماتها أربعة آلاف وثلاثمائة وثمانية وعشرين كلمةً، وهي المقدمة كاملةً.

هنا أجد صعوبة في نشر المقدمتين كي أظهر التطابق التام بينهما، لكنني أتي بأول المقدمة ونهايتها ومن الكتابين. جاء في مقدمة الأب قاشا (المعتزلة ٢٠١٠): «من بين مخلفات التَّاريخ يبرز الاعتزال، بمقالات شيوخه، محفزاً نشطاً في استلهام دلالات العقل مقابل النَّقل، والتَّحرر من أسر رتابة النُّصوص. بسبب أن هذا الفكر يمتلك رؤية حيوية حيال معرفة الوجود، طبيعة ومجتمعاً، وعلاقتهما بالله. رؤية تُمكن الإنسان، إلى حدٍ ما، من حرية التصرف في شأنه الاجتماعي، ومن التأثير الواعي على الطبيعة، وتوجيهها لمصلحته. حاول المعتزلة في مختلف مراحلهم الكلامية والفلسفية تأكيد مسؤولية الإنسان عن أفعاله. وبدون شك، يقود ذلك إلى تفعيل دور العقل في تنظيم الحياة الاجتماعية والاستفادة من الطبيعة بشكل خلاق، بعد فهم قوانينها عن طريق، تكدس، التجارب. ويبرر أحد رموز الاعتزال البصريين القاضي عماد الدين عبد الجبار في «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» اعتبار العقل الأصل الأول في الإيمان والحياة، حتى قبل القرآن الكريم والسنة النبوية، بقوله: «لأن به يُميز بين الحسَن والقبيح، ولأن به يعرف الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع، وربما تَعجَّبَ من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هي الكتاب

والسنة والإجماع فقط، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر. وليس الأمر كذلك؛ لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل، ولأن به يُعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع، فهو الأصل في هذا الباب» (قاشا، ص ١١).

جاء في مقدمة كتابي (معتزلة البصرة وبغداد ١٩٩٧) ما نصه: «من بين مخلفات التاريخ يبرز الاعتزال، بمقالات شيوخه، محفزاً نشطاً في استلهام دلالات العقل مقابل النقل، والتحرر من أسر رتابة النصوص. بسبب أن هذا الفكر يمتلك رؤية حيوية حيال معرفة الوجود، طبيعة ومجتمع، وعلاقتهما بالله. رؤية تُمكن الإنسان، إلى حدٍ ما، من حرية التصرف في شأنه الاجتماعي، ومن التأثير الواعي على الطبيعة، وتوجيهها لمصلحته. حاول المعتزلة في مختلف مراحلهم الكلامية والفلسفية تأكيد مسؤولية الإنسان عن أفعاله...»(رشيد الخيُّون، معتزلة البصرة وبغداد، طبعة ١٩٩٧، ص ٥).

خاتمة مقدمة كتاب «المعتزلة» للأب قاشا: «في هذا الكتاب تمت دراسة عشرين ونيف من الشَّخصيات الكلامية، من نُفاة القدر والصفات والقائلين بخلق القرآن من غير المعتزلة ومن شيوخ الاعتزال البارزين. كان في مقدمة هذه الشخصيات الفقيه المعروف الحسن البصري، الذي لا تربطه رابطة بالاعتزال، كما يُشاع عنه ذلك، سوى أن مؤسسي الاعتزال واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد الباب كانا من مرتادي مجلسه في مسجد البصرة، ولعلَّ بحث تفاصيل حياته يكشف عن ظروف الحركة الفكرية والكلامية آنذاك، ويكشف أيضاً موقفه وفقهاء عصره من الاعتزال. أما الإمام أبو حنيفة النعمان، والمقتولون الأربعة الجعد بن درهم ومعبد الجهني وجهم بن صفوان وغيلان الدمشقي فأمرهم له صلة بمقدمات ظهور الاعتزال الفكرية، فالمذكورون تبنوا تلك الأفكار بدرجات مختلفة من الوعي والمساهمة. لم يستوعب الكتاب مفكري الاعتزال من بصريين وبغداديين كافة، مع ذلك سيكون تلامذتهم عين اهتمام مشروع آخر» (الأب قاشا، المعتزلة، طبعة ٢٠١٠، ص ٢٦ -٢٧).

خاتمة المقدمة الأصل من كتاب «معتزلة البصرة وبغداد: «في هذا الكتاب تمت دراسة عشرين ونيف من الشخصيات الكلامية، من نُفاة القدر والصِّفات والقائلين بخلق القرآن من غير المعتزلة ومن شيوخ الاعتزال البارزين. كان في مقدمة هذه الشَّخصيات الفقيه المعروف الحسن البصري، الذي لا تربطه رابطة بالاعتزال، كما يُشاع عنه ذلك، سوى أنَّ مؤسسي الاعتزال واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد الباب كانا مِن مرتادي مجلسه في مسجد البصرة، ولعلَّ بحث تفاصيل حياته يكشف عن ظروف الحركة الفكرية

والكلامية آنذاك، ويكشف أيضاً موقفه وفقهاء عصره من الاعتزال. أما الإمام أبو حنيفة النعمان، والمقتولون الأربعة الجعد بن درهم ومعبد الجهني وجهم بن صفوان وغيلان الدمشقي فأمرهم له صلة بمقدمات ظهور الاعتزال الفكرية، فالمذكورون تبنوا تلك الأفكار بدرجات مختلفة من الوعي والمساهمة. لم يستوعب الكتاب مفكري الاعتزال من بصريين وبغداديين كافة، مع ذلك سيكون تلامذتهم عين اهتمام مشروع آخر» (رشيد الخيُّون، معتزلة البصرة وبغداد، طبعة ١٩٩٧ ص ١٩) .

أرخ الأب سُهيل قاشا لمقدمته (دير يسوع الملك ١١ /٧/ ٢٠٠٩). أما تاريخ كتابة مقدمة «معتزلة البصرة وبغداد» (يناير/كانون الثَّاني ١٩٩٧). وكتب في مستهل مقدمته قبل انتحال مقدمة كتابي كاملةً أنه نشر كتاباً العام ١٩٩٨ تحت عنوان «رؤية جديدة في المعتزلة»، ولم أرها(1046).

ثانياً: اشتهرت قضية الشَّيخ عائض القرني والكاتبة سلوى العضيدان اشتهاراً واسعاً؛ لأن الرَّجل فقيه ذائع الصِّيت ببلادة المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، إلى جانب أنه انتحل المعرفة مِن امرأة، وهذا في ثقافته التعليمية الدِّينية أقل شأناً منه فهو الذَّكر وهي الانثى! فبعد جدل تحولت فيه العضيدان إلى متهمة، تعرضت لسخط مريدي الشَّيخ ومعجبيه، قضت الجهة المختصة بالحكم لصالحها، في انتحال معظم «لا تيأس»(كتاب القرني) مِن «هكذا هزموا اليأس»(كتاب العضيدان).

تفجرت القضية بعد دورة معرض الرِّياض الدُّولي للكتاب العام ٢٠١١، وكان كتاب العضيدان «هكذا هزموا اليأس» قد صدر العام (٢٠٠٧)، بينما القرني وقع كتاب في المعرض العام (٢٠١١)، واعتبرت العضيدان أن كتاب الشَّيخ القرني «لا تيأس» عبارة عن «قص ولصق لأفكارها التي نشرتها في كتابها». جاء في الخبر: «قضت لجنة حقوق المؤلف بوزارة الثَّقافة والإعلام بتغريم الدَّاعيَّة عائض القرني مبلغ ٣٣٠ ألف ريال سعودي، في القضية التي تقدمت بها الكاتبة السُّعوديَّة سلوى العضيدان، اتهمته فيها بالاعتداء على حقوقها الفكريَّة، يشمل المبلغ ٣٠ ألفاً للحقِّ العام و٣٠٠ ألف تعويضاً للكاتبة سلوى العضيدان، وشمل الحُكم سحب كتاب لا تيأس للقرني مِن الأسواق، ومنعه مِن التَّداول، ووضعه بشكل رسمي على قائمة المنع حتَّى لا يدخل إلى المملكة»، تم ذلك في يناير (كانون الثَّاني) ٢٠١٢(1047).

بلا شك كانت بادرة رفيعة الشَّأن، أن يُحكم مِن قِبل لجنة حقوق المؤلف المتفرعة مِن وزارة الثَّقافة والإعلام بالمملكة العربية السُّعودية، بمثل هذه

القضايا الثَّقافيَّة. أقول رفيعة لأنها صدرت ضد رجل دِين مؤثر في المجتمع، إضافة إلى غياب الحقوق المعرفية، فليس هناك حقٌّ مهدور كحق المؤلف.

قرأت في سيرة الشَّيخ القرني أنه مِن ولادات ١٩٥٩، بمعنى ما زالت أمامه فسحة ليُزيد على ما لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م) مِن مصنفات، فقيل إنه صنف (٢٥٠) عنواناً، معظمها استغرق عشرات المجلدات، فـ«كتاب المعين» وحده بلغ ثمانين مجلداً بخط يده، وأُخر بلغت العشرين أو الثَّلاثين. ولكثرة ما كتب قيل: «إنه جُمعت الكراريس التي كتبها، وحُسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كلَّ يوم تسع كراريس»(1048).

ويُصنف القرني أنه داعيَّة إسلامي درس المتوسطة في المعهد العلمي بالرِّياض، والعلمي هنا يعني الدِّراسة الدِّينية، تخرج مِن كليةِ أصول الدِّين، وحضر الماجستير في «البدعة وأثرها في الدِّراية والرُّواية»، ثم الدُّكتوراه في «تحقيق المُفهِم على مختصر صحيح مسلم»، وكان خطيب جامع أبي بكر الصدِّيق بأبها. عاصمة منطقة عسير جنوب المملكة العربية السُّعوديَّة.

كان لي موقف مع الشَّيخ في معرض الكتاب بالرِّياض (مارس ٢٠١١)، وهي الدورة التي ظهرت بها القضية إلى الملأ، عندما وقعنا كتابينا متجاورين، وفي وقت واحد. وقع الشَّيخ كتابه المُنتحل «لا تيأس»، وأنا وقعت كتابي «بعد إذن الفقيه»، وللمفارقة ضم كتابي فصلاً بعنوان «الفقهاء والسَّرقة الأدبية»، وفصلاً عن معاملة النِّساء وولاية المرأة.

كنت وآخرون نتحدث عن سيولة التَّأليف في مثل: «لا تحزن»، و «لا تيأس»! وفي هذه الأثناء مرَّ الشَّيخ، والجماهير تحف به، فرمقني بنظرةٍ، وكأن لسان حاله يقول ما قاله الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩م) في محمد الإسكافي (نحو ٢٤٠ هـ)، وهما المعتزليان: «من هذا الغلام السَّوادي الذي بلغنا أنه يعرض لنقض كتبنا»(1049)! لكثرة الزِّحام عليه أخذ السَّاتر الذي ما بيننا يهتز، فقد ازدحم النَّاس عليه ازدحام الجائعين أمام مخبز في عام كعام الرَّمادة! فعلى ماذا يقصدني اختراق الجموع المجتمعة على باب توقيع صاحب «لا تيأس»؟! لحظتها التفت صحفي سعودي إلى تلك الظَّاهرة والتقط صورة لكثرة من احتشد حول الشَّيخ مِن الجماهير، وقلة من حولي مِن الأنفار، مع أنَّه كان يعرض بضاعة مخطوفة!

كانت السَّرقات التي كتبت عنها سرقات رجال مِن رجال، ورِجال دين سرقوا مِن علمانيين مع أنهم يشتمون علمانيتهم ويعتبرونها ضد الدِّين، مثلما حدث مع الاستشهاد ببيت أبي العلاء المعري الشَّهير، مِن دون ذكرٍ لاسمه، الذي يعبر

عن حقيقة التَّعاون والتَّضامن الإنساني، لأن صاحبه متهم عندهم بالزَّندقة، فحلال يسطو على فكره وحرام يقرّ له بفضل(1050)! وهي ليست كذلك بل الدَّعوة إلى وضع قوانين لا يكون الدِّين اشتمل عليها، مثل حقوق المؤلف، وبهذا الإطار يكون الدِّين ديناً والدَّولة دولة. لكنَّ انتحال رجل دين مِن امرأة ألهمني أمراً، وهو الاعتراف غير المقصود بعقل ودِين المرأة، وبالتَّالي تصح ولايتها، ومِن المؤكد أن الشَّيخ قد قرأ، أو اعتقد، بحديث عدم ولاية المرأة، ولم يجهد في البحث فيه كي يثبت عدم صحته، وقد تذكره الصَّحابي نفيع بن مسروح المعروف بأبي بكرة(ت ٥١هـ/ ٦٧١م)، في أيام الجمل بالبصرة(٣٦هـ/ ٦٥٦م): «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً»(1051). ربَّما لا يُفحص سند هذا الحديث وسببه؛ لأنه ورد في الصَّحيح وكفى!

كان السَّند أبا بكرة (ت ٥١ هـ)، رواه عند التهيئة لمعركة الجمل (٣٦ هـ). أما المرأة المقصودة، في الحديث، هي بوران بنت كسرى، التي كتب عنها الطَّبري قائلاً: «أحسنت السِّيرة في رعيتها، وبسطت العدل فيهم، وأمرت بضرب الورق (النُّقود) وإقامة القناطر والجسور، ووضعت بقايا بقيت من الخراج على النَّاس عنهم...»(1052). بل نجد أبا حامد الغزالي (٥٠٥ هـ/ ١١١١م) يصر على عدم ولاية المرأة، وفقاً لهذا الحديث، وإن توافر فيها الكمال: «لا تنعقد الإمامة لمرأة، وإن اتصفت فيها جميع خلال الكمال وصفات الاستقلال»(1053).

أجد في انتحال الشَّيخ القرني مِن امرأة اعترافاً ضمنياً بأنها مساوية للرَّجل، وهي قادرة على الولاية، فالسَّرقة هنا سرقة نتاج عقلي. ذلك إذا علمنا أن الشَّيخ جزء مِن مؤسسة لا تعترف للمرأة بحق الولاية، في القضاء على أقل تقدير، وإذا بأحد رجال المؤسسة يستولي على حصيلة فكرها، ولا يُبرر قول مَن يقوَّل: إنها هي الأخرى استولت على ما كتبه الآخرون!

أثيرت ضد الشَّيخ عائض القرني قضية أُخرى، تتعلق بإغارته على كتاب «صور مِن حياة الصَّحابة» للأديب السُّوري عبد الرّحمن رأفت باشا، وقد قرأ القرني نصوصاً مِن الكتاب في برنامجه التّلفزيوني «هذه حياتهم»، دون الإشارة إلى المؤلف، لهذا غرمته المحكمة بالرِّياض ٣٠ ألف ﷼ سعودي لورثة صاحب الكتاب، لانتهاكه حقوق الملكية الفكريَّة، و١٢٠ ألف ﷼ سعودي لشركة «دار الأدب الإسلامي»، وإيقاف بث إعادة حلقات البرنامج. دام التَّقاضي في المحكمة نحو خمس سنوات، هذا ما صرح به محامي ورثة عبد الرَّحمن رافت باشا، وهو الحقوقي السُّعودي عبد الرَّحمن اللاحم. تم ذلك في فبراير(شباط) ٢٠١٨(1054).

ليست قضية الشّيخ مع الكاتبة سلوى العضيدان الأخيرة في الانتحال، إنما ظهرت قضية سلخه للأشعار، فهو متعدد المواهب في الكتابة والأدب، ففضحت الصحافة السُّعوديَّة إغارته على شعر علي بن جَبلة المعروف بالعكوك(ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م).كي لا يطول الحديث عنه، نكتفي بالإشارة إلى القضية ومصدرها، ويمكن لصاحب الفضول مراجعتها(1055).

الحَسني والتَّونجي

لفت نظري عنوان كتاب «اليزيديون، واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم» للدكتور محمد التَّونجي، وحسبت أن بحثاً جديداً في تاريخ الإيزيدية قد يكشف غموضاً في تاريخ وعقائد هذه الدِّيانة التي كثر الجدل حولها. لكنَّ المفاجأةَ أنْ أجد الكتاب منحولاً من كتاب «اليزيديون حاضرهم وماضيهم» للمؤرخ عبد الرَّزاق الحسني بالكامل، فزاد الغموض غموضاً، وتحولت الفائدة المرجوة إلى همٍ آخر، وهو هم سرقة الكتابة.

كان منتحل كتاب المؤرخ عبد الرزاق الحسني «اليزيديون في حاضرهم وماضيهم» الدكتور والأستاذ الجامعي بحلب، والكويت محمد التونجي، في كتابة «اليزيدون، واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم». أمَّا المجني عليه فهو المؤرخ العراقي عبد الرَّزاق الحسني، والذي أشتهر بموسوعته «تاريخ الوزارات العراقيَّة»، وكان يعمل في أرشيف مجلس الوزراء العراقي.

صدر كتاب الحسني»اليزيديون...» أول مرة العام ١٩٢٩، ثم طبع عدة طبعات، حتى صدرت العام ١٩٨٤ طبعته العاشرة. صدر مرة باسم «اليزيديون...» وأخرى باسم «عبدة الشيطان». وتصل تركة الحسني في التاريخ والأديان والمذاهب إلى تسعة وعشرين كتاباً، أفخرها «تاريخ الوزرات العراقية». هذا عبد الرزاق الحسني. أما التَّونجي أستاذ جامعي، يظهر ذلك من مقدمة الكتاب، ومؤلف لتسعة وعشرين كتاباً أيضاً، ثم زادت كتبه بعد تاريخ طبعة كتابه المنحول.

ألف التونجي في الأدب ستة عشر كتاباً، منها على سبيل التوثيق: «دراسات في الأدب الجاهلي» دمشق ١٩٨٠، «المتنبي أمير شعراء العصر العباسي» جامعة حلب ١٩٨١، «حول الأدب في العصر السلجوقي» بنغازي ١٩٧٤ و «بدر شاكر السياب» بيروت ١٩٦٨. وله في الثقافة والعلوم (نذكر هذا العنوان حسب تصنيفه لكتبه) سبعة كتب منها «المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات» دمشق ١٩٨٦، «الغزو المغولي حتى عين جالوت» لندن ١٩٨٦. وله في التحقيق خمسة كتب، منها «دمية القصر» للباخرزي (ثلاثة مجلدات)

دار الحياة ١٩٧٤و «أسماء الكتب» لرياضي زادة، القاهرة ١٩٧٥، ومؤلف قواميس أيضاً.

بعد أن ذكرنا هوية المؤرخ الحسني وهوية الدكتور محمد التونجي، نأتي إلى مسرح قضية انتحال ونشر كتابه «اليزيديون. واقعهم. تاريخهم» من قبل الدَّار السَّلفية بالكويت، السنة ١٩٨٨. يتشابه الكتابان تماماً، بداية من العنوان، وخطة الدِّراسة، وترتيب عناوين الفصول، والاقتباسات، والهوامش، والفهرس، إلى حجم الكتاب وعدد الصفحات، فكلٌّ منهما احتوى ١٥٨ صفحة. لم يكتف التونجي بسلخ الكتاب، حروفاً وأفكاراً، بل قام عن جهل أو لغرض التَّضليل بتشويه مصادر الاقتباسات، فقد نسب لعبد الرَّزاق الحسني ما اقتبسه الأخير من أبي سعد عبد الكريم السمعاني(ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) صاحب كتاب «الأنساب» المعروف، مع أن بينهما ثمانية قرون من الزَّمن.

اعتقد التَّونجي أنه بتثبيت مراجع خالية من اسم الكتاب، المنحول منه، سيوهم القارئ أو المهتم ويمرر سرقة لحروفه حرفاً حرفاً، فبدلاً من اسم الكتاب «اليزيديون في حاضرهم وماضيهم» ذكر اسم الكتاب بـ«عبدة الشَّيطان» في مصادره، وهو الكتاب الوحيد بين قائمة المراجع، التي يدعي التونجي أنه استعان بها، ذكره بلا تاريخ ولا مكان طبع أو نشر، مع أن الكتاب المذكور، بالاسم المذكور، كان له تاريخ ومكان طبع ونشر، وطبعاته كانت مؤرخة ١٩٣١، ١٩٥١، ١٩٥٣، ١٩٦١. واكتفى بذكر النِّسخة المترجمة إلى الفارسية عن طريق سيد جعفر غضبان، باسم «يزيديها وشيطان برستها».

نؤكد أن السَّرقة تمت من كتاب الحسني «اليزيديون في ماضيهم وحاضرهم» الطبعة العربية العام ١٩٨٤(منشورات المكتب العربي لتوزيع المطبوعات)، يتضح ذلك من خلال مقابلة النصوص والأفكار والإضافات التي عادة يضيفها الحسني على كلِّ طبعةٍ جديدةٍ مِن كتبه. وحتى يختفي أثر السَّرقة قام التَّونجي بنسب بعض الهوامش والرِّوايات إلى مترجم الكتاب، بذكر اسمه هكذا (غضبان).

نماذج من النصوص المنحولة حرفياً:

الحسني (صفحة ١٣): «ربما كان مِن الصَّعب أن يتحرى الإنسان أصل الفرق والأديان من ألفاظ أعلامها أو عناوينها التي تشتهر بها؛ لأن هذه الأسماء وهاتيك العناوين قد حدث فيها تحوير وتحريف، ودخلها كثير من التبدل والتغير، فلا يمكن الرُّكون إلى اشتقاق الكلمات في معرفة أصل المعتقد».

التونجي (صفحة ٤١): «مما لا شك فيه أنه مِن الصَّعب على المرء أن يعرف جذور الفرق والأديان، وأصولها من الأسماء التي اشتهرت بها؛ لأن كثيراً من هذه المعتقدات تكاملت مع مرور القرون؛ ولأن كثيراً من الأسماء اعتراها التحريف والتغيير والتبديل مع مسيرة الأيام».

الحسني (صفحة ٢١): «أجمع المؤرخون وأصحاب كتب السِّير على صلاح الشَّيخ عَدي، الذي تنتمي إليه الطَّائفة اليزيدية، وعلى ورعه وزهده وتقاه، ورفع بعضهم نسبه إلى مروان بن الحكم رابع خلفاء الأمويين واتفقوا على أمويته».

التَّونجي (صفحة ١٧): «أجمع المؤرخون وأصحاب السِّير على أنَّ الشَّيخ عَدي بن مسافر الذي ينتسب اليزيديون إليه رجل صالح زاهد تقي، وهم جميعاً يؤيدون صحة نسبه إلى بني أمية».

الحسني (صفحة ٢١): «فهو شرف الدِّين أبو الفضائل عَدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان، إنه شيخ طريقة خاصة عرفت بالطريقة العدوية».

التونجي (صفحة ١٧): «فاسمه الكامل: الشَّيخ شرف الدِّين أبو الفضائل عَدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان، إنه كان شيخ الطَّريقة الصوفية المعروفة بالعدوية».

الحسني(صفحة ٢٢): «ولقصة مولد الشَّيخ عَدي حديث طريف رواه الشَّيخ محمد الحنبلي في كتابه قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر: كان مسافر بن إسماعيل، والد الشَّيخ عَدي، قد مكث فيها أربعين سنة» إلى آخر الرُّواية.

التَّونجي (صفحة ١٨): «يروي الحنبلي في كتابه قلائد الجواهر قصة طريفة عن ولادة الشيخ، فيحكى أن والده مسافر بن إسماعيل دخل الغابة...» إلى آخر الرُّواية طبق الأصل دون أن يذكر التونجي مصدرها.

الحسني (صفحة ٣٠-٣١): «كان الشَّيخ عَدي بن مسافر الأموي رجلاً زاهداً صالحاً، جاء من بيت فار بسورية، وأسس طريقة العدوية، ثم انتقل إلى رحمة الله، ودفن في زاويته بليلش».

التونجي (صفحة ٣٣): «على أية حال، فإن الشَّيخ عَدي الأموي رجل صالح وزاهد (لاحظ الإبدال بين الكلمات) ولد في قرية بيت فار وأظهر طريقته العدوية، ثم توفي في زاويته بلاليش ودفن فيها».

الحسني (صفحة ٣١)

«كان الشَّيخ عدي بن مسافر الكردي، الذي استولى على دير يوحنا وايشوع صبران، على فرض صحة ما جاء في مخطوطة راميشوع، راعياً لأغنام الدَّير المذكور، ثم كان قاطع طريق، وسافك دماء، بحيث قبض عليه قائد المغول، وأرسله إلى مراغة فأعدم بأمر السلطان الأعظم سنة ٦١٩هـ).

التونجي (صفحة ٣٣): «أما الشيخ عدي بن مسافر الذي حمل على دير القديس يوحنا وأبشوع صبران واحتله، فعلى فرض صحة الخبر الذي رووه، فإننا (لاحظ الجرأة على الانتحال) نرجح أن يكون شخصاً آخر راعياً وقاطع طريق وسفاحاً، وهو الذي ساقه قائد المغول إلى مراغة، وقتل هناك سنة ٦١٩هـ).

ما يخص اعتقاد الأيزيدية في درب التَّبان الكوني:

الحسني (صفحة ٤٤): «وللمجرة اعتقاد غريب عند اليزيدية، فيتناقلون أسطورة خلاصتها: إن رب العباد أقام ضيافة كبرى في السماء دعا إليها الشَّيخ عَدي بن مسافر الأموي، ومن معه مِن المريدين، وكان هؤلاء يركبون الخيل، ولم يكن لدى الباري تعالى ما تأكله الخيل، فأمر الشيخ عدي أحد مريديه أن يهبط إلى الأرض ويأتي له من مزرعته بما يكفي الخيل من التبن ونحوه، فلما عاد المريد إلى السماء ثانية تناثر التبن على الطَّريق، وبقي أثره إلى هذا الأوان ظاهراً جلياً، فسمي هذا الأثر درب التبان، وطريق الكبش، وسمي بلغتهم رياكا كيشاه».

التونجي (صفحة ٨٧): «يعتقد اليزيدية أن الله أعد استقبالاً عظيماً لضيوفه في السماء، ودعا الشيخ عدي بن مسافر الأموي ومريديه، كان مريدو الشيخ جميعاً يمتطون خيولهم، ولم يكن لدى الله تبن في السماء...» إلى آخر الحكاية.

في طاووس ملك عند الإيزيدية:

الحسني (صفحة٤١): «اختلف الكتاب والباحثون في وصف الطائر الذي يسميه اليزيديون والباحثون طاووس ملك، وتفننوا في تصويره، فظن معظم الغربيين أنه صورة الطائر المعروف بالطاووس، ورسموه على تلك الهيأة».

التونجي (صفحة ٨٤): «اختلف الباحثون في وصف الطائر الذي يدعوه اليزيديون بطاووس ملك، وتفننوا كثيراً في تصويره، فيرى أغلب (لاحظ

السذاجة في الانتحال كلمة ظن تصبح يرى، وكلمة معظم تصبح أغلب) الغربيين أن المقصود به هو ذلك الطائر المعروف، وصوروه بشكل طاووس».

ومن نماذج سرقة الهوامش الكثيرة، نذكر الآتي:

الحسني (هامش صفحة ١٥): «الحال لغة الطِّين والحماة، وقد اعتاد اليزيديون أنْ يأكلوا التُّراب النَّاعم مِن تربة مرقد الشَّيخ عدي تبركاً، ويسمونه براتا، كما يأكل بعض الشِّيعيين أحياناً الطِّين المجبول من تربة الحسين ابن(هكذا) علي عليهما السَّلام، ويسمونه الشَّفاء للتبرك، والحال عند الصُّوفية رقية، وهي يرقى الشَّيخ مما يؤكل ويطعمه مَن أراد ألا تؤثر فيه لدغة الحية أو لسعة العقرب».

التونجي (هامش صفحة ٤٨): «الحال لغة الطِّين الأسود، فقد اعتاد كما سنرى اليزيديون، أن يأخذوا تراباً من مرقد الشيخ عدي ويعجنونه ثم يجعلونه على شكل كرات أو أقراص، ويتناولونه بين الحين والآخر، ويدعونه كذلك براءة، ومثلهم مثل الشيعة الذين يأكلون من تربة سيد الشهداء الحسين بن علي (ع) ويدعونه شفاء، والصوفيون يتناولون الحال ممزوجاً بطعام يقرأ عليه الشيخ أو المرشد، ويسمونه رقية، ويعطيها الشيخ لمن يريد، وهذه الرقية تقي آكلها من لدغة الأفعى وعضة العقرب كما يعتقدون».

إن سرقة التونجي تبدو قياسية مقارنة بالسِّرقات الأُخر، مثل سرقة معاني الشِّعر، أو أبيات من قصيدة، أو نص بلاغي، أو اقتباس رواية، فمن تخلفه عن ركب حرامية الحروف أنه سطا على خلاصة فصول الكتاب، التي تعود عبد الرَّزاق الحسني أن يختم بها فصول كتبه، والنموذج الصارخ لهذه الممارسة ما أخذه من (الصفحة ٢٠) من كتاب الحسني ونصه، الذي ورد تحت عنوان «خلاصة الفصل الأول»:

«كان اليزيدية في بداية أمرهم من المجوس فاعتنقوا الإسلام بعد مجوسيتهم، كما اعتنقته الطَّوائف الأخرى، ولما حل الشَّيخ عَدي بن مسافر الأموي بين ظهرانيهم في منتصف القرن السَّادس للهجرة، وأسس طريقته العَدوية، كان اليزيديون أول مَن والاها واعتنقها، وقد غلوا في هذا الشيخ الزاهد غلواً كبيراً، ونسبوا إليه ما لا يصح نسبته إلى مخلوق مثله، ولما انتقل هذا الشيخ إلى جوار ربه في عام ٥٥٧هـ ظهر بين خلفائه بعض من أضلهم، وأبعدهم عن التعاليم الإسلامية الصحيحة، فظهرت فيهم براعم الدين القديم، وعاد القوم إلى معتقداته توارثوها كابراً عن كابر، ولكنها كانت الآن مزيجاً من

عبادات منوعة، وتعاليم غير ثابتة، إنما سموا باليزيدية، لأنهم كانوا يعتقدون بصلاح يزيد بن معاوية اعتقاداً تجاوز الحد حتى قالوا فيه إلهاً».

لخصَ التونجي الفصل الثاني (صفحة ٥٢) بالآتي: «وخلاصة هذا الفصل أن اليزيدية كانوا في بادئ أمرهم مجوساً، ثم دخلوا في الإسلام، وانتشر بينهم في غير عمق بحكم موقعهم، إلى أن برز بينهم الشيخ عدي بن مسافر، فبث دعوته إلى طريقته التي دعيت بالطريقة العدوية. كان اليزيديون أول الطوائف التي انقادت إلى الطريقة العدوية، ونسبوا إليه أموراً كثيرة تسمو عن أي مخلوق، وحين توفي الشيخ عدي سنة ٥٥٧هـ برز (لاحظ استبدال ظهر ببرز) من بينهم أشخاص (استبدال خلفاء بأشخاص) ضللوا البسطاء منهم، وأبعدوهم عن شعائر (التعاليم بدلت بالشَّعائر) الإسلام القويمة (الصحيحة بدلت بالقويمة)، وأعادوا إليهم عقائدهم القديمة التي ورثوها عن أجدادهم (كابراً عن كابر بدلت بأجدادهم)، وعقائدهم هذه نوع من العبادات الممنوعة (المنوعة أصبحت ممنوعة) والتعاليم غير العقلانية. ونحن لا نشك في أن الذين وجهوهم ووعظوهم أدخلوا في معتقداتهم أن يزيد بن معاوية من الخلفاء الصالحين، تحدياً سياسياً ومذهبياً، فاعتدلوا في شأنه بادئ ذي بدء حتى سلكوه في مسلك آلهتهم المقدسة (بدلاً عن قالوا فيه إلهاً)».

نأتي إلى تورط التونجي في تشويه الروايات المقتبسة، والتلاعب بأسماء أصحابها، بعد المقابلة بين الكتابين التي نقرُّ فيها إسهاباً اضطررنا إليه، وإن كانت عبر نماذج من انتحال كتاب بكامله، مع فضل المنتحل في تقديم وتأخير، وإضافة عبارات مثل: على أيِّ حال، ومما لا شك فيه، ونحن لا نشك، وغيرها من العبارات التي توهم القارئ بأنَّ قائلها صاحب رأي وفكر:

كتب الحسني (صفحة ١٥): «قال أبو سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، المتوفي ٥٦٢هـ (١١٦٦)، أي بعد وفاة الشيخ عدي بنحو خمس سنوات، في الورقة الـ (٦٠٠) من كتابه الأنساب، الذي طبعه المستشرق البريطاني مارجليوث في عام ١٩١٢ ما نصه: وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية ...» إلى آخر الرواية. أخذ التونجي هذا الاقتباس نصاً ونسبه مباشرة إلى عبد الرزاق الحسني، وكما أسلفنا أن مسافة الزمن بين الرجلين تصل إلى ثمانية قرون.

قال التّونجي (صفحة ٤٨): «أما آراء سيد عبد الرزاق الحسيني (هكذا) فتختلف قليلاً عما ذهب تيمور باشا إليه، فقال: وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان...» إلى آخر الرواية. مع أن التونجي لم يقرأ تيمور باشا بل نهب النُّصوص من كتاب عبد الرَّزاق الحسني، بدليل أنه لم يشر لا من

قريب ولا من بعيد إلى مصدر اقتباسه، سواء كان عن تيمور باشا أو عن غيره مثل الحنبلي أو عباس العزاوي أو الأب الكرملي أو الأب الصَّائغ، لكنه ذكر بالهامش كتاب الأنساب صفحة ٦٠٠ مثلما فعل الحسني تماماً، مذيلاً بهوامش جاءت في كتاب الحسني(1056).

تبقى الإشارة مهمة إلى أن كتاب الحسني «اليزيديون...» قد أُنتحل قبلها هذا بكثير، انتحله هاشم البناء(مولود ١٩٢٠)، وأصدره تحت عنوان «اليزيدون» عن المكتبة الأهليَّة (طبع في مطبعة الأُمة- بغداد (١٩٦٤)، ولما اطلعت على هذا الكتاب في منتصف التِّسعينيات كنت اعتقد أنَّ اسم المؤلف كان مستعاراً، على أنَّه الحسني نفسه، بعد الضَّجة التي أقامها عليه رؤساء الطائفة الأزدية بالعراق، عندما صدر العام (١٩٢٩) عن مطبعة الفلاح ببغداد، وصدر تحت عنوان «اليزيدية أو عبدة الشَّيطان» عن مطبعة العرفان بصيدا- لبنان(١٩٣١)، ومن الطَّرافة أن الحسني اعتمد صدور الكتاب بعنوان «اليزيديون»(١٩٦٤) وباسم هاشم البناء، كإحدى طبعات الكتاب، قال في «طبعات هذا الكتاب وترجماتها»: «في عام ١٩٦٤م صدرت طبعة جديدة، ولكنّ باسم هاشم البناء، وعنوانها اليزيديون، مع تحريف في بعض العبارات ومعظم النُّصوص (مطبعة الأُمة- بغداد)»(1057).

رودولف ودراوور ورُومي.. والجزائري

إنها قصة أخرى في الانتحال في تاريخ الأديان والمذاهب، ومِن قِبل مَن لا صِلة لهم في هذا المجال، أغار الكاتب العراقي محمد الجزائري على أربعة باحثين، ليجمع من كُتبهم كتاب «المندائيون الصَّابئة»، نشره المعهد الملكي للدراسات الدِّينية الأردني (٢٠٠٠) تضمن ٣٠٩ صفحة من الحجم الكبير. تشابه عنوان الكتاب مع عنوان كتاب المستشرقة البريطانيَّة الليدي دراوور(ت ١٩٧٢) «الصَّابئة المندائيون»، فما بين العنوانين تبديل بمحل الكلمات، لكنَّ هذا قد لا يعني شيئاً، ولا يعد انتحالا فالعبرة بسلامة النُّصوص. فسليم برنجي، وهو أحد أبناء الطائفة بإيران، نشر كتابه بعنوان «الصابئة المندائيون» لكنه تبعه بجملة معرفة «دراسة في تاريخ ومعتقدات القوم المنسيين». كذلك أخذ الجزائري من المستشرق الألماني والمختص بالمندائية كورت رودلوف(ت٢٠٢٠)، كتابه «النّشوء والخلق في النُّصوص المندائيَّة»، أما عن تقديم نفسه أنه على معرفة في اللُّغة الآراميَّة، فتبين أنه انتحل ذلك مِن غضبان الرُّومي، وكتابه «الصَّابئة».

سلك الجزائري في تأليف كتابه طريقة غريبة على أُصول البحث والدراسة؛ فقد اكتفى بذكر المؤلف والكتاب، في قائمة المصادر دون ذكر اسم دار النَّشر

ومكانها وتاريخ نشر الكتاب أو رقم الطبعة، مع إهماله، في ثبت المصادر، لمصدر رئيس في الكتاب هو «النشوء والخلق في النصوص المندائية». بل أخذ يذكره بعبارة: يقول فلان، أو بحسب فلان، ويستمر ناقلا كلامه دون تحديد أو تنصيص، ليأخذ فصولاً حرفياً أو بتقديم وتأخير في العبارات وتحوير بسيط في بداية الفقرات.

نأتي أولاً بنماذج مما انتحله الجزائري حرفيا من المستشرق الألماني كورت رودولف في «النشوء والخلق في النُّصوص المندائية»؛ ترجمة صبيح مدلول السِّهيري، والصَّادر عن جامعة بغداد ١٩٩٤، فالانتحال من هذا الكتاب كان غزيراً. وتجدر الإشارة إلى أن الجزائري رغم أخذه الفصل الخاص بخلق العالم، والذي استغرق الصفحات (١٣٩-١٧٧) من نصوص رودولف، ذكره مرة في المقدمة كإشارة إلى ما كتب في الصَّابئة وأخرى في (الصَّفحة ١٦٠)، بعبارة مختصرة تخص فكرة قدم الظَّلام، وما عدا هذا ليس هناك ذكر أو إشارة إلى اقتباس من كتاب المستشرق المذكور.

رودولف، «النُّشوء والخلق في النُّصوص المندائية»، صفحة ١٦: «يحتوي الأدب المندائي على أوصاف متعددة عن تكوين عالم النُّور، ويعرض الكتاب المقدس (الكنزا ربا) فقرات متنوعة عن هذا الموضوع، وبلغة رمزية تتسم بالغموض ولها تفسيرات عدة. أي هناك عبارات تبدو متناقضة أو غير معقولة في ظاهرها إلا أن استقراءها وعمق التأمل فيها يؤكد على مصداقيتها وتناغمها، بحيث يمكن اعتمادها كحقيقة. ومع تنوع الفقرات وبعض الاختلافات البسيطة بينها يمكننا القول بأنها تشمل على الفكرة الأساسية لعقيدة النشوء والخلق المندائية، ويضم (كنزا ربا الأيمن: الجزء ٣ ص ٦٥ وما بعده) ثلاثة نصوص، تتضمن صيغ النشوء والخلق والتكوين والانبعاث».

الجزائري، المندائيون الصابئة، صفحة ١٥٦-١٥٧: «يحتوي الأدب المندائي على أوصاف متعددة عن تكوين (عالم النور)، ويعرض الكتاب المقدس (كنزا ربا) فقرات متنوعة عن هذا العالم، وبصيغ رمزية تتسم بالغموض وتقبل تفسيرات عدة، وهي تشمل الفكرة الأساسي لعقيدة الخلق والنشوء والانبعاث، إذ يقدم المعنى العام فكرة أنه من الثمرة الأولى تكونت الكائنات النورانية: (ملائكة النور) وموطنها مصدر عالم النُّور وتكوينه، وتكون الماء العظيم والوطن والأشياء، ويضم (كنزا ربا الأيمن: الجزء ٣ ص ٦٥ وما بعده) ثلاثة نصوص». لا ندري ما معنى إقحام مفردة الوطن في خلق الكون؟ وفضل الجزائري في هذا النص حصر عبارة عالم النور بين قوسين، واستبدال كلمة الموضوع بكلمة العالم، وكلمة بلغة بصيغ، ولها تفسيرات أصبحت تقبل تفسيرات، مع تقديم وتأخير في العبارات.

رودولف، الصَّفحة ٢٠: النَّص الثَّالث: «بعد أن نظر منادهي إلى عالم الظّلام، وتأمل فيه، سأل (الحياة) عن أصل (العالم الشِّرير) وقاطنيه، وبدلاً مِن أنْ يحصلَ على الجواب جاء الرَّد على شكل علم او تعاليم» (كنزا ربا ٧٣).

الجزائري، الصفحة ١٥٨:في النَّص الثَّالث: «بعد أنْ نظر «منادهي» إلى عالم الظَّلام، وتأمل فيه، سأل «الحياة» عن أصل (العالم الشِّرير) وقاطنيه، وبدلاً من أن يحصل على الجواب جاء الرد على شكل علم أو تعاليم»(كنزا ربا ٧٣).

رودولف، الصَّفحة ٢١: «الجديد في النص ورود «مصطلح الإشعاع الحي أو الحرارة الحية أو الإشعاع الوهاج»، (النور)، وانبعاث «الثَّمرة العظمى» بقوة «ملك النُّور»، وفيما يأتي نص يتضح فيه أنَّ «ملك النُّور» (الرَّب أو الخالق العظيم أو الحي العظيم)، «خلق الثَّمرة العظمى»، (قلستا: ١٤١).

الجزائري، الصفحة ١٥٨: «الجديد في النَّص ورود مصطلح «الإشعاع الحي» أو الحرارة الحيَّة او «الإشعاع الوهاج»، النُّور، وانبعاث الثَّمرة العظمى بقوة ملك النُّور». ثم يأتي النَّص بالكامل كما عند رودولف.

أخذ الجزائري كل ما يتعلق في خلق الكون والعالم الأرضي نصوصاً حرفية من رودولف، ومن نموذج ذلك:

رودولف، الصَّفحة ٧٤: «ترتبط عملية خلق المشاركين في التَّكوين مع عملية خلق العالم الأرضي ارتباطاً مباشراً، ولكنَّ لأسباب عملية ولتوضيح الفكرة بصورة أدق قبل خلق العالم الأرضي. نصوص عديدة في (كنزا ربا) تتحدث عن خلق العالم الأرض، كما هو الحال بالنسبة للتعاليم حول الكائنات النورانية الأولى».

الجزائري، الصفحة ١٦٢: «ترتبط عملية خلق المشاركين في التَّكوين مع عملية خلق العالم الأرضي ارتباطاً مباشراً، ولكنَّ لأسباب عملية، ولتوضيح الفكرة، بصورةٍ أدق، قبل خلق العالم الأرضي... نصوص عديدة في (كنزا ربا) تتحدث عن خلق العالم الأرضي، كما هو الحال بالنسبة للتعاليم حول الكائنات النُّورانية الأولى».

(رودولف، ١٤١): «تكوين جسم آدم: بثاهيل وملائكة الكواكب كونوا جسم آدم، بغرا، بإيعاز من أبيه «أباثر»، وبقدرة الخالق (الحي العظيم) وإرادته. «بثاهيل» يسمى آدم «ابناً له»، ويعطيه لقب «ملك هذا العالم»، ملكاً وهو مثيله مثيل أباثر».

الجزائري، الصفحة ١٦٥: «خلق الإنسان: «بثاهيل» وملائكة الكواكب كونوا جسم آدم، (تغرا) (هكذا وردت)، بإيعاز من أبيه (أباثر)، وبقدرة الخالق (الحي العظيم) وإرادته، ويسمى (بثاهيل) (لاحظ التقديم والتأخير بين الكلمات) آدم «ابناً له» ويعطيه لقب ملك هذا العالم وهو نظيره ونظير أباثر«(لاحظ استخدام المرادفات فنظيره أصبحت مثيله ونظير أصبحت ومثيل أباثر).

وأخيراً سنأتي على ما انتحله الجزائري من خاتمة كتاب «النُّشوء والخلق في النُّصوص المندائية»، مع أنَّ رودولف ختم ملخصاً موضوعاته ليسهل على قارئ الكتاب فهم محتوياته، وبهذا لا تصلح أنْ تكون مادةً أساسيةً في الكتاب.

رودولف، الصفحة ٢٠١: «ذكر عالم النُّور بتحليل مطول في نصوص عديدة، واتضح من خلال ذلك ألاهوتية مانا، و«لا هوتية الحياة» يوازي أحدهما الآخر، وهما قديما، لم يكونا وحدة متكاملة. فنصوص (كنزا ربا الأيسر)، التي تنطوي على معلومات قديمة العهد ومؤرخة بصورة جيدة إذ تعتبر «الحي العظيم» (الخالق العظيم) بمثابة الكائن السَّامي فقط، ومرسله هو «منداهي» بدلاً مِن «مانا» ذي الطَّبيعة الخاصة أو (الذَّاتية) كرمز «نشمثا»، وقديماً يرمز مفهوم الـ«مانا» إلى الانقسام الذَّاتي للحياة، ثم بدأ يتجسم وأصبح قسماً منه مكان الحياة. وظهور الـ«مانا» بدلاً من «نشمثا» أو (نسمة الحياة) أو النَّسمة يعود إلى التَّصورات حول خلود نشمثا».

الجزائري، الصَّفحة ١٦٦: «إنَّ «لاهوتية مانا»، و«لا هوتية الحياة» يوازي أحدهما الآخر، وهما، قديماً، لم يكونا «وحدة متكاملة»، فنصوص «الكنزا..» (الأيسر) تنطوي على معلومات قديمة العهد ومؤرخة بصورة جيدة، تعتبر «الحي العظيم» أو (الخالق العظيم) بمثابة (الكائن السامي) فقط، ومرسله هو «منداهي» بدلاً من مانا ذي الطَّبيعة الخاصة (الذَّاتية) كرمز «نشمثا»، حيث يرمز مفهوم الـ«مانا» قديماً إلى الانقسام الذاتي للحياة، ثم بدأ يتجسم؛ ليصبح قسماً منه مكان الحياة، (يضيف الجزائري سطراً عاماً عن قصة الخليقة البابلية، دون أن يذكر مصدره أيضاً، ويستمر بالانتحال) وظهور «مانا» بدلاً مِن نشمثا بحسب «الكنزا» الأيسر، أي ظهور «نسمة الحياة أو النَّسمة» يعود إلى التَّصورات (هكذا وردت) حول «خلود (نشمثا)».

رودولف، الصَّفحة ٢٠٤-٢٠٥: «اهتمت نصوص عديدة في (كنزا ربا) بعملية تكوين الإنسان، إذ أننا نجد فيها التفريق بقوة بين تكوين الجسم (بغرا) أو الجسد «سطونا» لآدم، أيّ أنَّ تكوين جسم، آدم «آدم ـ بغرا» حصل من قبل المشاركين في عملية التَّكوين وملائكة الكواكب بأمر من الخالق العظيم،

حيث نجد فيه ملامح مِن العالم الأكبر (عالم النُّور). و«هبوط نشمثا» في الجسد من قبل أحد الكائنات النُّورانية، ولا توجد نصوص موحدة عن ذلك، أي مَن هو الكائن النُّوراني، ومع ذلك نذكر أسماء الرُّسل الذين يتعلق الأمر بهم، وهم «منادهي» أحد الأثري المجهولين، عدد مِن الأثري «الحياة» نفسها «هيبل ـ زيوا»، «جبرائيل»، «ادكاس زيوا». لا يمكن الحصول على معلومات مِن النُّصوص حول تأثير المعرفية في عملية تكوين الإنسان، التي تلعب دوراً في هذه الموروثات، إلا أنَّه يبدو «نشمثا» قديماً قد جلبت من قبل «منادهي» أو أحد الرُّسل المجهولين».

يأخذ الجزائري هذا النَّص ويوهمنا باقتباس بعضه من كتاب «الصَّابئة» لغضبان الرُّومي، والنَّص ورد عند الجزائري مطابقاً لنص رودولف تماماً، فغضبان الرُّومي قد توفي قبل نشر كتاب رودولف بخمس سنوات، وهو عند الجزائري (الصفحة١٧١-١٧٣) كالآتي:

«نصوص عديدة في (كنزا ربا) اهتمت (لاحظ التقديم والتأخير بين الكلمات) بعملية تكوين (أعلاه وردت خلق) الإنسان، نجد فيها التَّفريق بوضوح (أعلاه بقوة) بين (تكوين الجسم) (يغرا)، (يورد الجزائري مرة تغرا وأخرى يغرا ومعنى هذا أنَّه لا يعرف ما تعنيه البغرا)، أو الجسد «شطونا» (أعلاه سطونا) لآدم، أي أنَّ تكوين (جسم، آدم: آدم ـ يغرا) حصل من قبل المشاركين في (عملية التَّكوين) وملائكة الكواكب، بأمر مِن الخالق العظيم، حيث نجد فيه ملامح مِن العالم الأكبر (عالم النُّور). وحلول «أو: هبوط نشمثا» في الجسد بواسطة (أعلاه مِن قبل) أحد الكائنات النُّورانية، ولا توجد نصوص موحدة عن ذلك، أيّ مِن هو هذا (الكائن النُّوراني)؟ ومع ذلك نذكر أسماء (الرُّسل) الذين يتعلق الأمر بهم، وهم: «منادهي» أحد الأثري المجهولين، وعدد من «الأثري»، «الحياة» نفسها، «هيبل ـ زيوا»، «جبرائيل»، «ادكاس زيوا». يقول غضبان الرومي (والكلام للجزائري): «لا يمكن الحصول على معلومات من النُّصوص حول تأثير المعرفة في عملية تكوين الإنسان التي تلعب دوراً في هذه الموروثات». إلا أنه يبدو، كما يعتقد، أن «نشمثا» ـ قديماً ـ قد جلبت من قبل «منادهي» او أحد الرُّسل المجهولين».

انتحال دراوور: بعد كشفنا ما انتحله الجزائري مِن كورت رودولف نأتي إلى ما انتحله نصاً، بدون الإشارة إلى صفحة أو اسم كتاب في نهاية النُّصوص، من كتاب «الصَّابئة المندائيون» (بغداد ١٩٨٧) لليدي دراوور ومترجما الكتاب هما المندائيان: نعيم بدوي وغضبان رُومي، وحتى نكون على بينة أنَّ الجزائري ذكر اقتباسات لدراوور هنا وهناك بلغت في كل الكتاب ١٣ هامشاً، واحد منها باللغة الإنجليزية، والذي أطلق عليه اسم إحالات.

دراوور، الصَّابئة المندائيون، صفحة ٧ ـ ٨: «حول ضفتي الرَّافدين وبخاصة في المناطق السفلية من النَّهرين في ما يسمونه البطائح منها، حيث يصب النَّهران العظيمان مياههما في الأهوار، وحيث يلتقيان في مدينة القرنة، قبل أن يفرغا مياههما في الخليج العربي وفي بطائح عربستان من بلاد إيران حول نهر كارون، الذي يصب هو أيضاً مياهه في الخليج ذاته».

الجزائري، المندائيون الصَّابئة، صفحة ١٩: «إذاً، حول ضفتي الرَّافدين، وبخاصة في المناطق السفلى من النَّهرين، فيما يسمى (البطائح) منهما، حيث يصب النَّهران العظيمان مياههما في الأهوار، وحيث يلتقيان في مدينة «القورنة» قبل أنْ يفرغا مياههما في الخليج العربي، وفي (البطائح) عربستان من بلاد إيران ـ حول نهر كارون، الذي تصب مياهه في الخليج ذاته».

دراوور، الصفحة ١٧: «إنَّ هناك فرقاً في الدِّين كبيراً بين صابئة حران وبين الصابئة الأصليين، أو ما يسميهم ابن النديم صابئة البطائح أو المغتسلة، وقد فطن بعض فقهاء المسلمين لهذا الفرق، فذكر ابن القفطي في كتابه «تاريخ الحكماء» ص٣١١، أنَّ أبا حنيفة وصاحبيه أبا يوسف ومحمداً قد اختلفوا في نكاح الصَّابئة وأكل ذبائحهم، فحرمها أبو حنيفة وحللها صاحباه، فقال أصحابهم إنَّه ليس بخلاف على الحقيقة، إنما هو اختلاف في الفتوى؛ لأنَّ أبا حنيفة سئل عن الصَّابئة الحرانيين، وهم معرفون بعبادة الكواكب، فأجراهم مجرى عبدة الأوثان على تحريم المناكحة والذِّباحة، وصاحباه سُئلا عن الصَّابئيين السَّاكنين في البطحة، وهم فرقة مِن النَّصارى يؤمنون بالمسيح عليه السَّلام، فأجابا بجواز أكل ذبائحهم ومناكحتهم».

الجزائري، صفحة ٢٣): «ألتبست على أبي حنيفة حقيقة الصَّابئة، فاختلف هو مع صاحبيه أبي يوسف ومحمد» (يأخذ كلام القفطي نصاً من كتاب دراوور) ثم يأتي إلى العبارة: «إن ثمة فرقاً كبيراً في الدين بين صابئة حران وبين الصَّابئين الأصليين، أو من يسميهم ابن النَّديم صابئة البطائح أو المغتسلة، وقد فطن فقهاء المسلمين لهذا الفرق، وزالوا اللبس (الجزائري، ٢٣). والحقيقة اللبس في أمر الصابئة لم يزل، والجزائري لا يذكر لنا كيف أزال الفقهاء هذا اللبس؟!

هذه نماذج مِن انتحال محمد الجزائري لنصوص مِن كتاب «الصَّابئة المندائيون» لليدي دراوور، المستشرقة البريطانية التي أتقنت لغة المندائيين، وقامت بترجمة أغلب كتبهم المقدسة، ووضعت قاموساً للغتهم، بعد أنْ استغرق اهتمامها بهم عقوداً مِن عمرها، منذ ١٩٢٣ وحتَّى عجزها عن البحث

والدراسة في بداية الستينيات، ثم توفيت بلندن ١٩٧٢ عن اثنين وتسعين عاماً.

حاول محمد الجزائري في «المندائيون الصَّابئة» تمويه الانتحال، بخلط النصوص بعضها ببعض والتَّقديم والتَّأخير، والاقتباسات الوهمية، ثم استولى على الصُّور التي وثقت بها دراوور كتابها، دون الإشارة إليها، لا من قريب ولا من بعيد، وهي التي التقطتها خلال سنوات طويلة عاشتها بين الصَّابئة.

ما سلخه الجزائري بشأن اللُّغة المندائية، وهي المعروفة بالآراميَّة الشَّرقيَّة، من غضبان الرُّومي(ت ١٩٨٩)، وهو أحد مترجميّ كتاب ليدي دراوور «الصَّابئة المندائيون»، ومِن أبرز مثقفي وتربويي العراق المندائيين، يتعلق بجداول المفردات والمصطلحات المندائية، والتي تحتاج إلى معرفة هذه اللغة التي يجهلها المندائيون أنفسهم إلا قلة منهم، فهل بالفعل كان الجزائري يُجيدها، كلاماً وكتابةً، كي يرسم حروفها ويفسر معانيها؟ وظهر أنه قد أخذها نصا من كتاب رُومي «الصَّابئة» (صفحة: ١٢٣-١٢٥)، وفي «المندائيون الصَّابئة» للجزائري وردت في الصَّفحات: ٢٦٣ ٢٦٦، برسومها ومعانيها دون الإشارة للمصدر أو اسم الكاتب في الأقل(1058).

الحزيمي وعفيفي

نشرت جريدة «الحياة» للكاتب المصري علي عفيفي علي غازي، مقالاً شغل صفحة كاملة مِن الجريدة؛ تحت عنوان «حرق الكتب في التُّراث العربي الإسلامي»، وذلك في عددها (١٩٠٢٧) والمؤرخ في ٥ مايو (أيار) ٢٠١٥ الصفحة السادسة عشرة، الخاصة بالتُّراث. عند الإطلاع على البحث المشار إليه تذكرت أنني قد قرأت، هذا الموضوع، في كتاب للباحث السُّعودي ناصر الحزيمي «حرق الكتب في التُّراث العربي»(دار الجمل ٢٠٠٣). بعد المقابلة بين الكتاب والمقال هالني ما كتبه عفيفي، وهو مختص في التاريخ على ما يبدو مِن سيرته، المنشورة على صفحات الإنترنيت، وحصل على درجة الامتياز في دراسته التاريخية لنيل شهادة الماجستير، وهذا عامل آخر دفعني للكتابة عن قضية الانتحال، يضاف إلى كثرة ما نشره في صفحة التراث(جريدة الحياة) مِن مواضيع تراثية، والجرأة على كتاب أو سطو تتطلب مراجعة ما نشر.

يقول عفيفي في مقدمة مقاله: «وفي هذا البحث نأمل أن نتتبع أسباب التَّخلص مِن الكتب بإتلافها بالحرق أو التقطيع أو الخرق أو الإغراق والغسل بالماء في التراث العربي الإسلامي؛ والتي تتمثل في ستة أسباب كما نرى». أيّ كأن هو المتتبع لا الحزيمي، يا للجرأة في الانتحال! تغري هذه الفقرة

القارئ في إكمال الموضوع، ولِما فيه مِن تتبع بحثي، حسب عفيفي، وكونه نادراً وطريفاً أيضاً، إلى خطورته الثَّقافية.

يصر عفيفي أنَّ البحث بحثه، ولم يسبقه إليه أحد، لكن مباشرة نرى الباحث ناصر الحزيمي يقف أمامنا يقرأ من كتابه ويقول: «ولعلَّ البعض هنا يستغرب أننا لم نتناول الإتلاف بسبب الحروب والقلاقل والتلف بسبب الحوادث، وهي أسباب لها دور كبير في إتلاف الكتب، والسبب في عزوفنا عن تناول ذلك يعود إلى قصدنا إبراز السَّبب القصدي»(ص ٩). أمَّا عفيفي فاختصر نص الخزيمي ليقول: «وهو كثير في تراثنا بخلاف الإتلاف غير المقصود في الحروب والحرائق أو الكوارث الطبيعية».

كتب العفيفي: «وترجع أسباب إتلاف الكتب أو حرقها في التُّراث العربي الإسلامي لعدة أسباب: ويعددها: الأسباب الشَّرعيَّة والأسباب العلميَّة، والأسباب السِّياسيَّة، والأسباب الاجتماعيَّة، والأسباب النَّفسيَة، والأسباب العصبيَة»(مقال عفيفي). ورد في كتاب الحزيمي: «هناك أسباب وراء إتلاف الكتب مِن أبرزها ستة أسباب: الأسباب الشَّرعيّة، والأسباب العلميّة، والأسباب السياسيّة، والأسباب الاجتماعيّة والقبليّة، والأسباب النَّفسيّة، والأسباب التَّعصبيّة»(كتاب الحزيمي، ص ١٧). أللهم يُحسب للعفيفي أنه حذف القبلية من الأسباب الاجتماعية، واستبدل «عصبية» بالتعصبية، بعد أن كلفَ نفسه بهذا الجهد المضني!

نقل عفيفي شروح الأسباب حرفياً، مع تقديم وتأخير أو تبديل كلمة أو كلمتين، قائلاً عن الأسباب الشَّرعيَّة: «وهذه الأسباب تكاد تكون مِن أهم الأسباب، بل تكاد تكون السَّبب الرَّئيس في ظاهرة إتلاف الكتب في تراثنا العربي الإسلامي، فقد أمر النَّبي -صلى اللّه عليه وسلم-، مَن كتب عنه شيئًا غير القرآن أنْ يمحوه، ثم أذن في كتابة سنته، ولم يأذن في غير ذلك، وكلُّ الكتب المخالفة للسنةِ مأذون في محقها وإتلافها، وقد حرق الصَّحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان لما خافوا على الأمة من الاختلاف. والكتب التي أجاز الشرع حرقها وإتلافها هي الكتب المشتملة على الآراء والمذاهب المخالفة، لكتاب اللّه وسنة رسولة المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام، بل ذهب كثير من الفقهاء إلى أن حرق وإتلاف مثل هذه الكتب أولى من إتلاف آلات اللهو والمعازف، وآنية الخمر؛ لأن ضررها أعظم وأكبر»(مقال عفيفي).

جاء في كتاب الحزيمي في الأسباب الشَّرعيَّة: «يكاد أن يكون هذا السَّبب مِن أهم الأسباب التي أوردناها آنفاً، بل يكاد أن يكون السَّبب الرَّئيس في ظاهرة

إتلاف الكتب في تراثنا الإسلامي والعربي... وقد أمر النَّبي -صلى اللّه عليه وسلم- مَن كتب عنه شيئاً غير القرآن أنْ يمحوه، ثم أذن في كتابة سنته، ولم يأذن في غير ذلك، وكلُّ هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السُّنّة غير مأذون فيها بل مأذون في محقها وإتلافها، وما على الأمةِ أضرُ منها، وقد حرقَ الصَّحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان، لما خافوا على الأمة من الاختلاف... والمقصود من هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها، وهي أولى بذلك مِن إتلاف الآت اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر، فإن ضررها أعظم»(الحزيمي، ص ١٧- ٢١).

جاء في بحث عفيفي: «الأسباب العلمية: وهذه الأسباب دقيقة لا يفقهها إلا من أدمن المطالعة لكتب التراجم، وعلم الأسانيد، فقد كان المسلمون في مرحلة الجمع والتَّدوين والإملاء، يملي الشَّيخ على تلاميذه المادة، ولما كان العلماء يخشون أن يصل هذا الأصل المملى ليد أحد الكذابين، فينسبه لنفسه، بحيث يكشط اسم أحد التلاميذ، ويضع اسمه في مكانه، فكان العلماء يوصون بإتلافها بعد وفاتهم، وهذا ما سلكه معظم علماء الحديث صيانة للحديث النَّبوي، وهناك سبب آخر مِن جوانب الإتلاف لأسباب علمية، وهو مخالفة الشَّرط العلمي في الرُّواية والتَّلقي، والتَّتبع للرواة حتى يصل إلى الراوي الذي أخذ الرواية عن الرسول -صلى اللّه عليه وسلم- مباشرة، وتعرضهم لمنهج الجرح والتعليل للتأكد من صدق روايتهم، وصدق علاقتهم بمن نقلوا عنه الرواية، فنجد في بعض الأحيان مخالفة الشروط العلمية مدعاة لإتلاف الكتب»(مقال عفيفي).

نقابل ما سبق بما جاء به الحزيمي: «السَّبب العلمي: وهذا السَّبب مِن الأسباب الدَّقيقية، التي لا يفقهها إلا مَن أدمن المطالعة لكتب التَّراجم وعلم الأسانيد... وهو أنهم (المسلمين) في مرحلة الجمع والتَّدوين والإملاء كان الشَّيخ يملي على تلاميذه المادة... ولأنهم يخشون أن يزوِّر أحد الكذابين هذا الأصل، بحيث يكشط اسم أحد التَّلاميذ ويضع اسمه في مكانه. كان العلماء يتلفون هذه الأُصول في حياتهم... وهناك جانب آخر من جوانب الإتلاف لأسباب علمية، وهو مخالفة الشرط العلمي في الرواية والتلقي، حيث نجد أن مخالفة الشروط العلمية في بعض الأحيان مدعاة لإتلاف الكتب»(الحزيمي، ص ٢١-٢٢). يُحسب للعفيفي أنه استبدل الأسباب العلمية بالسَّبب العلمي لا أكثر!

جاء في مقال العفيفي: «الأسباب السِّياسيَّة: وهي من أقدم الأسباب لإتلاف الكتب، حيث كان يخشى الحكام، مِن بعض المؤلفات التي تحتوي على فضائل آخرين، تطغى على فضائلهم، ومِن أمثلة ذلك حرق عبدالملك بن مروان سنة ٨٢هـ كتاباً يحتوي على فضائل الأنصار وأهل المدينة، خشية أن

يقع بيد أهل الشّام فيعرفوا لأهل المدينة فضلهم، وهو خلاف لما عممه عنهم بنو أمية في الشَّام»(العفيفي).

ورد النَّص عند الحزيمي بالآتي: «السَّبب السِّياسي: مِن أقدم الأسباب السياسية لإتلاف الكتب، التي مرت علينا أثناء جمعنا لمادة هذا الكتاب واقعة حدثت في المدينة سنة ٨٢ هـ حيث أحرق كتاب يحتوي على فضائل الأنصار وأهل المدينة، خشي عبد الملك بن مروان أن يقع بيد أهل الشَّام، فيعرفوا لأهل المدينة فضلهم وهو خلاف ما عمَّمه عنهم بنو أمية في الشَّام»(الحزيمي، ص ٢٣). فهل تجدون فارقاً بين النَّصين؟! وبعدها تأتي بقية الأسباب مطابقة بين عفيفي والحزيمي تمام المطابقة، إلا بتقديم وتأخير مثلما نوهنا، والتَّغيير الطَّفيف (مثل السَّبب السِّياسي يصبح الأسباب السِّياسية) ولو أتينا بنصوص بقية الأسباب ما أتسع المجال لها.

ذكر العفيفي في إتلاف الكتب العبارة الآتية: «أمَّا عن طرق إتلاف الكتب فقد تعددت في تراثنا، إلا أنها لم تخرج عن أربع طُرق متعددة ومعهودة»(مقال عفيفي). بالمقابل أتت العبارة عند الحزيمي مطابقة: «تعددت طُرق إتلاف الكتب في تراثنا، إلا أنها لم تخرج عن أربع طُرق معروفة ومعهودة»(الخزيمي، ص ٢٧).

كتب العفيفي: «الإتلاف بالحرق: وهي أشهر طرق إتلاف الكتب، حيث استعملت غالبًا في الساحات العامة، وغالبًا هي طريقة السُّلطة في التعبير عن رفضها العلني لكتب وأفكار معينة»(بحث العفيفي). جاء في كتاب الحزيمي الآتي: «تعتبر هذه الطَّريقة مِن أشهر طُرق إتلاف الكتب، حيث استعملت غالباً في السَّاحات العامة، وغالياً هي طريقة السُّلطة في التعبير عن رفضها العلني لكتب وأفكار معينة»(الحزيمي، ص ٢٧). ثم تأتي بقية طرق الإتلاف بالدفن والغسل بالماء والإعراق والتقطيع والتخريق، وشرحها مطابقة بين مقال عفيفي وكتاب الحزيمي.

بعدها يأتي عفيفي على أسماء الذين أتلفوا كتبهم، ناقلاً نصاً ما كتبه الحزيمي عنهم، وعن سيرهم المختصرة، بداية من سعيد بن جبير(قُتل ٩٥هـ/ ٧١٣م) وسفيان الثوري(ت ١٦١هـ/٧٧٧م) إلى أبي سرور المزجد صفي الدين(ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م)، والمجال لا يسمح بذكرها. حاولتُ إيجاد شخصية جديدة لدى عفيفي أو معلومة غير واردة في كتاب الحزيمي لكنني لم أجد إلا ملخصات منه مطابقة، مع تقديم وتأخير في الشُّخصيات، ظناً من عفيفي أنه أبعد شبهة الانتحال بها.

بعد إماطة اللثام عن سرقة، يعطينا عفيفي شعوراً أنّه استسهل الكتابة في التُّراث، ظناً منه أنَّه استطاع استغفال النَّاشر والقارئ معاً، ومعلوم أنَّ محرري الصَّفحات والمشرفين عليها كمستشارين لا يعفون مِن هذا نشر هذا الانتحال. مع علمنا أنَّ البحث عن معلومة حرق كتاب أو إتلافه بطريقة ما تحتاج إلى جهد البحث لا اختطاف جهود الآخرين. كان على عفيفي، وهو يعمل في التاريخ، حسب سيرته، أن ينشر هذه المادة كقراءة لكتاب ناصر الحزيمي، مع أن المادة التي نشرها عفيفي نقلاً نصياً لا تصلح حتى لقراءة الكتاب، لكننا نقول ذلك مِن باب الاعتراف بجهود الغير، ونحن نعلم أنَّ الخزيمي قد بذل جهده في جمع هذه المادة من بطون الكتب. أقول: لو نشر هذا الموضوع في صحيفة ليست ذات موقع ومنزلة لمرَّ بلا ملاحظة أو انتباه، لكنّ صاحبنا تورط بنشره في صحيفة «الحياة» وهي واسعة الانتشار، ومن كبريات الصُّحف العربية.

مِن جانبه كتب صاحب الكتاب المسلوخ مِن قِبل علي عفيفي «حرق الكتب في التُّراث العربي» ناصر الحزيمي، قائلاً: «نشر في جريدة الحياة مقالة تحت عنوان «حرق الكتب في التراث العربي الإسلامي» لكاتبها علي عفيفي علي غازي فرد عليه الصَّديق الدُّكتور رشيد الخيُّون، وأوضح له أن مادة هذه المقالة مأخوذة بمجملها من كتاب «حرق الكتب في التراث العربي» لمؤلفه ناصر الحزيمي، وأنك لم تشر إلى المرجع، فرد علية كاتب المقالة علي عفيفي علي غازي وتعذر بأن هذه مجرد مقالة صحفية ولا مجال لذكر المراجع والمصادر، وقال إنه رجع إلى كثير من الكتب وعدد أسماء كتب سبق، وإن ذكرت في كتاب حرق الكتب، وهي طبعاً كتب مشاعة للجميع ولا مشاحة، وذكر أنَّه بحث وأضناه البحث ثم قال: «بعد هذا البحث الطَّويل والمضني والشَّاق لم أعثر على أي جديد، لا أنكر أنني اعتمدت فيه على كتاب الحزيمي بخاصة في الجزء الأول منه، والذي يوضح فيه أسباب انتشار ظاهرة حرق الكتب في التراث العربي والإسلامي». ثم قال: «أما أسماء الذين أتلفوا كتبهم، والاقتباسات الخاصة بهم، فإنني لم أنقل نصاً عن الحزيمي، وإنما رجعت كما سبق وذكرت إلى متون الكتب الأمهات ونقلت عنها...».

حقيقة أنا أعجب من محاولة السَّيد علي عفيفي علي غازي المستميتة إصلاح الخطأ بكذبة؛ مع اعتذاري له، ولكنْ لا يوجد وصف أدق من ذلك، فهو يقول: إنه لم يأخذ من كتاب حرق الكتب إلا القسم الأول أيَّ القسم الذي يوضح فيه الكتاب أسباب انتشار ظاهرة حرق الكتب؛ أما القسم الخاص بأسماء العلماء الذين أتلفوا كتبهم، فهو محصلة جهده وإطلاعه وبحثه، ولم ينقل عن الحزيمي فيه أيّ نصٍ، كان من الممكن أن نمرر مثل هذا القول، ونصمت لولا أن الكذبة فضحها خطأ مطبعي غير مقصود، جاء في كتاب حرق الكتب في

القسم الخاص بأسماء العلماء الذين أتلفوا كتبهم. جاء في مقالة علي عفيفي علي غازي «الحافي بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء، المتوفى سنة ٦٦٧ هجرية، قال عنه الخطيب البغدادي...»، هنا خطأ مطبعي لم ينتبه له كاتب المقال وهو سنة وفاة الحافي، وهو نفس الخطأ المطبعي الموجود في كتاب حرق الكتب، هل أنا هنا أحتاج إلى تعليق، والغريب أن السَّيد الكاتب لم ينتبه إلى أني ذكرت في كتاب حرق الكتب سنة ميلاد بشر الحافي ١٥٢ هجرية، فهل تعقل مثل هذه الغفلة، وهل يعقل أن من توفي سنة ٦٦٧ هجرية يترجم له صاحب كتاب الطَّبقات الكبرى أو حلية الأولياء، أو تاريخ بغداد، توفي الحافي سنة ٢٢٧ هجرية، ولك أن تتأمل»(1059). أقولَ: علينا الاعتراف لعفيفي، أنه زاد على عنوان كتاب الحزيمي كلمة الإسلامي، كي لا يُنسى فضله، هذا كلّ جهده كان في نقل كتاب الحزيمي إلى مقال، فالكتاب حجمه صغير وعدد صفحاته قليلة(1060)!

إنَّ ما تقدم ذِكره، لم يتضمن إلا جزءاً مِن السّرقات الفكرية، والجدل الذي دار حوله، فهناك الكثير، مما لم نحصل على مصادرٍ له، أو أنه كان سرقة مبهمة جداً، وما جاء سرقات جزئية، لكنها تدل على أنَّ مرتكبها يمارس السَّرقة بشكل مِن الأشكال، ولا يعف عندما يجد الفرصة سانحة، مثلاً القضية التي اكتشفها الباحث العراقي محمد حسين الأعرجي، وقد استعار كتاباً مِن صديق له قام بها أكاديمي معروف، بين الأوساط الجامعية والأدبية، وهو الطَّاهر أحمد مكي(ت ١٩١٧) أستاذ الأدب في جامعة القاهرة، فقد ظهرت نصوص كثيرة، ومعلومات في كتابه «دراسات في مصادر الأدب- الجزء الأول، وتحديداً في فصل «الأغاني لأبي فرج الأصفهاني»(دار المعارف ١٩٦٨)، منتحلة مِن كتاب الأديب والأكاديمي زكي مبارك(ت١٩٥٢) «النّثر الفني في القرن العشرين». أتى الأعرجي بنصوص مِن الكتابين وقابلهما، فظهراً أنهما واحد، والمؤلف ذكر مصادر كثير إلا زكي مبارك لم يذكره بشيء(1061). مِن جانبنا اطلعنا على كتاب مكي وكتاب مبارك، فلم نجد الأعرجي ابتعد عن الصّواب، عند مقابلة نصوصهما(1062).

الفصل الخامس

الفقهاء ولُصُوصيَّة الكتابة

يجد مَن يُطرح السُّؤال: هل عالج الفقه شأن السَّرقة الأدبية أو سرقة الكتابة أو سَرقة الحُرُوف؟! جوابه عند همام بن غالب الفَرزدق(ت ١١٠هـ/٧٢٨م)، وإنْ لم يكن فقيهاً أورجل دِين، حين قال: «خير السَّرقة ما لا يجب القطع»(1063). لكنّ عندما يُسأل الفقيه عن جريمة السَّرقة الأدبية والفكرية، فبعضهم يأخذها قياساً على سرقة المال، مِن دون عقوبتها، فلم تُشرع أي عقوبة مِن قبل المشرعين الدِّينيين، إلا بما قررت القوانين المدنية في حفظ الملكية الفكرية، وهذه المسألة حديثة جداً. لذا عندما نقرأ عن حقوق المؤلف في الشَّريعة أو الفقه، ليس لها أصل في الشَّريعة، على الرّغم من أنَّ هذا النّوع مِن السَّرقة قديم، يؤيد وجودها القديم ما ذَكرناه، في فصلٍ سابق، عن نَقدها والتَّشهير بمرتكبها والتَّحذير منها.

يبدو أن أقدم نصٍ فقهي يخص الموقف مِن سرقة التَّأليف والاختراع يعود إلى (١٩٨٠)، وهو «قرار المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، والمنع أو التّحريم جاء بالقياس على سرقة المال، التي يلحق مرتكبها في التَّشريع الإسلامي عقوبة قطع اليد، وفق نص قرآني واضح، وهذا لا ينطبق على مرتكب السَّرقة الفكريَّة، لهذا لا وجود لفتوى أو حكم شرعي، أو نص ديني يُحرمها، لكنَّ هناك مَن أخذها، عندما سُئل عن حكمها، قياساً على السَّرقة والغش والخيانة على العموم لا التَّخصيص. فمثلاً يقول أحد الفقهاء: «الكتاب مُلك لمؤلفه، ولهذا يُنسب إليه، ويُحسب عليه، ويُحاسب على أخطائه، وملكيته، هنا ملكية علمية أدبية، وهو أمر اعترف به العالم كُلُّه في قوانينه المدنيَّة»(1064). لاحظ العبارة «اعترف به العالم كلُّه في قوانينه»! ومعلوم أنَّ الدُّولَ الغربية هي التي بدأت في تشريع وتطبيق ما يعاقب على السَّرقة الفكريَّة، وقوانينها مدنيَّة وضعية، فكيف أصبح الفقهاء يقرونها»! ويعتبرونها موقفاً فقهياً إسلامياً؟!

قد يقول قائل ألم يأت شمس الدِّين ابن قيم الجوزيَّة(٧٥١هـ/١٣٥٠م)، على «سُراق الأقلام»، حيث قال في قسم «مِن الحيل طريق يتوصل إلى ما هو حرام»: «ولما أراد الشَّيطان ذلك لم يجد عليه حيلة أدنى مِن الملاهي، وكحيل اللُّصُوص والسُّراق على أخذ أموال النَّاس، وهم أنواع لا تُحصى، فمنهم السُّراق بأيديهم، ومنهم السُّراق بأقلامهم، ومنهم السُّراق بأمانتهم، منهم

السُّراق بما يظهرونه مِن الدِّين والفقر والصَّلاح والزّهد، وهم في الباطن بخلافه، ومنهم السُّراق بمكرهم وخداعهم وغشهم، وبالجملة فحيل هذا الضَّرب مِن النَّاس أكثر الحيل، وتليها حيل عشاق الصُّور...»(1065). غير أنَّ ابنَ القيم لا يقصد قطعاً بعبارته «السُّراق بأقلامهم» لصوصيَّة الكتابة، أو السَّرقة الأدبية، إنما على الأرجح أنه كان يقصد استخدام القلم في كتابة الحرام، وهنا لا يعني أقلام الأدباء والمفكرين، بل أقلام الوزراء والفقهاء والسَّلاطين إلى غير ذلك.

بجعل مؤلف كتاب «حقوق الاختراع والتَّأليف في الفقه» حسين بن معلوي الشَّهراني، الصَّادر (٢٠٠٨) مِن دون نصوص واضحة، تحريم السَّرقة العلمية والأدبيَّة مِن فصول الشَّريعة، بينما ظهرت وفقاً للقوانين المدنيَّة! فلم يلتفت ولم يراعِ الفقهاء هذا الجانب، والسَّبب أنه لا دليل نصي عليه في الكتاب والسُّنَّة، فالسَّرقة المعروفة والمعترف بها في الشّرع الدِّيني، هي سرقة المال النقدي أو العيني، وحدد حده الأدنى الذي تطبق فيه العقوبة ربع دينار أو ما يُقلبها، مثلما تقدم. صحيح أنَّ هناك أحاديثَ تؤكد على الأمانة والعفة والصُّدق، ولكنها قيلت في أمانة الأموال والأعراض، وليست الأفكار، فالشَّهراني يأتي بحديث يقول: «ومَن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده مِن النَّار»(1066). فهذا الحديث له علاقة مباشرة بسرقة الأفكار، أو استعارتها بلا وجه حقّ، أو الإغارة على مؤلفات الآخرين.

يقول الشَّهراني: «ما أثبتته الشَّريعة الإسلاميَّة حقّاً فهو حقّ، إلا ما ثبت طرقها، وما سوى ذلك فلا عبرة به، ومِن باب أولى لا اعتبار لما نهت عنه، وعلى ذلك فإنَّ الشَّريعة الإسلاميَّة هي المانحة الحقوق، والمثبتة والمنشئة لها، فالحاكم هو الله تعالى، كما قال سبحانه [إنَّ الحكمَ إلا لله] (1067).لا نريد الابتعاد عن موضوعنا ونناقش الحاكمية التي دعا إليها أبو الأعلى المودودي(ت ١٩٧٩) ثم روح الله الخميني(ت١٩٨٩)، في كتابيهما الصَّادرين في عنوان واحد «الحكومة الإسلاميَّة»، وكلٌّ حسب مذهبه(1068). لكنَّ ما تفضل به الشَّهراني، وعليه يريد الاعتراف بقانون إسلامي قديم يخص السَّرقة الأدبيَّة، وهو لا وجود له، وأنَّ لا وجود لحقٍّ خارج الشَّريعة، هناك نقول هل يتوقف الزَّمن؟، وكيف كانت العدالة منذ آلاف السّنين؟، وكيف ستكون بعد دهرٍ طويل؟، فما هو معروف أنَّ الشَّريعة مِن تأليف الفقهاء، بما يستندون إليه في القرآن والسُّنّة، لهذا ظل الفقهاء لا ينطقون بشيء يخص السَّرقة الكتابية أو الفكريَّة؛ لأن ليس لديهم دليلٌ يستندون إليه. كذلك يستند الشَّهراني إلى حديث، ومنه يؤكد الموقف الإسلامي مِن السَّرقة الفكرية، وهو «كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»(1069)، وماذا عن غير المسلم؟، وماذا عن غير المؤمن؟، فهل يجوز ضمن ما يريد قوله الشَّهراني أنه يجوز للمسلم

سرقة كتاب ألفه بوذي أو هندوسي أو غير معتقد؟! فإذا ارتبط الحقّ الفكري بدين أو معتقد، لا معنى لاقرار قانون يعنون بـ «حقوق الاختراع والتّأليف»، ونحن نعلم أن الاختراعات قاطبةً أنجزها مِن هم لا تنطبق عليهم الشّريعة الإسلاميَّة.

نقرأ أيضاً في حقوق المؤلف والشّريعة ما جاء في كتاب «نشأة وتطور نظام حماية حقوق المؤلف»، لمحمد بن عبد الله سلامة، الصّادر (٢٠٠٩) وفي جزء منه ورد ما يتعلق بـ «الحماية الفكرية والشّريعة الإسلامية»، جاء فيه الحث الفقهي على احترام ملكية المؤلف، لكنَّ مِن دون نصوص واضحة، تتعلق بالحرام والحلال، إلا بما يتصل بتعميم النُّصوص الدِّينية، التي تؤكد على حماية حقوق الآخرين، مثلاً بما يتصل بالحديث النَّبوي: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة مِن نفس»(1070)، لكنَّ هذا التّنازل يصح في الأموال والأشياء، ولا يصحُ في العِلم والأدب، لا يتنازل صاحب نظرية أو اختراع لغيره أو قصيدة شعر، فالنَّاس بما يخص الملكية الفكريَّة لا يعرفون غير أصحابها المبدعين لها، فهي ليست عقاراً ولا سلعةً حتى تُباع أو تُهدى.

غير أنَّ أهمَ ما جاء في كتاب سلامة أنه طرح كتابه كورقة عمل لتثبيت الحقوق الفكرية؛ باحثاً في نشأة النّظام الحقوقي الفكري، بما يتعلق بحقِّ المؤلف وحقوق العقود التِّجاريَّة، وكلُّ ما يتعلق بالانتاج الذِّهني، وقد جعل في كتابه ملاحقَ مهمة، في مسيرة تطور هذا الضَّرب مِن الحقوق، والحقوق التي تبنتها الدُّول العربية، والتي بعضها بدأت بوجود هذه الحقوق مع القانون العثماني (١٩١٠)، جاء ذلك تحت عنوان «ظهور حقوق المؤلف»(1071).

كذلك أتى على ظهور قوانين حماية المؤلف العالمية، والتي بدأت منذ بداية القرن الثَّامن عشر الميلادي، فترى ما سنته الدَّولة العثمانيَّة قد تأخر نحو مئتي عام، على ما ظهر بالدُّول الأوروبية وأمريكا(1072). ألحق سلامة كتابه بلائحة حقِّ التَّأليف العثماني(١٩١٠)، ونص ملحق الاتفاقيّة العربية لحماية حقّ المؤلف(١٩٦٤)، وملحق الاتفاقيَّة الإسلاميَّة لحقوق المؤلف، وملحق الاتفاقيّة العالميَّة لحقوق المؤلف (١٩٥٢)، والاتفاقيَّة المعدلة في(١٩٧١).

هذا، ومعلوم أن إتفاقية «برن» بسويسرا تعد أقدم الاتفاقيات بشأن حقّ التَّأليف، فقد تمت العام (١٨٨٦)، لكنَّ معظم الدُّول ألتحقت بها، وقامت بالتوقيع عليها بعد القرن العشرين، ومنها التحقت في القرن الواحد والعشرين مثل اليمن، بينما وقعتها بلجيكا والنرويج وألمانيا ودول أخر حال صدورها، ومنها (١٨٩٩)، حتى وصل عدد الدُّول الموقعة والمعترفة بها(١٧٦) دولة(1073).

إباحة الغش

لعدم وجود دليل على حرمة الحقّ الفكري، أجاز بعض رجال الدِّين ممارسة الغش في المدارس الرَّسميّة؛ لأنها غير مكيفة على الشَّريعة الإسلاميَّة، ومَن هم أباحوا الغش في الدراسة التي تكون باللغة الإنجليزيّة مثلاً، وهذا بطبيعة الحال يشمل علوم: الطب والهندسة، والصيدلة، وكل ما هي حياة النَّاس، فهم يتعلمونه في المدارس الرَّسمية، وليس الدِّينية. فلكم تصور الكارثة العلميَّة والثَّقافيَّة في هذا المجال، وهو ما يتعلق باللُّصُوصيَّة الفكريَّة أو الكتابيَّة.

نأتي على نموذجين مِن هؤلاء الفقهاء، بينهم الشّيخ عبد الرَّحمن بن ناصر البراك، أفتى بإباحة الغش في دروس اللغة الإنجليزيّة، وكان شيخه عبد العزيز السَّلمان قد أباحها، جاء في الموقع الرَّسمي للشيخ البراك معتبراً أنها (اللغة الإنجليزية): «تحظى بهذه المنزلة لدى المعجبين المفتونين بالغرب، وتلك مصيبة الأُمة، إنها التَّبعيّة العمياء»(1074). كان أحد رجال الدِّين، وهو الشَّيخ محمد أمين الشَّنقيطي، صاحب كتاب «أضواء البيان»، إذا سأله طالب خلال الامتحان يعطيه الجواب، بلا حرج، ولما راجعته إدارة جامعة الإمام بالرّياض عن ذلك، قال: سألوني وأجبتهم، فقيل له هذه امتحانات، وفيها درجات؟! قال: «ورد عن النَّبي «مَن سئُل عن عِلمٍ فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام مِن نارٍ»(1075). فلما بلغوه بعدم جواز ذلك، قال بصراحة متناهيَّة، وهو أمام نصٍ لا يُحيد عنه: «على شان أمتحانتكم أدخل النَّار»(1076). هكذا يفهم بعض رجال الدِّين قضية الفكر، أنه مباح، وهذا صحيح، لكنّ لم يميزوه كملكية شخصية لمن فكر وكتب واخترع.

غير أن السَّيد محمد محمد صادق الصَّدر(قُتل ١٩٩٩)، أباح الغش في امتحانات المدارس الرَّسميَّة غير الدِّينية في المواد كافة. جاء ذلك رداً على استفتاء أو سؤال قُدم له، مع أن كثير مِن الاستفتاءات، تُقدم مِن أجل أن المفتي يقول كلمته، والإجابة تُعتبر فتوى لمن يستفتيها منه، وتكون ملزمة لمقلديه كافة، لكنَّه في الوضع العِراقي الرَّاهن، وغلبة التَّدين الشَّعبي، وتقديس الرُّموز الدِّينية، تفعل مثل هذه الفتوى فعلها السِّلبي، على الوضع التَّعليمي وبالتَّالي العلمي.

جاء في الاستفتاء والفتوى في المسألة (٤٨٩): «هل يجوز الغش في الامتحانات، إذا كان بعض المدرسين يُساعدون الطُّلاب في الغش في الامتحانات»؟ جواب الصَّدر: «لا دليل على حُرمته»(1077). كذلك ورد في مسألة وجوابها رقم (٤٩٢): «ما رأيكم في ما يُسمَّى الغش في الدِّراسة»؟

جواب الصَّدر: «بسمه تعالى، لا دليل على حُرمته في المدارس غير الدِّينيَّة»(1078).

هذا، مع أنَّ خطر إباحة الغش، في الدُّروس كافة أو في ما يخص اللُّغة الإنجليزية، في المدارس غير الدِّينيَّة يقع تأثيره السِّلبي على المجتمع مباشرة، أولاً: أنَّه يخلق جيلاً لا يجد في الغش ملامة وحرج، فالتَّأثير لا يتوقف عند الغش في الامتحانات، وإنَّما يغدو سلوكاً في الحياة عامة، والأمر الثَّاني يخلق روح الاتكال والكسل والجهل؛ لأنَّه يُغري بالعزوف عن التَّعليم، والأمر الآخر فيه ظلم للطالب المجتهد، الذي لا يجد تقديراً لاجتهاده، وأمر ليس أقل خطورةً مما تقدم، وهو الإضرار بالمجتمع بتخرج أطباء ومهندسين، وأصحاب مجالات كثيرة، لا علم لديهم ولا اجتهاد، ألا يكفي هذا دليلاً على التَّحريم، وفي الأقل سكوت رجل الدِّين، ولا يُفتي ما يهتك التَّعليم والتَّربيَّة معاً! ومدى تعلق ذلك بالفساد المالي والإداري والأخلاقي!؟

هذا ما يخص رجال دين، وعذرهم أنهم لم يجدوا دليلاً على تحريم الغش، وهو السُّوس الذي يأكل العِلم والعقل، لكننا أمام ظاهرة أُخرى، تخص الأستاذة مِن خارج طبقة رجال الدِّين، أخذوا الامتحات هزواً ولعباً، وأباحوا الغش بل ومارسوه، فتكون نسبة النَّجاح مائة بالمائة، يقول المحقق والنَّاقد عليّ جواد الطَّاهر(ت١٩٩٦)، عن ذكرياته في سرداق الامتحان في جامعة فؤاد الأوّل بالقاهرة(١٩٤١-١٩٤٢) عن أستاذة ملأت مؤلفاتهم وترجماتهم الأرض، مثل عبد الرَّحمن بدوي(ت ٢٠٠٢)، وهنا أنقل ما قاله نصاً: «دخلنا السَّرادق، وأخذنا مقاعدنا، وكان في المراقبين الدُّكتور عبد الرَّحمن بدوي، الذي أمطرنا مِن قَبل ونحن في العراق بكتبه الفلسفيَّة تاريخاً ونظرياتٍ وأعلاماً... ولم أرَ في حياتي أضعف مِن الدُّكتور عبد الرَّحمن بدوي في قاعة الامتحان، لقد كان نادلاً بين الطَّالبات، يشرح لهذه السؤال بما يُفيد العِلم، إن كان سؤالاً في متناول معرفته، وينقل لتلك جواباً يختلسه مِن دفتر طالب نجيب، ويسمح لثالثة بفتح حقيبتها وإخراج ما يعينها على الجواب، والرَّجل الفيلسوف فرحٌ بمهمته، سعيدٌ بفعلته، دؤوبٌ في ذهابٍ وإيابٍ، وكأنه يرى النَّظرية واقعاً، والفلسفة تطبيقاً»(1079).

استفتاء في السَّرقة الفكريَّة

استفسرت مِن مراكز دينية ورجال دين عن الموقف الفقهي مِن سرقة الكتاب، بدافع ملاحظتي لرِّجال دين يقومون بإصدار كتبٍ مِن دون مصادر، ومستنسخة مِن كُتب أُخر، ولعدم وجود رأي ديني قاطع مِن تحريم السَّرقة الأدبية أو الفكريَّة، وبعد البحث وثبوت خلو كتب فقه المذاهب الإسلامية،

وما كتب عن السَّرقة وأحكامها في كتب قانونية وفقهية مختصة، من أي إشارة أو تلميح إلى السرقة الأدبية والفكرية، قدمتُ سؤالاً أو استفتاءً، إلى: الأزهر بمصر، ومكتب آية الله علي خامنئي بطهران، ومِن مكاتب فقهاء، والاستفتاء هو: «ما حكم السَّرقة الأدبية والعلمية في الفقه، وأعني سرقة نص مكتوب من كتاب أو مجلة أو أي دورية أخرى، مطبوعة ومنشورة ونسبته إلى كاتب آخر، نصاً أو بعد تحوير وتحرير، وما حكم سرقة الأفكار والآراء الأدبية والعلمية بعد كشفها بالدَّليل القاطع، وهل يشبه حكمها حكم سرقة المال والحلال، مع أنها أكثر خطورة من غيرها»؟! نُشر هذا الاستفساء وردود الفقهاء في صحيفة «الشَّرق الأوسط»(1080).

أجاب على هذا الاستفتاء آية الله علي خامنئي مرشد الجمهورية الإيرانية الإسلامية، ورئيس لجنة الفتوى في الأزهر الشَّريف، والسَّيد محمد حسين فضل الله، والشَّيخ الدُّكتور زكي بدوي عميد الكلية الإسلامية ببريطانيا، وآية الله الميرزا جواد التَّبريزي، والسَّيد فاضل الميلاني أستاذ الجامعة الإسلامية وعضو مجلس أمناء مؤسسة الإمام الخوئي بلندن، وآخرون لم تصلنا ردودهم.

كتب آية الله علي خامنئي عبارة مقتضبة في حكم سارق الفكر والنصوص: «بسمه تعالى، لا يجوز على الأحوط». ومعروف في لغة الفقه أن القول بالاحتياط يأتي بعد وجود إشكال ما، ومعنى عبارته: لا يجوز على الأقوى، ولا يظن القارئ أن في عبارة خامنئي تردد أو تهاون مع هذا النوع من السَّرقة، وإنما هي اصطلاحات الفقه الحذرة، وخصوصاً في مسألة لم تطرح مِن قبل، ولم يعانِ منها الفقيه، ولم يهتم فيها المجتمع المحيط به، فالكُتاب والمثقفون كما هو واقع الحال أقل صلةً والتصاقاً بالفقهاء. فإذا كان المشرعون اختلفوا حول اعتبار اختلاس الكهرباء سرقةً، بحجة أنها شيء غير قابل للحيازة، ويحتاج إلى هضم لفلسفة العلاقة بين المادة والطَّاقة، فكيف سيكون التَّعامل مع سرقةِ أفكارٍ وخواطرَ؟

كانت فتوى لجنة الأزهر في اختلاس الأفكار والنُّصوص واضحة، باعتباره سرقة قد يطول مقترفها حكم سرقة الأموال بتقدير وقياس الفعل، مع التَّمييز بين الاقتباس والسَّرقة، جاء في الفتوى: «تفيد اللِّجنة بأن الاقتباس بكل أنواعه من كتاب أو مجلة أو مرجع جائز شرعاً، ولا شيء فيه، بشرط أن ينسب إلى مصدره وصاحبه عند الكتابة والتَّسجيل، ورده إلى مصدره الأصلي. أما النَّقل من كتاب أو مصدر أو مجلة عند التأليف ونسبة ما كتبه الكاتب، وما نقله عن غيره إلى نفسه، فهذا أمر حرمه الشَّرع والقانون، وهو نوع مِن السَّرقة. أما النَّقل للأفكار وكتابتها وتطويرها وتزويدها بأفكار أخرى

وتحديثها فليس في ذلك شيء، وذلك ينطبق على سرقة الأفكار والآراء العلمية والدينية بشرط أنه عند هذا السؤال تنسب الفكرة إلى مخترعها ومبدعها، وذلك لا يشبه في حكمه شرعاً حكم سرقة الأموال والمتاع من قطع اليد وإقامة الحد، وإن كان يجوز في ذلك التقدير إذا كان الحال كما جاء بالسؤال، والله تعالى أعلم» (توقيع رئيس اللجنة ٣٠ يناير ٢٠٠٣)». والحال المقصود في السؤال هو «هل يشبه حكمها حكم سرقة المال والحلال، مع أنها أكثر خطورة من غيرها»، وحسب التقدير والمشابهة يطول سارق الأفكار والنصوص ما يطول سارق المال العيني من قطع أو حبس.

عدَّ السَّيد فضل الله انتحال النُّصوص تزويراً للحقيقة، مع حكم سرقة الأفكار مثل حكم سرقة الأموال، جاء ذلك في جوابه: «أولاً: لا يجوز نسبة النَّص الثَّابت لكاتب معين إلى كاتب آخر؛ لأنَّه كذب وتزوير للحقيقة. أما اعتباره سرقة بالمعنى الشَّرعي للكلمة فيتبع اعتبار الملكية الفكرية للنص من قبل القانون العام، أو العرف بحيث يؤاخذ الشَّخص على ذلك تماماً كما لو نسب الكتاب إليه؛ أو طبع المؤلف على حسابه لاستثماره من دون إذن صاحبه. ثانياً: الحكم هو الحكم إذا علم بأن الفكرة مأخوذة من الفكر الآخر لا على أساس توارد الخاطر، أو الإعلان بتبنيه من قبل الشَّخص الذي يتبناه» (توقيع محمد حسين فضل الله ٣يناير ٣٠٠٣).

توصل الشّيخ زكي بدوي كباحث ودارس في الفقه إلى حقيقة أن الفقهاء لم يتعرضوا لهذا النَّوع من السَّرقة مِن قبل، ولم يخرجوا بتفسير آية السَّارق والسَّارقة أبعد من السَّرقات العينية، وأشار إلى نقطة مهمة وهي أن المال الفكري لا يحفظ بصندوق أو بنك، وسارقه سارق علانية لا سارق سر، ويرى وضع عقوبة تعزيرية على مرتكبها، ورد في جواب الشَّيخ بدوي: «إنَّ الفقهاءَ لم يتعرضوا لهذه المشكلة، إذ كان اهتمامهم منصباً على السَّرقات العينية، والتي جاء حكمها في آية «والسارق والسارقة.. الآية». أما السَّرقات الأدبية فلا ينطبق عليها تعريف السَّرقة الفقهي، التي تشترط أنْ يستولي السَّارق خلسة على مُلك الغير بقصد تملكه. والمواد الفكرية والعلمية لا توضع في حرز ولا تؤخذ خلسة بل تقع السَّرقة علناً. هذا من جانب، ومن الجانب الآخر فقد كانت السَّرقات الأدبية بمعنى سرقة فكرة معينة في قصيدة، كما أنَّ العلماء كانوا يقتبسون مِن كتابات غيرهم دون ذِكر المصدر، إذ كانوا يرون العلِم أمراً مشاعاً حتى كانوا يفتون بعدم دفع أجر لمعلم القرآن مثلاً. كل هذا لآن الظُّروف الاجتماعية في الماضي كانت لا تمنح الأديب ولا المفكر ثمناً في مقابل إنتاجه. أما اليوم فالمقالات الأدبية والفكرية لها ثمنها، فهي إذن مادة ينبغي حمايتها من جانب الشَّريعة، فأنا أرى أن مرتكبها قد تلبس بجريمة

ينبغي أن يعاقب عليها عقوبة تعزيرية، أي غير محددة، يقررها الحاكم ردعاً لعامة النَّاس مِن ارتكابها، والله أعلم» (توقيع زكي بدوي ١٦ يوليو ٢٠٠٣).

صحيح أن الفقهاء لم يطرقوا موضوع السَّرقة الأدبية، لكنها كمشكلة كانت معروفة، عانى منها الكُتاب والأدباء، فكتبوا ضدها، واحتقروا مرتكبيها، وإن كان شاعراً علماً أو أديباً يُشار إليه بلبنان، وربما يبرر عدم اهتمام الفقهاء في حكمها بالتقليد الذي ساروا عليه في العصور كافة، فأئمة الفقه الخمسة أو السبعة لم تشغلهم هذه القضية، ولم يشغلهم ما هو خارج الهم الديني وما يتصل في العبادات والمعاملات، فكيف يهتم الإمام الشافعي بسرقة الشعر أو كتب الأدب، وهو الذي كبح فطرته الشعرية من أجل اهتمامه الفقهي بالقول(1081).

ولولا الشِّعْرُ بالعُلَماءِ يُزْري

لكنتُ اليومَ أشْعَرَ مِنْ لَبيدِ

اكتفى آية الله الميرزا جواد التبريزي في حكم السرقة الأدبية بعبارة أخلاقية عامة: «لم ينبغِ للمؤمن أن يعمل عملاً يذهب بتعب الغير هدار، والله الموفق إلى السَّداد»، وهو رأي تحذيري يقال في كل شواذ المجتمع، ليس فيه مقارنات الفقيه وحججه واستقرائه.

غير أن أقوى رأي مِن بين المستفتين جاء على لسان السيد فاضل الميلاني، عندما قرن سرقة الفكر بسرقة الولد الصلبي، فكم هي خطيرة إذن؟ دون أن يعطي حكماً صريحاً فيها لكن تشبيه الأفكار والجهد الذّهني، وإن كانت الآية تساوي بين الأولاد والمال في الدُّنيا، ونصها: [الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا](سورة الكهف: ٤٦).

عموماً تشبيه الملكية الفكريَّة بالأولاد يعني أن هذا النَّوع مِن السَّرقة أخطر مِن سرقة الأموال العينية، جاء في جواب الميلاني: «بسمه تعالى.. رغم أن مصطلح السَّرقة بالوصف القانوني قد لا ينطبق على القضية المذكورة أعلاه، فإن أخذ نتاج الآخرين، ونسبته إلى مَنْ أخذه خيانة واضحة، ومخالفة صريحة لآداب المعاشرة والاعتراف بسلطة الكاتب والمؤلف، والشَّاعر ونحوهم على نتاجهم الفكري والأدبي. بل ربّما كانت هذه العملية أشد على صاحبها من اختطاف ولده الصلبي، ونسبته إلى غير أبيه. ومن الواضح أنَّ

الخيانة محرمة في الشّريعة الإسلامية. وإذا استفاد (السَّارق) من هذه العملية فلا يبعد أن يكون مسؤولاً عن التَّعويض، واللّٰه العالم»(سلخ جمادي الأولى ١٤٢٣).

يقود تردد الفقهاء في استخلاص حكم صريح، أو تأكيد عقوبة السَّرقة المعروفة على منتحلي الأفكار والمال المكتوب، إلى إهمال الأولين لهذا النّوع مِن السَّرقة، لكنَّ عذر أولئك أنهم عاشوا عهوداً لا تحتاج إلى مثل هذه الأحكام، ولم تكن الملكيَّة الفكرية شائعة إلى هذا الحد، التي تحتاج وضع قوانين لحمايتها، فعدد الكُتاب كان محدوداً؛ لذا حصروا أمر السّرقة على النص الديني، الذي قصد سَرقة المال والأشياء العينية، ونظروا إلى الأدب والفن كنشاط ثانوي على هامش الحياة، فالرُّواية الأدبية بمفهوم بعض الفقهاء كذب واختلاق، وإن أباحها البعض فهو بما عُبر عنه بـ «الضَّوابط الشَّرعيَّة»(1082)، وهذا لا ينتج أدباً يحتاج فيه الأديب إلى التَّمرد على ما يطوقه، ولا نقصد خرق القوانين، إنما الالتزامات التي يختص بها رجال الدِّين والمتدينين، فهذا عمرو بن بحر الجاحظ(ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨-٨٦٩م)(1083)، ذمه الكثيرون مِن رجال الدِّين على كتبه وسلوكه، الذي لا يتناسب مع صرامتهم في التَّدين(1084). كذلك عُدالبحث في النَّظريات الفلسفية والعلمية زندقةً، والفلاسفة كفاراً(1085)، لذا أظهروا توصيات صارمة في شأن حفظ النص كالحديث النَّبوي(1086)، وحفظ منزلة النَّص القرآني، والكيفية التي يكون عليها مرتله مِن الطَّهارة، والحث على سلامة قراءته ونطق حروفه، وفضائل سوره، وحفظه مِن المساس بقدسيته، وبتفاصيل دقيقة جداً(1087).

المصادر والمراجع

- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ).

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت: دار الثّقافة ١٩٨٧.

- ابن الأثير، عزّ الدين علي بن محمد الجزري الموصلي (ت ٦٣٠هـ).

الكامل في التَّاريخ. بيروت: دار صادر.

اللُّباب في تهذيب الأنساب. القاهرة: مكتبة القدسي ١٣٥٦هـ.

اللُّباب في تهذيب الأنساب. بغداد: مكتبة المثنى، إعادة طبع بالأوفسيت.

- ابن الأثير، ضياء الدِّين نصر الله بن محمد الجزري الموصلي(ت ٦٣٧هـ).

المثل السائر في أدب الكاتب والشَّاعر. تحقيق: محمد محيى الدِّين عبد الحميد. القاهرة: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٩.

- ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدِّين المبارك بن محمد الجزري الموصلي(ت ٦٠٦هـ).

المُرصِع في الآباء والأُمهات والبنين والبنات والأذواء والذَّوات. بغداد: مطبعة الرَّشاد ١٩٧١.

- ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي(ت نحو ٣١٤هـ).

كتاب الفتوح. تحقيق: علي شيري. بيروت: دار الأَضواء للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٩١.

- ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي(ت ١٥٢٤م).

بدائع الزُّهور في وقائع الدُّهور. تحقيق: محمد مصطفى. الاهرة: الهيأة المصريَّة العامة للكتاب ١٩٨٤.

- ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم اللواتي (ت ٧٧٩هـ)

تُحفة النُّظار في غرائب الأمصار(رحلة بن بطوطة). تحرير: ابن جزي. بيروت: دار صادر ١٩٩٨ الطبعة الأولى ١٩٦٤.

- ابن بكار، الزُّبير (ت ٢٥٦هـ)

الأخبار الموفقيات. تحقيق: سلمي مكي العاني. بيروت: دار الكُتب ١٩٩٦.

- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدِّين أحمد (ت ٧٢٨هـ).

الصَّارم المسلول على شاتم الرَّسول، بيروت: المكتبة العصرية ٢٠٠٧.

- ابن تغرى بردى، جمال الدِّين أبو المحاسن يوسف(٨٦٧هـ)

النُّجم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: مطبعة دار الكُتب المصريَّة ١٩٢٩-١٩٥٦(١٢ مجلداً).

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرَّحمن بن عليّ البغدادي(ت ٥٩٧هـ)

أخبار الأذكياء. عناية: بسام عبد الوهاب. بيروت: دار ابن حَزم للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ٢٠١٣.

أخبار الحمقى والمغفلين. بغداد: دار المدى للثقافة والنَّشر ٢٠٠٧.

صِفة الصَّفوة. تحقيق: خالد طرطوس. بيروت: دار الكتاب العربي ٢٠١٢.

المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكُتب العلميَّة ١٩٩٩٢.

- ابن حبيب، محمد (ت ٢٤٥هـ)

كتاب المُحبر. رواية أبو سعيد السِّكري. عناية: إيلزة ليختن شتيتر. بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة.

كتاب المنمق في أَخبار قريش. صححه وعلق عليه: خورشيد أحمد فاروق. بيروت: عالم الكُتب ١٩٨٥.

-ابن حجَّة الحموي، تقي الدِّين أبو بكر بن علي بن محمد(ت ٨٣٧هـ/١٤٣٣م)

ثَمرات الأوراق. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصريَّة ٢٠٠٥.

- ابن حزم، علي بن أحمد الظَّاهري(ت ٤٥٦هـ)

الفصل في الملل والأهواء والنِّحل. وضع حواشيه: أحمد شمس الدِّين. بيروت: دار الكُتب العلميَّة ٢٠٠٧.

المُحلى في الآثار. تحقيق: محمد منير الدِّمشقي. القاهرة: الطِّباعة المنيرية ١٣٥٢هـ.

المحلى بالآثار. بيروت: دا الفكر.

- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد(ت ٥٦٢هـ)

التَّذكرة الحمدونيَّة. تحقيق: إحسان عباس وبَكر عباس. بيروت: دار صادر ١٩٩٦.

-ابن الخطيب، لسان الدِّين محمد بن عبد الله بن سعيد(ت ٧٧٦هـ)

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام مِن ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك مِن الكلام. تحقيق: سيد كسروي حسن. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن خُرْداذبَة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله(ت بين ٢٨٥ ٣٠٠هـ)

المسالك والممالك ويليه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي فرج قُدامة. مدينة ليدن المحروسة: مطبعة بريل ١٨٨٨.

المسالك والممالك (نسخة مصورة). بغداد: مكتبة المثنى.

ابن خلدون، عبد الرّحمن (ت ٨٠٨هـ)

تاريخ ابن خلدون في أيام العرب والعجم والبربر ومَن عاصرهم مِن ذوي السلطان الأكبر المُسمَّى بكتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر. بعناية: علال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس، علق عليه: شكيب أرسلان. القاهرة: مطبعة النهضة ١٩٣٦.

التَّعريف لابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثّقافة ٢٠٠٣.

المقدمة. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. القاهرة: نهضة مصر ٢٠٠٤.

- ابن خِلِّكان، أبو العباس شمس الدِّين أحمد بن محمد(ت ٦٨١هـ)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان. تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة النَّهضة المصريَّة، الطبعة الأولى ١٩٤٨.

- ابن الدَّاية، أحمد بن يوسف الكاتب(ت ٣٤٠هـ)

المكافأة وحِسن العقبى. تحرير: عليّ محمد عمر. القاهرة: مكتبة الخانجي ٢٠٠١.

- ابن السِّكيت، يعقوب بن إسحاق(ت ٢٤٤هـ).

كتاب القلب والإبدال(ضمن كتاب الكنز اللّغوي في اللّسن العربي). علق على حواشيه: أوغست هفتر. بيروت: المطبعة الكاثوليكيَّة للآباء اليسوعيين ١٩٠٣.

كتاب الألفاظ. تحقيق: فخر الدِّين قبَادة. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٨.

- ابن سَلام، أبو عُبيد القاسم(ت ٢٢٤هـ).

غريب الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠١٠.

- ابن سيده، علي بن إسماعي المرسي(ت ٤٥٨هـ)

المُخصص. القاهرة: المطبعة الأميرية، الطبعة الأولى.

- ابن السِّيرافي، يوسف بن أبي سعيد (ت ٣٨٥هـ)

شرح أبيات سيبويه. تحقيق: محمد علي سُلطاني. دمشق: مطبعة الحجاز ١٩٧٦.

- ابن سيرين، محمد(ت١١٠هـ)

تفسير الأحلام الكبير(منسوب). إعداد: عكاشة عبد المنان الطّيبي. بيروت: دار يوسف ١٩٨٨.

- ابن سينا، أبو عليّ الحُسين بن علي(ت ٤٢٨هـ)

القانون في الطِّب. وضع حواشيه: محمد أمين الضَّناوي. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٩٩.

- ابن شداد، عزُّ الدِّين محمد بن عليٍّ (٦٨٤هـ)

تاريخ الملك الظَّاهر. عناية: أحمد حطيط. ألمانيا: فرانزستايز بفيسبان ١٩٨٣.

- ابن الطَّقطقا، محمد بن عليّ بن طباطبا(ت ٧٠٨هـ)

الفخري في الآداب السُّلطانيَّة. بيروت: دار صادر.

- ابن طيفور، أحمد بن طاهر الكاتب(٢٨٠هـ)

كتاب بغداد. تصحيح محمد زاهد الكوثري. ١٩٤٩.

- ابن عباد، الصَّحب إسماعيل كافي الكفاة(ت ٣٨٥هـ)

المُحيط في اللغة. تحقيق: الشَّيخ محمد حَسن آل ياسين. بيروت: عالم الكُتب ١٩٩٤.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت٤٦٣هـ)

الاستيعاب في معرفة الأصحاب. القاهرة: مكتبة نهضة مصر- الفجالة.

-ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد الأندلسي(ت ٣٢٨هـ)

العقد الفَريد. تحقيق: عبد المجيد الرَّحيني. بيروت: دار الكُتب العلمية ١٩٨٣.

- ابن العديم، كمال الدِّين عمر بن أحمد الحلبي الحنفي(٦٦٠هـ)

زُبدة الحَلب مِن تاريخ حَلب. وضع حوتشيه: خليل المنصور. بيروت: دار الكُتب العلمية ١٩٩٦.

- ابن عساكر، علي بن الحَسن الدّمشقي (٥٧١هـ)

تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن العِماد، شهاب الدِّين عبد الحي بن أَحمد الحنبلي(ت ١٠٨٩هـ)

شذرات الذَّهب في أَخبار مَن ذهب. تحقيق: عبد القادر ومحمود الأرناؤوط. دمشق:- بيروت: دار ابن كثير ١٩٨٦.

شذرات الذَّهب في أَخبار مَن ذهب. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

- ابن فارس، أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥هـ)

معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٧٩.

- ابن الفوطي، كمال الدِّين أبو الفضل عبد الرَّزاق الشّيباني الحنبلي(ت ٧٢٣هـ)

تلّخيص مجمع الآداب في مُعجم الأَلقاب. تحقيق: مصطفى جواد. دمشق: وزارة الثَّقافة والإرشاد القومي، مطبوعات مديرية إحياء التُّراث القديم ١٩٦٢.

- ابن قُتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدِّينوري(ت ٢٧٦هـ)

كتاب عيون الأخبار. تحقيق: محمد الإسكندراني. بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٩٧.

- ابن قُدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي (ت٦٢٠هـ)

تحريم النَّظر في كُتُب أهلِ الكَلامِ، العناية والتَّصحيح والتَّعليق: جُورج المُقدسيُّ، لندن: ١٩٦٢.

كتاب التَّوابين. نشره: جورج المقدسي. دمشق: ١٩٦١.

- ابن قطلوبغا، أبو الفداء زين الدِّين قاسم السّودُني(ت ٨٧٩هـ)

تاج التَّراجم. تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. بيروت: دار القلم ١٩٩٢.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدِّين أبو عبد اللّه محمد(٧٥١هـ)

أسرار الشَّريعة مِن أعلام الموقعين. تقديم عبد الله البسام وإبراهيم الجطيلي. الرياض: دار المسير ١٩٩٨.

أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين. عناية: أحمد عبد السَّلام الزُّعبي. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٩٩٧.

أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين. ضبط وترتيب: محمد عبد السَّلام إبراهيم. بيروت: دار الكُتب العلمية.

- ابن ماكولا، الأمير علي بن الوزير بن أبي القاسم الحافظ(ت٤٧٥هـ)

الإكمال في رفع الارتياب عن المؤنلف والمختلف في الأسماء والكُنى والأنساب. تصحيح وتعليق: عبد الرَّحمن بن يحيى المعلمي اليماني. الهند- حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، الطبعة الثَّانيَّة.

- ابن المدبر، إبراهيم بن محمد (٢٧٩هـ)

الرِّسالة العذراء. تحقيق: زكي مبارك. القاهرة: مطبعة دار الكُتب المصريَّة ١٩٣١.

- ابن المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف(ت ٣٠٩هـ)

تفضيل الكلاب على كَثير ممَّن لَبس الثِّياب. تحقيق: عصام محمد شبارو. بيروت: دار التَّضامن ١٩٩٢.

- ابن المعتز، عبد الله العباسي(قُتل ٢٩٦هـ)

طبقات الشّعراء. تحقيق: أحمد فراج. القاهرة: دار المعارف.

- ابن المعمار، أبو عبد الله محمد بن أبي المكارم(ت ٦٤٢هـ)

كتاب الفتوة. تحقيق وتقديم: مصطفى جواد وآخرون. بغداد: مكتبة المثنى ١٩٥٨.

- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)

لسان العرب. تحقيق: عامر أحمد حيدر. بيروت: مكتبة دار الكَتب العلميَّة ٢٠٠٩.

مختار الأغاني في الأخبار والتهاني. تحقيق: العليم الطَّهاوي. القاهرة: الدَّار المصرية للتَّأليف والتَّرجمة ١٩٦٥.

نثار الأزهار في اللَّيل والنَّهار. قسطنطينية: مطبعة الجوائب ١٢٩٨هـ.

- ابن مُنقذ، أُسامة الشَّيزري(ت٥٨٤هـ)

كتاب الأعتبار مذكرات أُسامة بن منقذ في الحروب الصليبية. تعليق وتدقيق: عبد الكريم الأشتر. بيروت: المكتب الإسلامي ٢٠٠٣.

كتاب الاعتبار. تحقيق: هرتويغ درنبرغ. ليدن المحروسة: مطبعة بريل ١٨٨٤.

- ابن ميمون، محمد بن مبارك(ت ٥٩٧هـ)

منتهى الطَّلب مِن أشعار العرب. تحقيق: محمد نبيل طريفي. بيروت: دار صادر ١٩٩٩.

- ابن نباتة، جمال الدِّين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن(ت ٧٦٨هـ)

تلطيف المزاج مِن شِعر ابن الحجَّج. تحقيق: نجم عبد الله مصطفى. تونس-سوسه: دار المعرف للطباعة والنَّشر ٢٠٠١.

- ابن الوردي، سراج الدِّين عُمر بن المظفر البكري(ت ٨٥٢هـ)

خَريدة العجائب وفريدة الغرائب. تحقيق: حَماه الله ولد السَّالم. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠١٢.

ابن وكيع، الحسن بن علي الضبي التنيسي(ت ٣٩٣هـ)

المنصف للسارق والمسروق. تحقيق: عمر خليفة بن إدريس. بنغازي: جامعة قار يونس ١٩٩٤.

- ابن يموت، المهلهل(ت بعد ٣٣٤هـ)

سَرقات أبي نواس. تحقيق: محمد مصطفى هدارة. القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٥٧.

- أبو تمام، حبيب بن أوس الطَّائي (ت ٢٣١هـ)

ديوان الحماسة. شرح: محمد عبد القادر الرَّافعي. مصر: مطبعة التَّوفيق ١٣٢٢هـ.

- الأبشيهي، شِهاب الدِّين بن أَحمد(ت ٨٥٠هـ)

المُستطرف في كلِّ فَنٍ مُستظرف. بيروت: منشورات مكتبة الحياة ١٩٩٢.

- الآبي، الوزير منصور بن الحُسين الرَّزاي(٤٢١هـ)

نثر الدُّر في المحاضرات. تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ. بيروت: دار الكُتب العلميَّة ٢٠٠٤.

-إخوان الصّفا وخلان الوفا (القرن الرّابع الهجري)

الرّسائل. بومباي: مطبعة نخبة الأخيار ١٣٠٥هـ/١٨٨٧.

الرّسائل. تحقيق خير الدّين الزّركلي، مصر: المطبعة العربية ١٩٢٨.

الرّسائل. تقديم: بطرس البستاني. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦.

- الأَسْطُرلابي، هبة الله بديع الزَّمان(ت ٥٣٤هـ)

درَّة التَّاج في شِعر ابن الحجَّاج. تحقيق: علي جواد الطَّاهر. كولونيا- ألمانيا: منشورات الجمل ٢٠٠٩.

- إسماعيل، محمود وآخرون

هل انتهت أسطورة ابن خلدون: جدل ساخن بين الأكاديميين والمفكرين العرب. القاهرة: دار قباء للطباعة والنّشر والتّوزيع ٢٠٠٠.

- إسماعيل، محمود

نهايَّة أسطورة نظريات ابن خلدون مقتبسة مِن إخوان الصَّفا. القاهرة-المنصورة: عامر للطباعة والنَّشر ١٩٩٦.

- الأشعري، سعد بن عبد الله بن خلف القمي(ت نحو ٣٠٠هـ)

المقالات والفِرق. تصحيح وتعليق: محمد جواد مشكور. إيران: وزارة الثَّقافة، مركز انتشارات علمي وفرهنكي ١٣٤١هـ.

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحُسين(ت ٣٥٦هـ)

كتاب الأغاني. تحقيق: إحسان عبَّاس وإبراعيم السَّعافين وبكر عباس. بيروت: دار صادر ٢٠٠٨.

- الأصفهاني، الرَّاغب أبو القاسم حسين بن محمد(ت ٤٢٥هـ)

محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

- الأعرجي، محمد حسين (ت ٢٠١٠)

أجداد وأَحفاد.. تراجم وذكريات. دمشق: دار المدى للثقافة والنَّشر ١٩٩٨.

- الآلوسي، محمود شُكري (ت ١٩٢٤)

بُلوغ الأرب في معرفة أَحوال العرب. شرح وتصحيح: محمد بهجة الأثري. مصر: مطابع دار الكتاب العربي ١٣٤٢هـ.

- أليجيري، دانتي(ت ١٣٢١م)

الكوميديا الإلهيَّة(الجحيم). ترجمة: حسن عثمان. القاهرة: دار المعارف ١٩٨٨.

- إمام الشَّافعي محمد وأشرف صالح محمد

اللُّصُوص والقراصنة في عصر الحروب الصَّليبيَّة.. زيارة إلى تاريخ السَّلب والنَّهب. بيروت: الانتشار العربي ٢٠١٩.

- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ)

المؤتلف والمختلف في أسماء الشّعراء وكَناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم. تحقيق: ف. كُرنكو. بيروت: دار الجيل ١٩٩١.

- الأندلسي، القاضي صاعد بن أحمد (ت ٤٦٢هـ)

طبقات الأمم، تحقيق: حياة العيد بو علوان، بيروت: دار الطّليعة ١٩٨٥.

- البتنوني، محمد لبيب(ت ١٩٣٨)

الرِّحلة الحجازيَّة لولي النِّعم الحاج عباس حلمي باشا الثَّني خديوي مصر. مصر: المطبعة الجماليَّة ١٣٢٩هـ.

- بدوي، عبد الرَّحمن (ت ٢٠٠٢)

دِفاع عن القُرآن ضد منتقديه. القاهرة: الدَّار العالميَّة لكتب النّشر.

- البديعي، الشَّيخ يوسف الدّمشقي(ت ١٠٧٣هـ)

الصُّبح المنبي في حيثية المتنبي. تحقيق: مصطفى السَّقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده. القاهرة: دار المعارف، الطَّبعة الثَّالثة ١٩٩٤.

- بروكلمان، كارل (ت١٩٥٦)

تاريخ الأَدب العربي. ترجمة: عبد الحليم النَّجار. القاهرة: دار المعارف، الطبعة الرَّابعة.

- البشاري، محمد لن أحمد المقدسي(ت ٣٨٠هـ)

أَحسن التَّقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق: محمد مخزوم. بيروت: إحياء التُّراث العربي ١٩٨٧.

- البشير، إيمان السَّماني الطَّيب

الشُّعراء اللُّصُوص في العصر الجاهلي دراسة وصفية تحليلية لدرجة الماحستير. جامعة أم درمان الإسلاميَّة- السُّودان ٢٠١٠.

- البَصْري، صدر الدِّين عليّ بن أبي الفرج(ت ٦٥٦هـ)

الحَماسة البَصْريَّة. تحقيق: علدل سليمان جمال. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٩.

- البطليوسي، عبد الله بن محمد(ت ٥٢١هـ)

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب. تحقيق: مصطفى السّقا وحامد عبد المجيد. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦.

- البغدادي، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب(ت ٤٦٣هـ)

تاريخ مدينة السَّلام وأخبار مُحدثيها وذِكر قُطانها العُلماء مِن غير أهلها وواردتها. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي ٢٠٠١.

- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ)

الفَرقُ بين الفرق وبيان الفُرقة النَّاجيَّة مِنهم. تحقيق: لجنة التُّراث العربي. بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ١٩٨٧.

- البَكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت ٤٨٧هـ)

معجم ما استعجم مِن أسماء البلاد والمواضِع. تحقيق: مصطفى السَّقا. بيروت: عالم الكتب ١٩٤٥.

- البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)

كتاب جُمل مِن أنساب الأشراف. تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي. بيروت دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٩٦.

البلخي، أبو القاسم(ت٣١٩هـ) الهمداني، القاضي عبد الجبار(ت ٤١٥هـ) الجشمي، الحاكم(ت٤٩٤هـ)

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة. تحقيق: فؤاد السَّيد. تونس: الدَّار التُّونسيَّة ١٩٧٤.

-البياتي، جعفر

مفهوم الدَّولة عند الطَّرطوشي وابن خَلدون. تونس- سوسة: دار المعارف للطباعة والنَّشر ١٩٩٠.

- البَيرُوني، أبو الرَّيحان محمد بن أحمد(ت ٤٤٠هـ)

الجماهر في الجواهر. تعليق: أحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكُتب العلمية.

- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت ت نحو ٣٢٠هـ)

المحاسن والمساوئ. بيروت: دار صادر ١٩٧٠.

البيهقي، ظهير الدّين أبو الحسن عليّ (٥٦٥هـ)

تاريخ حكماء الإسلام. تحقيق: محمد كرد علي. دمشق: مطبعة المفيد الجديدة، مصور عن مطبعة التَّرقي ١٩٤٦.

كتاب تتمة صوان الحِكمة. باكستان- لاهور: ١٣٥١هـ.

- التفتازاني، سعد الدِّين بن مسعود بن عمر(ت٧٩٢هـ)

شَرح التَّفتازاني على الأحاديث الأربعين النَّوويّة. تحقيق: محمد حسن إسماعيل. بيروت: دار الكتب العلمية.

- التَّنكابني، الميرزا محمَّد بن سليمان(ت ١٩٠٢)

قُصص العُلماء. ترجمة: الشَّيخ مالك وهبي. بيروت: دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٢.

- التَّنوخي، القاضي أبو علي المُحسَّن بن علي(ت ٣٨٤هـ)

الفَرج بعد الشِّدة. تحقيق: عبود الشَّالجي. بيروت: دار صادر ١٩٧٨.

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. تحقيق: عبود الشّالجي، بيروت: طبع خاص ١٩٧١.

- التَّوحيدي، أبو حيَّان علي بن محمد (ت ٤١٤هـ)

الإمتاع والمؤانسة. تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزّين. بيروت: دار الحياة للطباعة والنَّشر.

البَصائر والذَّخائر. تحقيق: محمد السَّيد عُثمان. بيروت: دار الكُتب العلميَّة.

الرِّسالة البغداديَّة. تحقيق: عبود الشّالجي. بيروت: دار الكتب ١٩٨٠.

المقابسات. القاهرة: المكتبة الرَّحمانيَّة.

المقابسات. تحقيق: محمد توفيق حسين. بيروت: دار الآداب ١٩٨٩.

الهوامل والشَّوامل(مشترك مع مسكويه). تحقيق: أحمد أَمين وأحمد الصَّقر. القاهرة: مطبعة التَّأليف والتَّرجمة والنَّشر ١٩٥١.

ثابت، محمد

رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثَّقافة ٢٠١٢.

- الثَّعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النِّيسابوري (ت٤٢٩هـ)

ثِمار القُلوب في المضاف والمنسوب. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصريَّة ٢٠٠٣.

فقه اللُّغة وسِرُّ العربيَّة. تحقيق: أملين نسيب. بيروت: دار الجيل.

يتيمة الدَّهر في محاسن أَهل العَصر. تحقيق: مفيد محمد قميحة. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٨٣.

- الجاحظ، عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ)

البُخلاء. تحقيق: كرم البُستانب. بيروت: دار صادر ١٩٩٨.

البيان والتّبيين. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة: الخانجي ١٩٩٨.

الحَيوان. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ١٩٦٨.

رسائل الجاحظ. تحقيق: عبد السَّلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٦٤.

المحاسن والأضداد(منسوب). مصر: مطبعة الجماليَّة ١٣٣١هـ.

- الجحَّاوي، موسى بن أحمد بن موسى (ت٩٦٨هـ)

زاد المستقنع في اختصار المقنع. توثيق وضبط: سليم الهلالي الأثري. الرِّياض: مكتبة الرُّشد ٢٠٠٢.

- الجرجاني، القاضي علي بن عبد العزيز (ت ٣٩٣هـ)

الوساطة بين المتنبي وخصُومه. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطَّبعة الثَّالثة، الثَّامنَّة ١٩٥١.

- الجرجاني، الشَّريف علي بن محمد(٨١٦هـ)

كتاب التَّعريفات. بيروت: دار الكُتب العلميّة ١٩٩٥.

-الجزيري، الشّيخ عبد الرَّحمن (١٣٦٠هـ)

الفقه على المذاهب الأربعة. بيروت: دار الكتب العلمية.

الفقه على المذاهب الأربعة. بيروت: دار الفكر ٢٠١٩.

الجلالين: جلال الدِّين المحلي(ت ٨٦٤هـ) وجلال الدِّين السِّيوطي(ت ٩١١هـ)

تفسير الجلالين، أشرف على إعداده ومراجعته: محمد أبو عبية ومروان سوار. بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٨٧.

- جمال، عادل سليمان

جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر(جمع وتقديم). القاهرة: مكتبة الخانجي ٢٠٠٣.

جواد، مصطفى(ت ١٩٦٩) وسوسة، أحمد(ت ١٩٨٢)

دليل خارطة بغداد المفصل في خُطط بغداد قديماً وحديثاً. بغداد: المجمع العلمي العراقي ١٩٥٨.

- جوارفسكي، أليكسي

الإسلام والمسيحية. الكويت- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: عالم المعرفة سلسلة كُتب شهريَّة كتاب رقم: ٢١٥.

- الجواهري، محمد مهدي (ت ١٩٩٧)

الجمهرة مختارات مِن الشّعر العربي. تحقيق: عدنان درويش. دمشق: منشورات وزارة الثَّقافة ١٩٨٥

-الجوهري، إسماعيل بن حَماد(ت ٣٩٣هـ)

الصَّحاح تاج اللُّغة وصِحاح العربيَّة. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا. مصر: دار الكتاب العربي ١٩٥٦.

-الحاتمي، محمد بن الحَسن بن المظفر)ت ٣٨٨هـ)

حِيلة المحاضرة في صِناعة الشّعر. تحقيق: جعفر الكتابي. بغداد: وزارة الثَّقافة والإعلام، دار الرَّشيد للنشر ١٩٧٩.

- الحازمي، محمد بن موسى الهمداني(ت ٥٨٤هـ)

كتاب الأَماكن أو ما أتفق لفظه وافترق مسماه مِن الأَمكنة والبلدان المشتبعة في الخط. تحقيق: حمد بن محمد الجاسر. الرِّياض: دار اليَّمامة.

- الحبشي، عبد الله محمد

معجم الموضوعات المطروقة في التَّأليف الإسلامي وبيان ما أُلف فيها. أبو ظبي» هيأة أبو ظبي للثقافة والتُّراث- المجمع الثَّقافي ٢٠٠٩.

- الحبوبي، محمد سعيد النَّجفي(ت١٩١٥)

ديوان محمد سعيد الحبوبي النَّجفي، بعناية وتصحيح: عبد العَزيز الجواهري. بيروت: المطبعة الأهليَّة ١٣٣١(١٩١٢).

- حرز الدِّين، محمد(ت ١٩٤٥)

مَراقد المعارف في تعيين مَراقد العلويين والصَّحابة والتَّابعين والرُّواة والأدباء والشُّعراء. النَّجف: مطبعة الآداب ١٩٧١.

-الحريري، أبو محمد القاسم بن عليّ البصري الحرامي(ت ٥١٦هـ)

مقامات الحَريري. بيروت: المطبعة الأدبيَّة ١٩٠٣.

-الحَسني، عبد الرّزاق(ت ١٩٩٧)

الصَّابئون في حاضرهم وماضيهم. بيروت: مطبعة دار الكُتب، الطبعة العاشرة ١٩٨٠.

اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. منشورات: المكتب العربي لتوزيع المطبوعات، الطبعة العاشرة، الطبعة الأولى عن مطبعة الفلاح ١٩٢٩.

- الحموي، ياقوت(ت ٦٢٦هـ)

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق: إحسان عباس. تونس: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣.

الخزل والدال بين الدُّور والدَّارات والدِّيرة، نسخة بي دي أف مكتبة الفقاهة، على الرَّابط: or.lib.eshia.ir 40535/1/1

معجم البلدان. بيروت: دار صادر ١٩٩٥.

-الحنفي، أبو محمد عبد القادر القرشي(ت ٧٧٥هـ)

الجواهر المضيئة في طبقات الحَنفيَّة. تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. القاهرة: هَجر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٩٣.

- الخاقاني، عليٌّ (ت ١٩٧٩)

شُعراء العري أو النَّجفيات، قم: مكتبة المرعشي النَّجفي، صورة طبع الأصل عن الطبعة النَّجفيَّة.

- خسرو، ناصر العلوي(ت ٤٨١هـ)

سفرنامة. تحقيق: يحيى الخشاب. القاهرة: ١٩٤٣ اعادت الهيأة المصريَّة العامة للكتاب نشره ١٩٩٣ عن النسخة الأصل.

- الخليلي، جعفر(ت ١٩٨٥)

هكذا عرفتهم. بيروت: دار المحجة البيضاء ٢٠٠٩.

- الخوارزمي، أَبو بكر محمد بن العباس(ت ٣٨٣هـ)

الرّسائل. قسطنطينية: مطبعة الجوائب ١٢٩٧هـ.

-الخوانساري، الميرزا محمد باقر الموسوي(ت ١٨٩٥/١٨٩٦).

روضات الجنات في أَحوال العلماء السَّادات. تحقيق: أسد إسماعيليان. إيران: مكتبة إسماعيليان- المطبعة الحيدرية ١٣٩٠هـ.

-دراوور، الليدي(ت١٩٧٢)

الصَّابئة المندائيون. ترجمة: نعيم بدوي وغضبان رُومي. بغداد: مطبعة الديواني ١٩٨٧.

- الدَّشتي، عليّ (ت ١٩٨٢)

٢٣ عاماً دراسة في السّيرة النَّبويَّة المحمديَّة. ترجمة: ثائر ديب. دمشق: البترا للنشر والتَّوزيع، كتاب رابطة العقلانيين العرب ٢٠٠٤.

- الدَّلجي، شهاب الدِّين أحمد بن عليّ (ت٨٣٨هـ)

الفلاكة والمفلوكون. القاهرة: مطبعة الشَّعب ١٣٢٢هـ.

- الدَّميري، كمال الدِّين محمد بن موسى(٨٠٨هـ)

حياة الحَيوان الكُبرى. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

-الدِّيوه جي، سعيد(ت ٢٠٠٠)

بيت الحِكمة. الموصل: ١٩٥٤.

-الدَّيَنوري، أحمد بن داوُد(ت بين ٢٨١-٢٩٠هـ)

الأَخبار الطُّوال. ضبط ألفاظه: محمد سعيد الرَّافع. مصر: مطبعة السَّعادة ١٣٣٠هـ.

- الذّهبي، شمس الدِّين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)

سِير أَعلام النُّبلاء. بيروت: مؤسسة الرِّسالة ١٩٨٨.

العِبر في خبر مَن غَبر. تحقيق: محمد بيسوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

كتاب الكبائر. القاهرة: المكتبة التِّجاريَّة الكبرى ١٣٥٦هـ.

- الرَّازي، الوزير منصور بن الحُسين(ت ٤٢١هـ)

نثر الدُّر في المحاضرات. تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ. بيروت: دار الكُتب العلميَّة ٢٠٠٤.

- راوولف، ليونهارد (ت ١٥٩٦م)

رحلة الهولندي الدُّكتور ليونهارت راوولف(إلى الشَّرق). ترجمة: سليم أحمد خالد. بيروت: الدَّار العربيَّة للموسوعات ٢٠٠٨.

- رايت(ريط)، وليم(ت ١٨٩٩)

جُزْرَة الحاطِب وتُحفة الطَّالب. لايدن: بريل ١٨٥٩.

- الرُّصافي، معروف عبد الغني(ت ١٩٤٥)

ديوان الرُّصافي. القاهرة: مطبعة الاستقامة ١٩٥٩.

الرُّصافي يروي سيرة حياته. تحقيق وتقديم: يوسف عزّ الدِّين. دمشق: دار المدى للثقافة والنَّشر ٢٠٠٤.

كتاب الشَّخصيَّة المحمديَّة. كولونيا: منشورات الجمل ٢٠٠٢.

-رودلوف، كورت (ت ٢٠٢٠)

النُّشوء والخلق في النُّصوص المندائيَّة. ترجمة: صبيح مدلول السّهيري. بغداد: جامعة بغداد ١٩٩٤.

-رُومي، غضبان(ت ١٩٨٩)

الصَّابئة. بغداد: مطبعة الأمة ١٩٨٣.

- الزُّبيري، الزُّبير بن بكار القرشي(ت ٢٥٦هـ)

جَمهرة نَسب قُريش وأَخبارها. تحقيق: عباس هاني الچراخ. بيروت: دار الكتب العلميَّة ٢٠١٠.

-الزَّركلي، خير الدِّين (ت ١٩٧٦)

الأعلام قاموس تراجم. الطبعة الثَّانيَّة.

- زكار، سُهيل

الموسوعة الشَّاملة في تاريخ الحروب الصَّليبيَّة، دمشق: ١٩٩٥.

- الزَّمخشري، جار الله محمود بن همر(ت ٥٣٨هـ)

أساس البلاغة. القاهرة: دار الكُتب المصريَّة ١٩٢٣.

أساس البلاغة. تحقيق: محمد باسل عيون السُّود. بيروت: دار الكُتب العلميَّة ١٩٩٨.

الفائق في غريب الحديث. تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٩٣.

الكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض. الرّياض: مكتبة الرِّياض ١٩٩٨.

المستقصي في أَمثال العرب. بيروت: دار الكُتب العلميَّة.

- الزَّوزني، الحُسين بن أَحمد (ت ٤٨٦هـ)

شرح المعلقات السَّبع. بيروت: عناية: فاتن اللَّبون. بيروت: دار إحياء التُّراث العربي ٢٠٠٥.

-السُّبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن عليّ(ت ٧٧١هـ)

طبقات الشّافعيَّة الكبرى. تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد حلو. القاهرة: دار إِحياء الكتب العربية.

- السَّخاوي، شمس الدِّين (ت ٩٠٢هـ)

التُّحفة اللَّطيفة في تاريخ المدينة الشَّريفة. بيروت: دار الكُتب العلميَّة ١٩٩٣.

- السَّرخسي، أبو سهل محمد بن أحمد(ت ٤٩٠هـ)

المبسوط(فقه حنفي). بيروت: دار المعرفة ١٩٨٩.

- السَّكسكي، عباس بن منصور الحنبلي(ت ٦٨٣هـ)

البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

- سَلامة، محمد بن عبد الله

نشأة وتطور نظام حقوق المؤلف في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة. الرِّياض: الطبعة الثَّانية، طبع خاص ٢٠٠٩.

- سلوم، داوُّد(ت ٢٠١٠)

السّرقات الفنية للآثار الأدبيَّة وتقليدها.. سرقات الدُّكتور محمد نبيل طريفي أنموذجاً. بغداد: مطبعة الأفراح ٢٠٠٥.

-السَّمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور(ت ٥٦٢هـ)

الأنساب. تحقيق: عبد الله عمر البارودي. بيروت: دار الجنان ١٩٨٨.

-السّهيلي، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله الخشعمي(ت ٥٨١هـ)

الرَوض الأُنف في تفسير السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام. ضبط: طه عبد الرّؤوف سعد. القاهرة: شركة الطِّباعة الفنيَّة المتحدة ومكتبة ومطبعة عبد السَّلام شقرون ١٩٧١.

- سيبويه، عَمر بن عثمان بن قنبر (ت ١٨١هـ)

الكتاب. تحقيق: عبد السَّلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٨٨.

- السِّيوطي، جلال الدِّين عبد الرَّحمن(ت ٩١١هـ)

البارق في قطع السَّارق. تحقيق: عبد الحكيم الأنيس. دبي: دائرة الشُّؤون الإسلاميَّة والعمل الخيري ٢٠١٠.

بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحات. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٤.

الفَارق بَين المُصنفِّ والسَّارق. تحقيق: هلال ناجي. بيروت: عالم الكُتب ١٩٩٨.

المزّهر في علوم اللُّغة وأَنواعها. تحقيق: فؤاد علي منصور. بيروت: دار الكتب العلميَّة ١٩٩٨.

- شاكر، أبو فهر محمود محمد(ت ١٩٩٧)

المتنبي رسالة في الطَّريق إلى ثقافتنا. القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني ١٩٨٧.

-شبلي، خيري(ت ٢٠١١)

محاكمة طه حسين. القاهرة: المستقبل بالفجالة والإسكندريَّة، بيروت: مؤسسة المعراف ١٩٩٤.

- الشَّالجي، عبود المحامي (ت ١٩٩٦)

موسوعة العذاب. بيروت: الدَّار العربيَّة للموسوعات.

-الشَّجري، هبة اللّه بن عليّ بن محمد العلوي(ت ٥٤٢هـ)

آمالي الشَّجري. تحقيق: محمود محمد الطَّناحي. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٢.

-الشَّربيني، الشَّيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خُضر(ت بعد ١٠٩٨هـ)

هزُّ القحوف في شَرح قصيدة أبي الشّادوف. القاهرة: طباعة حجرية ١٢٧٤هـ.

- الشَّرقي، طالب علي

عين التَّمر. النَّجف الأشرف: مطبعة الآداب ١٩٦٩ ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره.

-الشَّهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم(ت ٥٤٨هـ)

الملل والنّحل. تحقيق: محمد سيد كيلاني. بيروت: دار المعرفة.

-الشَّوكاني، محمد بن عليّ (١٢٥٠هـ)

البَدر الطَّالع مِن بعد القرن السَّابع. بيروت: دار الكتب العلمية.

- شير، السَّيد آدي(قُتل ١٩١٥)

معجم الألفاظ الفارسيَّة المعربة. بيروت: مكتبة لبنان ١٩٨٠.

- الصَّابي، أبو الحَسَن الهلال(ت ٣٨٤هـ)

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. تحقيق: عبد السَّتار أحمد فراج. مكتبة الأعيان. بلا مكان ولا تاريخ نشر.

-الصَّدر، محمد محمد(قُتل ١٩٩٩)

مسائل وردود. النَّجف: هيأة تُراث الشَّهيد الصَّدر، بيروت: دار مكتبة البصائر ٢٠١٠.

- الصَّفدي، صلاح الدِّين خليل بن أيبك(ت ٧٦٤هـ)

تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف. تحقيق: شريف الحسيني وعصام عبد الرَّحيم وعصام عبد العظيم. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

نَكت الهِميان في نُكت العِميان. بيروت: دار صادر. مصر: المطبعة الجماليَّة ١٩١١.

الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار الإحياء العربي ٢٠٠٠.

الوافي بالوفيات. تحقيق: أبو عبد الله جلال الأسيوطي. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

-صفوة، نجدة فتحي(٢٠١٥)

سلسلة الأعمال المجهولة معروف الرُّصافي. رياض الرَّيس للكتب والنَّشر.

-الصُّولي، أبو بكر محمد بن يحيى(ت ٣٣٥هـ)

أَخبار الرَّاضي بالله والمتقي بالله أو تاريخ الدَّولة العباسيَّة مِن ٣٢٢- ٣٣٣هـ. تحقيق: ج. هيُورث. دن. القاهرة الهيئة العامة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٤ (إعادة نسخ).

- الصَّيرفي، علي بن داوُد الجوهري (ت ٩٠٠هـ)

إنباء الهصر بأبناء العصر. تحقيق: حَسن حبشي. القاهرة: الهيأة المصريَّة العامة للكتاب ٢٠٠٢ الطبعة الأولى ١٩٧٢.

- الطَّاهر، علي جواد (ت ١٩٩٦)

أساتذتي ومقالات أُخرى. بغداد: دار الشُّؤون الثَّقافيَّة العامة- وزارة الثَّقافة والإعلام ١٩٨٧.

- طبانة، بدوي (ت ٢٠٠٠)

السَّرقات الأدبيَّة دراسة في ابتكار الأعمال الأدبيَّة وتقليدها. بيروت: دار الثَّقافة ١٩٧١ الطَّبعة الأولى ١٩٥٦.

- الطَّبرسي، الفضل بن الحَسن (٥٤٨هـ)

مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة ١٩٨٦.

- الطَّبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)

تاريخ الطَّبري المعروف بتاريخ الأُمم والملوك. تحقيق: عبّدأ علي مهنا. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٩٨.

- طريفي، محمد نبيل

ديوان اللُّصُوص في العصرين الجاهلي ولإسلامي. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٤.

-الطّوسي، أبو جعفر محمد بن الحَسن(ت ٤٦٠هـ)

النّهاية في مُجرد الفقه والفتاوى. بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٨٠.

- طه حسين(ت ١٩٧٣)

في الشّعر الجاهلي. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة ١٩٢٦.

في الشّعر الجاهلي. تقديم ودراسة وتحليل سامح كُريِّم. القاهرة: الدَّار المصريَّة اللبنانيَّة ٢٠١٠.

مع المتنبي. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثَّقافة. كتاب بي دي أف، صورة لطبعة ١٩٣٧.

- طه، الشَّيخ محمود محمد(اعدام ١٩٨٥)

الرِّسالة الثَّانيَّة في الإسلام. المنظمة السُّودانيَّة لحقوق الإنسان ١٩٩٦ صدر بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لإغتيال الكاتب.

- الطِّيبي، شرف الدِّين الحُسين بن محمد (ت ٧٤٣هـ)

التّبيان في البيان. تعليق: يحيى مراد. بيروت: دار الكُتب العلميَّة.

-العبَاسي، عبد الرَّحيم بن عبد الرَّحمن(٩٦٣هـ)

معاهد التَّنصيص على شواهد التَّلّخيص. تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد. القاهرة: مطبعة السَّعادة ١٩٤٧.

معاهد التَّنصيص على شَواهد التَّلخيص. تحقيق: حامد عبد اللّٰه المحدودي. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

- عبد العال، خليل محمد

شِعر خَلف بن خَليفة الأقطع. دمشق: وزارة الثَّقافة، منشورات الهيأة السُّوريَّة للكتاب ٢٠١٨.

-العسقلاني، شِهاب الدِّين أحمد بن علي معروف بابن حجر(ت ٨٥٢هـ)

الدَّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة. تصحيح: سالم الكرنكوس الألماني.

رفع الإصر عن قُضاة مصر. تحقيق: عليّ محمد عمر. القاهرة: مكتبة الخانجي ١٩٩٨.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ)

الأوائل. تحقيق: محمد السَّيد الوكيل. القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ١٩٨٧.

الفروق اللغويَّة. تعليق ووضع الحواشي: محمد باسل عيون السُّود. بيروت: دار الكتب العلميَّة ٢٠٠٠.

المصون في الأدب. تحقيق: عبد السَّلام محمد هارون. الكويت: مطبعة الحكومة ١٩٨٤.

- العقيقي، نجيب

المستشرقون. القاهرة: دار المعارف ١٩٨٠.

-العَلوي، المظفر بن الفضل(ت ٦٥٦هـ)

نضرة الإغريض في نصرة القَريض. تحقيق: نُهى عرف الحَسن. دمشق: مجمع اللُّغة العربيَّة ١٩٧٦.

- العلوي، هادي(ت ١٩٩٨)

المنتحب مِن اللُّزوميات نقد الدَّولة والدِّين والنَّاس. نيقوسيا: مركز الأبحاث والدِّراسات الاشتراكيَّة في العالم العربي ١٩٩٠.

- العِمراني، يحيى بن أَبي الخير الشَّافعي اليمني(ت٥٥٨هـ)

البيان في مذهب الإمام الشَّافعي. تحقيق: عبد السَّلام محمد. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

- العميدي، أبو سعد محمد بن أَحمد (ت ٤٣٣هـ)

الإبانة عن سَرقات المتنبي. تحقيق: إبراهيم الدَّسوقي البساطي. القاهرة: دار المعارف بمصر ١٩٦١.

-عواد، ميخائيل(ت ١٩٩٥)

مخطوطات المجمع العلمي العِراقي. دراسة وفهرسة. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٠٨١.

-عياض، القاضي أبو الفضل اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)

الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، بيروت: دار إحياء الكتاب العربي ٢٠٠٣.

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت ٥٠٥هـ).

إحياء علوم الدِّين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار. بيروت: دار ابن حَزم ٢٠٠٥(جزء واحد).

إحياء علوم الدِّين. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

تهافت الفلاسفة. بيروت: دار المشرق، الطبعة الخامسة ٢٠١٠.

فضائح الباطنية (المستظهري). تحقيق: عبد الرَّحمِنْ بدوي. القاهرة: الدَّار القومية للطباعة والنَّشر ١٩٦٤.

كتاب سِر العالمين وكشف ما في الدَّارين(منسوب). القاهرة: مطبعة السَّعادة ١٩٠٩.

مجموع رسائل أبي حامد الغزالي. تحقيق: إبراهيم أمين محمد. القاهرة: المكتبة التوفيقيَّة.

- الغزِّي، نجم الدِّن محمد (ت ١٠٦١هـ)

الكواكب السَّائرة بأعيان المئة العاشرة. تحقيق: جبرائيل سليمان جبور. بيروت: جامعة بيروت الأمريكانيَّة ١٩٤٥.

- الغندجاني، الحسن بن أحمد الأعرابي الأسود(ت نحو ٤٣٠هـ)

فرحة الأديب في الرَّدِ على ابن السِّيرافي.

- فراج، عبد الستار أحمد(ت١٩٨١).

ديوان مجنون ليلى. القاهرة: مكتبة مصر (الفجالة).

-الفيروزآبادي، مَجد الدِّين محمد بن يعقوب(٨١٧هـ)

القاموس لمحيط. تحقيق: مكتبة تحقيق التُّراث في مؤسسة الرّسالة. إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. بيروت: مؤسسة الرِّسالة للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٩٨(جزء واحد).

- القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم(ت ٣٥٦هـ)

الأمالي مع كتاب ذَيل الألمالي والنَّوادر. بيروت: المكتبة العصريَّة ٢٠٠٤.

- القُرطبي، أبو الوليد بن رُشد(ت ٥٢٠هـ). البيان والتَّحصيل والشَّرح والتَّوجيه والتَّعليل في مسائل المستخرجة. تحقيق: أحمد الحبابي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، الطَّبعة الثَّانية ١٩٨٨.

- القرماني، أحمد بن يوسف (ت ١٦١٠م)

أخبار الدُّول وآثار الأُول. تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعيد. بيروت: عالم الكتب ١٩٩٢.

- القزويني، أمير محمد الكاظمي (ت ١٩٩٣)

الشِّيعة في عقائدهم وأَحكامهم. الكويت: مؤسسة محمد رفيع حسين معرفي١٩٩٦.

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت ٦٨١هـ)

آثار البلاد وأَخبار العِباد. بيروت: دار صادر ١٩٩٨.

- القشيري، عبد الكريم بن هوازن(ت٤٦٥هـ)

الرِّسالة القشيريَّة. مصر: مطبعة مصطفى البابي ١٩٤٠.

الرّسالة القشيرية في عِلم التَّصوف. تحقيق: معروف مصطفى زُرَيق. بيروت: المكتبة العصريَّة ٢٠٠١.

- القفطي، الوزير جمال الدِّين يوسف(ت ٦٤٦هـ)

أخبار العلماء بأخبار الفقهاء. القاهرة: مطبعة السَّعادة.

- القفطي، علي بن يُوسف (ت ٦٤٦هـ)

المحمدون مِن الشُّعراء وأَشعارهم. تحقيق: حسن معَمري. إشراف: شارل بلا. باريس: جامعة باريس- كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة ١٩٧٠.

-القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحُصري (ت ٤٥٣هـ)

جمع الجواهر والمُلح والنَّوادر. تحقيق: عليّ محمد البجاوي. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيَّة ١٩٥٣(طبع بعنوان: ذيل زهر الآداب) و أعادت دار الجيل طباعته.

- الكاساني، علاء الدِّين أبو بكر المسعود الحنفي(ت٥٨٧هـ)

بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع. تحقيق: علي محمد عوض وعادل عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٣.

- الكاشاني، محمد بن المرتضى الملا محسن المعروف بالفيض(ت١٠٩١هـ)

المحجة البيضاء في تهذيب الإِحياء. تحصح وتعليق: علي أَكبر الغفاري. طهران: مكتبة الصَّدوق ١٣٣٩هـ.

- الكُتبي، محمد بن شاكر(ت ٧٦٤هـ)

فوات الوفيات (ذيل كتاب وفيات الأعيان لابن خِلِّكان). تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١.

فوات الوفيات والذَّيل عليه. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر.

كحالة، عمر رضا(ت ١٩٨٧)

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. دمشق: المكتبة الهاشميَّة ١٩٤٩.

- كلشكوف(أكاديمية العلوم السوفيتيَّة)

الحياة الرُّوحيَّة في بابل. ترجمة: عدنان عاكف حمودي. دمشق: دار المدى للثقافة والنَّشر ١٩٩٥.

- الكندي، محمد بن يوسف بن يعقوب(ت٣٥٠هـ)

الوُلاة والقُضاة. تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي. بيروت: دار الكُتب العلميَّة.

الولاة وكُتاب القضاة. تهذيب وتصحيح: رفن گست. بيروت: مطبعة اليسوعيين ١٩٠٨.

- الماوردي، أبو الحَسن عليّ بن محمد(ت٤٥٠هـ)

الأحكام السُّلطانية، بيروت: دار الفكر للطباعة والنَّشر والتّوزيع.

-مبارك، زكي(١٩٥٢)

النثر الفني في القرن الرَّابع(الهجري). القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثَّقافة(كتاب بي دي أف).

- المُبَرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)

الكامل في اللغة والأدب. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصريَّة ٢٠٠٦.

- متز، آدم(ت ١٩١٧)

الحضارة الإسلاميَّة في القرن الرَّابع الهجري. ترجمة/ محمد عبد الهادي أبو ريدة. القاهرة: بيت المغرب في مصر ١٩٤٠ على نفقة ولي عهد المغرب الحسن بن المهدي العلوي.

- المحبي، محمد أَمين بن فضل الله الحَنفي(١١١١هـ)

أعيان القرن الحادي عشر. تحقيق: محمد حسن إسماعيل. بيروت: دار الكُتب العلمية.

- محمود، عبد المطلب

الإبداع والاتباع في أشعار فَتَّاك العصر الأموي. دمشق: اتحاد الكَتاب العرب ٢٠٠٣.

- المُرزباني، محمد بن عُمران بن موسى(ت ٣٨٤هـ)

مُعجم الشُّعراء. تحقيق: عبد السَّتار الفراج. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٣ نسخة عن طبعة قديمة.

- مروَّة، محمد رضا

الصّعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم. بيروت: دار الكُتب العلمية ١٩٨٩.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحُسين(٣٤٦هـ)

مروج الذَّهب ومعادن الجوهر. تحقيق: شارل پلا. بيروت: منشورات الجامعة اللبنانيَّة ١٩٧٤.

- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ)

تجارب الأُمم ومنافع الهمم. تحقيق: أبو القاسم إمامي. طهران: دار سروش للطباعة والنَّشر ١٣٧٩ هـ ش ٢٠٠٠م.

- المُطرّزي، أبو الفتح ناصِر الدِّين(ت ٦١٠هـ)

المُغْرِب في ترتيب المعِرب. تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار. حلب: مكتبة أُسامة بن منقذ ١٩٧٩.

- المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سُليمان(ت ٤٤٩هـ)

رسالة الغفران. بيروت: دار صادر ٢٠٠٦.

سِقِط الزَّند. بيروت: دار صادر.

الفُصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ. ضبط ونشر: محمود حسن زَناتي. القاهرة: مطبعة الحجازي ١٩٣٨.

- المغربي، الشَّيخ حسين بن إبراهيم مفتي المالكية بمكة(ت ١٢٩٢هـ)

قرّة العين في فتاوى علماء الحَرمين. إشراف: محمد علي حسين المالكي. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٣٧.

- المقدسي، أبو شامة عبد الرَّحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ)

كتاب الرَّوضتين في أَخبار الدَّولتين النَّوريَّة والصَّلاحيَّة. تحقيق: إبراهيم الزَّيبق. بيروت: مؤسسة الرِّسالة ١٩٩٧.

- المقريزي، تقي الدِّين أحمد بن عليّ(ت ٨٤٥هـ)

كتاب السُّلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة: مطبعة دار الكتب ١٩٧٠.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيَّة. بغداد: مكتبة المثنى ١٩٧٠.

- المُقري، أحمد بن محمد التِّلمساني(ت ١٦٣٢)

نفح الطِّيب مِن غِصن الأندلس الرَّطيب. تحقّيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر ١٩٦٨.

- الملوحي، عبد المعين(ت ٢٠٠٦)

أشعار اللُّصُوص وأَخبارهم(جمع وتحقيق). دمشق: دار أُسامة.

أشعار اللُّصُوصِّ وأخبارهم. دمشق: دار طلاس ١٩٨٤.

- المولى، محمد بن أَحمد

العيارون والشُّطار البغاددة في التَّاريخ العباسي. الإسكندريَّة: مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٧.

- مؤلف مجهول(القرن الثَّالث الهجري)

أَخبار الدَّولة العَباسيَّة وفيه أَخبار العباس وولده. تحقيق: عبد العزيز الدُّوري وعبد الجبار المطلبي. بيروت: دار الطَّليعة للطباعة والنّشر ١٩٧١.

- مؤلف مجهول(القرن الثَّامن الهجري)

كتاب الحوادث المسمى وهماَ بالحوادث الجامعة والتَّجارب النَّافعة والمنسوب لابن الفوطي. تحقيق: بشار عواد معروف وعِماد عبد السَّلام رؤوف. بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٩٩٧.

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد(ت ٥١٨هـ)

مجمَع الأمثال. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: دار الجيل ١٩٨٧.

- النُّباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن(ت بعد ٧٩٣هـ)

تاريخ قُضاة الأندلس(كتاب المرقبة العليا فيمن استحق القضاء والفتيا). نشر: إِ. ليفي بروفنسال. القاهرة: دار الكتاب المصري ١٩٤٨.

- النَّجار، محمد رَجب

حكايات الشُّطار والعَيارين. القاهرة: الهيأة العامة لقصور الثَّقافة ٢٠٠٢.

- النَّجفي، محمد حسن (ت ١٨٥٠)

جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام. بيروت: دار إحياء التُّراث العربي ١٩٨١.

- النَّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد(٣٣٨هـ)

شرح القصائد التّسع المشهورات. تحقيق: أحمد خطاب. بغداد: وزارة الإعلام، دار الحريّة للطباعة ١٩٧٣.

-النَّديم، محمد بن أبي يعقوب إسحق(ت ٣٨٨هـ)

كتاب الفهرست. تحقيق: رضا تجدد بن عليّ المازندراني. بيروت: دار المسيرة ١٩٨٨.

- العَظم، نزيه مؤيد(ت ١٩٧٧)

رحلة في بلاد العربيَّة السَّعيدة مِن مصر إلى صنعاء. مصر- القاهرة: مطبعة عيسى البابي وشركاه ١٣٥٥هـ.

- النَّشابي، أبو المجد أسعد بن إبراهيم الإربلي(ت ٦٥٧هـ)

المذاكرة في ألقاب الشّعراء. تحقيق: شاكر العاشور. دمشق: رند للطباعة والنَّشر والتّوزيع، الطَّبعة الثَّالثة ٢٠١٠.

- النَّهرواني، المعافي بن زكريا بن يحيى المعروف بابن طرار(ت ٣٩٠هـ)

الجليس الصَّالح الكافي والأنيس النَّاهج الشَّافي. ضبط وتصحيح: عبد الكريم الجندي. بيروت: دار الكتب العلميَّة.

- النُّوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى(القرن الثَّالث الهجري)

فرق الشّيعة. تصحيح وتعليق: محمد صادق آل بحر العلوم. النَّجف: المطبعة الحيدريَّة ١٩٣٦.

- النُّويري، شِهاب الدِّين أحمد(ت ٧٣٣هـ)

نهاية الأرب في فنون الأدب. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصريَّة ١٩٢٥.

نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق: مفيد قمحية وآخرون. بيروت: دار الكُتب العلمية ٢٠٠٤.

- نيبور، كارستن(ت ١٨١٥)

رحلة إلى شبه الجزيرة العربيَّة وإلى بلاد أُخرى مجاورة لها. ترجمة: عبير منذر. بيروت: الانتشار العربي ٢٠٠٧.

- الهمداني، بديع الزَّمان أحمد بن الحَسين(ت ٣٩٨هـ)

مقمات بديع الزَّمان الهمذاني. تنسيق: فاروق سَعْد. بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٩٨٢.

- الهمداني، رشيد الدِّين فضل الله (قُتل ٧١٨هـ)

جامع التَّواريخ- تاريخ المغول- تاريخ هولاكو. ترجمة: محمد صادق نشأت ومحمد الهنداوي وفؤاد الصَّياد. القاهرة: دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٠.

- الهمداني، القاضي عبد الجبار الأسدآبادي (ت ٤١٥هـ)

تثبيت دلائل النّبوة. تحقيق عبد الكريم عثمان. بيروت: دار العربية ١٩٦٦.

- الهمداني، عبد الرَّحمن بن حمَّاد بن عيسى(ت ٣٢٠هـ)

الألفاظ الكتابيَّة. بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين ١٨٨٥.

الوردي، علي (ت ١٩٩٥)

منطق ابن خلدون. لندن: دار كوفان ١٩٩٤.

- الوطواط، محمد بن إبراهيم(ت ٧١٨هـ)

مباهج الفكر ومناهج العبر. تحقيق: عبد الرَّزاق أحمد الحربي. بيروت: الدَّار العربيَّة للموسوعات ٢٠٠٠.

- اليازجي، الشَّيخ ناصيف(ت ١٨٧١)

العرف الطِّيب في شرح ديوان أبي الطَّيب. بيروت: دار صادر ٢٠٠٥ الطبعة الأولى ١٩٦٨.

- اليزيدي، عبد الله بن محمد بن المبارك (ت ٣١٠ هـ)

كتاب الأَمالي. بيروت: عالم الكتب ١٩٨٤.

- اليعقوبي، الشَّيخ محمد عليّ(ت١٩٦٥)

البابليات. النَّجف: دار البَيان للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ١٩٥١.

- يوسف، محمد خير رمضان

تَمتمة الأعلام للزِّركلي. بيروت: دار ابن حَزم ٢٠٠٢.

- اليونيني، قطب الدِّين موسى بن محمد(ت ٧٢٦هـ)

ذيّل مرآة الزَّمان: تحقيق: حمزة عباس. أبو ظبي: هيأة أبو ظبي للثقافة والتُّراث. المجمع الثَّقافي ٢٠٠٧.

****

- ديوان الأسود بن يعفر. صنعه: نوري حمودي القيسي. بغداد: وزارة الثَّقافة والإعلام- مديرية الثَّقافة ١٩٦٨.

- ديوان أبي نواس برواية الصّولي. تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي. أبو ظبي: هيأة أبو ظبي للثقافة والتُّراث ٢٠١٠.

- ديوان أبي نواس. تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي. بيروت: دار الكتاب العربي ١٩٨٤.

-ديوان البحتري. حققه: عُمر فاروق الطَّباع. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للباعة والنَّشر والتَّوزيع.

- ديوان أبي ذؤيب الهذلي. تحقيق وشرح: انطوس بُطرس. بيروت: دار صادر ٢٠٠٣.

- ديوان ذي الرُّمّة. بيروت: دار الكُتب العلمية ١٩٩٥.

- ديوان الشَّافعي الإمام محمد بن إدريس(ت ٢٠٤هـ)، تقديم ومراجعة: إحسان عباس. بيروت: دار صادر ٢٠٠٧.

- ديوان طُرفة بن العبد البكري. شرح: يوسف الأعلم الشنتمريّ. تصحيح: مكس سلغسون. مدينة شالون على نهر سَون، مطابع: برطرند ١٩٠٠.

- ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، شرح أبي سعيد السُّكري، تحقيق: محمد عبد الجبار المعيبد. بغداد: مطبعة الارشاد ١٩٦٨.

- ديوان كعب بن زُهير. صنعة: أبي سعيد السُّكري. القاهرة: الكتب والوثائق القَوميَّة- مركز تحقيق التُّراث ٢٠٠٢.

- ديوان كعب بن زُهير، صنعة الإمام أبي سعيد السُّكري، شرح ودراسة: مفيد قميحة، الرِّياض: دار الشَّواف للطباعة والنَّشر ١٩٨٩.

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري. بيروت: دار صادر.

- ديوان النَّابغة الذّبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٥.

- شريعة حمورابي، ترجمة: عبد المسيح وزير وعبده حسن الزَّيات، جمع وتقديم: سالم الآلوسي. بغداد: المدى للإعلام والثَّقافة والفنون ٢٠١٤.

- قاموس الكتاب المقدس، القاهرة: دار الثَّقافة ١٩٩٤.

- الكتاب المقدس، بيروت: دار المشرق، الطبعة الأولى ١٩٩٧.

- الكُتب السِّتة. موسوعة الحديث الشَّريف. الرِّياض: دار السَّلام للنشر والتَّوزيع. الطبعة الثَّالثة ٢٠٠٠.

- مُوطَّأ الإمام مالك بن أنس. تحقيق: حامد أحمد الطَّاهر. القاهرة: دار الفجر للتُراث ٢٠٠٥.

المجلات:

- مجلة الأزهر، نوفمبر ١٩٦٠.

- مجلة العربي، العدد ٨١ آب(أغسطس) ١٩٦٥ الكويت: وزارة الإعلام.

- مجلة مجمع اللغة العربيَّة الأردني، العدد: ٧٣ المؤرخ في ١ ديسمبر(كانون الأول ٢٠٠٧.

- مجلة المورد، الصادرة ببغداد، العدد: ٤ التاريخ: ١أكتوبر (تشرين الأول ١٩٧٨.

هوامش

(1) ابن عَباد، المحيط في اللُّغة ٢ ص ٢١٩.

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٩٤٦.

(3) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٣ ص ٥٧.

(4) المصدر نفسه ٣ ص ٥٥.

(5) المصدر نفسه ٣ ص ٥٧.

(6) المرزباني، معجم الشُّعراء ص ٣٨.

(7) ابن عباد، المحيط في اللغة ٧ ص ٢٩٠.

(8) المقدسي، أحسن التَّقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٢٢.

(9) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٠ ص ٣١.

(10) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٦ ص ٢٦٩.

(11) الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأُدباء) ٥ ص ٢١٢٠.

(12) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٧ ٣٨٢- ٣٨٣.

(13) راجع: ابن العمار، كتاب الفتوة، مقدمة مصطفى جواد.

(14) الجاحظ، كتاب الحيوان ١ ص ١٦٨.

(15) التَّوحيدي، المقابسات ص ٣٦٤.

(16) ابن عباد، المحيط في اللغة ٩ ص ٤٧٠- ٤٧١. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٣٢٠.

(17) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق ص ٢٢٨.

(18) مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة، مختارات من ألف ليلية وليلة، قصة علي بابا واللصوص الأربعين، الليلة الرابعة والثلاثون، ص ٦٥- ٦٧(كتاب بي دي أف).

(19) النَّديم، الفهرست، ص ١١٧.

(20) المصدر نفسه، هامش المحقق.

(21) انظر ترجمته في المصدر نفسه، ص ١١٣-١١٧.

(22) الجاحظ، كتاب الحيوان ١ ص ٢.

(23) الجاحظ، البخلاء، ص ١١.

(24) المصدر نفسه، ص ١٥.

(25) النَّديم، الفهرست، ص ٢١٠.

(26) الجاحظ، كتاب الحيوان ٢ ص ١٥٦.

(27) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٦٢.

(28) انظر: البلخي والهمداني والجشمي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٧٥.الخياط، كتاب الانتصار والرَّد على ابن الوندي الملحد، ص٢١-٢٢ و١٤٨ و١٥٥.

(29) انظر: ابن خِلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٢ ص ٣٧٢-٣٧٢ ترمة رقم: ٣٦٥.

(30) المطرزي، المغرب في ترتيب المعرب ٢ ص ١٤٠.

(31) ابن منظور، نثار الأزهار في الليل والنَّهار ١ ص ٣٢.

(32) النَّديم، الفهرست، ص ٥٩.

(33) عمر بن شبَّة: إخباري ومحدث، أبو زيد النُّميري البصري، ثقة ومعرفة بأيام النَّاس، وكان إخبارياً وحافظاً، اسم أبيه زيد، لكن أمّه كان ترقصه وتقول: يا أبي وشابا،وعاش حتى دبا،شيخاً كبيراً خبَّا، نزل بغداد وعاش

بسامراء حتى توفي فيها، وامتحن بخلق القرآن، وطلبوا منه تكفير مَن وقف عن القول بخلق القرآن، فقال لا أُكفر أحداً، فقالوا له: أنت كافر، ومزقوا كتبه، فلزم بيته (البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام (تاريخ بغداد) ١٣ ص ٤٥- ٤٨.

(34) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٦ ص ١٣٥.

(35) النَّديم، الفهرست، ص ٨٦.

(36) القطان: كان إمامي المذهب، يتظاهر به، حمل هدية إلى وزير عباسي من الشَّام، عبارة عن سمكة من الفضة، وزنها ثقيل، وعليها جوهرة وياقوت، ورفض الوزير قبولها، فاستأذنه القطان أن تكون له، فكانت أصل نعمته (القفطي، الشعراء المحمدون، ص ١١٢).

(37) الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) ٥ ص ٢١١.القفطي، الشعراء المحمدون، ص ٧٧- ٧٨.

(38) الرّاجكوتي (١٨٨٨- ١٩٧٨): عبد العزيز باحث ومحقق وخبير بالمخطوطات، ولد بالهند ودرس بباكستان، تم اختياره عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، حقق العديد مِن المخطوطات العربيّة الشعرية واللأدبية (يوسف، تمتمة الأعلام للزركلي ١ ص٣٠٣-٣٠٥).

(39) رايت (١٨٣٠-١٨٨٩): وليم رايت مستشرق بريطاني، ولد بالبنغال، وكانت والدته خبيرة بعدة لغات شرقيَّة، درس بأسكتلندا، عمل في المتحف البريطاني، حقق ونشر عدة كتب من التراث الأدبي العربي، ومنها أول طبعة من كتاب الكامل في اللغة والأدب للمُبرد، وقع اسمه في بعض المنشورات وليم رايط (العقيقي، المستشرقون ٢ ص ٦٢-٦٣).

(40) الملوحي، أشعار اللُّصوصِ وأخبارهم، ص ٤.

(41) الجرزة لها عدة معان، منها «الحُزْمَة»، أيّ حُزمة الحَطب (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٥٠٥ مادة:جرز).

(42) راجع: ريط، جرزة الحاطِب وتحفة الطَّالب، لايدن: برل ١٨٥٩.

(43) النَّديم، الفهرست، ص ١٠٦.

(44) المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(45) الحبشي، معجم الموضوعات المطروقة في التآليف الإسلامي وبين ما ألف منه ١ ص ٩٥٤ باب السرقة، عن الوافي في الوفيات.

(46) راجع: السّيوطي، البارق في قطع السَّارق، ص ١١٥-١٢٤.

(47) احتمال يكون هو الصَّدر الرَّئيس سعد الدِّين بن مروان الفارقي الشَّافعي، المتوفى ٦٩١هـ، وهو مِن أهل دمشق(المصدر نفسه، ص ١١٥ هامش المحقق).

(48) المصدر نفسه، ص ١١٦.

(49) الجاحظ، البخلاء، ص ٦٨ و٧٦-٧٧.

(50) المصدر نفسه، ص ٧٧ ومعنى «ريح السَّبل»: «داء يُصيب العين»(انظر: هامش المحقق).

(51) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص ٣٧٥.

(52) المصدر نفسه، ص ٣٧٦.

(53) انظر: السّيوطي، البارق في قطع السَّارق، ص ٩٢ وما بعدها.

(54) انظر: البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام(بغداد) ١٦ ص ٥٢٣.

(55) العميدي، الإبانة عن سرقات المتنبي، ص ١٧ ملاحظة المحقق.

(56) التَّنيسي، المنصف للسارق والمسروق، ص ١٠١.

(57) الشَّهراني، حقوق الاختراع والتَّأليف في الفقه الإسلامي، ص ٤٢ أخرجه مسلم في كتاب بالبر والصّلة.

(58) انظر على سبيل المثال: الجوهري، الصَّحاح وتاج العربيّة، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة حّرم.

(59) من المفارقة كان اسم أمين المال، أو كاتب المال بمنطقتنا، لقبه حرامي، وكان مِن أنزه العاملين في مجال المال، ولم تُحسب عليه مخالفة واحدة عندما جدت السلطات بعد تموز(يوليو)١٩٦٨ بتعقب المختلسين والمرتشين.

(60) انظر: ابن الأثير، اللُّباب في تهذيب الأنساب ١ ص ٢٥٢.

(61) انظر: ابن عباد، المحيط في اللغة ٣ ص ٩٣.

(62) انظر على سبيل المثال: الجوهري، الصَّحاح وتاج العربيّة، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة حّرم.

(63) انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ١٠ ص ١٨٠ و٤٠٨ السنة ٤٩٩هـ و ١١ ص ٦٤ السنة ٥٣٢ و ١٢ ص ٣٥٧ السَّنة ٦١٦ هـ.

(64) «قاعدة أصولية مأخوذة من النص، وهو قوله تعالى: [إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ](الأنعام:١١٩).موقع إسلام ويب، مركز الفتوى، معنى الضرورات تبيح المحظورات، تاريخ ٢٣ كانون الثاني(يناير) ٢٠٠٣، فتوى رقم: ٢٧٨٣٣، على الرَّابط:

https://www.islamweb.net/ar/fatwa/27833/%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%AA%D8%A8%D9%8A%D8%AD-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%B8%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA

(65) السَّرخسي، المبسوط (فقه حنفي) ٩ ص ١٤٠ كتاب السَّرقة.

(66) انظر: العسكري، الفروق اللُّغويّة، ص ٣٢٥- ٣٢٦.

(67) الثَّعالبي، فقه اللغة، ص ١٨١.

(68) القُرطبي، البيان والتَّحصيل والشَّرح والتَّوجيه والتَّعليل ١٦ ص ٢٢٨-٢٢٩.

(69) الثَّعالبي، فقه اللغة، ص ١٨١- ١٨٢. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٨٥٣.

(70) انظر: ابن سيده، المخصص ٣ ص ٧٨-٧٩.

(71) يُدعى بالعراق: النَّشال.

(72) انظر: ابن سيده، المخصص ٣ ص ٧٨-٧٩.

(73) انظر: المصدر نفسه.

(74) الثّعالبي، يتيمة الدَّهر ٣ ص ٤٣١.

(75) ابن السِّكيت، القلب والإبدال، ص ٤٢.

(76) المصدر نفسه.

(77) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٥٤٣.

(78) ابن عباد، المحيط في اللغة ٦ ص ٨١.

(79) ابن سَلام، غريب الحديث ١ص ٣٩٨.

(80) الجَوهري، الصَّحاح تاج اللغة ٥ ص ٢٠٣٧. ابن عباد، المحيط في اللغة ٤ ص ١٣٨.

(81) ابن عباد، المصدر نفسه.

(82) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٥٤٣.

(83) الجاحظ، البخلاء، ص ٧٣.

(84) المصدر نفسه، ص ٦٢٧. ابن عباد، المحيط في اللغة ٥ ص ٣٩٧

(85) انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٦ ص ١٣٠.

(86) الفيروز آبادي، المصدر نفسه. ابن عباد، المصدر نفسه ٦ ص ٨٦.

(87) الفيروز آبادي، المصدر نفسه، ص ٧٧٤.

(88) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر ٣ص١٠٢. الزَّمخشري، أساس البلاغة ١ ص ٦١-٦٢.

(89) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٦٣٥.

(90) العباسي، معاهد التَّنصيص على شواهد التَّلخيص ١ص ٣١.

(91) الفيرو زآبادي، القاموس المحيط، ص ١٠٢٧.

(92) ابن عباد، المحيط فى اللُّغة ٤ ص ١٢٦.

(93) الزَّمخشري، الفائق قي غريب الحديث والأثر ١ ص ٢٠٧.

(94) الأُباق: جمع آبق وهو العبد الهارب.

(95) انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٤ ص ٣٠٤.

(96) ابن عباد، المحيط في اللغة ٤ ص ١٢٧ و٨ ص ٤٢٦ و٩ ص ١١٩.

(97) ابن سيده، المخصص ٣ ص ٧٨-٧٩.

(98) المصدر نفسه.

(99) ابن عباد، المحيط في اللغة ٩ص٢١٦.

(100) الزَّمخشري، أساس اللغة ١ ص ٧٥.

(101) المصدر نفسه ١ ص٤٥٥.

(102) السِّيوطي، المزهر في علوم اللغ وأنواعها ١ ص ٢٩٥.

(103) المطّرزي، المُغرب في ترتيب المُعرب ٢ ص ١٤٠.

(104) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٤ ص ١٠٣.

(105) قاموس الكتاب المقدس، ص ٨٣٦.

(106) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٦٠٣.

(107) ابن منظور، لِسان العرب ٧ ص ٤٣٦.

(108) يُسمَّى اللِّص أو الحرامي، في اللَّهجة العِراقية الجنوبية، بالحايف وجمعها «حواف»، ولا وجود لهذا المعنى ذاته في قواميس العربية، إنما لها معان عديدة أُخر، ليس بينها واللُّص مِن شبهةٍ أو قُرب، وسُمي بالحايف؛ لأنه يحوف حول الدَّار ليلاً أو ناراً، ولا يدخل المنازل، يُذكر للشاعر حافظ العطار: «يعذبات اللُّمى يا بيض ينحاف (الرشاقة)/ حذاري اللي ابحسنچن(جمالكن) غفل ينحاف(يُسرق)/ شعوزه(ماذا ينقصه) البدر وجه إبخيط ينحاف(حف الشعر)/ يحف ببتوت(أوردة) گلبي أو گطع بيه»(جاء التَّوضيح في رسالة مِن

أبي سُلطان ناجي الزّهيري، مِن منطقة سوق الشّيوخ، المهتم في الشّعر الشّعبي العِراقي، بتاريخ: ٩/١٠/٢٠٢٠).

(109) ابن الأثير، المُرصع في الآباء والأمهات والبنين والأذواء والذوات، ص ٣٧٢.

(110) النَّجار، الشُّطار والعيارون في التُّراث العربي، ص ٢١٥ عن الجبرتي، عجائب الآثار ٣ ص ٣١٩-٣٢٠.

(111) المصدر نفسه، ص ١٨٤ عن الجبرتي، المصدر نفسه ٧ ص ٣٠٦.

(112) انظر: الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء ٣ ص ١٨٩.

(113) الثَّعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٢٢٣.

(114) المصدر نفسه. الزَّوزني، شَرح المعلقات السَّبع، ص ١٠٧.الغبراء: صفة الأرض، والطَّراف: البيت مِن الأدم بمعنى الجلد(الزوزني، وحاشية التَّحقيق).

(115) الأبشيهي، المستطرف في كلِّ فن مستظرف ١ ص ١٣٣.

(116) المصدر نفسه ٢ ص ٣٢.

(117) الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٣ ص ١٠٥٦.

(118) الثَّعالبي، فقه اللغة وسرُّ العربية، ص ٣٤٥.

(119) السَّمعاني، الأنساب ٣ ص ٢٦٢.

(120) الدَّينوري، الأخبار الطُّوال ص ٣٦٩.الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٧ ص ٢٥٧.

(121) المصدر نفسه.

(122) قضاء ينبع محافظة كرمنشاه الإيرانيَّة حالياً، يقع شمال غرب إيران، على الحدود الشرقيَّة العراقيَّة مِن جهة خانقين.

(123) الحَموي، معجم البلدان ٤ ص ٣٦٣-٣٦٤.

(124) السَّمعاني، الأنساب ٤ ص ٥١٣.

(125) البشاري، أحسن التَّقاسيم، ص ٣١٠.

(126) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٦ ص ٢٤٨.

(127) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٧ص ٣٣٨.

(128) المصدر نفسه ٧ ص ٢٧٤.

(129) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٢١.

(130) السَّمعاني، الأنساب ٤ ص ٥١٣.

(131) ابن هبيرة: عمر بن هبيرة الفزاري(ت ١٠٧هـ) أمير ولي غزو الحرب وولاية العراق (١٠٣هـ)، سُجن وهرب من سجنه عبر نفق واحتمى بأمير أموي حتى وفاته(الذَهبي، سير أعلام النُّبلاء ٤ ص ٥٦٢ رقم الترجمة ٢٢١).

عناه الفرزدق محتجاً على تعيينه والياً على العراق، في عهد سُليمان بن عبد الملك(ت٩٩هـ/٧١٧م)،فقال(الجاحظ، كتاب الحيوان ٥ ص ١٩٧. المُبَرد، الكامل في اللغة والأدب ٣ ص ٦٢):

أمـيرَ المؤمنين وأنتَ عَفٌّ

كريم لستَ بالوالي الحريصِ

بَعَثْتَ إلى العراق ورافِدَيه

فَزَارِيّاً أحَـذَّ يَدِ القَمـيصِ

ولم يكُ قَبْلَهَا راعي مَخَاضٍ

لِيَأْمَنَهُ عـلى وَرِكَيْ قَلُوصِ

تَفَتقَ بالعِراق أبو المثَنَّى

وعَلَّمَ قَوْمَهُ أكـلَ الخَبيـصِ

(132) رافع بن الليث بن نصر بن سيار (ت ١٩٥هـ): أحد الأمراء في زمن هارون الرّشيد بمسمرقند، وقد غضب عليه الرّشيد بسبب طلاق امرأة من زوجها بمشورته لها أن تُعلن إلحادها فتُطلق ثم تتوب، فتزوجها طمعاً بمالها، وأعلن عصيانه على الرّشيد، فطارده، ولما كان المأمون والياً على خراسان طلب عنده الأمان فأمنه، ويُفهم أن ذلك الأمان أحد الحجج التي خلع بها الأمين المأمون وكانت الحرب بينهما (انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ٩ ص ١٧٧ و١٠ ص ٤).

(133) ابن الأثير، اللُّباب في تهذيب الأنساب ٢ ص ٢٦٧-٢٦٨ .

(134) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٣ ص ٥٣٣.

(135) القزويني، آثار البلاد وأخبار العِباد، ص ٤٤٨.

(136) المصدر نفسه.

(137) الحَموي، معجم البلدان ٥ ص ١٤٨.

(138) المقريزي، المواعظ والاعتبار ٣ ص ٢٢٤.

(139) المصدر نفسه.

(140) الحَموي، معجم البلدان ٤ ص ١٥٩.

(141) البكري، معجم ما استعجم، ص ١٠٠٦.

(142) المعري، رسالة الغفران، ص٥٤.الحموي، معجم البلدان ٤ ص ١٥٩.

(143) وردت القارة (انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص ١٠٠٦).

(144) الحموي، معجم البلدان ٢ ص ٤٧٤. اليونيني، ذيل مرآة الزَّمان ١ ص ٢٩٧.

(145) الأمير سيف الدِّين قبجق المنصوري (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م): كان نائب السلطنة المملوكيَّة بحلب، وولي نيابة السلكنة بدمشق، وخرج إلى التتار، وتعاون معهم وأقدم غازان التتري إلى دمشق، وعاد بعدها إلى طاعة الملك النَّاصر(ابن تغرى بردى ٩ ص ٢١٦).

(146) اليونيني، ذيل مرآة الزَّمان ١ ص ٢٩٧.

(147) ابن قلاون: الملك النَّاصر محمد بن الملك منصور سيف الدين قلاوون (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م)، يُعد أحد أبرز ملوك مصر والشَّام في الفترة المملوكيَّة، وصل دمشق لملاقاة التتار، لكنهم غلبوا عليها، وجعلوا سيف الدِّين قبجق نائباً لهم عليها، وبعد مائة يوم عاد المماليك إليها، وخُطب باسم ابن قلاوون(انظر: الصَّفدي، الوافي بالوفيات ٤ ص٢٥١-٢٦٤).

(148) المقريزي، السُّلوك لمعرفة الملوك ١ -٣ ص ٧٢٧.

(149) الملك العادل: أبو بكر سيف الدِّين محمد بن أبي الشُّكر أيوب بن شادي (ت٦١٥هـ/١٢١٨م) أخو صلاح الدِّين الأيوبي، كان ينوب عن أخيه على مصر عند غيابه، ثم أصبح ملكاً ووزع البلاد بين أبناء الملوك، من مصر والشام واليمن، وكان قد دخل مصر مع عمه وأخوه صلاح الين في العهد الفاطمي(انظر: ابن خلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٤ ص ١٦٦-١٧٠).

(150) الحموي، معجم البلدان ٣ ص ٥٦ .

(151) المصدر نفسه ٣ ص ٣٠١.

(152) أبو ذؤيب: خُوَيْلد بن خالد بن مُحرِّث بن زُبيد، أحد الشعراء المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، أسلم وشارك في الفتوحات، وتوفى في أيام عثمان بن عفان(٢٣- ٣٥هـ)، اشتهر برثاء أولاده الخمسة، الذين فتك بهم الطَّاعون في عامٍ واحد، وله أبيات من هذا الرثاء سارت بها الرُّكبان: أمن المنن ورَيْبها تتوجَّعُ/ والدَّهرُ ليس بمعتبٍ مَن يجزعُ (الديوان، ص ١٣٨)، وبيته الشَّهير منها: وتجلدي للشامتين أريهم/ أنيِّ لِرَيْب الدَّهر لا أتضَعضعُ (الديوان، ص ١٤٥ غنى أشعاره مغنون مشهورون، كان شاعراً متمكناً فحلاً في زمانه، نُشر ديوانه أول مرة ١٩٢٦ بهانوفر عن طريق المستشرق يوسف هل، وصدر أيضاً ضمن ديوا الهذليين(انظر: ديوان أبي ذؤيب، تحقيق: أنطونيوس بطرس، ص ٧ وما بعدها).

(153) الحازمي، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه مِن الأمكنة ١ ص ٥٧٠.

(154) معز الدولة البويهي: أبو الحُسين أحمد بن بويه (ت ٣٥٦هـ/٩٦٦م)، دخل بغداد، ومُنح لقب معز الدَّولة، ومنه بدأت ازدواجية السّلطنة والخلافة، وانتهت سلطات الخليفة ولم يبق له غير الاسم ، عمل معز الدولة يوم عاشوراء رسمياً ببغداد، في كل عام، حكم بغداد نحو اثنين وعشرين عاماً (ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٤ ص ١٨٢-١٨٣).

(155) الحموي، معجم البلدان ٣ ص ٣٦١.

(156) ابن منظور، لسان العرب ٢ ص ٨٩-٩٠. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٥٩.

(157) الحموي، معجم البلدان ٥ ص ٩٤.

(158) راوولف، رحلة الهولندي الدكتور ليونهارت راوولف، ص ١٦٢.

(159) ثابت، رحلاتي في مشارق الأرض ومغاربها، ص ٨٤.

(160) حتاتة، رحلة إلى الشَّرق، ص ١٥.

(161) الثَّعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٩٩.

(162) القزويني، آثار البلاد وأَخبار العِباد، ص ٩٥.

(163) الجاحظ، البخلاء، ص ٧٣.

(164) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(165) العظم، رحلة في بلاد العربيَّة السَّعيدة مِن مصر إلى صنعاء ١ ص ٦٤..

(166) معز آيبك: الملك المعز عز الدِّين أيبك (معناها أمير القمر) بن عبد الله النجمي الصَّالحي التُّركي (قُتل ٦٥٥هـ) مان، وهو أو مَن حكم من الأتراك المماليك، بعد أن مسهم الرّق، وكانوا مِن رقيق الأيوبيين، بعد انتهاء أمر الأيوبيين (٦٤٨هـ) بمصر وتولي شجرة الدر الحكم تزوجها المعز أيبك، ولما أراد الزواج عليها قتلته هي والخدم في الحمام، ثم خلفه ولده في المُلك (انظر: ابن تغرى بردى، النَّجوم الزَّهرة في ملوك مصر والقاهرة ٧ ص ٣ وما بعدها).

(167) ابن شداد، تاريخ الملك الظَّاهر، ص ٧٧.

(168) البكري، معجم ما استعجم، ص ١٩٩ و١٢٩٠.

(169) الزَّمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر ١ ص ٤٠٥.

(170) المصدر نفسه، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٥٣٤.

(171) ابن المُدَبَّر، الرِّسالة العذراء، ص ١٦.

(172) المُبّرد، الكامل في اللغة والأدب ١ ص ١٢٦.

(173) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(174) للتوسع في هذه القاعدة انظر: حسن السيد حامد الخطاب، قاعدة الضَّرورات تُبيح المحظورات، موقع الفقه الإسلامس- المكتبة الفقهية، على الرابط:

http://iso-tec-demos.com/islamfiqh/dataentry/ar/node/2563

(175) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

(176) سورة المائدة، الآية: ٣.

(177) الجوهري، الصَّحاح تاج اللغة وصَحاح العَربية ٣ ص ١٠٣٨.

(178) الطَّبرسي، مَجمع البَيان في تَفسير القرآن ١ ص ٤٦٧.

(179) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٣ ص ٤٩٣.

(180) المصدر نفسه.

(181) المصدر نفسه ٣ ص ٤٩٦.

(182) المصدر نفسه ٣ ص ٤٩٣ حوادث السّنة ثمان عشرة هجرية.

(183) ابن حَزم، كتاب المحلى بالأثار ١١ ص ٣٤٣ مسألة رقم ٢٢٧٧.

(184) المصدر نفسه.

(185) العمراني، البيان في فقه اللإمام الشَّافعي ١٢ ص ٤٠٩.

(186) المصدر نفسه.

(187) الطُّوسي، النّهاية ف مجرد الفقه والفتاوى، ص ٧١٩.

(188) هشام بن عروة بن الزّبير بن العوام أبو المنذر، وأسماء جدته أمّ أبيه عروة بن الزُّبير، وأمُّ عمّه عبد الله بن الزُّبير أيضاً(ابن خِلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان٥ ص ١٢٩ رقم التَّرجمة: ٧٥٢، والجزء ٢ ص ٤١٨، ترجمة رقم: ٣٨٩.

(189) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٢ ص ٢٩٣.

(190) عند اجتياح المغول لبغداد السَّنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) انظر: الهمداني، جامع التَّواريخ تاريخ هولاكو، ص ٢٩١. مؤرخ مجهول، كتاب الحوادث، ص ٣٥٩. كذلك عند اجتياح العثمانيين للقسطنطينية، السَّنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) انظر: القرماني، أخبار الدُّول وآثار الأُول ٣ ص ٣٠.

(191) انظر: الطَّبري، تاريخ الأمم والملوك ٧ ص ٤٥٦ وما بعدها.

(192) المصدر نفسه.

(193) المصدر نفسه ٧ ص ٤٥١.

(194) عبد الله بن طاهر: عبد الله بن طاهر بن الحُسين(ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، وأبو طاهر هو الذي أنهى الحرب بين الأخوين: الأمين والمأمون لصالح الأخير(الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٧ ص ٣٥ وما بعدها)، كان عبد الله ثقةً لدى عبد الله المأمون ولاه على حرب وخراج الشَّام، ثم ولاه خراسان، وظل والياً فيها حتى وفاته(انظر، البغدادي: تاريخ دار السَّلام(تاريخ بغداد) ١١ ص ١٦٢-١٦٥).

(195) الحسن التَّغلبي: أبو محمد ناصر الدَّولة بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان(ت نحو ٣٥٧هـ/٩٦٧م)، عُين من قِبل الخليفة العباسي نائباً لأبيه على الموصل، ثم استقل بها وحماها لأكثر من ثلاثين عاماً، كان أسن مِن أخيه سيف الدَّولة، والأخير توفي قبله فساءت أحواله، فحجره أولاده قبل وفاته بنحو سنتين، وكانت لإمارته حروب مع البويهيين، قُتل أثرها ولده وخليفته على الموصل الغضنفر الملقب بعدة الدَّولة(ابن خِلكان، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزَّمان ١ ص ٣٨٧-٣٨٩).

(196) ابن عبد ربّه، العقد الفريد ١ ص ٤٨.

(197) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٣ ص ١٦٧. ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ١٠٥.

(198) ابن الأثير، المصدر نفسه.

(199) كنت شاهداً، أعيش ببغداد، وأسهمت من بيت قريبي بالحراسة.

(200) الصُّولي، أخبار الرَّاضي بالله والمتقي بالله، ص ١٣٩.

(201) الخُشكر الطحين الخشن، بعد طحن ما تبقى في السَّنابل من الحَب بعد دوسها، وفي الفارسية يُسمّى الخُشكار وهو القصري (شير، معجم الألفاظ الفارسية المُعربة، ص ٥٥ و ١٢٦.

(202) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٤ ص ٣٤.

(203) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ص ٦٩٤.

(204) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ٩ ص ٣٩٣.

(205) المصدر نفسه ٩ ص ٤١٠.

(206) ابن العِماد، شذرات الذَهب ٤ ص ١٧٩.

(207) باب الأُزج: محلة وسط شرقي بغداد القديمة بجانب الرُّصافة، جاء ذكرها كثيراً في حوادث بغداد العباسية، تحول اسمها إلى باب الشّيخ، بعد أن دُفن فيها الشَّيخ عبد القادر الكيلاني، وصار له مزار تعلوه قبة، وما زالت تُعرف بهذا الاسم (جواد وسوسه، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، ص ١٧٦ و٢٤٣.

(208) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٦ ص ٢٤١.

(209) المصدر نفسه ١٨ ص ٣٠.

(210) الشَّافعي ومحمد، اللُّصوص والقراصنة في عصر الحروب الصَّليبية، ص ٢٧ نقلاً عن قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص٢٨.

(211) البابا أوروبان الثَّاني:

(212) المصدر نفسه (اللصوص والقراصنة في عصر الحروب اللصليبية)، ص ٢٧ نقلاً عن: روجر أوف ويندوفر، الموسوعة الشَّاميَّة في تاريخ الحروب الصَّليبية ٣٩ ص ١٣.

(213) نيبور، رحلة إلى بلاد الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة وما حولها ١ ص ١١٠.

(214) الصُّولي، أخبار الرَّاضي بالله والمتقي بالله، ص ٢٧٩.

(215) مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ١٣٣.

(216) ابن شيرزاد: أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد، أمير أمراء ووزير مع الخليفة المستكفي بالله العباسي، هرب معه عند دخول البويهيين بغداد(٣٣٤هـ)، ثم عمل مع معز الدولة البويهي، وبعدها عُزل من الوزارة وصودرت أمواله، وسملت عينية(القرطبي، صلة تاريخ الطَّبري، ضمن تاريخ الأُمم والملوك ٩ ص ٣٦٤ وما بعدها).

(217) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ٤٤٩.

(218) المصدر نفسه ١١ ص ٩٥.

(219) المصدر نفسه.

(220) قطب الدّين: قطب الدِّين ملك شاه بن عزّ الدِّين قلج شاه(قُتل ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، من ملوك سلاجقة الروم، وكان في زمن الحروب الصليبية، ولاه والده على سيواس، ثم استولى على أبيه وحجر عليه (ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ١٢ ص ٧٦).

(221) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ١١٢ ص ٤٩.

(222) محمد بن هشام: أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبدالرَّحمن النَّاصر الأموي (قُتل ٤٠٠هـ/١٠٠٩م)، أمير أموي مِن الأندلس، خرج على الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله، وتلقب بالمهدي، وتمكن مِن قُرطبة وحبس المؤسد بالله، فلما عاد المؤيد للحكم قتله(الزِركلي، الأعلام قاموس تراجم ٧ ص ٣٥٦).

(223) هشام المؤيد: أبو الوليد هشام بن الحكم بن عبد الرَّحمن النَّاصر الأموي المؤيد بالله (قُتل ٤٠٣هـ/١٠١٣م)، أحد خلفاء الأمويين بالأندلس، بويع بالخلافة واستبد عليه وزيره(الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٩ ص ٨٢).

(224) الخطيب، أعمال الأعلام ٢ ص ١٠٣-١٠٤.

(225) ابن تغرى بردى، النَّجوم الزَّاهرة في أخبار مصر والقاهرة ٥ ص ٦٠.

(226) النُّوَيْري، نهاية الأَرب في فنون الأَدب ١٠ ص ٩٩. الوطواط، مباهج الفِكر ومناهج العِبر، ص ٣٧٤-٣٧٥.

(227) سواد الوالي: يُحتمل لها معنيان: ظل الوالي، أو الشعار الذي يحمله الوالي، وبما أن الأبيات قيلت في العصر العباسي، فيحتمل أن يكون المعنى ما يحمله من الإشارة السوداء، التي يضعها الموظفون الرسميون على عواتقهم(انظر: ابن طيفور، كتاب بغداد، ص ٥٤)، وهو لون الشّعار العباسي. كانت بداية اتخاذ لون السَّواد حداداً على قتل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بالإمام (قُتل ١٣١ هـ/ ٧٤٨م)، فـ «لبس شيعته السَّواد فلزمهم وصار شعاراً لهم»(العسكري، الأوائل، ص ٢٥٩)، وهنا أبو جعفر المنصور هو أول مَن جعل اللَّون الأسود رسمياً للباس والرَّايات.

(228) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ١١ ص ٤٧٧.

(229) انظر:المصدر نفسه ١١ ص ٤٧٧-٤٧٨.

(230) ابن قطلوبا، تاج التَّراجم في طبقات الحنفيَّة، ص ٣٣٠-٣٣١.الحنفي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ٣ ص ٢٩٦. الصَّفدي، نَكت الهِميان في نُكت العميان، ص ٢٦٥.

(231) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٤ ص ٤٩.

(232) السَّمعاني، الأنساب ٣ص ٣٠١. السُّبكي، طبقات الشَّافعية الكبرى ٧ ص ٧٩.

(233) السِّيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللُّغويين والنّحات ١ ص ٥٧٨.

(234) السَّخاوي، التُّحفة اللَّطيفة في تاريخ المدينة الشّريفة ٢ ص ٤٥٤-٤٥٥.

(235) ابن العِماد، شذرات الذَّهب ١٠ ص ٢٢٥. الغَزي، الكواكب السَّائرة بأعيان المائة العاشرة ١ ص ١٣٣.

(236) الغزِّي، المصدر نفسه.

(237) المصدر نفسه ١ ص ٨٦.

(238) ابن عماد، شذرات الذهب ١٠ ص ٦٥١-٦٥٢.

(239) الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٨ص ٥١.

(240) العسقلاني، الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة ٣ ص ٤٨٧.

(241) الدَّلجي، الفلاكة والمفلوكون، ص ١٠٧.

(242) لتوسع عن حياته ومؤلفاته ودوره العلمي انظر: القفطي، أخبار العلماء بأخبار الفقهاء، ص ١٨٢-١٨٤.

(243) ابن خِلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزَّمان ٤ ص ٢٣٩ ترجمة رقم: ٦٧٧.

(244) المقصود بأمراء الشَّام أمير حلب سيف الدَّولة الحمداني، فقد قصدره وأقام عنده(ابن أبي أُصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مصدر سابق ٣ ص ٢٢٤).

(245) البيهقي، تاريخ حُكماء الإسلام ص٣٣-٣٤. انظر: البيهقي، تتمة صوان الحكمة، ص ١٦-٢٠.

(246) المصدر نفسه، ص٣٢-٣٣.

(247) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٤٨.

(248) الدّجلي، الفلاكة والمفلوكون، ص ١٠٧.

(249) ابن قُدامة، التَّوابون، ص ١٩٨.

(250) ابن خِلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٣ ص ٢١٤.

(251) المصدر نفسه. ابن قُدامة، التَّوابون، ص ١٩٨.

(252) ابن خِلِّكان، المصدر نفسه ٣ص٢١٥.

(253) عطاء الأزرق: «عَطاء بْن عَبْد اللَّهِ الْأَزْرَق كنيته أَبُو همام يروي عَنِ الْحسن روى عَنْهُ جَعْفَر بْن سُلَيْمَان الضبعِي وَمُحَمّد بْن مَرْوَان الْعقيلِيّ الحكايات فِي الرَّقَائِق»(انظر كتاب الثقات لابن حبان على الرَّابط:

http://hadithtransmitters.hawramani.com/%D8%B9%D8%B7%D8%A7%D8%A1-%D8%A8%D9%86-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B2%D8%B1%D9%82/).

(254) ابن قُدامة، التَّوابون، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(255) البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام (بغداد) ١٥ ص ٤٣٥. ابن الأثير، الألباب في تهذيب الأنساب ٣ ص ١٤٨.

(256) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ص ٦٥١ رقم الفقرة: ٥٢٢. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ٧ ص ٢٨٤.

(257) المصدر نفسه، ص ٦٤٥. ابن عساكر، تاريخ دمشت ٣١ص ٤٧.

(258) ابن عساكر، المصدر نفسه ٣١ ص٤٢.

(259) أبو تراب النَّخشبي: عسكر بن حصين النخشبي(ت٢٤٥هـ/ ٨٥٩م)، كان من فقهاء أهل السُّنة، وأعلام التصوف، انقطع في طريق الحج فنهشته السِّباع ومات(الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١١ ص ٥٤٦).

(260) القشيري، الرِّسالة القشيريَّة، ص ١٨- ١٩ و٧٤.

(261) المصدر نفسه ٣١ ص٤٩.

(262) المصدر نفسه ٣١ ص ٥٦.

(263) ابن قُدامة، التَّوابون، ص ١٩٣.

(264) التَّنوخي، نشوار المحاضرة ٥ ص ٢٥. البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام ٣ ص ٤٩٨. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٤ص ٣٨٢.

(265) المقصود هنا بشر الحافي الصوفي المعروف: .

(266) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٣ ص ١٥٦ .

(267) التَّوحيدي، الرِّسالة البغدادية، ص٢٦٨.

(268) الثّعالبي، يتيمة الدَّهر ٣ ص ٣.

(269) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٥ ص ٢٦.

(270) المصدر نفسه ١ ص ٢٣ .

(271) الحذافات: بمعنى رميهم بالكُناسة، سخرية بهم أو على سبيل الإهانة(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٧٩٩).

(272) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٤ص ٣٨٢.

(273) المصدر نفسه.

(274) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٤ ص ١٥٣.

(275) المصدر نفسه.

(276) المصدر نفسه، حاشية المحقق.

(277) ()ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق ص ١١٨.

(278) راجع: كتابنا معتزلة البّصْرة وبغداد، الفصل الثّالث: أبو الهُذيل العلاف، ص ١٥٣ وما بعدها بيروت، دار مدارك/ الطبعة الرابعة ٢٠١١.

(279) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١١ ص ٢٣٦.

(280) القشيري، الرسالة القُشيرية في علم التَّصوف، ص ٢٣٦.

(281) المصدر نفسه، ص٤٤.

(282) الغزِّي، الكواكب السَّائرة بأعيان المئة العاشرة ٢ ص ٢٣٨.

(283) الغزالي، مجموعة رسائل الإمام الغزالي، الصّنف الرَّابع مِن المغرورين المتصوفة، رسالة سرّ العالمين وكشف ما في الدَّارين، ص ٤٧٦ .

(284) العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر، ص ٢١٨.

(285) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

(286) القالي، كتاب الألمالي، ص ٣١٠- ٣١١. ديوان ذي الرُّمّة، ص ٩.

(287) مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم ٥ ص ١٢٤.

(288) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ١١٣.

(289) المصدر نفسه ٨ ص ١١٢. ابن الطَّقطقا، الفخري في الآداب السُّلطانيّة، ص ٢٦٩.

(290) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص٥٤.

(291) عيسى العجلي:عيسى بن معقل، كان أحد الوجهاء في زمنه، وهو جد أبي دلف العجلي(٢٢٥هـ/٨٣٩م) الأمير العباسي المعروف (الذهبي، سير أعلام النبلاء ٦ ص ٤٩.

(292) خالد القسري:الأمير الأموي أبو يزيد خالد بن عبد الله البَجلي القَسْرِي(قُتل ١٢٥هـ/ ٧٤٢م)، كان أمير العراق وقبلها أمير مكة، وأمه نصرانيّة، بنى لَهَا كنيسة في وسط داره، وبهذا هجاه الفرزدق: «بنى بيعةً فيها الصَّليب لأُمه/ ويهدمُ مِن بُغضٍ منار المساجدِ»، قُتل مِن قبل الوالي الذي خلفه على العراق(ابن خِلِّكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزَّمان ٣ ص ٦)

(293) مؤلف مجهول، أخبار العباس وولده (ضمن كتاب أخبار الدَّولة العباسية)، ص ٢٥٣.

(294) إبراهيم الإمام:إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس(ت ١٣٢هـ/ ٧٤٩م)، الأخ الأكبر للمنصور والسَّفاح، استلم أمر الدعوة بعد وفاة والده، أظهر الدعوة العباسيَّة مِن سريتها (١٢٨هـ/ ٧٤٥م)، قضى نحبه في سجن الأمويين، بين قائل إنه أصيب بالطاعون ومن قال: قُتل، وذلك في عام نجاح الدعوة العباسية، وكانت الخلافة لا تتعدى إلى غيره لو كان حيَّاً (انظر: الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٦ ص ٢٥٥- ٣٨١-٣٠٩-٣٨٢).

(295) مؤلف مجهول، أَخبار العباس وولده، ص٢٥٤.

(296) عروة بن الورد: ابن زيد بن عبد الله، شاعر جاهلي، كان يُعرف بعروة الصَّعاليك؛ لأنَّه كان يضم فقراء العرب، ويغزو بهم(انظر: النَّشابي، المذاكرة في ألقاب الشُّعراء، ٤٤)، هذا وسيرته مشهورة في أغلب كتب الأدب والشِّعر، أو التي اختصت بموضوع الصعاليك، وليس أشهر مِن قوله: «ذريني للغنى

أسْعَى فإني/رأيتُ الناسَ شرُّهم الفقيرُ/وأبعدهم وأهونهم عليهم/ وإن أمسى له حَسبٌ وَخِيرُ/ ويقصبه النَّدي وتزدريه/ حليلتهُ ويَنهره الصَّغيرُ»(الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(معجم الأدباء) ٢ ص ٦٦٨).

(297) الدَّيوب، مجلة مجمع اللغة العربيَّة الأردني ١ كانون الأول(ديسمبر) ٢٠٠٧، ص ١٣.

(298) الثَّعالبي، التَّمثيل والمحاضرة، ص ٤٤.

(299) ابن طولون:أحمد بن طولون التُّركي (ت ٢٧٠هـ/٨٨٤م) حكم مصر، كان أبوه طولون مملوكاً للمأمون، ولد بسامراء، وعينه المعتز بالله على مصر والشَّام، وكان متدينًا يدرس القرآن كثيراً وكريماً جداً، ولكنه كان سفاحاً، ظل ذِكره في المسجد الذي بناه وأخذ اسمه بمصر(انظر: ابن خِلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ١ ص ١٥٥-١٥٦).

(300) أَهْناس:منطقة من مناطق صعيد مصر، يُقال لها أهناس المدينة، وقيل إنها قديمة، والبعض يذكر أن السيد المسيح قد ولد فيها، والنخلة التي وردت في القرآن كانت هناك، وبها ثمار وزيتون(انظر: الحموي، معجم البلدان ١ ص ٢٨٤).

(301) سُمُسْطَا: قرية تقع على غربي التيل من الصعيد الأدني مِن عمل البهنسا بمصر، يُنسب إليها الحُزم السمسطية فاخرة لا يفضل عليها، والنسبة إليها السُمسطاوي (أنظر: الحموي، معجم البلدان ٣ ص ٢٥٠).

(302) الكاتب، المكافأة وحِسن العقبي، ص٣١-٣٢:

(303) الصَّفدي، تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف، ص ١٠٣.

(304) البلاذري، جُمل من أنساب الأشراف ٩ ص ٣٩. الصَّفدي، تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف، ص ١٠٣.

(305) الأقطع:»المقطوع اليد»(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص٧٥٣)، سمّي خلف بن خليفة بالأقطع لقطع يده بسبب سرقة في صباه، وقيل كانت له أصابع مِن جلدٍ يلبسها. قال الفرزدق(ت١١٠هـ) معرضاً به وبجرير(ت١١٠هـ): هو اللِّص وابن اللِّص لا لِصَّ مثله/ لنَقبِ جدارٍ أو لطرِّ الدَّراهم»، قال الفرزدق ذلك بعد أن سألته الأقطع: مَن القائل ويقصدً قول جرير في الفرزدق: هو

القَين وابن القَين لا قينَ مثله/لِفطحِ المساحي أو لجدلِ الأداهم»(عبد العال، شِعر خَلف بن خَليفة الأقطع، ص ١٠-١١ عن ابن قتيبة، الشعر والشعراء).

(306) البلاذري،جُمل من أنساب الأشراف ٩ ص ٣٩. الصَّفدي، تصحيح التَّصحيف وتحرير التَّحريف، ص ١٠٤.

(307) ابن حمدون، التَّذكرة الحمدونية ٧ ص ٢٨٥. الأيك: الشجرة الكثيف، والأثمد: حجر يُكتحل به

(308) المصدر نفسه.

(309) رايت، جرزة الحاطِب وتُحفة الطّالب(ديوان الكلابي للسكري)، ص٨٧. والمعنى أنه خدعه فقطع يده، والرتين أرض لبني أبي بكر(المصدر نفسه).

(310) المعيبد، ديوان طهمان بن عمرو الكلابي بشرح أبي سعيد السّكري (تحقيق)، ص ٣٩.

(311) راجع: المصدر نفسه، مقدمة المحقق، فيها سيرة مفصلة عن طهمان الكلابي.

(312) ابن الرَّيب: مالك بن الرَّيب بن حَوط بن قُرظ، كان فاتكاً أديباً ظريفاً، هجا الحجَّاج بن يوسف وهرب منه، ولجأ إلى لأمير مرواني، وخرج إلى خراسان ومات هناك، اشتهر أنه رثى نفسه، عندما اعتل، مما قال: لَعَمري لئن غالت خراسانُ هامتي/ لقد كنتُ عن بابي خراسان نائيا/بقولون لا تبعدْ وهم يدفنونني/ وأين مكان البعد إلا مكانيا»(المرزباني، معجم الشُّعراء، ص ٢٦٥).

(313) المصدر نفسه ٨ ص ٢٦٣.

(314) الجعالة: مصدرها جَعْل، ويجاعله بمعنى يرشوه، والجِعالة، والجِعالة أيضاً ما ينزل به مِن القدر، وتأتي هنا بمعنى العطيَّة أو الإجارة، أي ما يُجعل للعامل على عمله (ابن عَباد، المحيط في اللغة ١ ص ٣٥٦. الجرجاني، التّعريفات، ص ٧٦).

(315) ابن حمدون، التَّذكرة الحمدونية ٨ ص ٢٨٣.

(316) الحَموي، معجم البلدان ٤ ص ١٠٧.

(317) المصدر نفسه. ابن حمدون، التَّذكرة الحمدونية ٥ص ١٩٥.

(318) الضيَّاط: الذي يكثر الجلوس، ولا يبرح مكانه حتى يسمن (ابن حمدون، التَّذكرة الحمدونية ٥ ص ١٩٥).

(319) ولردت «السَّمالق»الحَموي، معجم البلدان ٤ ص ١٠٧).

(320) الغندجاني، فرحة الأَديب في الرَّدِ على ابن السِّيرافي، ص ٤٣.

(321) البُدن جمع البُدنة: الإبل أو البقر أو الغنم تتُخذ للأضحية بمكة(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١١٧٩).

(322) سيبويه، الكتاب ٢ ص ٢٥٥.

(323) ابن الشَّجري، أمالي ابن الشَّجري ٢ ص ٣١٦ أنشده ليس هو قائله، أي لغيره، وفي نسبة البيت لابن الرّيب: لاحظ هامش المحقق في المصدر نفسه.

(324) البازل: البعير أو الناقة طلع نابه/نابها(انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٩٦٦).

(325) الزَّمخشري، المستقصي في أَمثال العرب ١ ص ١٦٧.

(326) المصدر نفسه.

(327) شاهسفرم: نوع مِن الريحان، يُقال له الرَّيحان السُّلطاني(الجاحظ، كتاب الحيوان ٢ ص ٣٦٦ حاشية المحقق).

(328) الجاحظ، كتاب الحَيوان ٢ ص٣٦٧.

(329) انظر: ابن العمار، كتاب الفتوة، ص ١٥٠ و١٧٠ في أن الصبر وإغاثة الملهوف أي النّجدة مِن صفات الفتوة.

(330) الأصبهاني، محاضرات الأدباء ٣ ص ١٩٠.

(331) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٢ ص ١٢١.

(332) المصدر نفسه ٦ ص ٦٦-٦٧.

(333) المصدر نفسه ٦ ص ٥٥ و٦٦.

(334) المصدر نفسه ٦ ص ٥٥.

(335) النَّحاس، شرح القصائد التِّسع المشهورات ٢ ص ٦٨٢. قال النَّحاس في سبب تسميتها بالمعلقات، مع أنه لم يتبن هذه التسمية، بدليل أن عنوان كتابه جاء بـ»شرح القصائد التّسع المشهورات»، قال: «إن العربَ كان أكثرُها يجتمع بعكاظ، ويتناشدون، فإذا استحسن الملك قصيدةً قال: علقوها واشبتوها في خزانتي(المصدر نفسه ٢ ص ٦٨٢).

(336) الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(معجم الأدباء) ٣ ص ١٢٠٤-١٢٠٥.

(337) انظر مثلاً: الأصفهاني، كتاب الأغاني ٦ ص ٦٦-٦٧.

(338) الكُتبي، فوات الوفيات ١ ص١٤٦.

(339) أبو دُلف العِجلي: القاسم بن عيسى أبو دلف العجلي(ت ٢٢٦هـ/٨٤٠م)، قائد عباسي وشاعر ومقصود من قبل الشعراء في الرَّشيد أيام والمأمون والمعتصم (ابن الجوزي، المنتظم ١١ ص ١٠٢).

(340) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص ٢١٨.

(341) المصدر نفسه، ص ٢١٩.

(342) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٩ ص ٧٩، ٨٣.

(343) المصدر نفسه.

(344) الكُتبي، فوات بالوفيات ١ ص ١٤٦.

(345) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ١٠ ص ١٣٧-١٣٨.

(346) انظر: ابن المعتز، طبقات الشّعراء، ص ٢٢٠-٢٢٥.

(347) المصدر نفسه.

(348) انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان ٢ ص ٣١٦.

(349) انظر: الجوهري، الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤ ص ١٤٠٩.

(350) الجاحظ، الرسائل، رسالة فخر السُّودان على البيضان ١ ص ١٩٣.

(351) المصدر نفسه.

(352) اليزيدي، كتاب الأمالي، ص ١٢٨. ((

(353) أنظر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، نبذة تاريخية في أُصول أسماء الأمكنة العِراقية، مجلة سومر، تصدرها مديرية الآثار القديمة العامة- بغداد المجلد الثَّامن، السنة ١٩٥٢ ص ٢٥٣.

(354) ابن أعثم، كتاب الفتوح ٦ ص ٣١١.

(355) الأرندج: جلده أسود(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٩٠) .

(356) انظر: ابن أعثم، كتاب الفتوح ٦ ص ٣١١-٣١٢.

(357) المصدر نفسه ٦ ص ٣١٢.

(358) الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء ٣ ص ١٩٢..

(359) الجاحظ، الرّسائل، فخر السُّودان على البيضان ١ ص ١٩٣.

(360) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٢ ص ٢٠٥.

(361) الجاحظ، الرَّسائل، رسالة فخر السُّودان على البيضان ١ ص ١٩٣.

(362) ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ص ٤٣٦.

(363) المصدر نفسه.

(364) متز، الحضارة الإسلاميَّة في القرن الرَّبع الهجري ٢ ص ٣٢٢.

(365) المصدر نفسه. الخوارزمي، الرّسائل، ص ٧٩.

(366) انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٥ ص ١٥٨.

(367) البريدي: عادة تأتي أخبار ثلاثة أخوة عرفوا ببني البريدي، والبريدي هذا كان بالبصرة متولياً البريد، فأخذ اللقب من وظيفته، والإخوة هم/ أبو عبد

اللّه الذي أصبح وزيراً، وأبو الحسين وأبو يوسف، وقد قتل أبو عبد اللّه أخاه أبا يوسف ومات بعده بشهور، نفهم مِن أخبار هؤلاء أنهم جزء مِن أزمة الحكم حتى مجيء البويهيين إلى بغداد(٣٣٤هـ/٩٤٥م)، كانوا مطاردين في زمن أمير الأمراء بجكم، وبعد قتله ظهروا في الصراعات التي كانت جارية حينها، وحاربوا الحمدانيين، توفى أبو عبد اللّه البريدي (٣٣٢هـ/٩٤٣م) بعد أن قتل أخاه أبا يوسف بشهور، ثم توفى الأخ الثَّالث أبو الحُسين البريدي(٣٣٤هـ/ ٩٤٥مم)، أما في الخارج فكانت لهم مواجهات مع الحمدانيين بالموصل وحلب(انظر: مسكويه، تجارب الأمم ومناقب الهمم ٦ ص ٣٩ وما بعدها).

(368) التَّنوخي، الفرج بعد الشّدة ٤ ص ٢٣٨.

(369) سبق التعريف به.

(370) الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء ٣ ص ١٨٩.

(371) مسكويه، تجارب الأُمم ومناقب الهمم ٦ ص ٨٤. ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ٤١٦.

(372) انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه.

(373) اسكورج او أشكورج، كان مدير شرطة بغداد، وهو الذي تولى أمر اعتقال وقتل ابن حمدي وأصحابه(مسكويه، تحارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ٨٩).

(374) توزون: أبو الوفاء توزون التّركي(قُتل ٣٣٤هـ/٩٤٥م)، كان أحد أركان عصر أمير الأمراء، وصل إلى بغداد مِن واسط وأصبح قائد الجيش وأمير الأمراء وقائد الشُّرطة، وكان بينه وبينه الخليفة المتقي بالله وحشة، فخلع الخليفة وسمل عينيه، بعدا بقليل مات توزون مسموماً، وفي الّنة نفسها دخل البويهيون الديالمة وانتهى عهد أمراء الأتراك (انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٤ ص ٣٩، و٤٨).

(375) الصَّولي، كتاب الأوراق أخبار الرَّاضي والمتقي، ص٢٥٩.

(376) المصدر نفسه. مسكويه، تجارب الأُمم ومناقب الهمم ٦ ص ٨٩.

(377) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ٤١٦.

(378) انظر: التَّنوخي، الفَرج بعد الشّدة ٤ ص ٢٥١- ٢٥٥.

(379) المصدر نفسه ٤ ص ٢٥٥.

(380) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ١٣ ص ٢٠٠.

(381) هذا جد صاحب «فتوح البلدان»، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري الذي توفى (٢٧٩هـ/٨٩٢م)، فهو لم يُعاصر خصيب بن عبد الحميد، الذي عُرف في عهد هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ)، وعُرف بقصائد صديقه أبي نواس فيه(ت١٩٨هـ/٩١٣م) انظر، الحموي، معجم البلدان ٤ ص ٢٥٦، والصَّفدي، المصدر نفسه). لا يوجد تصويب مِن قِبل المحققين، بل أكدا أنه صاحب فتوح البلدان، فيا ليت شعري ماذا حققا مِن الكتاب إذا مرَّ مثل هذا الخطأ الفظيع؟!

(382) المصدر نفسه

(383) المقدسي، كتاب الرّوضتين في أَخبار الدَّولتين النُّوريَّة والصَّلاحيَّة ١ ص ٢٩٠-٢٩١.الصَّفدي، الوافي بالوفيات ١٣ ص ١٣٨.

(384) المحبي، خلاصة الأَثر في أَعيان القرن الحادي عشر ١ ص ٥٢٧.

(385) المصدر نفسه، ترجمة رقم: ٣١١.

(386) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٧ ص ٣٤٩.

(387) النَّفاطون: فرقة من الجيش، أخبارها كثيرة في العهد العباسي، ومقاتلوها مهمتهم رمي المشاعل على العدو، باستخدام النفط الخام، الذي يسيح مِن التفاطات، أي عيون النِّفط، وعدت ولاية النفاطات، أي تلك الفرقة، من أسوأ الولايات، وذلك بما يتعلق برائحة النفط، وهذا عبد الصَّمد بن المعذل(ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، نظم في صديق له ولي على النفاطات: «لَعمري لقد أظهرت تيهاً كأنَّما/ تولّيتَ للفضل بن مروانِ منبرا/ ومَا كنتُ أخشى لو وليتَ مَكانه/ عليَّ أبا العباس أنْ تتغيرا/ بحفظِ عيون النِّفط أظهرتَ نخوةً/ فكيف به لو كان مِسكاً وعنبرا»(البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ١٦٨).

(388) شيرمردي: يُقال له أبو الحَسن شيرمردي بن بلعباس قاضي الديلم(التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٧ ص ٣٤٩).

(389) المصدر نفسه.

(390) المصدر نفسه.

(391) المصدر نفسه ٧ ص ٣٥٠.

(392) الأصبهاني، محاضرت الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبلغاء ٣ ص ١٨٩.

(393) المصدر نفسه.

(394) الجاحظ، كتاب الحيوان ٥ ص٤٣٣.

(395) انظر: التَّنوخي، الفَرج بعد الشِّدة ٤ ص ٢٣٤- ٢٣٧.

(396) المصدر نفسه ٤ ص ٢٣٧.

(397) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٤ ص ١٢٧.

(398) التَّنوخي، الفَرج بعد الشِّدة ٤ ص ٢٣٢.

(399) المصدر نفسه ٤ ص ٢٣٣.

(400) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٦٢.

(401) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ص ٩٨.

(402) انظر القصة كاملة: المصدر نفسه ٩٧-١٠٠.

(403) الفتوة: عادة يكون الفتى المنتمي بشرب كأس الفتوة محمود الشمائل، صاحب نخوة ونجدة، اعتمدها عدد من الخلفاء العباسيي، وعلى وجه الخصوص الناصر لدين اللّه(ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥) راجع محمد بن أبي المكارم ابن المعمار(ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، في كتابه الفتوة(بغداد: ١٩٥٨)، الذي كتبه لرئيس الفتوة في زمانه وهو الخليفة المذكور، وقدم له مصطفى جواد خير تقديم، فأضاف على الكتاب كتاباً.

(404) كان ابن الخياطة يُسدد دينه (التَّنوخي، الفَرج بعد الشِّدة ٤ ص ١٠٢ حاشية المحقق).

(405) المصدر نفسه ٤ ص ١٠٢.

(406) التَّوحيدي، الامتاع والمؤانسة ٣ ص ١٦٠.

(407) المصدر نفسه.

(408) في الحديث عن هؤلاء، انظر: المصدر نفسه ٣ ص ١٦٠-١٦١.

(409) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٩ ص ٤٣٨-٤٣٩.

(410) انظر: المصدر نفسه ١١ ص ٦٢-٦٤.

(411) المِجَنّ: التَّرس، وعندما يُقال: «قلب له ظهر المجنّ» أي صار ضده، ومنها أيضاً قلب مجَنَّه أي نزع عنه الحياء وفعل ما يشاء(المعاني، على الرابط:

(/https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%AC%D9%86.

(412) آق سنقر: أبو سعيد آق سنُقُر بن عبد الله، الملقب قسيم الدَّولة التركي أو التركماني (قُتل ٤٨٧هـ/)، والمعروف بالحاجب، وهو والد عماد الدِّين زنكي وجد نور الدين زنكي (ت ٥٦٩هـ)، وكان مملوكاً،عُين نائب السلطان تتش بن ألب أرسلان على حلب، وكان مملوكاً لأخيه(ابن خِلكان، وفيات الأعيان بأنباء أبناء الزَّمان ١ ص ٢١٧-٢١٨)، وهو غير أق سنقر البرسقي الغازي، والملقب أيضاً قسيم الدَّولة صاحب الموصل، وكان شحنة بغداد(المصدر نفسه ٢١٨-٢١٩).

(413) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص٢٤٢.

(414) المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

(415) زكار، الموسوعة الشَّاملة في تاريخ الحروب الصَّليبية ٣ص ١١٩٦.

(416) ابن مُنقذ، كتاب الأعتبار، ص ١٠٨.

(417) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(418) شيزر: ناحية مِن نواحي الشَّام، قُرب معرة النُّعمان، تعد مِن توابع حَمص(انظر: الحَموي، معجم البلدان ٣ ص ٣٨٣.).

(419) الزَّمانة: أزمن الشيء طال عليه، وذو الزَّمانة(ابن عباد، المحيط في اللغة ٩ ص ٧٠)، وتأتي هنا بمعنى المرض المزمن.

(420) ابن منقذ، كتاب الأعتبار، ص ١٠٨.

(421) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(422) انظر: الجاحظ، كتاب الحَيوان ٦ ص٣٨٩-٣٩٠.

(423) المصدر نفسه ٢ ص ٢٦٤-٢٦٥.

(424) الوهق: حبل مفتول فيه عقدة أو أنشوطة، تمد بأحد طرفيها، توضع في رقبة الدابة (الجاحظ، كتاب الحَيوان ٢ ص٣٦٥ حاشية المحقق).

(425) الجاحظ، كتاب الحَيوان ٢ ص٣٦٥.

(426) الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٣ ص ١٩٨. الجاحظ، كتاب الحيوان ٢ ص ٢٧٠-٢٧١.

(427) الجاحظ، كتاب الحيوان ٢ ص ٢٦٦. صاحب الشعر قيل أعشى همدان(انظر: ابن قُتيبة، عيون الأخبار، المجلد الأول، ص ٥٤٥).

(428) انظر: المصدر نفسه ٢ ص ٢٦٧ و٦ ص ٣٩٠-٣٩١.

(429) ابن قُتيبة، عيون الأخبار، المجلد الأول، ص ٥٤٥.

(430) انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان ٦ص ٣٨٩.

(431) المصدر نفسه ٣ ص ٤٥٢.

(432) انظر: التَّنوخي، الفرج بعد الشِّدة ٤ ص ٢٧- ٢٣٠.

(433) انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ١٢٩.

(434) انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٥ ص ١٥٣ -١٥٤.

(435) ابن قُدامة، التَّوابون، ص ١٩٨.

(436) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

(437) المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

(438) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(439) انظر: التنوخي الفرج بعد الشِّدة ٤ ص ٢٦٦-٢٦٧.

(440) شافعي محمد وصالح محمد، اللُّصوص والقراصنة في عصر الحروب الصّليبية، ص ٩٩.

(441) الملوحي، اللُّصُوص أخبارهم وأَشعارهم ٢ ص ١٧٢ ناقلاً عن حسين عطوان في شعراء الصَّعاليك في العصر الأموي، ص ٧٥.

(442) ابن أعثم، كتاب الفتوح ٦ ص ٣٠٦.

(443) المصدر نفسه ٦ ص ٣٠٤.

(444) عناجيج: جياد الخيل والإبل (الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١٩٩).

(445) ابن أعثم، كتاب الفتوح ٦ ص ٣١٠.

(446) مدينتا جازرٍ ودسترا: جازر: قرية قريبة على بغداد مِن نواحي النَّهروان، وأقرب إلى المدائن أيضاً، وهناك جزر مِن قرى السهول بحلب، لكن المقصودة هناك على ما يبدو جازر العراقيَّة (انظر: الحموي، معجم البلدان ٢ ص ٩٤). أما مدينة دسترا فلم نجد لها وقعاً، وربما كان مصحفة مِن دستوا، مِن نواحي الأهواز(المصدر نفسه ٢ ص ٤٥٥).

(447) ابن أعثم، كتاب الفتوح ٦ ص ٢٩٩-٣٠٠.

(448) المصدر نفسه ٦ ص ٢٩٦.

(449) المصدر نفسه.

(450) الجاحظ، الرّسائل (رسالة الحُجَّاب) ٢ ص ٧٩.

(451) المصدر نفسه.

(452) عين التَّمر: بلدة غربي الكوفة، بقربها موضع يسمى شفاثا، مشهور بالتمر، وهي قديمة افتتحت من قِبل المسلمين(١٢ هـ)، نقع على البريّة (الحَموي، معجم البلدان ٤ ص ١٧٦). اندثرت عين تمر القديمة، والمنطقة الآن تُعرف بشفاثا، أما موضع عين تمر القديم فيسميه أهل شفاثا «خراب» و «رأس العين»(الشَّرقي، عين التَّمر، ص ١٤).

(453) هيت: مدينة عراقيَّة مشهورة، تقع غربي العراق على الفرات بعد الأنبار، مشهورة بنواعيرها التَّاريخيَّة، ومعوفة بعين القار الأزليَّة فيها، ذكرها أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) عندما عاد مِن بغداد إلى معرة النُّعمان: «هات الحديث عن الزوراء أو هيتا/ وموقد النَّار لا تُكرى بتكريتا»(سقط الزّند، ص ١٧١)، والزوراء هي بغداد.

(454) انظر: ابن أعثم، كتاب الفتوح ٦ ص ٣٠٧.

(455) الإمامة في قريش: «الأئمة من قريش»، و «قدموا قُريشاً ولا تَقدموها»(الماوردي، الأحكام السُّلطانية، ص٦)، وحسب قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي(ت٤٥٠هـ) شروط الخلافة سبعة، والنَّسب لقريش هو شرطها السابع (المصدر نفسه). أيّ لا تصلح الإمامة إلاّ في قريش.

(456) هناك مَن يروي بأن البيت وهو مِن قصيدة طويلة لسُحَيم بن وثيل الرِّياحي (الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٥ ص ٢٣٩.

(457) ابن أعثم، المصدر نفسه ٦ ص ٢٩٦. الطَّبري، المصدر نفسه ٥ ص ٢٣٩.

(458) ابن أعثم، المصدر نفسه ٦ ص ٢٩٦.

(459) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٥ ص ٢٣٥.

(460) ابن أعثم، المصدر نفسه ٦ ص ٢٧٤. وردت أيضاً: «ألم تعلمي يا أُمَّ توبةَ أنني/أنا الفارسُ الحامي حقلئق مذحج» والبيت الآخر قاله في قصيدة أخرى:»هم هدموا داري/وقادوا جليلتي/إلى سجنهم والمسلمون شهودي»(انظر: الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٥ ص ٢٣٦).

(461) انظر مجمل قصة ابن الحُر: الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٥ ص ٢٣٥-٢٤٢. ابن أعثم، كتاب الفتُوح ٥ ص ٧٣- ٧٤ و٦ ص ٢٦٩-٣١٦.

(462) ابن أعثم، المصدر نفيه ٦ ص ٢٩٨.

(463) متز، الحضارة الإسلاميَّة في القرن الرَّابع الهجري ٢ ص ٣٣٩

(464) الحموي، معجم البلدان ٢ ص ٩٥.

(465) مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ١٠١.

(466) أبو القاسم البريدي: من الأسرة البريدية، التي مر ذكرها، وكان ضامن خراج واسط، واستأمن عنده عمران بن شاهين، فقلده حماية منطقة الجامدة، ومنها اشتد امر ثورته (انظر: مسكويه، تحارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ١٥١).

(467) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ٤٨١. ابن عريب، صلة تاريخ الطَّبري ٩ ص ٣٨٠(ملحق ضمن تاريخ الطَّبري).

(468) أبو جعفر الصّيمري: محمد بن أحمد(ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م) وزير معز الدولة البويهي ببغداد، وجه لمحاربة عمران بن شاهين، وكاد يقضي عليه (انظر: مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ١٥١وما بعدها).

(469) انظر: مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ١٥٤.

(470) المصدر نفسه ٦ ص ١٦٢.

(471) المصدر نفسه ٦ ص ١٧٧.

(472) المصدر نفسه ٦ ص ٤٠١.

(473) ابن عُريب، صِلة تاريخ الطَّبري ٩ ص ٤٢٩ (ضمن تاريخ الطبري).

(474) المصدر نفسه ٩ ص ٤٢٩.

(475) المصدر نفسه ٩ ص ٤٣٠.

(476) ركن الدولة البويهي: الملك أبو علي الحسن بن بُويه بن فناخسرو الدَّيلمي الملقب بركن الدَّولة (ت ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م)؛ حاكم عراق العجم (أصفهان والرَّي وهمذان)، والد عضد الدَّولة، وهو أوسط أولاد بويه الثَّلاثة: عماد الدَّولة وركن الدَّولة ومُعز الدَّولة (انظر: ابن خِكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ١ ص ٣٨٩- ٣٩٠).

(477) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ٦ ص ٣٧٥-٣٧٦.

(478) المهلبي: الوزير أبو محمد بن محمد بن هارون الأزدي (ت ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م)، يعود نسبه إلى المهالبة من المهلب بن أبي صُفرة، ولده كان وزير مُعز الدَّولة البويهي، وقبل الوزارة كان في ضائقة، وكان شاعراً، والحرب بين البويهيين والحمدانيين قائمة في زمانه (انظر: ابن خِكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ١ ص ٣٩٢- ٣٩٥).

(479) انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ٤٩٠-٤٩١.

(480) المصدر نفسه ٨ ص ٥٣٢.

(481) المصدر نفسه ٨ ص٦١١.

(482) المصدر نفسه ٨ ص ٦١٠-٦١١.

(483) مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ٤٤٦. ابن الأثير، المصدر نفسه ٨ ص ٧٠١.

(484) عضد الدَّولة: أبو شجاع فنَّاخُسرُو بن مُعز الدَّولة البويهي، جمع ممالك آل بويه بيده، ببلاد فارس والعِراق، وقيل هو أول مَن خوطب رسمياً بالملك في الإسلام، واول مَن خُطب باسمه على المنابر ببغداد بعد الخليفة العباسي، ومِن ألقابه «تاج الملة»، وله صنف الصَّابي كتاب «التَّاجي» في تاريخ بني بويه، قصده فحول الشّعراء مادحين، وبينهم أبو الطَّيب المتنبي، وكان يُقيم بشيراز، قصده المتنبي في السنة نفسها التي قُتل به الأخير(٣٥٤هـ)، واشتهر باسمه المبيمارستان العضدي ببغداد، أي المستشفى، توفي بمرض الصَّرع (٣٧٢هـ/ ٩٨٢م)، ودُفن بالنَّجف، حيث مشهد علي بن أبي طالب (انظر: ابن خِلِّكان، وفيات الأَعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٣ ص ٣١٨-٢٢٢).

(485) مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ٣٩٢.

(486) ابن بقية: الوزير أبو طاهر محمد بن بقية (قُتل ٣٦٧هـ/٩٧٧م) صاحب اللقبين: نصير الدَّولة لقبه، والنَّاصح لقبه به الخلفاء العباسيين، كان في بداية أمره يعمل في مطبخ معز الدَّولة، وتطور به الحال مع ولده عز الدَّولة بختيار، كان كريماً بلا حدود، وقيل أراد أن يغلب كرمه على عمله السَّابق في المطبخ، ولما توزر قيل فيه: «مِن الغضارة إلى الوزارة»، راح ضحية الخلاف والحرب بين أبني العم عضد الدَّولة بن عماد الدَّولة بشيراز وعز الدّولة بن معز الدَّولة

ببغداد، وبعد قتل عزّ الدولة، سُملت عيناي ابن بقية، ورمي به تحت أرجل الفيلة، وظل مصلوباً عند البيمارستان العضدي، حتى وفاة عضد الدَّولة، وفيه قيلت القصيدة الشهيرة قالها أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري، ومطلعها: «علوٌ في الحياة وفي الممات/ لحقٌّ تلك إحدى المعجزاتِ»(انظر: ابن خِلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٤ ص ٢٠٣-٢٠٨).

(487) مسكويه، تجارب الأُمم وتعاقب الهمم ٦ ص ٣٩٢-٣٩٣.

(488) المصدر نفسه ٦ ص ٣٩٣.

(489) الأسْطُرلابي، درةُّ التَّاج في شعر ابن الحَجَّاج، ص ٥٦٥. ابن عُريب، صِلة تاريخ الطَّبري، ضمن تاريخ الأُمم والملوك ٩ ص ٤٢٩.

(490) حِرز الدِّين، مراقد المعارف في تعيين مراقد العلويين والصَّحابة والتّابعين والرّواة والأدباء والشُّعراء ٢ ص ١٣١-١٣٢.

(491) المصدر نفسه ٢ ص ١٣٢.

(492) ابنُ نباتة، تلطيف المزاج في شِعر ابن الحَجَّاج، ص٢٨٦.

(493) مالك اسم حافظ جهنم، ورضوان اسم حافظ الجنَّة.

(494) الأَسْطُرلابي، درَّة التَّاج في شِعر ابنِ الحَجَّاج، ص ٢٤.

(495) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٨ ص ٧٠١-٧٠٢.

(496) لا نعلم، هل هذا اللص نفسه هو مَن كان ضمن عصابة الماريخان، السابقة الذكر أم غيره، وربَّما تكون الحادثة نفسها التي كان فيها دعبل الخزاعي!

(497) انظر: التَّنوخي، الفرج بعد الشِّدة ٤ ص ٢٦٤.

(498) سيرة شاعر، محمد محمود الزُّبيري، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثَّقافية- الكويت، قصيدة «صيحة البعث»، على الرَّابط:

https://www.almoajam.org/lists/inner/6857

(499) راجع:الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٤ ص ٩١ وما بعدها.

(500) المصدر نفسه ٢٢ ص ٢٠١. الحموي، معجم البلدان ١ ص ٦٥. ابن حمدون، الذكرة الحمدونية ٨ ص ٢٦٣-٢٦٤.

(501) المصدر نفسه ٢٢ ص ٢٠٢.

(502) المُبَّرد، الكامل في اللغة والأدب ٢ ص ٣٦٨.(حفير زياد: نهر احتفره زياد بن أبيه على خمس ليالٍ مِن البصرة/المحقق).

(503) المصدر نفسه.

(504) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٢ ص ٢٠٧.

(505) المصدر نفسه ٢٢ ص ٢١١.

(506) المصدر نفسه ٢٢ ص ١٩٩-٢٠٠. انظر: الحموي، معجم البلدان ٢ ص ٣٥٣ و٣ ص ٣٢- ٣٣، ٣٢٤. و٤ ص ٢٠، و٥ ص ١١٥.

(507) الحموي، المصدر نفسه ٤ ص ٢٠٥.

(508) المرزباني، معجم الشُّعراء، ص ٤٧٥.

(509) المصدر نفسه.

(510) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢٢ ص ٢٢٥.

(511) المرزباني، معجم الشُّعراء، ص ٢٩٥.

(512) المصدر نفسه، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(513) الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص ٤٢.

(514) ابن قُتيبة، عيون الأخبار، المجلد١ ص ٢٧٢ (لم يُسَمِّ ابن قتيبة شاعرها الأُحيمر السَّعدي إنما قال: وشعر لِصٍ آخر). المصدر نفسه، ص ٤٢- ٤٣ (جاءت في المؤتلف والمختلف: ولوَحَ إنسانٌ).

(515) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٣ ص ٣٨٠.

(516) الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ٤ ص ٥٢٤.

(517) الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص ٤٢.

(518) المصدر نفسه، ٤٣.

(519) المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٤.

(520) رايت، جرزة الحاطِب وتُحفة الطّالب (ديوان الكلابي للسكري)، ص٨٧.

(521) بركلمان، تاريخ الأَدب العربي ١ ص ٢٤٧-٢٤٨ عن أخبار اللُّصُوص للسُّكري، ص ١٠٠ ودائرة المعارف الألمانيَّة ٤ ص ٦٦٥-٦٦٦.

(522) المعيبد، ديوان طهمان بن عمرو الكلابي بشرح أبي سعيد السُّكري (تحقيق)، ص ٤٠.(الحقو: الخص أو الأزرار/المحقق).

(523) المعري، الفصول والغايات ١ ص ٦٢.

(524) رايت، جزرة الحاطِب وتُحفة الطَّالب (ديوان الكلابي للسكري)، ص ٨٥.

(525) المصدر نفسه، ص ٧٧-٧٨.

(526) المصدر نفسه، ص ٨٥. معنى لزبة: الثابتة الطين المتماسك، وألزبت السَّنة أي أجدبت وأمحلت(موقع المعاني، على الرابط:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89-(/%D9%84%D8%B2%D8%A8%D8%A9

(527) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(528) فراج، ديوان مجنون ليلى، ص ١٠٧ و١٩٩. لا نعلم، هل يُحسب هذا ضرباً مِن السَّرقة، أم أخطاء مؤرخي الأدب؟! غير أن ابن المعتز يقول في طبقاته عمّا كان يُنسب لقيس بن المُلَّوح من الغزل بليلى، وما يُنسب لأبي نواس كلّ شعر فيه مجون: «هذا الشّعر مما ينحله العامة أبا نواس، وذلك غلط؛ لأن العامة الحمقى قد لهجت بأن تنسب كل شعر المجون إلى أبي نواس، وكذلك تصنع في أمر مجنون، كلُّ شعر فيه ذكر ليلى تنسبه إلى مجنون»(ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص ٨٩).

(529) الحَموي، مُعجم البلدِان ٥ ص ٢٧٠.

(530) المرزباني، معجم الشّعراء، ص ١٦٢.

(531) المصدر نفسه.

(532) الحموي، مُعجم البلدان ٥ ص ٢٧٠.

(533) الكبل: القيد.

(534) المصدر نفسه ١ ص ٤٢٧.

(535) الجاحظ، البيان والتبيين ٢ ص ٢٦٣.

(536) المصدر نفسه ٣ ص ٤٥٥.

(537) المرزباني، مُعجم الشُّعراء، ص ٤٦٩.

(538) المصدر نفسه.(الصَّرد: السهم الذي ينفذ من الرَّميَّة إلى الجانب الآخر).

(539) المصدر نفسه: دَهْوَرَ كلامَه: قَحَّمَ بعضه في إِثر بعض(قاموس المعاني لكل رسم معنى، على الرابط:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-/ar/%D8%AA%D8%AF%D9%87%D9%88%D8%B1%D8%AA).

(540) انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ١٠ ص ٦٠٢-٦٠٣.

(541) المُبرَّد، الكامل في اللغة والأدب ٢ ص ٤٤٥.

(542) الجاحظ، كتاب الحيوان ٧ ص ١٥٩.(نيء بإنضاج: الطعام النيء والمطبوخ).

(543) المصدر نفسه ١ ص ٤٩٤.

(544) المصدر نفسه.

(545) البصري، الحماسة البصرية، ص ٩٨ رقم البتين: ٦٥. من معاني القنور: الضخم السمج(قاموس المعاني لكل رسم معنى، على الرابط:

https://www.almaany.com/ar/dict/ar-
.(/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%82%D9%86%D8%B1

(546) المُبرَّد، الكامل في اللغة والأدب ١ ص ٢٥٤.

(547) المصدر نفسه.

(548) المصدر نفسه ٣ ص ٤٩٣.

(549) هذا البيت هناك مَن ينسبه إلى الشَّاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة العامري (ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص ٢٣٨).

(550) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٣ ص ١١٣.

(551) ابن عبد ربه، العقد الفريد ٤ ص ٧٣.

(552) المصدر نفسه.

(553) الحموي، معجم البلدان ٢ ص ٤٩٦ والخَزل والدَّال بين الدُّور والدَّارات والدّيرة ١ ص ٢١.

(554) المصدر نفسه.

(555) الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء ٣ ص ١٩٠-١٩١.

(556) يصف الخوارج أنفسهم بالشُّراة، وينسل إليهم القول: «شرينا أنفسنا في طاعة اللّه، أيّ بعناها بالجنة»(الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ١٢٧-١٢٨). لأنهم باعوا متاعهم في الحياة الدنيا واشتروا به الجنة، تمثلاً بالآية: [إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ](سورة التوبة، الآية: ١١١).

(557) الأصفهاني، كتاب الأغاني ١٢ ص ١٢٣-١٢٤.

(558) الزَّمخشري، المستقصي في أَمثال العرب ٢ ص ٢٣٠.

(559) انظر: البكري، معجم ما استعجم، ص ١٩٩ و١٢٩٠.

(560) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٤ ص ٤٠٠.

(561) الدِّميري، حياة الحيوان الكبرى١ ص ٣٨٩. يُذكر أن علي بن أبي طالب لما ولدته أمه فاطمة بنت أسد، كان أبوه غائباً، فسمته، على اسم أبيها أسداً، لهذا عُرف بحيدرة، والحيدرة مِن أسماء الأسد، لكن لما قَدم أبوه سماه: علياً(المصدر نفسه).

(562) أبو تمام، ديوان الحَماسة، ص ١٨١.

(563) ابن الأعرابي: اللَّغوي الكوفي الشَّهير أبو عبد اللّه محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي (ت ٢٣١هـ/٨٤٦م)، أستاذ لأكابر اللُّغة، ومِن الناقلين عنه، كان يدعي أن أئمة اللغة البصريين لا يفقهون شيئاً، له مصنفات عديدة، توفي بسامراء(انظر: الذَّهبي، سير أعلام النُّبلاء ١٠ ص ٦٨٨).

(564) الحَموي، معجم البلدان ٢ ص ٢٢٣. بعد البحث في الكتاب المطبوع لنوادر ابن الأعرابي، لم نجد هذه الأبيات، ولا التي ستأتي بعدها، فربَّما النسخة التي وصلتنا ناقصة عن التي أقتبس منها الحَموي.

(565) المصدر نفسه ٢ ص ٣٢٠.

(566) سيبويه، الكتاب ٢ ص ٣٦٢.

(567) المعري، الفصول والغايات ١ ص ٥٨-٥٩. الأقران: الخبال، والقرح وادي القرى (حسب حاشية المحقق).

(568) البصري، الحَماسة البّصريَّة، ص ٣٠٦. أُرِيغ المال: طلبه/ والنَّشب المال/ ويْب: الويل (حسب حاشية المحقق).

(569) المعري، الفصول والغايات ١ ص ٤٧٤-٤٧٥.

(570) العسكري، المصون في الأدب ١ ص ١٢٩.

(571) المصدر نفسه.

(572) ابن فارس، مقاييس اللغة ١ ص ٢٦٩.

(573) الحاتمي، حَلية المحاضرة في صِناعة الشّعر ٢ ص ١٦٩-١٧٠. يشرح الحاتمي الأبيات: جعل نفسه العُقاب وأُمها جبل أُحد الذي كان يأوي إليه، وجعل الشهود بني صُحف؛ لأن اسماءهم مشتقة منها، وحماض محنية إشارة إلى الرؤوس واللّحى المخضبة (المصدر نفسه).

(574) الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء ٣ص ١٩٠. ابن حَمدون، التَّذكرة الحَمدونيَّة ٨ ص ٣٢٠. والمعنى حسب ابن حمدون: إذا سَرق الهوامل وهي الأباعر السَّارحة، عفت الرّيح أثره، فلم يوقف على أثر ونجا(المصدر نفسه)، ومِن المعروف أن القافي يتتبع أثر اللُّصُوص، التي تتركها أقدامهم.

(575) ابن حمدون، المصدر نفسه، والمعنى نفسه، إن هبوب الرّياح تفعي أثر القدم.

(576) الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء ٢ ص ١٩٠.

(577) المصدر نفسه.

(578) المصدر نفسه.

(579) ابن فارس، مقاييس اللغة ١ ص ٢٦٩.

(580) الجاحظ، كتاب الحيوان ٧ ص ١٥٩. الجاحظ، البيان والتّبيين ٤ ص ٦٢.

(581) صنف الجاحظ كتاباً عنوانه «حِيَل لُصوص النَّهار»(انظر: الجاحظ، البخلاء، ص ١١).

(582) مثال ذلك والأمثلة كثيرة: قُبض بمصر، السَّنَّة (٢٣٧هـ/٨٥٠م)، وُفقَ أمر وصل مِن الخليفة ببغداد يقضي بمصادرة أموال موظفين كبار «فحبسوا فيها مع اللُّصوص»، ونُهبت أموالهم ومنازلهم(انظر: الكندي، الولاة والقضاة، ص ١٥٠)، كذلك قُبض في السَّنة (٥٤٧هـ/١١٥٢م) على فقيهين مِن مدرسي المدرسة النِّظاميّة ببغداد، وحُملا حمل اللُّصوص، وقُبض ببغداد أيضاً على الشَّاعر أبي الفوارس سعد بن محمد المعروف بِحَيْص بَيْص(ت٥٧٤هـ/١١٧٨م)، وكان مِن الوجهاء «أُخذ مِن بيته ماشياً مُهاناً، وحُمل إلى حبس اللُّصوص»(انظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٨ ص ٨٣-٨٤).

(583) الغزالي، إحياء علوم الدِّين، كتاب ذَم الدُّنيا، ص ١١٢٨.

(584) المصدر نفسه، ص ١٤٧٠.

(585) المصدر نفسه، ص ١١٣٠.

(586) الجاحظ، البخلاء، ص ٧٦.

(587) نظر: المصدر نفسه، ص ٧٦-٧٨.

(588) الغزالي، إحياء علوم الدِّين، ص ١١٣١.

(589) ابن حَزم، المُحلى بالآثار ٧ ص ٢٠٣. مسألة: ١٤٠٨(طبعة دار الفكر).

(590) المصدر نفسه ١٠ ص ٢٠٣.

(591) التوحيدي ومسكويه، الهَوامل والشَّوامل، مقدمة التَّحقيق، ص: ج.

(592) المصدر نفسه، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(593) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢ ص ٢٧٦. الكُتبي، فوات الوفيات ١ ص ٢٨٦-٢٨٧.

(594) انظر: التَّنوخي، الفَرج بعد الشِّدة ٤ ص ٢٣٨-٢٣٩.مسكويه، تجارب الأُمم ومناقب الهمم ٦ ص ٨٤و ٨٩. الصَّولي، كتاب الأوراق أخبار الرَّاضي والمتقي، ص ٢٥٩.

(595) الثَّعالبي، يتيمة الدَّهر في محاسن أهل العصر ٤ ص ٣٨- ٤٠.

(596) الزَّمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل ٢ ص ٩٦.

(597) المصدر نفسه ٣ ص ٤١٥.

(598) البتوني، الرِّحلة الحجازيّة، ص ٥٢.

(599) التَّوحيدي، البصائر والذَّخائر ٢ ص ٣٩١.

(600) الجاحظ، كتاب الحيوان ٥ ص ١٢٣.

(601) النُّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ٩ ص ١٤٧.

(602) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص ١٧٠.

(603) الثَّعالبي، يتيمة الدَّهر ٣ ص ٤٩٥. المهمه: القفر لا ماء فيها، والصحصحان: الأرض الجرداء، والمرت الأرض لا نبات فيها(حاشية المُحقق).

(604) الهمداني، مقامات بديع الزَّمان الهمداني، (المقامة كاملة) ص ٢٢٨- ٢٢٩.

(605) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

(606) المصدر نفسه، ص ١٣١.

(607) الآنبي، نثر الدُّر في المحاضرات ٧ ص ١٨٢.

(608) ابن المعذل:أحمد بن المعذل غيلان البصري، شيخ المالكيَّة في زمانه، تفقه على يد أبي مروان عبد الملك بن الماجشون(الذهبي، سير أعلام النبلاء

١١ ص ٥٢٠).

(609) قال شمس الذهبي: «العَلاَّمَةُ، الفَقِيْهُ، مُفْتِي المَدِيْنَةِ، أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ المَلِكِ ابْنُ الإِمَامِ عَبْدِ العَزِيْزِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي سَلَمَةَ بنِ المَاجَشُوْنِ التَّيْمِيُّ مَوْلاَهُمْ، المَدَنِيُّ، المَالِكِيُّ، تِلْمِيْذُ الإِمَامِ مَالِكٍ.. وَكَانَ مُوْلَعاً بِسَمَاعِ الغِنَاءِ»(سير أعلام النبلاء ١٠ ص ٣٥٩- ٣٦٠).

(610) ابن الجوزي، كتاب الأذكياء، ص ٢٤٦-٢٤٧. الذّهبي، سِير أعلام النُّبلاء ١١ ص ٥٢١.

(611) المصدر نفسه.

(612) خسرو، سفرنامة، ص ١٧٦-١٧٧.

(613) ابن سينا، القانون في الطَّب ٢ ص ١٠٦.

(614) النَّصراني:الوزير نصر بن هارون النَّصراني (قُتل ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م)، كان وزيراً بشيراز لعضد الدَّولة، وبعد وفاة الأخير قتله ولد شرف الدَّولة البويهي، بدعوى أنه كان يسيء صحبته زمن أبيه (ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ٩ ص ٢٣).

(615) الآبي، كتاب الدُّر في المحاضرات ٧ ص ١٨٢.

(616) المصدر نفسه.

(617) ما يتعلق بالمد والجزر، يأتي الماء مرة وينحسر مرة، والبيروني قد شرحها.

(618) البيروني، الجماهر في الجواهر، ص ٥٣- ٥٤.

(619) الجاحظ، كتاب الحَيوان ٤ ص ٤٩١-٤٩٢.

(620) المصدر نفسه ٣ ص ١٢٣.

(621) الخازن:أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن، وصف أنَّه من حسنات أصفهان، وأعيان أهلها، كان من خواص الوزير ابن عبد ومِن ريعان شبابه كان يتولى خزانة كتبه، ثم أصبح من ندمائه، لكن بعد ذلك غضب عليه فظل

مسافراً بين العراق والشّام والحجاز، حتى عاد إلى ابن عباد (الثّعالبي، يتيمة الدَّهر في محاسن اهل العصر ٣ ص ٣٧٩- وما بعدها).

(622) الثَّعالبي، يتيمة الدَّهر في محاسن أَهل العصر ٣ ص ٣٧٩.

(623) المصدر نفسه ٣ ص ٣٨١.

(624) التَّوحيدي، الامتاع والمؤانسة ٢ ص ١٥٤.

(625) المصدر نفسه.

(626) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٨ ص ١٢٢. ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١١ ص ١٦٤.

(627) مفردها بدرة: كيس مِن الجلد يحتوي على ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٣٤٨).

(628) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجَوهر ٥ ص ١٥٣.

(629) المصدر نفسه.

(630) انظر: القصة كاملة في المصدر نفسه ٥ ص ١٥٣-١٥٥.

(631) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ١٠ ص ٤٨.

(632) المصدر نفسه. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٥ ص ٢٤٣.

(633) متز، الحضارة الإسلاميَّة في القرن الرَّابع الهجري ٢ ص ٣٣٨.

(634) ابن الجوزي، تاريخ الملوك والأُمم ١٨ص ٤٨.

(635) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأَخبار المذاكرة ٧ ص ٩٦. ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ٢٥٣.

(636) الدِّهِليز: ما بين الباب والدَّار، أي المدخل، تعريب دهله بمعنى: القنطر أو العقدة (آدي، معجم الألفاظ الفَارسيَّة المُعَربة، ص ٦٨).

(637) انظر:التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٨ ص ٢٢٦-٢٢٨.

(638) السَّفاتج: ما نسميه اليوم بالحوالة الماليَّة، أن يُعطى مالاً لآخر، وللآخر مال في بلد المعطي، وذلك للتخلص مِن قاطعي الطَّريق اللصُوص، ومفردها السُّفتَجة(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٩٣).

(639) انظر: التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٨ ص ٢٢٢-٢٢٥.:

(640) خاقان:أبو القاسم الوزير عبد الله بن محمد خاقان(ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، حفيد الوزير المعروف أبي الفتح عبد الله بن يحيى خاقان، وزير جعفر المتوكل، وُزرَ أبو القاسم للمقتدر بالله سنتين(انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٣ ص ٩).

(641) متولي المعونة: أو صاحب المعونة، وظيفة ملتبسة على ما يبدو، فمن الاسم يُظن أنها تخص معونة الناس، لكن من خلال الاطلاع على مهمام صاحبها أو متوليها تبدو لها علاقة بالشُّرطة والقضاء، مثلاً ورد في الخبر: «كان بمصر دار شحنة، تُسمَّى دار المعونة، يُحبس فيها مَن يريد حبسه، فهدمها صلاح الدِّين، وبناها مدرسة شافعيَّة»، وأنها ذكرت مع ديوان القضاء والصَّدقة والخراج(انظر: ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ١١ ص ٣٧٧ والحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(معجم الأدباء) ٥ ص ٢٠١١).

(642) الشَّوكاني، البدر الطَّالع ١ ص ٢٢٠.

(643) الذَّهبي، الكبائر، ص ١١٢- ١١٣.

(644) ابن المرزبان، تفضيل الكلاب على كثيرٍ مِمَّن لبس الثِّياب، ص ١٠٣-١٠٤. ابن الجوزي، أخبار الأذكياء، ص ٢٤٩- ٢٥٠.

(645) انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان ١ ص ٣٧٠- ٣٧٥.

(646) المصدر نفسه.

(647) المصدر نفسه ١ ص ٣٧٢.

(648) المصدر نفسه.

(649) المصدر نفسه ١ ص ٣٠٢-٣٠٣.الحريبة: المال الذي يعيش به الإنسان(حاشية المحقق).

(650) ابنُ المرزبان، تفضيل الكِلاب على كثيرٍ ممَن لبس الثِّياب، ص ٩٤- ٩٥.

(651) ابن حزم، المفصل في الأهواء والنِّحل ٣ ص ١٣٦.

(652) المصدر نفسه.

(653) المصدر نفسه.

(654) المصدر نفسه.

(655) السَّكسكي، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، ص٨٩.

(656) راجع: البلخي، القاضي عبد الجبار، الجشمي، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تونس: الدار التونسية ١٩٧٤، وابن المرتضى، طبقات المعتزلة، بيروت: دار المنتظر ١٩٨٨ والخياط، كتاب الانتصار، بيروت: دار قابس ١٩٨٦، والحميري، الحور العين، بيروت: دار آزال للكباعة والنشر.

(657) راجع: النوبختي، فِرق الشيعة (وفرق أهل الإمامة)، النجف: المطبعة الحيدريَّة، والأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ألمانيا: دار فرانز شتايز، و الاستفرايني، التَّبصير في الدِّين، بيروت: دار الكتب ١٩٨٣ والبغدادي، الفرق بين الفرق، بيروت: دار الجيل ودار الآفاق ١٩٨٧، والشهرستاني، الملل والنِّحل، بيروت: دار المعرفة، بلا تاريخ طباعة.

(658) الشَّربيني، هزُّ القحوف في شرح قصيدة أَبي شادوف، ص ٢٧٧.

(659) التَّفتازاني، شرح التَّفتازاني على الأحاديث الأربعين النَّوويّة، ص ١٠٩.

(660) ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤ ص ٤٩٦.

(661) ديوان البحتري ١ ص ٦٢.

(662) ديوان أبي نواس برواية الصُّولي، ص ١٢٣.

(663) المصدر نفسه، ص ١٢٦. الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشُّعراء والبُلغاء ٣ ص ١٩١.

(664) النَّجار، حكايات الشطار والعيارين، ص ١٤١.

(665) المصدر نفسه.

(666) الأصفهاني، محاضرت الأدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء ٣ ص ١٩١..

(667) ديوان أبي نواس (طبعة أبو ظبي)، ص ١٣٤.

(668) ديوان أبي نواس (طبعة بيروت/ الكتاب العربي)، ص ٢.

(669) الأصبهاني، محاضرت الأُدباء ومحاورات الشُّعراء والبلغاء ٣ ص ١٩١.

(670) التَّعزير: «التأديب، وهو واجب في كلِّ معصية لا حدّ فيها ولا كفارة، كاستمتاع لا حد فيه، وسرقة لا قطع فيها، وجناية لا قود فيها، وإتيان المرأة المرأة، والقذف بغير الزّنا ونحوه، ولا يُزاد في التَّعزير على عشر جلدات، ومَن استمنى بيده مِن غير حاجة عزر»(الحجاوي، زاد المستقنع في اختصر المُقنع، ص ١٣٤)، والخلاصة أن التَّعزير: «تأديب دون الحدّ، وأصله مِن العزر وهو المنع»(الجَرجاني، كتاب التَّعريفات، ص ٦٢).

(671) راجع: عياض، القاضي أبو الفضل اليحصبي (ت ٥٥٤٤هـ) الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، بيروت: دار إحياء الكتاب العربي ٢٠٠٣، وابن تيمية، أبو العباس تقي الدِّين أحمد (ت ٧٢٨هـ)، الصَّارم المسلول على شاتم الرَّسول، بيروت: المكتبة العصرية ٢٠٠٧. كذلك انظر: النَّجفي، محمد حسن (ت ١٨٥٠) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، بيروت: دار إحياء التُّراث العربي ١٩٨١الجزء ٤١ ص٤٣٢ والمذاهب كافة يتفقون على ذلك.

(672) أتنينا بالتفصيل عل عقوبات القتل غير الموجودة في القرآن في كتابنا: العِقاب والغلو في الفقه والتُّراث الإسلامي، دبي: دار مدارك ٢٠١٩.

(673) «لا يباح شربه للذة ولا لتداو ولاعطش ولا غيره، إلا لدفع لقمة غص بها ولم يحضر غيره، وإذا شربه المسلم مختاراً عالماً أن كثيره يسكر، فعليه الحد ثمانون جلدة مع الحرية، وأربعون مع الرِّق»(الحجاوي، زاد المستقنع في اختصار المُقنع، ص ١٣٣-١٣٤)، الثَّابت بين المذاهب أن العقوبة ثمانون جلدة، لكنهم يختلفون بتحديد السُّكر، وانواع الشَّراب أيضاً، وهذا خارج موضوعنا، وقد أتينا عليه مفصلاً في كتابنا «الأديان والمذاهب بالعراق ماضيها وحاضرها، دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث ٢٠١٦ الجزء الثَّاني، الفصل الثَّاني، قصة النّبيذ، ص ٣٤٦-٣٦٠.

(674) السَّرخسي، المبسوط (فقه حنفي) ٩ ص ١٤٠ كتاب السَّرقة. عن عام الرَّمادة، ووقف حد السرقة فيه راجع: فصل «اللُّصُوص والأزمات» مِن الكتاب.

(675) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب: كراهة الشّفاعة في الحدِ إذا رُفع إلى السُّلطان، حديث رقم: ٦٧٨٨، الكتب الستة، ص ٥٦٦. ابن عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص ١٨٩٢.

(676) الأصفهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشّعراء والبُلغاء ٣ ص ١٩٣.

(677) البخاري، المصدر نفسه، باب: السَّارق حين يَسرق، حديث رقم: ٦٧٨٢، الكتب الستة، ص ٥٦٦.

(678) المصدر نفسه، باب: السّارق والسَّارقة فأقطعوا أيديهما وفي كم تُقطع، رقم الحديث: ٦٧٨٩.

(679) المصدر نفسه، رقم الحديث: ٦٧٩٠.

(680) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ٨ ص ١٤١.

(681) الطُوسي، النَّهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص ٧١٤.

(682) القزويني، الشِّيعة في عقائدهم وأَحكامهم، ص ٢٨٣.

(683) الحجاوي، زاد المستقنع في اختصار المقنع، ص ١٣٤.

(684) ومن طريف ما يُذكر أن الفقيه والقاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي، قد أورد ذلك شعراً في غزله، قال: «ونائمةٌ قَبَلتُها فتنبهت/ وقالت: تعالوا فاطلوبوا اللِّص بالحدِ/ فقلتُ لها: فديتُكِ غاصبٌ/ وما حكموا في غاصبٍ بسوى الردِّ»(ابن خِلكان، وفيات الأعيان ٢ ص ٣٨٨).

(685) الحجاوي، زاد المستقنع في اختصار المقنع، ص ١٣٥.

(686) الإمام مالك، المُوطّأ، ص ٥٥٨.

(687) الطُوسي، النَّهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص ٧١٦.

(688) الحجاوي، زاد المستقنع في اختصار المقنع، ص ١٣٥.

(689) الطُوسي، النّهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص ٧١٧.

(690) انظر: القزويني، الشِّيعة في عقائدهم وأَحكامهم، ص ٢٨٤.

(691) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٣ ص ٨٩-٩٠.

(692) القزويني، الشّيعة في عقائدهم وأحكامهم، ص ٣١٨.

(693) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٧٣.

(694) المعري، لُزوم ما لا يلزم ١ ص ٤١٧-٤١٨.

(695) الطيبي، التّبيان في البيان، ص ٢٠٩. جاءت «خيانة المال» محل «صيانة المال». ولا ندري هل يقصد ابن زبلاق الموصلي(قُتل ٦٦٠هـ/١٢٦١م).

(696) ابن قيم الجوزية، أسرار الشَّريعة مِن أعلام الموقعين، ص ١٣٨.

(697) المصدر نفسه.شمس الدِّين الكُردي: محمد بن إبراهيم بن عبد الله الكردي(ت ٨١١هـ/١٤٠٨م)نزيل القاهرة، تعلم ببيت المقدس، وكان شافعي المذهب، وله أشعار، ذَكر عنه ابن عماد الحنبلي طبعاً خارقاً فوق تحمل الطَّبيعة البشرية، وهو الامتناع عن الطَّعام لأربعين يوماً(ابن العماد، شذرات الذَّهب في أخبار مَن ذَهب ٩ ص ١٣٩).

(698) هذا ما أورده هادي العلوي في المنتخب مِن اللزوميات، ص ٧٣.

(699) انظر مثلاً: البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام ١٢ ص ٢٩٥.ابن خِلِّكان، وفيات الأعيان وأخبار أهل الزَّمان ٢ ص ٣٨٧.

(700) ابن خِلِّكان، المصدر نفسه ٢ ص ٣٨٨.

(701) قاموس الكتاب المقدس، ص ٨١٦.

(702) المصدر نفسه.

(703) الكتاب المقدس، العهد القديم، سِفر الخروج ٢٢/١ ص ١٩٠.

(704) إذا كانت السَّرقة مِن المعبد فهو بيت الإله، أو ما وُقف للإله.

(705) شريعة حمورابي، ص ١١٢.

(706) المصدر نفسه.

(707) المصدر نفسه، ص ١١٣.

(708) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(709) الجزيري، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ٥ ص ١٣٨.

(710) ابن حبيب، كتاب المنمق، ص ٤٢١.

(711) القزويني، الشِّيعة في عقائدهم وأحكامهم، ص ٢٨٤.

(712) المصدر نفسه.

(713) الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة ٥ ص ١٤١. الإمام مالك، المُوطَّأ، ص ٥٥٤.

(714) الحَجاوي، زاد المستقنع في اختصار المقنع، ص ١٣٢و١٣٣و ١٣٤.

(715) الإمام مالك، المُوطَّأ، ص ٥٥٤.

(716) ابن الجوزي، كتاب الموضوعات ٣ ص ١٢٦.

(717) المصدر نفسه.

(718) الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة ٥ ص ١١٥ (دار الفكر).

(719) الشَّيخ عبد الجليل عيسى، عاقبوا السَّرق بما أمر الله، مجلة الأزهر، جمادى الآخرة ١٣٨٠هـ نوفمبر ١٩٦٠م ص ٥٥٦.

(720) المصدر نفسه، ٥٥٧.

(721) المصدر نفسه.

(722) انظر: طه، الرِّسالة الثَّانيَّة من الإسلام، ص ١٠٤ وما بعدها.

(723) كمال الحيدري، دروس خارج الفقه(٥١٥)، في عقوبة قطع السَّارق والرَّجم، مؤسسة الإمام الجواد، في ١٩ جمادي الأولى ١٤٣٦ على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=47C1CAdfVms

(724) الطّوسي، النّهاية في مجرد الفقه والفتاوى، ص ٧١٦. القزويني، الشّيعة في عقائدهم وأحكامهم، ص ٢٨٢. صباح شُبر، على الرّابط:

https://www.youtube.com/watch?v=xsFmL6wAMG8

(725) الكاساني، بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع ٩ ص ٢٨٢.

(726) المصدر نفسه.

(727) البطليوسي، الاقتضاب في شَرح أَدب الكُتاب ١ ص ١٥٩. للفائدة: يقول محمد البطليوسي(ت٥٢١هـ/١١٢٧م) عن تسميّة الشُّرطة، وهي عدوة اللُّصُوص في الماضي والحاضر: أن الاسم اشتق من زيّهم، وكانت الأعلام تُنصب على مجالسهم، والأعلام هي الأشراط، ونسبةً إلى الأشراط تسمّى أصحابا بالشُّرطة، ورئيسها عُرف بكاتب الشُّرطة، أيّ «سمَّي الشُّرط شُرطاً، لأن لهم زيّاً يعرفون به»(المصدر نفسه). كان الشُّرطة يعرفون أيضاً بالجلاوزة، ومفردها جلواز(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٥٠٥).

(728) النَّباش: لِص الأكفان، جاء عند الجاحظ، وهو يتحدث عن الضَّب: «أهل الحجاز يسمون النَّباش المُختفي، لأنه يستخرج الكفن مِن القبر ويُظهره»(كتاب الحيوان ٦ ص ١٣٠). عُرف أحدهم بـ»حامل كفنه»، وحكايته عندما دُلي في قبره، وجن عليه اللّيل جاء النَّباش ونبش قبره، «فلما حلّ أكفانه ليأخذها أستوى قاعداً، فخرج النَّباش هارباً، فقام وحَمل كفنه، وخرج مِن القبر»(ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٣ ص ١٣١ السَّنة ٢٩٩هـ).

(729) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٤٧٤. وجاءت مختلفة قليلاً(النَّباش= النَّاس) عند الجاحظ، المحاسن والأضداد(قيل منسوب)، ص ٢٦-٢٧.

(730) لعله ابن عاصم بن عَمرو التيمي، أخو القعقاع بن عمرو، أدرك النبي، لكن لا يصح لهما عند أهل الحديث صُحبة، ولا لقاء ولا رواية، ولهما بالقادسية بلاء حَسن(ابنُ عبد البرِّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ ص ٧٨٤).

(731) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٤ ص ٢٠.

(732) المناخيس جذرها نخس، ومنها نُحت اسم النَّخاس والنَّخاسة بيع العبيد، والنخس في البعير تعني الجرب عند ذنبه، فيُقال بعير

منخوس(الجوهري، الصَّحاح تاج اللغة وصحاح العربيَّة ٢ ص ٩٧٨) فيُشيرالمعنى إلى مؤذي النَّاس.

(733) المحبي، خلاصة الأثر في أعان القرن الحادي عشر ٤ ص ٤١٤-٤١٥.

(734) الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(معجم الأدباء) ١ ص ٢٨٨.

(735) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٢ ص ٣٠٨. انظر: الحموي، المصدر نفسه ١ ص ٢٧٨-٢٨٨.

(736) الحموي، المصدر نفسه١ ص ٢٨٨.

(737) المُقري، نفح الطِّيب مِن غصن الأندلس الرَّطيب ١ ص ٢١٩.

(738) رسالة شخصية مؤرخة في ١٢/١٠/٢٠٢٠.

(739) ابن الجوزي، المصدر نفسه ١٣ ص ٢٠٠.

(740) المصدر نفسه ١٧ص ٥٧ السنة ٤٩٣هـ.

(741) المصدر نفسه.

(742) الزَّمخشري، أساس البلاغة ١ ص ٥٥٣.

(743) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك ١٣ ص ٣٩٦.

(744) المصدر نفسه ١٣ ص ٣٩٧.

(745) المصدر نفسه ١٣ ص ٣٩٦

(746) الأبشيهي، المستطرف في كلِّ فن مستظرف ٢ ص ٣٢.

(747) مسكويه، تجارب الأُمم ومناقب الهمم ٦ ص ٧٠.

(748) انظر: ابن خِلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ١ ص ٣٨٧ ترجمة رقم: ١٦٧.

(749) أبو هشام الجبائي:عبد السَّلام بن محمد بن عبد الوهاب عُد مِن الطبقة التَّاسعة في الاعتزال، وهو نجل أبي علي الجبائي، مِن معتزلة البصرة، توفى(٣٢٣هـ وقبل ٣٢١هـ)، أخذ الاعتزال عن والده، وله تلاميذ كثيرٌ(انظر: البلخي والهمداني والحاكم، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٣٠٤. أتينا على حياة الجبائيين الأب والاب في كتابنا: معتزلة البصرة وبغداد، الفصل العاشر، ص ٢٩٧ وما بعدها، بيروت- دبي: دار مدارك).

(750) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٣ ص ٨٩-٩٠.

(751) المصدر نفسه ٣ ص ٩٠.

(752) ابن بطوطة، رحِلة ابن بطُوطة، ص ٤٧٤.

(753) راجع: الشَّالجي، موسوعة العذاب ٥ ص ٤٨٤ -٥٠٨.

(754) المصدر نفسه ٥ ص ٤٨٥.

(755) الصَّيرفي، أنباء الهصر بأبناء العصر، ص ١٩٣.

(756) المصدر نفسه، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(757) إخوان الصفاء وخلان الوفاء، الرسائل: مِن العلوم النَّاموسيَّة والشَّرعيَّة، مجموع الرسائل ٤ ص ٣٩٧.

(758) انظر: المصدر نفسه ٤ ص ٣٩٨- ٤٠٣.

(759) المصدر نفسه.

(760) المصدر نفسه ٣ ص ٤٩٣.

(761) التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٣ ص ٢٨.

(762) الزَّمخشري، المستقصي في أمثال العرب ١ ص ١٦٧.

(763) الجوهري، تاج اللغة وصَحاح العربية ٤ ص ١٤١٩.

(764) المصدر نفسه، والوسِيْقة التي وردت في البيت:الإبل إذا سُرقت بما تَحمل. ديوان الأسود بن يَعفر، ص٤٨.

(765) الآلوسي، الأرب في أحوال العرب ٣ ص ٢٦١.

(766) المصدر نفسه.

(767) المصدر نفسه ٣ ص ٢٦١-٢٦٢.

(768) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ ص ١٤٦١.

(769) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٣٠٢ فقرة ٢١٧.

(770) صحيح البُخاري، كتاب المناقب، حديث رقم: ٣٦١٥ ضمن الكُتب الستة، ص ٢٩٤.

(771) ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص ٢١٧.

(772) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢١٧-٢١٨.

(773) الغّزي، الكواكب السَّائرة بأعيان المائة العاشرة ١ ص ٨٥.

(774) الدَّميري، حياة الحيوان الكبرى ٢ ص ٢٢٨.

(775) المصدر نفسه.

(776) المصدر نفسه ١ ص ٣٢٤.

(777) المصدر نفسه ١ ص ٣٢٨.

(778) المصدر نفسه ١ ص ٤٢٠.

(779) المصدر نفسه ١ ص ٥١٩.

(780) المصدر نفسه ٢ ص ١١٣.

(781) المصدر نفسه ١ ص ٥٨١.

(782) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص ٢٢٨.

(783) المصدر نفسه.

(784) ابن المعتز:الأمير العباسي أبو العباس عبد اللّه بن المعتز بالله بن المتوكل على اللّه (قُتل ٢٩٦هـ/٩٠٨م)، كان شاعراً وكاتباً، له «طبقات الشّعراء» وكتب أخر عديدة، تعلم عند أبي العباس المُبَرد وآخرين من كبار الأدب واللغة في عصره، أراده رجال السياسة -في وقتها- أن يكون خليفةً، ولكن الخلافة ذهبت إلى جعفر المقتدر على اللّه بن المعتضد بالله، وكان سنه(عمره) ثلاثة عشر عاماً، ثم تقدم مع قادة الحند بانقلاب فاشل ضده، فتولى الأمر ليوم واحد أو نصف يوم فعاد المقتدر وقتل ابن المعتز(انظر: ابن خِلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٢ ص ٢٦٣ وما بعدها).

(785) انظر: الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٢ ص ٧٤٦.

(786) ابن طيفور: أبو الفضل أحمد طاهر الكاتب(ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م) أديب وكاتب وشاعر، أتهم بالإغارة على أنصاف أبيات، كان بليغاً، له كتب مطبوعة: كتاب بغداد، أرخ فيها ليوميات خلافة عبداللّه المأمون، وفيه الكثير مما لا تحويه كتب المؤرخين، وكتاب بلاغات النساء، هجا صاحب الكامل في اللغة والأدب ابن المُبرد، وكانا متعاصرين (راجع: ابن طيفور، كتاب بغداد، مقدمة المحقق: محمد زاهد الكوثري، ص ٦-٨).

(787) ابن السِّكيت:يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السِّكيت (قُتل ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)، يعد مِن كبار علماء علم اللغة، يُعد كتابه «الألفاظ» مِن أقدم معاجم المعاني، وله كتاب إصلاح المنطق، وقيل: إنَّ جعفر المتوكل على اللّه ناله بشيء حتى مات، وذُكر كان قتله بسبب تفضيل الحسن والحُسين أبني علي بن أبي طالب على ولدي المتوكل: المعتز والمؤيد حين سأله المتوكل عن ذلك، أمر الغلمان الأتراك فداسوا بطنه، فحمل إلى داره فمات (النَّديم، الفهرست، ص ٧٩. وابن الأثير، الكامل في التَّاريخ٧ ص ٩١).

(788) ابن كُناسة: أبو محمد عبد اللّه بن يحيى المعروف بابن كُناسة الأسدي الكوفي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م)، كان شاعراً ومؤلفاً مِن أهل الكوفة؛ انتقل إلى بغداد وعاش بها، أخذ شعر الكميت عن شعراء وفصحاء مِن بني أسد، وإبراهيم بن أدهم الزَّاهد خاله (النَّديم، الفهرست، ص ٧٧).

(789) النَّديم، الفهرست، ص ١٦٦.

(790) في عناوين كتب السّرقة التي وردت أعلاه انظر: النَّديم، الفهرست، الصفحات: ٧٧، ٧٩، ١٣٠، ١٦٣، ١٦٦، ٢٥٧، ٢٧١

(791) مجلة كتابات معاصرة، العدد ٤٤، تاريخ: ١ يوليو(تموز) ٢٠٠١

(792) المصدر نفسه، نقل الكاتب قول المتنبي «الشّعر جادة ربما وقع الحافر على الحافر. ص ٧٤ عن المتنبي وناقديه.

(793) مجلة علامات النَّقد، العدد الأول، تاريخ: ١ مايو (أيار) ١٩٩١.

(794) مجلة الأديب، العدد الرَّابع، تاريخ: ١ نيسان(أبريل) ١٩٦٣.

(795) العدد ١٠٨٨، تاريخ: ١٩ تشرين الثَّاني (نوفمبر) ١٩٦٤

(796) العدد ١١٧، تاريخ: ١ آب (أغسطس) ١٩٦٨.

(797) العدد: ١٤٩، تاريخ: ١ آب (أغسطس) ١٩٧٨.

(798) العدد: ٢٣١ تاريخ: ٢ آب (أغسطس) ١٩٣٧وقد أعادت نشره مجلة «الدَّوحة» في عددها الثَّامن، تاريخ: ١ آب (أغسطس) ١٩٨٣.

(799) انظر: الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٥ ص ٢٣٤٧.

(800) المصدر نفسه. والزّغب الشعر والريش لدى فرخ الطير(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٩٤).

(801) الصَّفدي، الوافي بالوفيات ١٥ ص ٣٥. الهمداني، لألفاظ الكتابية، طبعة ١٨٨٥ ص ٤.

(802) الهمداني، المصدر نفسه، ص ٥-٦.

(803) المصدر نفسه، ص ٩.

(804) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ٥ ص ٢٧٤.

(805) انتخبه: بمعنى يختار منه نصوصاً ويترك غيرها، والانتخاب أو الاختيار للكتب معروف، وهو غير الاختصار، مثلاً خذ «مختار الأغاني في الأخبار والتَّهاني» لابن منظور صاحب معجم لسان العرب.

(806) المسعودي، مروج الذَّهب ومعادن الجوهر ١ ص ١٨-١٩ و٥ ص ٣٠١-٣٠٢.

(807) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ٣ ص ١١٠٧.

(808) المصدر نفسه.

(809) ديوان طَرفة بن العبد، ص ١٥٦. العباسي، معاهد التَّنصيص على شواهد التَّخليص ٤ ص ٨.

(810) ابن عبد ربّهِ، العقد الفريد ٦ ص ١٨٦.

(811) السُّكري، شرح ديوان كعب بن زُهير، ص ١٥٤. مطلع القصيدة التي ورد فيها الاعتراف بعدم وجود الجديد:

إنِ عرُسي قد آذَنتني أخيراً

لم تُعرج ولم تُؤْمِّر أميرا

(812) ابن عبد ربَّه، العقد الفريد ٦ ص ١٨٦.

(813) ديوان كعب بن زُهير ، ص ١١٤.

(814) ديوان النَّابغة الذبياني، ص ٢٦.

(815) القيرواني، جمع الجواهر المُلح والنَّوادر، ص ٢٤١. راتغ: ارتاغه أراده وطلبه.

(816) انظر: البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام (بغداد) ١٦ ص ٥٢٣. الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأُدباء) ٥ ص ٢١٠١ و٢١٠٥.

(817) ابن يموت، سَرقات أبي نواس، ص ٣١-٣٢.

(818) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(819) راجع، النَّشابي، المذاكرة في ألقاب الشُّعراء، تحقيق: شاكر العاشور، دار رند ٢٠١٠.

(820) العقاد، أبو نواس الحسن بن هانئ، القاهرة: دار الهلال.

(821) الجاحظ، البيان والتَّبيين ٣ ص ٣١-٣٢. كان خصيب والياً على خراج مصر، وأبو نواس في زيارة له، فسمعه يشكو منهم، فقال قصيدته مِن على منبر المسجد الجامع، والأبيات (المصدر نفسه، حاشية المحقق):

منحتكم يا أهـل مصر نصيحتي

ألا فخـذوا مِن ناصـحٍ بنصيبِ

ولا تثبـوا وثب السّفـاة فتحملوا

على حد حامى الظَّهر غير ركوب

فإن يك بـاقٍ إفك فـرعون فيكم

فإن عصـا موسى بكفِ خصيبِ

رماكـم أمـير المـؤمنـي بحيّةٍ

أكـولٌ لحيـات البـلاد شروب

(822) انظر: النّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ٥ ص ١٨٦. فقد شارك في تأبين الأخشيد بن طُغج()، ومطلع قصيدته الطويلة فيه:

أيُّ عزٍّ مضى مِن الإســلامِ

أيُّ ركنٌ مضى حديث انهدام

(823) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٠.

(824) ابن منظور، مختار الأغاني ٣ ص٣٧.

(825) ابن يموت، سرقات أَبي نواس، ص٣٣.

(826) الذَّهبي، العِبر في خَبر مَن عَبر ١ ص ٢٥٠.

(827) العميدي، الإبانة عن سرقات المتنبي، ص ٢٢.

(828) المصدر نفسه.

(829) المصدر نفسه. لكنّ لم نجد هذا الشِّعر إلا في كتاب العميدي ومَن أخذ عنه.

(830) المصدر نفسه.

(831) المصدر نفسه.

(832) المصدر نفسه.

(833) المصدر نفسه، ص ٢٥-٢٦.

(834) ديوان المتنبي ١ ص ١٠٥و ١٠٦ مِن قصيدة طويلة، البيت الأول مِن البيتين.

(835) العَميدي، سرقات المتنبي، ص ٢٥-٢٦.

(836) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(837) المصدر نفسه.

(838) المصدر نفسه.

(839) اليَّازجي، العَرف الطَّيب في شَرح ديوان المتنبي، ص٣٥٥ ومطلع القصيدة، وهي طويلة ومِن نفائس الشِّعر العربي:

لَكِ يا مَنازِل في القُلوبِ مَنازِلُ

أَفقرتِ أنتِ وهنَ منكِ أَواهِلُ

(840) العميدي، الإبانة عن سَرقات المتنبي، ص ٥٨.

(841) اليَّازجي، العَرف الطَّيب في شَرح ديوان المتنبي، ص ١٢٠ ومطلع القصيدة(ص ١١٨)، وهي طويلة ومِن نفائس الشِّعر العربي أيضاً:

واحــرَ قلبــاه ممَــن قَلبُهُ شَبِمُ

ومَن بجسمي وَحالي عِنده سَقمُ

(842) المصدر نفسه، والقصيدة نفسها.

(843) العميدي، الإبانة عن سَرقات المتنبي، ص ٣٨.

(844) المصدر نفسه، ص ٣٦-٣٧.

(845) راجع: المصدر نفسه، الملحق: الكشف عن مساوئ المتنبي للصاحب بن عباد، ص ٢٢١- ٢٥٠.

(846) الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٥٤.

(847) المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

(848) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(849) المصدر نفسه، ص ٤١٦.

(850) سبق ذكره:

(851) انظر: العميدي، الإبانة عن سَرقات المتنبي، الملحق: الرسالة الحاتمية، ص ٢٥٤.

(852) راجع: المصدر نفسه، الملحق: الرسالة الحاتمية، ص ٢٥٣-٢٧٠.

(853) المصدر نفسه، الرسالة الحاتميّة، ص ٢٦٩.

(854) المصدر نفسه، ص ٢٦٩- ٢٧٠.

(855) المصدر نفسه، هامش المحقق.

(856) انظر: المصدر نفسه، هامش المحقق.

(857) الثَّعالبي، يتيمة الدَّهر في محاسن أهل العصر ١ ص ١٥٩.

(858) الثَّعالبي، المصدر نفسه. اليازجي، العُرف الطَّيب في شرح ديوان أبي الطَّيب ٢ ص ٥٧. مِن قصيدة مطلعها:

أ يـدري الرَّبْعُ أيّ دمٍ أراقـا

وأيّ قُلُوبِ هذا الرَّكبِ شاقا

(859) الثَّعالبي، المصدر نفسه ١ ص ١٦٠. اليازجي، المصدر نفسه ٢ ص ١١. مِن قصيدة مطلعها:

وفاؤكما كالرَّبعِ أشجاهُ طـاسِمُه

بأَنْ تُسعِدا والدَّمعُ أشفاه ساجمُهْ

(860) الثَّعالبي، المصدر نفسه.

(861) المصدر نفسه ١ ص ١٣٩.

(862) الرُّصافي، ديوان الرُّصافي، قصيدة شاعر البشر، ص ٢٦٩، ومطلعها:
«حَيَّهلْ يا أخا مُضرْ/نُذَّكرْ خير مُذَّكر/ نذَّكر شاعر البشرْ/خير مَن قال وافتكر».

(863) الرُّصافي، المعري شاعر البشر، مقال نشره في ٢٧/٤/١٩٢٤ وأعادت صحيفة المدى نشره في عددها ٢١/٥/٢٠١٣ صفحة ملاحق، على الرَّبط:

https://almadasupplements.com/view.php?cat=7574.

(864) الرُّصافي، كتاب الشَّخصية المحمديَّة أو حل اللغز المقدس، ص ٣٣٠.

(865) البديعي، الصُّبح المنبي عن حيثية المتنبي، ص ١٨١.

(866) الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(معجم الأُدباء) ٣ ص ٩٩٣-٩٩٤.

(867) المصدر نفسه ٣ ص ٩٩٤.

(868) المصدر نفسه.

(869) ابن المعتز، طبقات الشُّعراء، ص ٥١.

(870) العلوي، نضرة الإغريض في نُصرة القريض، ص ٢٠٧.

(871) العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التَّخليص ٤ ص ١٠.

(872) البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام (تاريخ) بغداد ٤ ص ٥ ص ٣٣١.

(873) المصدر نفسه.

(874) انظر: مقال الأكاديمي الفلسطيني فاروق مواسي، سُلطة الفرزدق، مجلة ديوان العرب الإلكترونية، تاريخ: ١٩/١٢/٢٠١٦ على الرابط:

https://www.diwanalarab.com/%D8%B3%D9%84%D8%B7%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D8%B2%D8%AF%D9%82.

(875) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص ٢٥٥.

(876) المصدر نفسه ٢١ ص ١٩٩-٢٠٠.

(877) التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٤ ص ٨- ٩.

(878) الرُّصافي، ديوان الرُّصافي، ص ١٠٣، القصيدة بعنوان «تنبيه النِّيام»، ومطلعها:

أمَّا آن أنْ يخشى البلاد سعودهـا

ويذهبُ عن هذي النِّيام هجودها

(879) عزّ الدِّين، الرُّصافي يروي سيرة حياته، ص١٣٥.

(880) صفوة، معروف الرُّصافي سلسلة الأعمال المجهولة، ص ٤٤ عن العمري، شخصيات عراقية، بغداد ١٩٥٥، ص ٧٩.

(881) المعري، سِقطِ الزَّند، ص ٧ قصيدة: ضجعة الموت رقدة، ومطلعها:

غيرُ مُجدٍ في مِلّتي واعْتقادي

نُوحُ باكٍ ولا تَرَنمُ شـادِ.

(882) ابن الأثير، مِن المثل السَّائر ٢ ص ٣٦٥-٣٦٦.

(883) المصدر نفسه ٢ ص ٣٦٦.

(884) المصدر نفسه ٢ ص ٣٧١.

(885) المصدر نفسه. الزَّوزني، شرح المعلقات السَّبع، ص ٣٧.

(886) المصدر نفسه. الزّوزني، المصدر نفسه، ص ٨٩.

(887) ديوان طَرفة بن العبد، ص ١٥٦. العباسي، معاهد التَّنصيص على شواهد التَّخليص ٤ ص ٨.

(888) العَلوي، نضرة الإغريض في نُصْرة القريض، ص ٢٠٣.

(889) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠٣-٢٠٨.

(890) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠٩-٢٠١٧

(891) انظر: البديعي، الصُّبح المنبي عن حيثية المتنبي، ص ١٩٨- ٢٠٦.

(892) ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ ١ ص ٣ و٦.

(893) الحَموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأَديب (معجم الأُدباء) ١ ص ١١٨ و٦ ص ٢٤٩٦.

(894) ابن دُريد، كتاب الجمهرة في اللغة ١ ص ٣.

(895) الحَموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ١ص ١١٨. المماظمة بمعنى المنازعة أو الخصومة(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٦٩٩).

(896) الحموي، المصدر نفسه.

(897) طالب زيدان، السَّرقة الأدبية بين الشِّعر والنَّثر، مجلة الأديب، العدد ٤٤ والمؤرخ في أبريل(نيسان) ١٩٦٣ ص ١٤.

(898) مبارك، النثر الفني في القرن الرَّابع (الهجري)، ص ٢٣١.

(899) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(900) انظر: ابن المدبر، الرّسالة العذراء، ص ٧.

(901) مبارك، النَّثر الفني في القرن الرَّابع (الهجري)، ص ٢٠٢.

(902) الأحماض: «الانتقال مِن أُسلوب إلى آخر، ماخوذ مِن أحماض الإبل، وهو انتقالها مِن مرعى نبات حلو إلى مالح»(الحريري، مقامات الحريري، ص ١٥

الهامش)، والحَمض: ما مَلح وأمرَ من النبات، وهي فاكهة الإبل(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ١٥)، وفي الكلام الانتقال بين الجد والهزل للتشويق وتنشيط القارئ أو السَّامع، فـ «ولا بد في المجاميع من الإحماض، ومزج الهزل بالجد»(ابن خِلكان، وفيات الأعيان ٥ ص ١٥٢ ضمن ترجمة هلال بن المحسن الصابي الحراني الكاتب).

(903) الحَريري، مقامات الحَريري، ص ١٣- ١٥.

(904) المصدر نفسه، ص ١٥-١٦. الأبيات لنُصيب الأكبر(ت ١٠٨هـ/)، أحد أبرز الشُّعراء السُّود(الجاحظ، كتاب الحَيوان ١ ص ٢٠٦).

(905) الحَريري، المصدر نفسه، ص ٢١٨ المقامة الشِّعرية الثالثة والعشرون.

(906) راجع: الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق: إبراهيم شعلان ومحمد نغش، القاهرة ١٩٦٨.

(907) محمد رضا الحُسيني، فرق الشّيعة ومقالات الإماميَّة للنوبختي أم للأشعري، مجلة تراثنا، العدد ١ السَّنة ١٤٠٥(١٩٨٤/١٩٨٥)، منشور في موقع: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- الدِّينية والمعرفيَّة، على الرَّابط:

https://www.iicss.iq/?id=11&sid=1

(908) راجع: المصدر نفسه.

(909) الأشعري، المقالات والفرق، مقدمة المحقق، ناقلاً عن كتاب الآشتياني خاندا نوبختي، أيّ آل نوبخت بلا طائل.

(910) الفيض الكاشاني: يصفه الخوانساري بأنه العِلم الفاشي والعالم الأقراشي، لم يُعرف بين هذه الطائفة مثله، ولكن نُسبت إليه، بسبب الخصومة بين الفقهاء، أقاويل فاسدة، وآراء باطلة، مثل القول بوحدة الوجود، وبعدم خلود الكفار في النَّار، وعدم نجاة أهل الاجتهاد وإن كانوا من الكبار في الإماميَّة، وأنَّه هذب كتاب الغزالي إحياء علوم الدِّين، بعد تجريده، والكلام للخوانساري، مِن البدع والأهواء، مع أنَّه، والكلام للخوانساري أيضاً، كان مشربه مِن مشرب أبي حامد الغزالي، واقتبس كثير مِن مصنفاته، كان تلميذاً لدى الملا صدرا الشِّيرازي وزوجاً لابنته، وهو الذي سماه بالفيض، وتأثر به وبابن عربي، ومن الجماعة الإخبارية، مع أن لديه كتاب «المفاتيح» كتبه على طريقة المجتهدين(انظر: الخوانساري، روضات الجنات في أحوال العلماء

والسَّادات ٦ ص ٧٩- ١٠٣ ترجمة رقم: ٥٦٥ والتَّنكابني، قَصص العلماء، ص ٣٤٥-٣٥٥).

(911) آنذاك كانت مدرستان لدى الإماميَّة الإخبارية والأُصولية، وبينهما فوارق كثيرة ونزاع طويل، انتهى لصالح الأُصوليين، وهم خلاف الإخباريين يقرون بأن الأحاديث التي وردت في كتب الحديث، المذكورة أعلاه، تختلف درجاتها في الصحة، منها الصحيح ومنها الضعيف، يستعملون أُصول الفقه والاستنباط، أما الإخباريون فيعتبرون الأخبار أو الأحاديث صحيحة كافة، والتَّسليم دون نقاش(انظر: مشكور، موسوعة الفِرق الإسلاميَّة، ص ٩٥ -٩٧ و ص ١١٩).

(912) الكاشاني، المحجة البيضاء في تَهذيب الإحياء ١ ص ١.

(913) الغزالي، سر العالمين وكشف ما في الدَّارين، ص ١٠.

(914) راجع بحث مشهد العلاف: الكتب والرّسائل الموضوعة والمنحولة على الإمام الغزالي والتي نُسبت إليه وهي ليست له، على الرَّابط:

https://www.ghazali.org/articles/not-ghazali.htm.

(915) الكاشاني، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء ١ ص ٢.

(916) للاستزادة عن هذه الجماعة وتاريخها، وما يتعلق بإثبات وجودها والأفكار التي وردت في الرسائل راجع: كتابنا: إخوان الصَّفا المُفترى عليهم إعجابٌ وعجبٌ، بيروت- دبي: دار مدارك ٢٠١٣.

(917) ورد عند الآخرين بالنّهرجوري مثل: الهمداني (القاضي عبد الجبار) تثبيت دلائل النّبوة ٢ ص ٦١١. البيهقي، تاريخ الحكماء في الإسلام، ص ٣٥-٣٦. الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) ٣ ص ١٣٣٥-١٣٣٦.

(918) التّوحيدي،الإمتاع والمؤانسة ٢ ص ٤-٥.

(919) ورد عند التَّوحيدي بأبي أحمد المهرجاني (الإمتاع والمؤانسة ٢ ص ٣-٤).

(920) الهمداني، تثبيت دلائل النّبوة ٢ ص ٦١١.

(921) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ١٧١-١٧٢.

(922) الوردي، منطق ابن خلدون، ص ١٥٣.

(923) المصدر نفسه، ص ١٦٣.

(924) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(925) المصدر نفسه، ص ١٢.

(926) المصدر نفسه، ص ١٣.

(927) إخوان الصَّفا، الرسائل، تحقيق خير الدين الزركلي١ ص ٣٥.

(928) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٣ ص ٦٤.

(929) الأندلسي، طبقات الأمم، ص ١٧١-١٧٢.

(930) ابن خلدون، التَّعريف لابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(931) ابن خلدون، المقدمة ٣ ص ١٢١٣.

(932) المصدر نفسه.

(933) إخوان الصَّفا، الرسائل (صادر) ٤ص ٢٨٢-٢٨٣.

(934) المصدر نفسه ٤ ص ٢٨٤.

(935) المصدر نفسه ٤ ص ٢٨٥.

(936) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ١ ص ٣٢٠.

(937) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ١ ص ٣.

(938) المصدر نفسه ١ ص ٥.

(939) المصدر نفسه ١ ص ٣١.

(940) المصدر نفسه ٢ ص ١٦.

(941) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ٢ ص ٧٥٥.

(942) المصدر نفسه ٢ ص ٥١٧.

(943) المصدر نفسه ٢ ص ٦٨٧.

(944) الوردي، منطق ابن خلدون، ص ١٧٢. في ما يخص شأن المُلك والدَّولة عند ابن خلدون وما استند عليه مِن كتاب الطُّرطوشي، يمكن الرجوع إلى الباحثين العراقيين: الوردي في كتابه المذكور، وجعفر البياتي في كتابه «مفهوم الدَّولة عند الطَّرطوشي وبن خلدون»(تونس: دار المعارف للطباعة والنَّشر ١٩٩٩).

(945) ابن خلدون، المقدمة ٣ ص ١١٣٩.

(946) المصدر نفسه ٣ ص ١١٠٧ ٢ ص ٥١٧. القُحة: «الجافي مِن النَّاس»(الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٢٣٥).

(947) القاهرة، دار قباء ٢٠٠٠ .

(948) نُشر في صحيفة الحياة، بتاريخ: ٢١ كانون الثَّاني (يناير) ١٩٩٧.

(949) مجلة الاغتراب الأدبي، العددك ٢٦ لسنة ١٩٩٣.

(950) راجع: إسماعيل، إسطورة ابن خلدون نظريات ابن خلدون مقتبسة سائل إخوان الصَّفا، ص ٤٣- ١٢٠.

(951) وردت في ما نقل إسماعيل عنه(المقدمة المكتبة التّجارية بمصر، ص ٣٨) العلم، وفي طبعة نهضت مصر(١ ص٣٣٣) «الغرض».

(952) المصدر نفسه، ص ١٢١. ابن خلدون، المقدمة ١ ص ٣٣٣.

(953) السِّيوطي، الفَارق بين المُصنف والسَّارق، مقدمة المحقق، ص ٢٧-٢٨.

(954) يقول بتشفع مِن بني العباس، يقصد الخلفاء والأمراء الذين نصبهم المماليك بعد سقوط بغداد على يد المغول(٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، واستمروا كخلفاء بالاسم حتى غزو العثمانيين لمصر(٩٢٢هـ/١٥١٧م) والقضاء على المماليك والخلفاء بالاسم أيضاً (انظر في تولي أمير عباسي الخلفاء الأسمية بمصر: ابن تغرى بردى، ملوك مصر والقاهرة ص ص ١٠٩. انظر: في احتلال العثمانيين

لمصر والخطة على المنبر باسم السلطان العثماني وسقوط سلطنة المماليك والخلافة الاسمية بمصر وآخرهم كان المتوكل الثالث: ابن أياس، بدائع الزُّهور في وقائع الدُّهور ٥ ص ١٤٨ وما بعدها).

(955) السِّيوطي، الفَارق بين المُصنف والسَّارق، ص ٣٣.

(956) السِّيوطي، الفَارق بين المصنف والسَّارق، ص ٣٣.

(957) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(958) المصدر نفسه.

(959) المصدر نفسه، ص ٤٥-٤٦.

(960) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(961) المصدر نفسه، ٤٧-٤٩.

(962) الخيمي: محمد بن علي بن علي مهذب الدِّين الخيمي(ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، شاعر عراقي مِن أهل الحِلة(الكتبي، فوات الوفيات ٢ ص ٤٨٣).

(963) نجم الدِّين: نجم الدين أبو المعالي محمد بن سوار بن إسرائيل ابن الخضر الشيباني(ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)، كان شاعر غزل، ولد وتوفي بدمشق، حذا في شعره حذو ابن الفارض المتصوف المعروف(انظر: الزِّركلي، الأعلام قاموس تراجم ٧ ص ٢٤).

(964) السّيوطي، الفارق بين المُصنف والسَّارق، ص ٥٧.

(965) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(966) السَّيوطي، البّارق قطع السَّارق، ص ٤٧ و٤٩.

(967) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(968) ابنُ الصَّلاح: الفقيه تقي الدِّين عثمان بن عبد الرَّحمن الصَّلاح بن عثمان الشهرزوري الكردي المشهور بابن الصَّلاح(ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وجاءت الشّهر مِن لقب والده الصَّلاح، من فقهاء الموصل الشافعيين الأكراد، تولى التدريس بالقدس في المدرسة الناصرية نسبة إلى الملك النَّاصر صلاح الدين الأيوبي،

توفي بدمشق، وكان ابن خِلّكان مِن تلامذته(انظر: ابن خِلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ٢ ص ٤٠٨- ٤١٠).

(969) ابن حجر: شِهاب الدِّين أحمد بن علي المشهير بابن حجر العسقلاني الهيتمي(ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، فقيه ومحدث شافعي مصري الأصل، غزير التأليف، في تراجم الرجال والحديث والتَّاريخ والفقه، قيل عنه إنه كان أمير المؤمنين في الحديث وحافظ العصر، وشاعر أيضاً(انظر: ابن العماد، شذرات الذَّهب في أخبار مَن ذهب ٩ ص ٣٩٥ وما بعدها). له ردود على ابن تيمية (راجع: أبو البركات خير الدِّين نعمان الآلوسي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، القاهرة: مطبعة المدني- جدة: دار المدني).

(970) السَّيوطي، البَارق في قطع السَّارق، ص ٥٧.

(971) المصدر نفسه، ص ٥٨.

(972) المصدر نفسه، ص ٨٣- ٨٤.

(973) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(974) الكُتبي، فوات الوفيات(دار صادر) ٤ ص ٢٦٩ ٢٧٠ ترجمة ٥٦٩.

(975) انظر: لؤي إبراهيم بواعنة، يحيى بن أبي طي مؤرخاً، المجلة الأردنيَّة للتاريخ والآثار، المجلد الثالث، العدد الثاني، السنة ٢٠٠٩، ص ٣٩ وما بعدها.

(976) السُّبكي: قاضي القضاة أبو نصر تاج الدِّين عبد الوهاب بن علي السُّبكي الشَّافعي(ت ٧٧١هـ/١٣٩٦م)، ولد بالقاهرة وعمل في القضاء بالشَّام، وتعرض لمحنة أكثر مرة، سُجن واطلق سراحه ويعزل من القضاء ويعود إليه بين فترة وأخرى، اشتهر بكتابه «طبقات الشَّافعية الكبرى» وكان عنوانه «طبقات الفقهاء الكبرى»، وتوفي بالطاعون ودفن بقاسيون المطلة على دمشق(انظر: ابن العماد، شذرات الذَّهب في أخبار مَن ذهب ٨ ص ٣٧٨ وما بعدها).

(977) السِّيوطي، البارق في قطع السَّارق، ص ٥٥.

(978) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(979) المصدر نفسه، ص ٩٣.

(980) المصدر نفسه، ص ١٠٢-١٠٣.

(981) المصدر نفسه، ص ١٠٤-١٠٥.

(982) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

(983) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(984) الحافي: الصُّوفي أو الزَّهد أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن الحافي، أصله من مرو وسكن بغداد(ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م)، اشتهر بالحافي؛ لأنه كان يمشي حافياً، له أخوات: مضغة، ومُخَّة، وزُبدة، مشتهرات بالزّهد، لا يأكلنَّ إلا من صنع أيديهنَّ، وواحدة منهن سألت أحمد بن حنبل أنها كانت تغزل على ضوء مشاعل من مروا قربها، هل يجوز لها ذلك(انظر: ابن خِلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان ١ ص ٢٤٨ وما بعدها).

(985) المعري، رسالة الغفران، ص٣٠٣.

(986) الحَموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(معجم الأدباء) ١ ص٣٣٦.

(987) ابن عماد الحنبلي، شَذرات الذَّهب في أَخبار مَن ذهب ١ ص ٤٣٠.

(988) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم ١٦ ص ٢٣.

(989) البغدادي، تاريخ مدينة السَّلام (تاريخ بغداد) ٥ ص ٣٩٧.

(990) جورافسكي، الإسلام والمسيحية، كتاب عالم المعرفة (الكويت)، ص ٥٤.

(991) المصدر نفسه. إنَّ كلَّ المعلومات التي أتى بها جوارافسكي مؤلف كتاب عالم المعرفة، قد وردت مِن قبل في مقدمة ترجمة الكوميديا الإلهيَّة، لكن مؤلف الكتاب لم يشر إليها، وهذا نوع مِن النسخ أو الإثارة بشكل مِن الأشكال.

(992) دانتي، الكوميديا الإلهية، مقدمة المترجم، ص ٢٥.

(993) انظر:المصدر نفسه، مقدمة المترجم، ص ٥٥- ٦٠.

(994) عليم: «أعلم منه حتَّى ينتهي إلى اللّٰه»(المحلي، والسَّيوطي، تفسير الجَلالين، ص ٢٩٠)

(995) انظر: شبلي، محاكمة طه حسين، ١٥ وما قبلهاص وما بعدها.

(996) المصدر نفسه، ص ١٥.

(997) انظر:المصدر نفسه، ص ٣١- ٣٢.

(998) الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب(معجم الأدباء) ٣ ص ١٢٠٤-١٢٠٥.

(999) جمع سامح كُريِّم أسماء وعناوين الرُّدود في الكتب والمقالات، ويبدو أنه لم يطلع على ما ردَّ به الجواهري(انظر: طه حين، في الشِّعر الجاهلي، تقديم ودراسة وتحليل سامح كُريِّم، ٦١ وما بعدها.

(1000) الجواهري، الجَمهرة مختارات مِن الشِّعر العربي ١ ص ١٣.

(1001) انظر: بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص ٦٥ -٧١.

(1002) طه حسين، في الشّعر الجاهلي، ص ١١.

(1003) شاكر، المتنبي رِسالة في الطَّريق إلى ثقافتنا، ص ١٦.

(1004) للإطلاع على مقال مارجيلوث انظر: طه حسين، الشعر الجاهلي، دراسة وتحليل سامح كُريِّم، ملحق مقالة نشأة الشِّعر العربي، ص ٣٨٣-٤١٥.

(1005) انظر: المصدر نفسه، ص ٤١٧.

(1006) جمال، جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ٢ ص ١١١٥.

(1007) شاكر، المتنبي رسالة في الطَّريق إلى ثقافتنا، ص ٤٠٣.

(1008) راجع: طه حسين، مع المتنبي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثَّقافة، كتاب بي دي أف ألكتروني، نسخة طبعة ١٩٣٧.

(1009) شاكر، المتنبي رسالة في الطَّريق إلى ثقافتنا، ص ٤٠٠.

(1010) المصدر نفسه، ص ٤٠١.

(1011) المصدر نفسه.

(1012) انظر، الخليلي، هكذا عرفتهم ١-٣ ص ٥٧٤.

(1013) الموسوي، الشّيخ اليعقوبي دراسة نقديَّة في شعره مع ديوانه المخطوط، ص ٢٧.

(1014) الخليلي، هكذا عرفتهم ١-٣ ص ٥٧٥- ٥٧٦.

(1015) المصدر نفسه.

(1016) انظر: اليعقوبي، البابليات ١ ص المقدمة، صفحة: يب.

(1017) الموسوي، الشَّيخ اليعقوبي دراسة نقدية في شعره مع ديوانه المخطوط، ص ٢٧-٢٨.

(1018) المصدر نفسه، ص ٣١.

(1019) اليعقوبي، البابليات ٤ ص ٢٢٩.

(1020) انظر: المصدر نفسه ٤ ص ٢٢٩-٢٣١.

(1021) المصدر نفسه ٣ ص ٢٢٨

(1022) المصدر نفسه ٣ ص ٢٣٢.

(1023) انظر: الخاقاني، شعراء الغري أو النَّجفيات، ترجمة: محمد علي بن يعقوب التَّبريزي، ٩ ص ٥٠٥-٥١٥.

(1024) المصدر نفسه ٩ ص ٥١١.

(1025) المصدر نفسه ٩ ص ١٥٤.

(1026) الحبوبي، ديوان الحبوبي، عُني بتصحيحه وتذييله: عبد العزيز الجواهري، بيروت: المطلعة الأهلية ١٣٣١.

(1027) الخاقاني، شعراء الغري أو النَّجفيات ٥ ص ٤٤٨.

(1028) عواد، مخطوطات المجمع العلمي العراقي، ص ٦٦-٧٠.

(1029) الچادرچي، ومعنى الخيمة بالعراق الجادر جمع جوادر، والنّسبة إليها الچادرچي.

(1030) مثلما ورد في المخطوط: المصدر نفسه، ص ٦٩.

(1031) صفوة، معروف الرُّصافي سلسلة الأعمال المجهولة، ص ٣٨.

(1032) عز الدين، الرصافي يروي سيرة حياته، ص١١٠.

(1033) الدَّشتي، ٢٣ عاماً دراسة في السِّيرة النَّبويَّة المحمديَّة، ص ١١- ١٢.

(1034) نص الرِّسالة: «الأستاذ المكرم الدكتور رشيد سالم(هكذا وردت) الخيُّون المحترم، بعد التحية، والمعذرة مِن التَّأخير، حيث أصبتُ ومَن يُساعدني بالإنفلونزا السَّارية والمعممة هنا، ومِن جهة كان لنَّا بعض الضُّيوف مزيداً مِن التَّأخير. أستاذي العزيز: أرسلتُ طياً المقال الأول لي، ومِن ثم كتب شخص آخر شيء ضدي، يعني ما كتبته، فجاوبته عليها، بهذة النُّقاط أوجزها: ١- إن عليَّ دشتي (عُين في مجلس الأعيان الإيراني) لم يضع اسمه لا كمؤلف ولا كمترجم للكتاب لا في طبعة بيروت، ولا طبعات الكتاب. ٢- في إيران حيث طبعةٌ واحدة كانت باسم الدُّكتور منزوي، ومِن ثم كَذبَ الانتساب (له) فطبع بدون اسم. ٣- في التحقيقات القضائية في الثَّورة، لك يقل دشتي أنه مؤلف أو مترجم الكتاب، بل ربَّما كموزع للمسودة. ٤- الكتاب ليس له مصادر في طبعة بيروت. ٥- الكتاب ملخص صغير، ومنتقى مِن الكتاب الصغير الذي رأيته، فهناك احتمالين: أ- إن دشتي أخذ ما يمكن عرضه من الكتاب (القصد كتاب الرُّصافي) هو شخصياً. ب أو أن أحداً آخر عَمل الملخص الممكن طبعه وأعطاه إلى دشتي. هذه نقاط غامضة لا يعلمها إلا دشتي نفسه. ٦- يمكن أن الرُّصافي، وفي ما يخصه هو ألف الكتاب على مرحلتين، الأولى في حوالى ٢٠٠ صفحة أو ربَّما أقل بقليل، ثم توسع فيه على مر الزَّمن، وأصبح الكتاب المطبوع الآن، فتسميته الأولى، وهذا ما أره أنا، بآلة المحمديَّة، والثَّانية سماها بالشخصية المحمديَّة، التي هي أقل سماويَّة وأكثر أرضيَّة تاريخيَّة.

مَن وضع اسم دشتي على الكتاب: ١- في الطَّبعات خارج إيران وُضع اسم لدشتي عليه، وهو عمل غير قانوني، فلم يُصرح ولم يكتب ولم تكن له وصية، أيّ شيء يعود بأنه مؤلف أو مترجم للكتاب. ٢- فلو أن ورثة دشتي، أو هو نفسه، عاد لنَّا حيَّاً، وأقام دعوى على هؤلاء في الخارج، فإن محكوميتهم ١٠٠٪، فليس هناك أيّ دليل قانوني على هذا الأمر، بأن الكتاب مِن دشتي، وأزيدك علماً، الطبعة الخارجيّة مضاف إليها كثير مِن مواد جديدة، هي في الحقيقة ليست جديدة على كتاب الرُّصافي المطبوع. الكتاب بالفارسية: ليست ترجمة بل اقتباس وملامح (هكذا وردت) وأخذ ما يمكن أن يُطبع، دون

إثارة مشاكل كبيرة، حيث إيران بلد متعصب وثورته قامت مِن هذا الطّريق كما تعلمون.

شخصية دشتي مِن خلال الكتاب: إن عمل دشتي هو نزاهته في الكتاب، حيث لم يضع اسمه، لا كمترجم ولا كمؤلف، بل كُلُّ ما هنالك هو وزع نُسخ منه لأصدقائه، وهو القائل لمدير مجلة ألمانية- فارسيَّة» بأنك لو كتبتَ اسمي فأنا أكذبه، وهذه زيارة في الاطمئنان، حيث في زمن الشَّاه لم تكن القضايا بهذه الدَّجة مِن العنف. نحن نعيش ببلدان قانونيَّة، الدَّليل لكلِّ إثبات، والنَّزاهة في القلم والفكر. أخوكم م. ع. نجفي»(السويد- وبسالا في ٧/١/٢٠٠٤).

(1035) سلوم، السَّرقات الفنيَّة للآثار الأدبية سرقات الدكتور نبيل طريفي نموذجاً، ص ٤.

(1036) المصدر نفسه، ص ١٥-١٩.

(1037) المصدر نفسه، ص ٢١.

(1038) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(1039) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(1040) الدَّشتي، ٢٣ عاماً دراسة في السِّيرة النَّبويَّة المحمديَّة، ص ١١- ١٢.

(1041) طريفي، ديوان اللُّصُوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ١ ص ٥.

(1042) راجع للمقابلة بين العملين: ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، تحقيق المعيبد(بغداد: مطبعة الرشاد ١٩٦٨)، وطريفي، ديوان اللُّصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ١ ص ٣٣٢ وما بعدها.

(1043) انظر القضية في: سلوم: السَّرقات الفنيَّة للآثار الأدبيَّة سرقات الدَّكتور محمد نبيل طريفي نموذجاً، ص ١٣٢- ١٥٥. داواد سلوم، الجاحظ مفكراً معاصراً، مجلة المورد، العدد: ٤ التاريخ: ١أكتوبر (تشرين الأول ١٩٧٨. داود سلوم، الجاحظ مفكراً معاصراً، مجلة الثَّقافة- مدحة عكاشة، العدد: ٥ التاريخ: ١ مايو (أيار) ١٩٨٧. طيبة الشّذر، قراءة جديدة في كتاب العثمانيَّة الجاحظ مفكراً معاصراً، مجلة العربي الكويتية، العدد: ٥٤٥ التاريخ: إبريل (نيسان) ٢٠٠٤.

(1044) انظر: رنا حائك، مقال سرقة أدبيَّة تحيي كتابه الملعون أبونا في حديقة عبد وازن، جريدة الأخبار اللبنانيَّة في ١٤/٦/٢٠١١ على الرَّابط:

https://al-akhbar.com/Literature_Arts/89959.

(1045) انظر: الديوه جي، بيت الحكمة، ص ٣٢ وما بعدها.

(1046) راجع للمقابلة: الخيُّون، معتزلة البّصرة وبغداد، لندن: دار الحكمة، الطبعة الأولى ١٩٩٧. قاشا، المعتزلة ثورة الفكر الإسلامي الحر، بيروت: مكتبتي: السَّائح والتَّنوير ٢٠١٠.

(1047) صحيفة المدينة السعوديَّة، في ٢٤ يناير (كانون الثَّاني) ٢٠١٢. العربية نت في ٢٣ يناير (كانون الثَّاني) ٢٠١٢ على الرَّابط:

https://www.alarabiya.net/articles/2012/01/23/190083.html

(1048) ابن خَلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أهل الزَّمان ٣ ص ٣٢١ ترجمة رقم: ٣٤٣.

(1049) الأسدآبادي(القاضي عبد الجبار)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٧٦ الطبقة السَّابعة مِن المعتزلة الجاحظ وأخرون.

(1050) يكاد لا يخلو كتاب أو وعظ ديني، لإبراز الجانب التَّربوي في الدِّين، إلا وأستشهد ببيت االمعري: «الناس للناس من بدوٍ وحاضرةٍ/ بعض لبعض وإن لم يُشعروا خدمُ»(لزوم ما لا يلزم). السُّؤال: لماذا تُؤخذ حكمة الشاعر ويُهمل اسمه ويُصر على كفره، لم يبحث فقيه ولا واعظ لتوثيق البيت (الحِكمة)، ليُصحح خطأ روايته المتداولة، وينسبه لصاحبه؟! وظف البيت كثيرون، منهم على سبيل المثال: صاحب «موسوعة فقه الابتلاء»، وصاحب «شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين»، وصاحب «شرح بلوغ المرام» في تفسير حديث «مَن أسلف في تمرٍ فليسلف في كلِّ معلوم»، وصاحب «مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسُّنَّة». كذلك وظفه ضيف البرنامج الوعظي «الدين القيم»، الشيخ عمر عبد الكافي أحد المشغولين بالإعجاز العلمي للقرآن. ففي إحدى الحلقات استهل حديثه بالبيت، وعده حكمة مهمة، لكنه حجب اسم قائله. أما أن البيت يجري على ألسنة عشرات الوعاظ، ولم يُذكر فضلاً لقائله، فالأمر لا يخلو من موقف مسبق. فمن المعلوم أن الفقهاء والوعاظ المعاصرين لم يفتهم حُكم الأقدمين: «زنادقة الدنيا أربعة: بشَّار بن بُرد، وابن الرَّاوندي، وأبو حيان التَّوحيدي، وأبو العلاء المعريّ»(الحنبلي،

شذرات الذهب). تكلموا ما شئتم في المعري، لكن ليس من الحقّ والدِّين والبحث العلمي والأدبي أن تزينوا كُتبكم وخطبكم ومواعظكم بكلامه وتتنكرون لاسمه.

(1051) الكتب الستةَ/ ص ٣٦٣، البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: كتاب النَّبي إلى كسرى وقيصر، رقم الحديث: ٤٤٢٤ و٤٤٢٥.

(1052) الطَّبري، تاريخ الأُمم والملوك ٢ ص ١٦٤.

(1053) الغزالي، فضائح الباطنية، ص ١٦٩ -١٩٤. الشُّروط الخلقية أو الطبيعية في الإمامة أو الخلافة: البلوغ، العقل، الحرية، الذُّكورية، القريشية، سلامة الحواس. المكتسبة: النِّجدة، الكفاية، العلم، الورع.

(1054) ١٢٠ ألف ﷺ غرامة على القرني للسطو على كتاب، منى الجابر، العربية نت، تاريخ: ١٨ فبراير (شباط) ٢٠١٨ على الرَّابط:

https://www.alarabiya.net/ar/saudi-today/2018/02/18/-120

(1055) بداح السُّبيعي، هل سَرق القرني أبيات بن جُبلة، صحيفة الرِّياض السُّعودية الخميس ١ مارس(آذار) ٢٠١٨، صفحة الثَّقافة.

(1056) راجع للمقابلة: عبد الرَّزاق الحسني (ت ١٩٩٧)، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، بغداد: مشورات المكتب العربي لتوزيع المطبوعات ١٩٨٤. محمد التّونجي، اليزيديون واقعهم تاريخهم معتقداتهم، الكويت: الدَّار السَّلفية ١٩٨٨.

(1057) الحَسني، اليَزيديون في حاضرهم وماضيهم، ص ٢.

(1058) راجع للمقابلة: كورت رودلوف، النّشوء والخلق في النُّصوص المندائيَّة، ترجمة: صبيح مدلول السّهيري. بغداد: جامعة بغداد ١٩٩٤. الليدي دراوور، الصَّابئة المندائيون. ترجمة: نعيم بدوي وغضبان رُومي. بغداد: مطبعة الديواني، الطبعة الثَّانية ١٩٨٧. غضبان رومي، الصَّابئة، بغداد: مطبعة الأُمة ١٩٨٣. محمد الجزائري، المندائيون الصَّابئة، عمان: المعهد الملكي للدراسات الدِّينية ٢٠٠٠.

(1059) أخطاء مطبعية فضحت سارقي الكُتب، مِن مقال ناصر الحزيمي، صحيفة الرِّياض، العدد: ١٧٢٩٦ المؤرخ في ١ نوفمبر (تشرين الثَّاني) ٢٠١٥.

(1060) راجع للمقابلة: علي عفيفي عليّ غازي،ّحرق الكتب في التَّراث العربي الإسلامي، مقال في جريدة الحياة اللندنية، العدد: ١٩٠٢٧ والمؤرخ في: ٥ مايو(أيار) ٢٠١٥. الحزيمي، حرق الكتب في التُّراث العربي، كولونيا- ألمانيا: منشورات الجمل ٢٠٠٣. ناصر الحزيمي، أخطاء فضحت سارقي الكتب، صحيفة الرِّياض، العدد: ١٧٢٩٦ المؤرخ في: ١ نوفمبر (تشرين الثَّاني) ٢٠١٥.

(1061) انظر: الأعرجي، أجداد وأحفاد، تحت عنوان «المستثنى بإلا: الطَّاهر أحمد مكي سارقاً»، ص ٢٥٩ وما بعدها.

(1062) انظر للمقابلة بين الفصلين في الكتابين: زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرَّابع (الهجري)، مؤسسة هنداوي، كتاب: بي دي أف، الفصل الرابع: روايات الأغاني، ص ٢٣٩- ٢٤٩. الطاهر أحمد مكي، دراسات في مصادر الأدب العربي، فصل: الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، القاهرة: دار الفكر العربي ١٩٩٩ ص ٢٥٩-٢٧٢.

(1063) الأصفهاني، كتاب الأغاني ٢١ ص ٢٢٨.

(1064) الشَّهراني، حقوق الاختراع والتَّأليف في الفقه، ص ١١٦.

(1065) ابن القيم، أعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، المجلد الأول، الجزء الثَّاني، ص ٢٤٤.

(1066) الشَّهراني، حقوق الاختراع والتَّأليف في الفقه، ص ٣٨(صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب مَن قال لأخيه المسلم ياكافر).

(1067) المصدر نفسه، ص ١٧.

(1068) المودودي، الحكومة الإسلاميَّة، ترجمة: أحمد إدريس، الدارس السعودية للنشر والتَّوزيع ١٩٤٨. الخميني، الحكومة الإسلاميَّة، بيروت: دار الطَّليعة ١٩٧٩.

(1069) الشهراني، حقوق الاختراع والتَّأليف، ص ٢٢.

(1070) السَّلامة، نشأة وتطور نظام حماية حقوق المؤلف، ص ٨٦ انظر فيه ما يخص الشَّريعة: ص ٨٣- ٨٧.

(1071) انظر: المصدر نفسه، ص ٩٨ وما بعدها.

(1072) انظر: المصدر نفسه، ص ٩٧ -٩٨.

(1073) WIP موقع المنظمة العالميَّة للملكية الفكريَّة الرسَّمي لى الرَّابط:

https://www.wipo.int/treaties/ar/ShowResults.jsp?lang=ar&treatyid=15

(1074) الموقع الرسمي للشيخ عبد الرَّحمن بن ناصر البراك، تاريخ ٣٠ صفر ١٤٣٥ تحت عنوان اللغة العربية والإنجليزية أيتهما الجميلة والمقدسّة، على الرابط:

https://sh-albarrak.com/article/2148

(1075) مقطع من فيديو يوتيوب بصوت حفيد الشيخ محمد أمين الشنقيطي الشَّيخ محمد المختار، تاريخ ٢٩//٤/ ١٤٣٣، على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=YheA242YCEA

(1076) مقطع من فيديو يوتيوب بصوت الشيخ عثمان الخميسي، تاريخ: ١٠/١٢/٢٠١٢، على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=Ej_odPT5MEI

(1077) الصَّدر، مسائل وردود، ص ١٦٢.

(1078) المصدر نفسه.

(1079) الطَّاهر، أستاتذتي ومقالات أُخرى، ص ٣١١- ٣١٢.

(1080) رشيد الخيُّون، ماذا يقول الفقهاء حول السَّرقة الأدبيَّة، صحيفة الشَّرق الأوسط، العدد: ٩٠٢١ المؤرخ في: ١٠ أغسطس (آب) ٢٠٠٣.

(1081) ديوان الشَّافعي، ص ٢٧، وهو قصيد عدد أبياته ثلاثة وباقي الاثني: «وأشجعُ في الوغى من كلِّ ليثٍ/وآل مهلبٍ وبني يَزيدِ/ ولولا خشيةُ الرَّمن ربِّي/ حَسبتُ النَّاسَ كلَّهمُ عبيدي».

(1082) يكفي في هذا المجال مراجعة: الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص ٢٥٤. ابن قُدامة، تحريم النَّظر في كُتب أهل الكلام، ص ١ وما بعدها (قضية تكفير ابن عقيل وتوبته.

(1083) حُكم كتابة الرّوايات الخياليَّة، موقع: الإسلام سؤال وجواب، تاريخ ١٢/١٢/٢٠١١ على الرَّابط:

https://islamqa.info/ar/answers/174829/.

(1084) على سبيل المثال: يروى أن الجاحظ كان في وليمة يحضرها فقهاء معروفون بسامراء، فحضرت صلاة الظهر فصلوا ولم يصلِ الجاحظ، وكذلك صلاة العصر ولم يقم للصلاة(التَّنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٧ ص ٣٣).

(1085) يكفي في هذا المجال مراجعة: الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص ٢٥٤. ابن قُدامة، تحريم النَّظر في كُتب أهل الكلام، ص ١ وما بعدها (قضية تكفير ابن عقيل وتوبته.

(1086) يكفي في هذا المجال مراجعة: البغدادي، الكفاية في عِلم الرّواية: لا تُقبل الرُّواية إلى مِن ثقة (ص ٣١) وباب: ذم الرواية من غير إثبات(ص ٣٢) وباب سماع الذمي والمشرك (ص٧٦).

(1087) انظر: الإمام مالك، المُوطَّأ، باب كتاب القرآن، ص ١٣٥- ١٤٥. البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ضمن موسوعة الحديث الشَّريف- الكُتب الستة، ص ٤٣٢- ٤٣٨. المغربي (مفتي المالكيَّة بمكة)، ص ١٠ وما بعدها.

الفهرس

المحتوى ٧

المقدمة ١٩

تمهيد في المَصادر ٣٣

الباب الأول: لصُوص المَالِ ٤٩

الفَصل الأول: فئات اللُّصُوص ٥١

الفَصل الثَّاني: أمكنة اللُّصوص ٦٣

الفَصل الثَّالث: اللُّصوص في الأزمات ٧٥

الشَّراكة مع السُّلطة ٨٦

الفَصل الرَّابع: اللُّصوص وأهل الفقه والفكر ٩٣

القتلى بيد اللُّصُوص ٩٤
قصصهم مع اللُّصُوص ٩٩
الاستعانة بالفقهاء ١٠٨
كانوا لصوصاً ١٠٩

الفَصل الخامس: شخوصُ اللُّصُوص ١١٣

تجنيد اللُّصوص ١٥٣

الفَصل السَّادس: أشعارُ اللُّصُوصِّ ١٧٣
الفَصل السَّابع: اللُّصُوصُ في أخبارهم ٢٠٥
حكايات وقَصص ٢١٣
الفَصل الثَّامن: عقوبة اللِّصِ ٢٣٥
اكتشاف اللُّص ٢٥٦
الباب الثَّاني: لُصُوصُ الفِكرِ مِن المنظوم والمنثور ٢٦٥
الفصل الأول: ما قيل في لُصُوصيَّة الأدب ٢٦٧
مِن الهمداني إلى تيسلر ٢٧٢
تحذير المسعودي ٢٧٥
الفصل الثَّاني: لُصُوصيَّة المنظوم ٢٧٩
الفصل الثَّالث: لُصُوصيَّة المنثور عند المتقدمين ٣٠٣
الهمداني والحَريري ٣٠٨
النُّوبختي والأشعري ٣١٢
الغَزالي والكاشاني ٣١٥
إخوان الصَّفا وابن خلدون ٣١٨
السِّيوطي وسارقوه ٣٢٩
المَعري ودانتي ٣٣٩

الفصل الرَّابع: لَصُوصيَّة المنثور عند المتأخرين ٣٤٥

مرجيلوث وطه وشاكر ٣٤٥

اليعقوبي والخاقاني ٣٥١

الرُّصافِي ودَشتي ٣٥٨

سلوم وطريفي ٣٦٥

الرَّاهب والشَّيخ ٣٧٠

الحَسني والتَّونجي ٣٨٥

نماذج من النصوص المنحولة حرفياً: ٣٨٧

ما يخص اعتقاد الأيزيدية في درب التَّبان الكوني: ٣٩٠

في طاووس ملك عند الإيزيدية: ٣٩٠

ومن نماذج سرقة الهوامش الكثيرة، نذكر الآتي: ٣٩١

رودولف ودراوور ورُومي.. والجزائري ٣٩٥

الحزيمي وعفيفي ٤٠٤

الفصل الخامس: الفقهاء ولُصُوصيَّة الكتابة ٤١٣

إباحة الغش ٤١٨

استفتاء في السَّرقة الفكريَّة ٤٢١

المصادر والمراجع ٤٢٩